



إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد دمه لخضر - الوادي - الجزائر

الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022م



تأليف جماعي . ملتنقى علمي

تحرير وتقديم

أ.د. إبراهيم رحمانى

أ.د. علي خضرة

د. محمد الصديق قادري

الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها
من 1962 إلى 2022م

تأليف جماعي
ملتنقى علمي

Publications of Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies
Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria



The Mosque discourses in Oued Souf and its environs from 1962 to 2022 AD

Collective writing - scientific forum



Edit and submit

Pr. brahim Rahmani

Pr. Ali khedourah

Dr. mohammed seddik Kadri

ISBN: 978-9969-517-66-8



للطباعة
والنشر
والتوزيع

ساجي





إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022م

تأليف جماعي - ملتحق علمي

الأربعاء والخميس 13-14 شوال 1444هـ / 3-4 ماي 2023م

تحرير وتقديم

أ.د / إبراهيم رحمانى

أ.د / علي خضرة

د / محمد الصديق قادري





مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

Laboratory of Algerian scientists contributions to enrich the Islamic studies

كلية العلوم الإسلامية – جامعة الوادي

Faculty of Islamic Sciences - University of El Oued - Algeria

مخبر بحث معتمد من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

تحت رقم (70). بتاريخ: 2015/02/21. الرمز E0780400

الموقع الإلكتروني: <https://www.univ-eloued.dz/index.php/8-univ/1818-lasceis>

الطبعة الأولى: 1445هـ / 2024م

رقم الإيداع القانوني: ماي 2025م

ردمك: 8-66-517-9969-978

عدد الصفحات: 540

المقاس: 16.5 × 24 سم.

© محفوظة
جميع الحقوق

التنفيذ الطباعي:

ولاية الوادي . الجزائر

☎ 032 14 93 39

☎ 0557 97 44 43

✉ imp.alwady@gmail.com



قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
✻ التعرف بالملتقى	07
✻ كلمة مدير الملتقى	09
✻ كلمة رئيس الملتقى	11
✻ مجموع بحوث الملتقى:	13
✻ دور النخبة في تفعيل رسالة المسجد – مسجد عمر ابن الخطاب بوادي سوف أنموذجا. أ.د. عبد القادر مهاوات (جامعة الوادي)	15
✻ دور المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي. أ.جمال غول (جامعة وهران 1)	25
✻ واقع ومتطلبات الخطاب المسجدي بالوادي بعد أحداث 5 أكتوبر 1988م. د. علي زواري أحمد (جامعة الوادي)	43
✻ القصور في الخطاب المسجدي المعاصر وسبل النهوض به. أ.د. يوسف عبد اللاوي (جامعة الوادي)	75
✻ خصوصية الخطاب المسجدي. د. فهيمه بن عثمان (جامعة الوادي)	105
✻ رسالة المسجد الواقع والمأمول. أ.د. حياة عبيد (جامعة الوادي)	127
✻ المقاصد التربوية لرسالة المسجد. د. التجاني عاد (جامعة الوادي)	151
✻ التكوين والتأهيل ودورهما في جودة الخطاب المسجدي. د. محمد الصديق قادري (جامعة الوادي)	169
✻ آليات تطوير الخطاب المسجدي وإشكالات معالجة قضايا الواقع. د. مليكة زيد (جامعة الوادي)	177
✻ الخطاب المسجدي وآليات تطويره: مساهمة مسجد الإمام الغزالي بالوادي في تطوير الخطاب المسجدي -بلغوا عني ولو آية نموذجا- د. محمد السعيد فرحات (جامعة الوادي)	201
✻ وسائل الارتقاء بالخطاب المسجدي في وادي سوف -خطبة الجمعة أنموذجا – د. عبد الغني حوبة (جامعة الوادي)	215
✻ الخطاب المسجدي في وادي سوف -مُعَيْقَاتُ التَّأْثِيرِ وَسُبُلُ التَّطْوِيرِ- د. إلياس تامه (جامعة الوادي)	243
✻ المسجد في الإسلام؛ رسالته الحضارية وأثرها في رسم معالم فقه الاستنباط. د. زيان سعدي (جامعة الوادي)	263

	✽ الفكر العقدي ودوره في تطوير الخطاب المسجدي.
283	د. محمد عمارة (جامعة الوادي)
	✽ الشَّيْخ مُحَمَّد شَادُو وجهوده في الخطاب المسجدي والتَّعليم القرآني
295	بوادي سوف. د. العيد بلالي، ط.د. نورة بنين (جامعة الوادي)
	✽ الخطاب المسجدي لعلماء جمعية العلماء المسلمين - محمد الصالح
323	قديري أنموذجاً- د. مختار قديري (جامعة الوادي)
	✽ الإمام الحبيب قرفي ودوره في الخطاب المسجدي والتعليم القرآني في وادي
341	سوف. د. عبد القادر شكيمة (جامعة الوادي)
	✽ جهود علماء سوف في المحافظة على المرجعية الدينية - الشيخ الأمين غمام
357	عمارة أنموذجاً- د. أحمد غمام عمارة (جامعة الوادي)
	✽ الشيخ مبروك الشامسي وجهوده في مجال الخطابة المسجدية في منطقة
377	وادي سوف. ط.د. الزازية خديري، د. زهير بن كتفي (جامعة الوادي)
	✽ الشيخ الهاشمي جاب الله، الخطابة بين منبرين، تجربة أربعين سنة (1981-2020).
393	د. علي خضرة (جامعة الوادي)
	✽ ملامح الإسهامات المسجدية في تحقيق مستويات الأمن المجتمعي في ولاية
401	الوادي. ط.د. صلاح الدين خنوفة، د. عباس منصر (جامعة الوادي)
	✽ مظاهر إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي.
417	ط.د. وليد عروسي، د. محمد الصديق قادري (جامعة الوادي)
	✽ أهمية الرسالة المسجدية في معالجة بعض المتغيرات العصرية بولاية
439	الوادي. ط.د. حماسة ميلودي، أ.د. كمال قده (جامعة الوادي)
	✽ الخطاب المسجدي ودوره في مكافحة الجريمة - انتشار الحبوب المهلوسة
455	أنموذجاً- ط.د. فوزي زغدي، أ.د. رايح دفرور (جامعة أدرار)
	✽ الخطاب المسجدي ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي.
473	ط.د. موعاد برجيجان، د. علي خضرة (جامعة الوادي)
	✽ الخطاب المسجدي والإعلام الجديد... نحو تفاعل إيجابي.
495	ط.د. جمال بونقاب، د. محمد الصديق قادري (جامعة الوادي)
	✽ الأمن المجتمعي: خصائصه ومقوماته.
513	ط.د. مصطفى شباح، د. فهيمة بن عثمان (جامعة الوادي)
	✽ إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي.
527	ط.د. حمزة سليمان، د. أحمد عامر باي (جامعة الوادي)

التعريف بالملتقى

أولاً: فكرة الملتقى

يعتبر المسجد المؤسسة الأكثر قرباً من المسلم؛ يتردد عليها بشكل يومي، يدخل محرابها بقلبه قبل جسده، ويتلقى فيها جرعات من التوجيه والإفادة لإصلاح حاله ومآله.

وإن منطقة وادي سوف عرفت منذ القدم بالتدين والثقافة والعلم والجهاد، وقد كان المسجد حاضراً في جميع مشاهد تطور المجتمع السوفي من خلال جهود أئمة ومرشدين سواء في التعليم القرآني، أو الوعظ الديني، أو الإصلاح المجتمعي، أو التوعية الوطنية... إلخ. وهذا الرصيد في الخطاب المسجدي يقتضي منا الوقوف عنده والإشادة به وحسن استثماره في توجيه حاضرتنا بما يمكنه من مواجهة التحديات المعاصرة، ويرفع من مستوى أدائه ليسهم بشكل أكثر فعالية في خدمة المجتمع وأمنه واستقراره.

ولعل أهم ما يهدف إليه هذا الملتقى نلخصه في النقاط الآتية:

1. الوقوف عند الشخصيات النموذجية المؤطرة للخطاب المسجدي بالمنطقة.
2. الاستفادة من رصيد التميز في الخطاب المسجدي بالمنطقة.
3. معرفة ملامح التنوع وأساليب معالجة المشكلات.
4. إثراء ونقد بعض مظاهر القصور في الخطاب المسجدي.
5. اقتراح تفعيل وتطوير الخطاب المسجدي بما يضمن تحقيق الأمن والانسجام المجتمعي.

إشكالية الملتقى

1. كيف كانت تجربة الخطاب المسجدي بمنطقة وادي سوف في فترة الاستقلال؟
2. هل استطاع المسجد أن يلي احتياجات وتطلعات المجتمع؟
3. من أشهر أعلام الخطاب المسجدي؟ وما الذي ميزهم؟
4. كيف نستطيع الرقي بالخطاب المسجدي إلى مستوى خدمة أفضل للمجتمع والأمة؟

محاورة الملتقى

المحور الأول: المسجد في الإسلام: المؤسسة والرسالة.

المحور الثاني: أعلام الخطاب المسجدي في منطقة وادي سوف 1962-2022

المحور الثالث: قضايا الخطاب المسجدي في منطقة وادي سوف 1962-2022

المحور الرابع: آفاق تطوير الخطاب المسجدي في منطقة وادي سوف في ضوء تحديات العصر.

■ ورشة العمل المرافقة لفعاليات الملتقى (خاصة بطلبة الدكتوراه) ■

المسجد ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي

المحور (1): رسالة المسجد في ضوء متغيرات العصر.

المحور (2): الأمن المجتمعي: خصائصه ومقوماته.

إدارة الملتقى

- الرئيس الشرفي للملتقى: أ.د. عمر فرحاتي
- رئيس الملتقى: أ.د. إبراهيم رحمانى
- مدير الملتقى: أ.د. علي خضرة

اللجنة العلمية

د. محمد الصديق قادري (رئيسا)	د. زهير بن كتفي	د. محمد رمضان
أ.د. عبد القادر شكيمة	د. زيان سعدي	د. مختار قديري
أ.د. حياة عبيد	د. عباس منصر	د. مصباح موساوي
د. التجاني عاد	د. عبد الغني حوبة	د. معمر قول
د. الصادق ذهب	د. علي زواري أحمد	د. ياسين باهي
د. العيد بلالي	د. فهيمة بن عثمان	أ. الطاهر الأدغم
د. بشير بوساحة	د. محمد العربي ببوش	

اللجنة التنظيمية:

د. نبيل صوالح محمد (رئيسا)	د. زكرياء قادي	د. مختار قديري
د. السعيد هراوة	د. محمد العربي ببوش	د. ياسين باهي
د. الصادق ذهب	د. يوسف تريعة	

لجنة التدقيق اللغوي

أ.د. علي خضرة	د. نبيل صوالح محمد	د. محمد عمارة

كلمة مدير الملتقى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70 و71].

أما بعد:

فيعتبر المسجد المؤسسة الأكثر قربا من المسلم، ولا يزال كذلك عنوانا لسمو الدين، حيث يرتاد المساجد ويتردد عليها بقلبه وروحه وبدنه، إذ منها تستقى جرعات التربية والتطهير الظاهري والباطني، كما أنها منطلق الإصلاح الفردي والجماعي، ناهيك عن كونها محراب الدعوة الإسلامية، ومصنع الرجال ومدرسة الأجيال لو أدت أدوارها المنوطة بها.

ومن التجارب القديمة في الرسالة المسجدية منطقة وادي سوف، التي عرفت بالتدين والثقافة والعلم، وقد كان المسجد محورا في جميع نشاطات الحركة الإصلاحية السوفية من خلال جهود أئمة ومرشدين سواء في التعليم القرآني، أو الوعظ الديني، أو الإصلاح المجتمعي، أو التوعية الوطنية، أو الخدمة التواصلية ذات البعد الاجتماعي التضامني.

هذه التجربة الثرية لرسالة المسجد التي عرفت المنطقة سواء في فترة ما قبل الحقبة الاستعمارية، أو بعدها، هذا ورغم الأعباء الكبيرة الملقاة على متصدري الرسالة المسجدية

بين التربية والتعليم والتطوع في الإمامة والخطابة، والوعظ والإصلاح ومتطلبات الأسرة الصغيرة والكبيرة لكل مرحلة، إلا أنها تركت بصمة دعوية وتجربة خطابية عتيقتين، ترقى لتكون محلا للدراسة. فما هي تجربة الخطابة لمنطقة سوف وما جاورها؟ ومن فرسانها؟ وكيف يمكن أن تستثمرها أجيال ما بعد الاستقلال؟ وما هو المأمول منها في عصر ما بعد جائحة كورونا؟ لناشئة اليوم، وما مدى أثرها في حياة الفرد والمجتمع؟

هذه الاسئلة وغيرها هي مشاريع الأوراق العلمية التي عرضت في أشغال الملتقى الوطني التاسع الموسوم ب: الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022م، والذي عقدت جلساته بكلية العلوم الاسلامية بجامعة الوادي يومي: 3 و4 ماي 2023م، وقد عرفت أشغاله أربع جلسات علمية لأربعة محاور، تضمنت 26 مداخلة علمية، وورشة خاصة بطلبة الدكتوراة موسومة ب: المسجد ودوره في تحقيق الامن المجتمعي، عرض فيها الطلبة الباحثون تسعة مداخلات لثلاث محاور.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ.د. علي خضرة

رئيس قسم أصول الدين

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي

khedourah-ali@univ-eloued.dz



كلمة رئيس الملتقى:



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

وبعد،

فإن مكانة المسجد في الإسلام رفيعة؛ يدل على هذا ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: 18]، وقال أيضا: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، وجاء في السنة الشريفة من حديث أبي هريرة قوله ﷺ: "أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها..." [صحيح مسلم: 671]. وكان من هديه ﷺ أن أول عمل بادر به عند وصوله مهاجرا إلى المدينة هو بناء المسجد، بل قبل وصوله إليها أسس مسجد قباء، قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: 108].

ولما كان المسجد يحظى بتلك المكانة فمن الضروري أن تكون جميع الأنشطة المقدمة فيه خادمة لرسالته، وداعمة للدور الوظيفي الذي أنيط به. وإن أهم مناشط مؤسسة المسجد ما يقدم فيه من خطب ودروس وتوجيهات ومواعظ، والتي يعبر عنها بالخطاب المسجدي، ويتولى القيام بهذه الأدوار عدد من الفاعلين على رأسهم السادة المشايخ والأئمة وعدد من الكفاءات العلمية المتعاونة مع مؤسسة المسجد.

ولما يتنوع الفاعلون في الخطاب المسجدي، وتتعدد المساجد في البلدة الواحدة، ويحدث التغير في أنماط الحياة الاجتماعية مع مرور الزمن؛ فمن الطبيعي أن يتشكل لدينا رصيد من الخطابات المسجدية وليس خطبا واحدا؛ فالمؤثرات على هذه الخطاب تتنوع أشكالها وتتعدد صورها؛ مما يستدعي الوقوف من حين لآخر لتقييم مسار الأداء وتصويب المسيرة، والارتقاء بالخطابات المسجدية إلى مستويات رفيعة يظهر أثرها الإيجابي فيما تحدثه من إصلاحات في الحياة الاجتماعية.

لقد تداول على المنابر المسجدية في هذه الديار (السوفية) أعلام كثيرون، أبلوا البلاء الحسن في توجيه الناس إلى ما يصلح حالهم؛ فكان من الضروري أن ننظر في عناصر التميز لديهم فنشيد بهم وبجهودهم باعتبارهم قدوات صالحة في المجتمع، وفي الوقت نفسه نسلط الضوء على عناصر التميز تلك وكيف يمكن استثمارها في الخطاب المعاصر. وما من شك أن تميز بعض الخطباء في جانب معين لا يعني التميز في كل الجوانب، ومن هنا

وجب النظر في المواطن التي وقع فيها شيء من التقصير لننظر كذلك في أسبابه، وكيف يمكن التغلب على النقائص المسجلة فيه وفيما أشميه.

لقد شهدنا منذ أعوام خلت خطابات كثيرة انفعالية تهيبجية تفتقد إلى الرؤية الاستشرافية المتزنة، كما تعوزها الحكمة في التعامل مع كثير من المتغيرات، وتسوق الاتهامات جزافا، بل تسير في بعض الأحيان في ركاب الإشاعات والقول بلا علم؛ فكانت تلك الخطابات تسير في غير الطريق الذي وجدت لأجله، وأحدثت أضرارا كبيرة؛ مما اقتضى ضرورة المعالجة وإعادة النظر في بعض ممارسات الخطاب المسجدي وإعادته إلى الجادة.

وفي اتجاه آخر لا زالت خطابات مسجدية تشغل على الماضي فتستنسخ من التاريخ مشاهد تسعى لتبعثها من جديد وتسوق لها دون أن تراعي أن الزمن غير الزمن والناس غير الناس، وليس كل ما في الماضي جميل، ولا يمكن استنساخ مشاهد التاريخ لنجعل منها واقعا بديلا عن الحاضر، وقد نتج عن هذا المسلك إحياء كثير من المشكلات من مرقدتها، ونبش كثير من القبور لمحاكمة الماضي وكأن هذا هو واجب الوقت، في حين كانت الغفلة عن الحاضر ومتطلباته السمة البارزة في هذه الخطابات.

هذا، ولا تزال بقايا من خطابات الجمود التي لا تسعى لأن تشغل في المفيد؛ فتكتفي بتريد خطب مناسباتية حررت منذ قرون، فهي تواظب على قراءتها دون أي محاولة للفهم والإفهام، وكأن المطلوب من رواد المسجد هنا إثبات الحضور فقط.

كانت تلك إشارات خاطفة حول بعض زوايا الرؤية لموضوع الخطاب المسجدي، والمؤكد أن في الأعمال العلمية لهذا الملتقى الميمون تفصيل علمي وإثراء معرفي يستحق الاشتغال عليه والانتفاع به؛ فأشكر في هذه المناسبة الطيبة السادة الباحثين على جهودهم العلمية في إعداد هذه الأوراق البحثية، كما أشكر اللجنة العلمية التي تولت مراجعة هذه الأعمال، واللجنة التنظيمية التي سهرت على توفير الفضاء الملائم لتقديم البحوث ومناقشتها. ولا يفوتي في هذا المقام أن أقدم خالص الشكر والتقدير للسيد مدير الجامعة أ.د. عمر فرحاتي الذي لم يدخر جهدا في دعم ومؤازرة جميع الأنشطة العلمية للكلية، وكذا نائب العميد المكلف بالتظاهرات العلمية، وشكري لجميع الفاعلين في هذه التظاهرة من أساتذة وموظفين وطلاب، سائلا المولى عز وجل التوفيق والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ.د. إبراهيم رحمانى

أستاذ أصول الفقه والفقه المقارن

عميد كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي

rahmani-brahim@univ-eloued.dz

مجموع بحوث المتقى

دور النخبة في تفعيل رسالة المسجد

-مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بواادي سوف أنموذجاً-

أ.د/ عبد القادر مهاوات

مخبر الدراسات الفقهية والقضائية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

abdelkader-mehaouat@univ-eloued.dz



مقدمة

يَحْسُنُ بي أَنْ أَدَبِّجَ مقالِي بتأصيلٍ لدورِ المسجدِ من السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ العِطْرَةِ؛ حَتَّى لَا يَسْتَغْرِبَ الْمُسْلِمُ الْمَعَاوِرُ مِمَّا سَيُسْنَدُ لَهُ مِنْ مِهَامٍ، وَلَا يَسْتَكْثِرُهَا عَلَيْهِ، بَلْ بِالْعَكْسِ؛ سَيَسْعَى جَاهِدًا لِيُسَيِّمَ فِي إِذْكَاءٍ وَتَنْوِيعٍ عِطَاءَاتِهِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُصْلِحَ مِنْ حَالِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ¹؛ وَمِنْ ثَمَّةٍ يُجَسِّدُ فِعْلًا مَقَالَةَ بَعْضِ السَّلَفِ الصَّالِحِ: "الْمَسْجِدُ رُوحُ الْبَلَدِ؛ فَإِنْ حَلَّتْ فِيهِ الْحَيَاةُ، سَرَّتْ فِي سَائِرِ الْجَسَدِ"².

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْغَزَالِيُّ³ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ دَعَائِمِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْجَدِيدِ الَّذِي بَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْشِئُهُ فِي الْمَدِينَةِ: "بَادَرَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى بِنَاءِ الْمَسْجِدِ؛ لِتُظْهَرَ

¹- هذا ما يشيرُ إليه قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور:36]؛ "أي: أَمَرَ تَعَالَى أَنْ تُبْنَى وَتُشَادَّ عَلَى اسْمِهِ خَاصَّةً، وَأَنْ تُعْظَمَ وَيُرْفَعَ شَأْنُهَا؛ لِتَكُونَ مَنَارَاتٍ لِلْهُدَى، وَمَرَكَزَ لِلْإِشْعَاعِ الرَّوْحِيِّ". يُنْظَرُ: صَفْوَةُ التَّفَاسِيرِ، مُحَمَّدٌ عَلِي الصَّابُونِي، ط1، دَارُ الصَّابُونِيِّ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الْقَاهِرَةُ، 1417هـ/1997م، 312/2.

²- الرَّحْلَةُ الْعِيَاشِيَّةُ (1661-1663م)، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعِيَاشِي، ت: سَعِيدُ الْفَاضِلِي وَسُلَيْمَانُ الْقُرْشِي، ط1، دَارُ السُّوَيْدِيِّ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، أَبُو ظَبْيٍ، 2016م، 174/1.

³- أَثَرْتُ التَّنْقَلَ مِنْ كُتُبِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَنِ الشَّيْخِ الْغَزَالِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالْجَامِعِ الْمَانِعِ؛ الَّذِي لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ عَالِمٍ مُطَّلِعٍ، وَمُفَكِّرٍ مَتَمَيِّزٍ. وَإِلَّا فَإِنَّ عِدَّةً مِمَّنْ كَتَبَ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَفَقِهَا قَدْ ذَكَرَ كَلَامًا يَشْبَهُ كَلَامَ الْغَزَالِيِّ؛ مِنْ ذَلِكَ صَاحِبُ (الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ) عِنْدَمَا قَالَ مُعَلِّقًا عَلَى ابْتِدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ: "لَمْ يَكُنِ الْمَسْجِدُ مَوْضِعًا لِإِدَاءِ الصَّلَوَاتِ فَحَسَبَ، بَلْ كَانَ جَامِعَةً يَتَلَقَّى فِيهَا الْمُسْلِمُونَ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ وَتَوَجِّهَاتِهِ، وَمُنْتَدَى تَلْتَقِي وَتَتَأَلَّفُ فِيهِ الْعُنَاصِرُ الْقَبْلِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي طَالَمَا نَافَرَتْ بَيْنَهَا التَّرَعُّاتُ الْجَاهِلِيَّةُ وَحُرُوبُهَا، وَقَاعِدَةٌ لِإِدَارَةِ جَمِيعِ الشُّؤُونِ وَبَيْتُ الْإِنْطِلَاقَاتِ، وَبِرْمَالًا لِعَقْدِ الْمَجَالِسِ الْإِسْتِشَارِيَّةِ وَالتَّنْفِيزِيَّةِ. وَكَانَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ دَارًا يَسْكُنُ فِيهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَجْنِيِّينَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هُنَاكَ دَارٌ وَلَا مَالٌ وَلَا أَهْلٌ وَلَا بَنُونَ". يُنْظَرُ: الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، صَفِيِّ الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكْفُورِيِّ، ط1، دَارُ الْعَصْمَاءِ، دِمَشْقُ، 1427هـ، ص125.

فيه شعائر الإسلام، التي طالما حُوربت، ولتُقامَ فيه الصَّلواتُ، التي تربط المرءَ بربِّ العالمين، وتُنقي القلبَ من أدران الأرض، ودسائس الحياة الدُّنيا...

وتَمَّ المسجدُ في حدود البساطة؛ فراشهُ الرَّمالُ والحصباءُ، وسقْفهُ الجريدُ، وأعمدتهُ الجذوعُ، وربَّما أمطرتِ السَّمَاءُ فأوحلتْ أرضه، وقد تَفُلَّتْ الكلابُ إليه فتغدو وتروخ... هذا البناءُ المتواضعُ السَّاذجُ، هو الذي رَبَّى ملائكةَ البشرِ، ومؤدِّبي الجبابرة، وملوكَ الدَّارِ الآخرة.

في هذا المسجدِ أَدِنَ الرَّحْمَنُ لِنَبِيِّ يَوْمُم بِالْقُرْآنِ خَيْرَةً مَنْ آمَنَ بِهِ، أَنْ يَتَعَهَّدَهُمْ بِأَدَبِ السَّمَاءِ، مِنْ غَبَشِ الْفَجْرِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ.

إنَّ مكانةَ المسجدِ في المجتمعِ الإسلاميِّ، تجعلُهُ مصدرَ التَّوجيهِ الرُّوحيِّ والماديِّ؛ فهو ساحةٌ للعبادة، ومدرسةٌ للعلم، وندوةٌ للأدب، وقد ارتبطتْ بفريضةِ الصَّلَاةِ وصفوفها أخلاقٌ وتقاليدهُ هي لُبَّابُ الإسلامِ، لكنَّ النَّاسَ -لَمَّا أَعْيَاهُمْ بِنَاءُ النَّفُوسِ عَلَى الْأَخْلَاقِ الجليلةِ- استعاضوا عن ذلك ببناءِ المساجدِ السَّامقةِ، تضمُّ مصلينَ أَقْزَامًا!

أَمَّا الْأَسْلَافُ الْكِبَارُ فَقَدْ انصَرَفُوا عَنْ زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ وَتَشْيِيدِهَا إِلَى تَزْكِيَةِ أَنْفُسِهِمْ وَتَقْوِيمِهَا، فَكَانُوا أَمْثَلَهُ صَحِيحَةً لِلْإِسْلَامِ.

والمسجدُ الذي وَجَّهَ الرَّسُولُ ﷺ هَمَّتَهُ إِلَى بِنَائِهِ قَبْلَ أَيِّ عَمَلٍ آخَرَ بِالْمَدِينَةِ، لَيْسَ أَرْضًا تَحْتَكُرُ الْعِبَادَةَ فَوْقَهَا؛ فَالْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ، وَالْمُسْلِمُ لَا يَتَقَيَّدُ فِي عِبَادَتِهِ بِمَكَانٍ. إِنَّمَا هُوَ رَمَزٌ لَمَّا يَكْتَرِثُ لَهُ الْإِسْلَامُ أَعْظَمَ اكْتِرَاثٍ، وَيَتَشَبَّثُ بِهِ أَشَدَّ تَشَبُّثٍ؛ وَهُوَ وَصَلُ الْعِبَادِ بِرَبِّهِمْ وَصَلًا يَتَجَدَّدُ مَعَ الزَّمَنِ، وَيَتَكَرَّرُ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَلَا قِيَمَةَ لِحَضَارَةٍ تَذْهَلُ عَنِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ، وَتَجْهَلُ الْيَوْمَ الْآخِرَ، وَتُخْلِطُ الْمَعْرُوفَ بِالْمُنْكَرِ! وَالْحَضَارَةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ تَذَكَّرُ أَبَدًا بِاللَّهِ وَبِلِقَائِهِ، وَتُمْسِكُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتُبْغِضُ فِي الْمُنْكَرِ، وَتَقِفُ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ¹.

هذا هو المسجدُ الذي يريدهُ الإسلامُ منذ بداياته الأولى، وَأَنَا أَحَاوِلُ فِي هَذِهِ الْوَرَقَةِ أَنْ أَكُونَ عَمَلِيًّا قَدَرَ الْإِمْكَانِ، سِوَاءٍ مِنْ حَيْثُ مَنْطَلَقُ فِكْرَةِ مَوْضُوعِ "دَوْرِ النَّخْبَةِ فِي تَفْعِيلِ رِسَالَةِ الْمَسْجِدِ"، أَوْ مِنْ حَيْثُ عَنَاصِرُهُ وَتَوْصِيَاتُهُ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْإِيغَالَ فِي التَّنْظِيرِ مَنْطَلَقًا وَعَرْضًا -حَسَبَ تَقْدِيرِي وَتَجْرِبَتِي- قَدْ لَا يُوصلُنَا إِلَى شَيْءٍ ذِي بَالٍ؛ بَلْ يُبْقِي الْمَنْظَرَ مُحَلَّقًا

¹- فقه السيرة، محمد الغزالي، تخریج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، دار القلم، دمشق، 1427هـ، ص187 وما بعدها.

في سماءٍ مرفوعةٍ أبعدَ ما تكونُ عن الأرضِ ومتطلّباتها.

أولاً- المنطلقُ (تجربةُ النّخبَةِ في المسجدِ الأنموذجِ):

1- أصلُ التّجربةِ:

أنطلقُ في موضوعي من تجربةٍ شخصيّةٍ عمرُها يَنيفُ عن عشرين سنةً قضيتها مشرفاً على مسجدٍ عمرَ بن الخطّابِ رحمه الله (حيّ أولاد أحمد - وسط بلدية الوادي). هذا المسجدُ مع مركزيّته المكانيّة، فإنني ورثتُ عند استلامٍ مهمّتي فيه متطوّعاً مرخّصاً لي من طرفِ مديريّة الشّؤون الدينيّة والأوقافِ لولاية الوادي، ورثتُ زخماً من النّشاطِ العلميِّ والدّعويِّ دامَ زهاءَ عقدين من الزّمن، كان يؤطّره أحدُ أعلامِ منطقة (سُوف) وفقهائها ومصلحيها؛ الشّيخ الفاضل إبراهيم صوالح محمّد¹ -رحمه الله- الذي رغم فقْدِهِ للبصرِ كان بصيراً برسالة المسجد، لا سيّما أنّ الله تعالى أحاطه بعددٍ من الأفاضلِ من أبناءِ الحيّ الذين يتقدّون شعله؛ فكانوا نِعَمَ الحوارِيون بالنّسبةِ إليه؛ إشارةً وجهداً ومالاً وتفاعلاً.

من أهمّ صورِ هذا الرّخم:

أ- خطبةٌ مُحضّرةٌ بشكلٍ جيّدٍ موضوعاً ومادّةً ولغةً، عادةً ما تكونُ مواكبةً للأحداثِ والمناسباتِ المحليّةِ والوطنيّةِ والعالميّةِ.

ب- أربعُ محاضراتٍ أسبوعيّاً؛ أيّام السّبت والأحد والثلاثاء والاربعاء؛ كلّ محاضرةٍ في علمٍ من علوم الشّريعة، يُختارُ لها كتابٌ من الكتبِ التّراثيّةِ أو المعاصرة ذاتِ القيمةِ في بابها، يقومُ بالقراءة من الكتابِ أحدُ المثقّفين المداومين، والشّيخُ يتدخّلُ شارحاً وممثّلاً ومستطرّداً وملخّصاً.

2- التّجربةُ في نسختها المنقّحة:

هذا الجوّ العلميُّ والدّعويُّ المميّزُ لم تنغصُ عنه العشريّةُ السّوداءُ جذوته؛ فإنّه بقيَ مستمراً؛ ببركةٍ وسطيّةٍ أهله، وبياضٍ سمعتهِم، دخلتُ فيه مشرفاً -وأنا من خريجيهِ- مع مطلعِ الألفيّةِ الميلاديّةِ الثّالثة، بعد أن حُرّتُ درجةُ اللّيسانس في العلوم الإسلاميّة؛ فحاولتُ أن أحافظَ على ذاك الرّخمِ ثم أزيد، يحدّوني في ذلك شعارُ مبارك: "إنّ لم يزدُ

¹- تشرّفْتُ بأن كنتُ أحدَ تلاميذه؛ إذ أخذتُ عنه علمَ الموارِيث، وشهدتُ له خطباً جُمعيّةً كثيرةً، ودروساً مسجديّةً في مختلفِ علوم الشّريعة، انتقلَ إلى الرفيقِ الأعلى في أكتوبر سنة 2021م.

مشروع المسجد في عهدي فلن ينقص بإذن الله¹.

من هنا واصلت وتيرة الخطبة على الطريقة ذاتها²، وزكيتها بشبائتي وثقافتي الجامعية والالكترونية، وأقمت عددًا من أعيان المسجد والجهة ممن لهم ثقافة شرعية وتجربة تربوية في المحاضرات الأسبوعية القارة³، ثم دعمناها بدورات علمية شرعية تخصصية شهرية؛ بحيث تُعقد كل شهر في ثلاثة أيام متتاليات يُعلن عنها مسبقًا شفويًا والكترونيًا وورقيًا، وأوطرها شخصيًا أو باستضافة أحد المختصين في العلم المعين، ويقصد الدورة السادة الأئمة وطلبة العلم من عدد من الأحياء والبلديات المجاورة، ومن الحي الجامعي والمدارس القرآنية التي لها نظام داخلي، كما كنّا نستضيف إدارات جامعية ومن قطاعات مختلفة؛ ليوطروا محاضرات في مواضيع ذات صلة بتخصصاتهم وقطاعاتهم.

وفي الوقت ذاته كنّا نحاول استثمار زيارات بعض المشايخ والدعاة والعلماء⁴ للوادي لأغراض مختلفة، خاصة الذين يفدون على معهد العلوم الإسلامية⁵ في ملتقيات

¹- لم أتكلّم عن الدور التقليدي للمسجد -إن صحّت العبارة-؛ وهو إقامة الصلوات الخمس، وإن كان للتخبة دور فيه أيضًا؛ فإن الذي يفقه أحكام الصلاة هو الذي ينبغي أن يتقدّم غيره في إمامة الناس فيها، وكذا أحفظهم لكتاب الله تعالى وأضبطهم لأحكام تلاوته وأنداهم صوتًا هو الذي ينبغي أن يكون مشرفًا على الصلوات، خاصة الجهرية منها.

²- جمعت عددًا منها، ونشرته في كتاب وسمّته بـ "نماذج من الخطب المنبرية"، صدر عن مطبعة الوليد بالوادي، سنة 2009م. وصنعت مثل ذلك مع باقية من دروسي التي ألقيتها؛ وذلك في كتاب: "نماذج من المحاضرات المسجدية"، صدر عن مكتبة اقرأ بقسنطينة، سنة 2010م.

³- كنت أقصد تنويع الوجوه الملقية في المسجد؛ حتى لا احتكر الخطاب فيه، ولا يملني الناس؛ إذ القصْد -في تقديري- هو وصول الرسالة إلى المخاطبين، بغض النظر عن الشخص المخاطب. كما كنت أقصد تدريب بعض الطلبة النجباء الذين أتوسّم فيه الخير ممن درّسهم في الجامعة؛ بحيث أمكّنهم من الظهور للناس، لا سيما أن دعوتي لهم، ووجودي إلى جانبهم في منصبة الإلقاء تُعتبر تزكية لهم.

وفي الوقت نفسه أكنّت أجيب من يدعوني للمحاضرة في مسجده من السادة الأئمة والجمعيات الدينية، سواء داخل ولاية الوادي أو في سائر ولايات الوطن؛ بحيث لا يكاد يمر أسبوع إلا ولي محاضرة على الأقل، وتكثر الدعوات عادة في المناسبات الدينية؛ كشهر رمضان والعشر الأوائل من ذي الحجة، وذكرى الإسراء والمعراج والمولد النبوي الشريف.

⁴- هؤلاء المشايخ في أغلب الأحيان يكونون من سائر ربوع الوطن، وفي بعض الأحيان يكونون من خارجه. وبما أن المسجد مستثمر للفرصة فقط؛ فإنه لا يُحمل شيئًا من التبعات المالية؛ لأنّ العلم قادم على حساب الهيئة المستقدمة له؛ رسميًا كانت أم غير رسمية.

ممن زارنا من داخل الوطن: أد. عبد القادر بن عزّوز (العاصمة)، ود. كمال العزفي (تبسة)، ومن خارجه: مدير جامعة الزيتونة سابقًا أد. هشام قريسة (تونس)، ود. حسن الحسيني (البحرين).

⁵- أصبح كليةً حاليًا؛ وذلك انطلاقًا من شهر ديسمبر 2022.

الأكاديمية أو مناقشاته العلمية؛ فيستصدر لهم المسجد رخصة من الوصاية، ويُمكنون من لقاء المصلين وإفادتهم.

ومِمَّا غنيَ به المسجدُ: التعليم القرآني؛ فكنتُ شخصياً أُشرفُ على فوجٍ للمراهقين من تلاميذ المتوسطة والثانوية؛ ألقمهم مع القرآن الكريم شيئاً من تفسيره وأحكامه وآدابه، وأحفظهم شيئاً من الحديث النبوي مع شرحه، وأستشرفُ انشغالاتهم والتحديات التي يواجهونها نفسياً وأخلاقياً واجتماعياً، وأسعى لمواكبتهم وتوجيههم¹.

ويشرفُ بعضُ الأفاضلِ الحفظة المتقنين للتلاوة على فوجٍ لكبار السن؛ فلمهم حلقةٌ قارةٌ يتلقون فيها القرآن غصّاً طريّاً كما أنزل، وتُصوّبُ فيها الأخطاء القرآنية والفهم المعنوية، ويُحفظُ فيها ما يتيسرُ من كلام الله تعالى.

وتتطوّرُ إحدى السيّدات الحافظات لكتاب الله عزّ وجلّ، فتُقرئُ أفواجاً من الإناث؛ بعضها للجامعاتِ والمثقفاتِ، وبعضها للصغيراتِ، وأخرى للعجائزِ وربّات البيوتِ وشبه الأمّياتِ.

وهذا كلّهُ مضافٌ إلى ما يقومُ به معلّم القرآن الموظّف بالمسجد الذي عادةً ما تكونُ له أفواجٌ تعليميةٌ للأطفالِ بشتى أعمارهم، تقلُّ أعدادهم في الموسم الاجتماعيّ، وتكثرُ في العطلة الصيفية.

ولنا مكتبةٌ لها نشاطٌ وحركةٌ؛ فأنا أستقبلُ فيها الباحثين والباحثاتِ، سواء للاستفادة من مكتبة المسجد الثرية التي دعمناها بالعديد من المراجع الشرعية الحديثة غير المتوفرة إلكترونياً، أو للاستشارات والتوجيهات الأكاديمية.

ويستقبلُ إمامُ المسجد في قاعاتها المستفتين والمسترشدين؛ فتقدّمُ لهم إفادات شرعيةً ونفسيةً واجتماعيةً، وتعيّنه في ذلك زوجته التي لها اهتمامٌ ومُكنةٌ في هذا الجانب؛ بحيث تتكفّل بالحالات التي تحتاجُ إلى متابعةٍ من بنات جنسها.

وفي القاعة نفسها يجتمعُ الإمامُ مع أهالي المتوفّين لتقسيم التّركات وتوزيع الموارث والإشراف على التّخارج بين الورثة، أو للإصلاح بين المتخاصمين من الأزواج أو الأقارب أو

¹ - أصلُ هذا الفوجِ ابني "أحمد ياسين" الذي كنتُ أخصّه بذلك في بيتنا وحده، ثم وسّعتُ الدائرة ليستفيدَ معه عددٌ من أقرانه؛ فالوقتُ مرصودٌ، والجهدُ مبذولٌ، والمادّةُ العلميّةُ محضّرةٌ له ولغيره، بل أفادَ منها الكلُّ؛ هو وزملاؤه في الفوجِ منافسةً شريفةً في التّحصيلِ والانضباطِ.

الجيران أو الشركاء؛ فتُضفي جلاله المسجد وهيبته الإمام ومكانته العلمية على مجالس الإصلاح رونقاً خاصاً، ويكون ذلك في الغالب أذًى لقبول الحلول المقترحة¹.

ولا أنسى في هذا السياق دور كلمات عقود الزواج التي كنت أُنغنى بها عناية خاصة²؛ فإن أغلب الزيجات تُعقد في المسجد بعد صلاة الظهر أو العصر، ويشهدها جمعٌ غفيرٌ من المدعوين لها وغير المدعوين من سائر المصلين، فأبعث في كل عقد برسالة أرى أهميتها في تحسين العلاقات الزوجية إن كانت عادية أو جيدة، أو إصلاح وتقويم ما فسد منها³.

ثانياً- تصوّر للنخبة المعاصرة ودورها المناسب في تفعيل رسالة المسجد:

بعد العرض المختصر لتجربة مسجد سيدنا عمر رضي الله عنه التي يمكن اعتبارها ناجحة نسبياً، لا سيما أن عدداً مِمَّن زار المسجد، أو علِمَ بعناصر نشاطه، سواء من مسؤولي قطاع الشؤون الدينية، أو من غيرهم من الأفاضل وأصحاب المقامات العلمية والدعوية، أو حتى عوام الناس، هؤلاء جميعاً يُقرُّون بأن المسجد المذكور يُعدُّ دوره نموذجاً طيباً يستحق الإشادة والافتداء به، وكذا الدعم المادي والمعنوي؛ حتى يزداد مردوده شكلاً ومضموناً، بعد هذا العرض، أريد أن أعطي تصوّر لمصطلح النخبة المرادة في سياقنا

¹ بعض الإشكالات يعجز القضاء على حلها، ولكن ببركة منصب الإمامة، وموضع المسجد في صدور الناس، والرتبة العلمية للإمام، كل ذلك يُبقي النفوس لتقبل الحكم.

² من شدة عنايتي بها أنني كنت أستحضر ما في جُعبتي ممَّا يخدم المشروع، وأبحث في كتب التراث التفسيرية والحديثية والفقهية والتزكوية والتاريخية، وكذا الكتب المعاصرة والمنشورات الالكترونية، أستحضر وأبحث عن كل ما من شأنه أن يفيد فيما أستحسن تسميته بـ: فن إدارة الحياة الزوجية. فكلما التقطت ذرةً أهديها إلى حاضري عقود الزواج، حتى اجتمع منها كمٌّ محترمٌ، أخرجته في كتابٍ لِتَعْمُ الفائدة، أسميته: كلمات قلتها في زيجاتٍ، صدر في طبعته الأولى عن شركة الأصالة للنشر بالجزائر سنة 2022م. علماً أنني لم أكن أطيل في مدّة هذه الكلمات؛ إذ إن متوسّطها خمس دقائق؛ اعتقاداً مني أن الموقف ليس وقت محاضرة، وإنما هو عقد بالأساس، وما الموعظة إلا تابعة له؛ فلا ينبغي الإثقال بها.

³ أعترف أنني كنت متقللاً -قصداً- من تفعيل العمل الخيري التضامني؛ كإفادة الفقراء والمرضى وأصحاب الإشكالات النفسية؛ نظراً لأنني لا أجد ميلاً نفسياً لهذا النوع من العمل؛ لذا كنت -في الغالب- أحيل من يقصدني في هذا المجال إلى من أعرف من الأكفاء والفاعلين من الأشخاص والجمعيات والمراكز؛ حتى يجد المَحَال ضالته، يُضَاف إلى ذلك عدم تفرغي التام للإمامة؛ فأنا أصالةً أستاذٌ جامعيٌ عندي مهامٌ تدريسي وإشرافي وبحث وتأليف، وإلى جانب ذلك كنت ولا زلت منذ توظيفي في الجامعة -بالحاج من مسؤولي مِمَّن يُحسنون بي الظن- أتولى مسؤولياتٍ بيداغوجية ومناصب إدارية؛ لذا أحب ألا يطغى التطوع المسجدي على أداء العمل المهني الواجب؛ وعلى هذا كنت أكتفي بتفعيل الجوانب العلمية التي تتلاءم مع وظيفتي الرسمية التي أسترزق منها، وتتناسب مع إمكانياتي وميولاتي الذاتية.

المسجديّ هذا، وكذا تحديد صُورِ إسهاماتها المطلوبة في تفعيل مهمّة المسجد¹ في المجتمع.

1- معنى النّخبة التي ستفعل دور المسجد:

يُفترض من النّخبة التي نتحدّث عنها أن تُدرِك ابتداءً وبشكلٍ أكيد أهميّة دورها في تفعيل رسالة المسجد؛ لأنّ المجتمعات المسلمة المعاصرة تعيش في ظلّ عدم اهتمام العديد من ذويها بالقطاع الدينيّ، ومن ثمّة فإنّ نسبةً معتبرةً من محدودى المستوى العلميّ والثّقافيّ هي التي تتولّى إدارة المساجد؛ وظيفهً أو تطوعاً.

هذا الوضع غير الصّحّيّ ينبغي أن يدفع بالنّخبة إلى الإدلاء بدلّوها عملياً، وعدم الاكتفاء بدور المشاهدة والنّقْد. وهنا أستاذك موقفاً شخصياً حضرته لأحد الزّملاء الدّكاترة؛ وهو أستاذ جامعيّ في العلوم الإسلاميّة؛ من أصحاب المنابر؛ حيث كنّا مع عددٍ من أقراننا في لقاء ودّيّ، فأثيرت مسألة ضعف الخطاب المسجديّ؛ فانهالوا عليه -أي: الخطاب المسجديّ- انتقاداً، وبدأوا ينظّرون لكيفيّة الخروج من ضعفه، إلّا أنّ الذي لفت انتباهنا أنّ جميعهم لا علاقة له بالإسهام في الخطاب المسجديّ رغم قدرتهم على ذلك، فتدخّل فضيلة الدّكتور الإمام وقال: "أرجو ممّن لم يدخل الميدان ألا يتكلّم فيه"، فمُيت الحضور السّليبيّ.

إنّ دور النّخبة ميدانيّ؛ إذ لا يكاد مسجدٌ يستطيع أن يستغني عن إسهاماتها؛ ذلك أنّ ما عندها من رصيدٍ علميٍّ ولغويٍّ، وما تملكه من إمكانيّات عقليّة، ووعيٍّ بالتحديات، تجعلها أقدر من غيرها على الاضطلاع بمهمّة المسجد.

وهنا أشير إلى أنّ النّخبة المرادة ليست هي المتخصّصة في العلوم الإسلاميّة فحسب؛ فهذه مطلوبة ابتداءً؛ فلا أفضل منها في تعليم النّاس شؤون دينهم، إلّا أنّ مهمّة المسجد الواسعة، وحاجات المجتمع المختلفة، تضطرّنا إلى أن ندرج في النّخبة من كان من أصحاب التّخصّصات الأخرى، لا سيّما الإنسانيّة والاجتماعيّة.

قد يقول قائل: "إنّ للمتخصّصين في المجالات غير الشرعيّة منابرهم ودورهم الخاصّة، فلا ينبغي أن يزاخمو الشرعيّين في المسجد"، فنقول: لهم منابرهم ودورهم، ويجب عليهم

¹ - المسجد الذي نقصده في هذا السياق والذي نعتبره حجر الزاوية في المجتمع، هو المسجد الحقيقيّ بكيانه المعروف ولواحقه كمؤسّسة رسميّة، وكذا المسجد الافتراضيّ من خلال موقع الكترونيّ خاصّ به، وصفحات على وسائل التّواصل الاجتماعيّ المختلفة يشرف عليها الإمام ومَنْ يُعيّنه في ذلك.

تعميرها وتفعيلها، وكلُّ تقصيرٍ في ذلك يُؤاخذون عليه دنيوياً وأخروياً، لكن ذلك لا يُعفيهم من أن يكون لهم حضورٌ في المسجد، لا سيّما في المسائل ذات الطابع المشترك مع الشريعة¹، واستغلالاً لفرصة المسجد الذي يؤمُّه الكثير من الناس من شتى الشرائح الاجتماعية من الجنسين في سائر أيام الأسبوع، وفي الجمعة على وجه الخصوص، في الوقت الذي يُشاهد فيه العزوف عن سائر الأنشطة والهيكل الأخرى: دور الثقافة والشباب، مقارُ الجمعيات بمختلف اهتماماتها، التظاهرات التي يُقيمها الأمن أو الدرك أو الحماية المدنية أو الكشافة... إلخ.

كما أننا لا يمكن أن نقتصر على نخبة الرجال في تفعيل رسالة المسجد، بل لا بد من إسهام نخبة النساء كذلك بشتى تخصصاتها واهتماماتها؛ وهذا لأسباب عديدة؛ منها: أن المرأة أعرفٌ بحاجيات نظيراتها من بنات حواء، وأنها أعلم بالطريق الأمثل الموصِل إلى إقناعها، إضافة إلى أن مجتمعاتنا المحافظة تجد فيها المرأة حرجاً في طرح كثير من إشكالاتها الشرعية والتفسيّة والاجتماعية على الرجل، في الوقت الذي يجد فيه هذا الأخير أيضاً حرجاً في مخاطبة النساء في شؤونهن الخاصة.

2- صُورُ المهام المنوطة بالنخبة في تفعيل دور المسجد ووسائلها:

إن المهام التي يمكن أن تُسند إلى النخبة في مساجدنا كثيرة ومتجددة؛ نذكر أهمّها على سبيل التمثيل لا الحصر: الوعظ والإرشاد، والإقراء والتعليم القرآني، والتحديث ونشر السنة، التفقيّة والإفتاء، وتعليم سائر العلوم الإسلامية؛ عقيدة وأصولاً وتفسيراً... إلخ، والتوعية والتثقيف في سائر مجالات الحياة: البيئية، والصحيّة، والتفسيّة، والاجتماعية، والتاريخية، والأمنيّة، والقانونية، واللغوية، والإعلامية، و... إلخ.

أما وسائل قيام النخبة بسائر ما سبق من مهام فهي متنوعة؛ ولذا سيجد فيها -بإذن الله تعالى- كلُّ واحدٍ ما يلائم شخصه ووقته، وما يتوافق مع طريقة عطاءاته المحبّدة؛ فمن ذلك:

¹ -مثلاً: ظاهرة الانتحار وسائر الآفات الاجتماعية؛ كما يتناولها الشرعي من منظوره؛ فيسوق آياته وأحاديثه وآراء علماء الشريعة سلفاً وخلفاً، فإن لها علاقةً وطيدةً بتخصّصات أخرى؛ فالنفساني والاجتماعي والأمني والقانوني كلّ واحدٍ منهم له زاويته المهمة التي يعالج من خلالها الموضوع؛ فلا تُغني نظرة عن نظرة، أو معالجة عن معالجة، بل إنهما جميعاً متكاملان؛ لنتج تشريحاً سليماً دقيقاً للظاهرة، ومن ثمّة تصفُ علاجاً وحلولاً ناجعة لها.

أ- الإلقاء المباشرُ الحضورِيُّ بمصلّى المسجد أو قاعةِ محاضراتِه إن وُجِدَتْ، سواء بشكلٍ دائمٍ؛ كأن تكونَ للمعَيَّنِ محاضرةٌ أسبوعيّةٌ¹، أو عندما يُدعى في المناسباتِ الدِّينيّةِ أو الوطنيّةِ أو العالميّةِ. هذا فضلاً عن خطبةِ الجمعةِ؛ فرجالُ النّخبةِ أحقُّ بها وأهلُها.

ب- الإصغاءُ والتّوجيهُ بمكتبٍ خاصٍ بالمسجدِ؛ ذلك أنّ العديدَ من المواطنين والمواطناتِ يحتاجُ إلى آذانٍ يثقُ فيها تسمعُ منه، ثم تشيرُ عليه بما ينبغي أن يفعله فيما يتعلّقُ بإشكالاتِه النّفسيّةِ أو الاجتماعيّةِ².

ج- الإلقاءُ والإصغاءُ والتّوجيهُ الافتراضيُّ المباشرُ أو غيرُ المباشرِ عبرَ وسائلِ التّواصلِ الاجتماعيّ الخاصّةِ بالمسجدِ؛ بحيث تُقدّمُ محاضراتٌ بثّاً حيّاً يُعلَنُ عنها سلفاً³، أو تُسجَلُ كلماتٌ ثم تُذاعُ، كما تُستقبلُ الاتّصالاتُ الإلكترونيّةُ أو الهاتفيّةُ على الخاصِّ ويُرَدُّ عليها⁴.

د- إعدادُ منشوراتٍ ورقيّةٍ والكُترونيّةِ؛ سواء التي تُعالجُ مواضيعَ يرى مشرفو المسجد أنّها مهمّةٌ ابتداءً في الحالاتِ العاديّةِ، أو التي تُعطي التّصوّرَ الصّحيحَ لبعضِ المستجدّاتِ في الحالاتِ الطّارئةِ، وتُوزَعُ المنشوراتُ الورقيّةُ في المسجدِ وتُعلّقُ فيه، وتُنشرُ الإلكترونيّةُ في موقعه ووسائطه الخاصّةِ.

هـ- تأطيرُ الدّوراتِ العلميّةِ المختلفةِ ذاتِ السّاعاتِ أو الأيّامِ المحدودةِ، سواء كانت شرعيّةً أو نفسيّةً أو اجتماعيّةً... إلخ؛ كالتّي تكونُ لطلبةِ العلمِ في شرحِ متنٍ معيّنٍ، أو التي تكونُ للمقبّلين على الزّواجِ من الجنسين، ... إلخ.

¹- أنوّه هنا بما يُسمّى بـ "الكُراسي العلميّة" التي يتصدّرُ فيها مختصٌّ في علمٍ شرعيّ معيّنٍ، سواء كان علمَ آلةٍ كالنحو، أو علماً مقصوداً لذاته كالفقه؛ فرجالُ النّخبةِ هم أحسنُ مَنْ يشرفُ عليها. والآن لي شخصيّاً كرسِيانِ دائمان؛ أولهما في مسجد سيّدنا عمر المتكلّم عنه، وتنعقد محاضراته كل يوم أربعاء، وهو في أصول الفقه، والآخر في مسجد سيّدنا إبراهيم الخليل ببلديّة تغزوت، وتنعقد محاضراته كل يوم أحد، وهو في القضايا الاجتماعيّة.

²- أنصحُ ميسوري الحالِ بالإسهامِ الماديّ في إنجاحِ هذا المشروعِ وأمثاله؛ فإنّ له أثراً طيّباً على الحياةِ النّفسيّةِ والاجتماعيّةِ للنّاسِ؛ فكما يُنفقون على التّعليمِ القرآنيّ، يُنفقون على مَنْ يُخصّصُ من النّفسانيّين والاجتماعيّين وقتاً قارّاً للإصغاءِ والتّوجيهِ المسجديّين.

³- بعضُ أفرادِ النّخبةِ كانوا يستغلّون الأثيرَ قبلَ انتشارِ وسائلِ التّواصلِ الاجتماعيّ الحديثة؛ إذ أذكرُ أنّي دُعيتُ سنة 2012م إلى مسجدٍ "عباد الرّحمن" في "بثورة" (ولاية غرداية) إلى إلقاءِ محاضرةٍ، وكان منّ عاداتي أن أسألَ عن نوعيّةِ الحضورِ، لا سيّما العنصرَ النّسويّ؛ حتّى أعرفَ كيفَ أخاطبهم، فإذا بي أفاجأ بأنّ المحاضرةَ ستُذاعُ عبرَ الأثيرِ -شأنها شأنُ سائرِ البرامجِ العلميّةِ والدّعويّةِ للمسجدِ-، وسيستقبلها أهلُ الحيّ جميعاً في بيوتهم ومحلّاتهم وسياراتهم، كما يستقبلون برامجَ الإذاعاتِ الأخرى.

⁴- مسجد سيّدنا عمر صفحة فيسبوكية باسمه نشطة نسبياً.

و- رئاسة الجمعية الدينية للمسجد أو العضوية فيها؛ فهم أقدر على تسيير بيت الله تعالى وتنظيم شؤونه؛ فلا تُترك لعوام الناس، أو لأصحاب الأغراض الخاصة.

خاتمة

بعد هذا العرض، أريد أن أوصي بالآتي:

- 1- مواكبة المسجد للتكنولوجيا المعاصرة، وعدم اكتفائه بالأداء التقليدي، وهذا يتطلب مددًا كبيرًا من النخبة، سواء التي تملك العلم فتبذله، أو التي رزقت المال فتصرفه، أو التي تُجيد التقنية فتوظفها.
- 2- محافظة قطاع الشؤون الدينية على إطاراته بعد نبيلها لشهادات عالية؛ وذلك بتوفير مناصب مالية مناسبة لدرجاتهم العلمية، بل واستقطاب الكفاءات التي تعمل في قطاعات أخرى، وتمكينها من إدارة المساجد؛ من خلال استحداث نظام التعاقد معها مقابل منحة محترمة معينة.

قائمة المصادر والمراجع

- الرحلة العياشيّة (1661-1663م)، عبد الله بن محمد العياشي، ت: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2016م.
- الرّحيق المختوم، صفّي الرّحمن المباركفوري، ط1، دار العصماء، دمشق، 1427هـ
- صفوة التّفاسير، محمّد علي الصّابوني، ط1، دار الصّابوني للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1417هـ/1997م.
- فقه السّيرة، محمّد الغزالي، تخريج الأحاديث: محمّد ناصر الدّين الألباني، ط1، دار القلم، دمشق، 1427هـ
- كلمات قلّمها في زيجات، عبد القادر مهاوات، ط1، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2022م.
- مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حي أولاد أحمد، الوادي، الجزائر، رابط صفحته الفيسبوكية:

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100080169721986>

- نماذج من الخطب المنبريّة، عبد القادر مهاوات، ط1، مطبعة الوليد، الوادي، 2009م.
- نماذج من المحاضرات المسجديّة، عبد القادر مهاوات، ط1، مكتبة أقرأ، قسنطينة، 2010م.

دور المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي

أ/ جمال غول

مفتش التوجيه الديني والتعليم القرآني

ماجستير في أصول الفقه، وباحث في مرحلة الدكتوراه، جامعة وهران 1 (الجزائر)

djimsd1977@gmail.com



ملخص

يتناول البحث الأدوار التي يضطلع بها المسجد باعتباره أبرز معالم الإسلام والمجتمع المسلم، كما يتناول دوره في تحقيق الأمن المجتمعي، الذي هو من أولويات أمة تنشد التقدم والتطور، حيث أبان البحث عن دور المسجد في تحقيق الأمن الروحي والفكري والأخلاقي، وخلص إلى أهمية إيجاد إطار تعاون بين الجامعات ومؤسسات البحث العلمي والمسجد، بهدف الرقي بمؤسسة المسجد على مستوى التنظير وتسطير البرامج، وكذلك أهمية التنسيق بين المسجد وبقية مؤسسات المجتمع المدني؛ لتحقيق التكامل في خدمة المجتمع.

مقدمة

إن حاجة الفرد والمجتمع للأمن حاجة فطرية، الأمن له جانبان، جانب داخلي، وهو الذي يكون في النفوس، وجانب خارجي، وذلك خلال المحيط ومختلف العلاقات، وسائر التهديدات والعقبات التي يتعرض لها الإنسان، وكلاهما مكمل للآخر، ولهذا يسعى الإنسان بكل السبل والحيل من أجل جلب الأمن وإبعاد الخوف والتهديد عنه.

والشرائع السماوية جاءت لتحقيق الأمن النفسي والاجتماعي، والإسلام باعتباره خاتمة هذه الشرائع ومهيمنها عليها، جعل حفظ الأمن من مقاصده، فكل من أحكام العبادات والمعاملات تهدف إلى تحقيق الأمنين، وتحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي للجماعة المسلمة.

ولما كان المسجد أهم معلم في شريعة الإسلام وحياة المسلمين، لما قام به من أدوار عظيمة في خدمة الجماعة المسلمة، وما يمد به المجتمع من عناصر القوة الكثيرة.

وانطلاقاً من هاتين المقدمتين تبرز لنا إشكالية البحث الآتية: ما دور المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس سؤال فرعي، ما هي وظيفة المسجد؟ أو ما هي أدواره المنوطة به؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى بيان أبرز الأدوار التي يقوم به المسجد على الصعيد التعبدية والتعليمي والتربوي، وإبراز دور المسجد في تحقيق الأمن الروحي والفكري والأخلاقي، الذي يعود على المجتمع بالاستقرار، ويفتح آفاق التقدم والريادة في الأمم.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث من أهمية الأمن المجتمعي، الذي كان ولا يزال أبرز اهتمامات الأفراد والمجتمعات والأمم، كما تكمن أهمية البحث في أنه يعالج هذه القضية من خلال أهم مؤسسة في المجتمع الإسلامي وهي المسجد، وما يمكن أن يقدمه للمجتمع المسلم.

الدراسات السابقة: وقفت على عدد من الكتب والدراسات التي لها صلة بموضوع بحثي وهي:

- 1- المسجد وأثره في تربية الأجيال ومؤامرة أعداء الإسلام عليه، لعبد الله قاسم الوشلي.
- 2- المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ، لعبد الله قاسم الوشلي.
- 3- المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية، لعبد الله قاسم الوشلي.
- 4- دور المسجد في التربية، لعبد الله قادري الأهدل.
- 5- دور المسجد في المجتمع المعاصر، للشيخ عبد الحميد كشك.
- 6- المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير للباحثة أسماء موسى محمد سليمان، من جامعة غزة.

والملاحظ على هذه الدراسات أنها تطرقت لأدوار المسجد المختلفة دون أن تحدد الرابط بين هذه الأدوار في تحقيق الأمن المجتمعي، الذي هو محل بحثنا.

منهج البحث: اعتمدت على المنهج التحليلي، من خلال جمع المادة العلمية، وتحليلها، والتعليق عليها، وتنقيحها، قصد الوصول إلى الأهداف المسطرة في البحث.

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، موزعة على النحو الآتي:

- مقدمة.
- المبحث الأول: مفهوم المسجد والأمن المجتمعي.
- المطلب الأول: مفهوم المسجد لغة وشرعا.

- المطلب الثاني: مفهوم الأمن المجتمعي.
- المبحث الثاني: الأدوار التي يقدمها المسجد.
- المطلب الأول: الدور التعبدية.
- المطلب الثاني: الدور التعليمي.
- المطلب الثالث: الدور التربوي.
- المبحث الثالث: الأمن المجتمعي من خلال المسجد.
- المطلب الأول: دور المسجد في تحقيق الأمن الروحي.
- المطلب الثاني: دور المسجد في تحقيق الأمن الفكري.
- المطلب الثالث: دور المسجد في تحقيق الأمن الأخلاقي.
- خاتمة.

المبحث الأول: مفهوم المسجد والأمن المجتمعي

المطلب الأول: مفهوم المسجد لغة وشرعا

المسجد لغة: من سجد يسجد سجودا، ومعناه لغة: وضع جبهته بالأرض، والمسجد والمسجد من باب المفعول بفتح العين، اسم مكان أو مصدر مثل دخل مدخلا، إلا أنه جاء بكسر العين حيث جعلوا الكسر علامة الاسم¹، قال الرُّجَّاج: كل موضع يُتَعَبَّدُ فيه فهو مسجد... وقد كان حكمه أن لا يجيء على مَفْعِلٍ ولكنه أحد الحروف التي شَدَّتْ فجاءت على مَفْعِلٍ، وقال سيبويه: وأما المسجدُ فإنهم جعلوه اسماً للبيت².

وفي الاصطلاح: هو الموضع الذي يسجد فيه، وهو المكان الذي أعد للصلاة فيه على الدوام³. وقيل اسم للأبنية المتخذة في الإسلام للصلاة ومثله الكنائس لليهود والبيع للنصارى⁴.

وقد يطلق على ما هو أعم من هذا فيدخل فيه ما يتخذ الإنسان في بيته ليصلي

¹ تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 174/8.

² لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، مادة سجد، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 204/3.

³ معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعي وحامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ/1988م، 428.

⁴ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 301/10؛ لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 639/3.

النافلة أو يصلي فيه الفريضة عند وجود مانع شرعي يمنعه من أدائها جماعة في المسجد الذي يقيم فيه الناس الجماعة.

وقيل: هو مؤسسة تعبدية تقام فيه الصلاة وتؤدي فيه الشعائر المختلفة وهو مؤسسة اجتماعية تباشر فيه الأنشطة المختلفة المتعلقة بالجماعة المسلمة¹. ويطلق اسم الجامع عليه، ومنهم من فرق بينهما فجعل المسجد موضوع للصلوات الخمس، والجامع للذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة (الجمعة والعيدين) ويسمى جامع الخطبة، أو الجامع الكبير، أو الرئيسي، أو الأعظم²

فيلاحظ على التعريفات السابقة أنها لم تفرّق بين تعريف المسجد بالمعنى العام وأنه كل ما موضع يتخذ للصلاة سواء كان في خاصا أو عاما.

وعرفته وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية: (المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله، ولتعلم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وهو مؤسسة دينية واجتماعية تؤدي خدمة عمومية هدفها ترقية قيم الدين الإسلامي كما أنه وقف عام لا يؤول أمره إلا للدولة المكلفة شرعا والمسؤولة عن حرمة وتسييره واستقلالته في أداء رسالته وتجسيد وظائفه)³.

ويلاحظ على هذا التعريف أنه يصلح على وضعية المساجد في الجزائر دون غيرها من الدول الأخرى، التي لا تشترط تسيير المساجد من قبل هيئة رسمية تابعة للدولة.

من خلال التعريفات السابقة يمكن للباحث أن يعرف المسجد على النحو الآتي:
-المسجد بالمعنى العام وهو كل مكان اتخذ للصلاة جماعة أو فردا سواء على الدوام أم لا، وسواء كان في بيت خاص أو غيره، وهو ما يصدق عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم القائل: (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)⁴.

-المسجد الذي تشمله الأحكام الفقهية الخاصة بالمساجد: وهو بيت الله الذي يتّخذه المسلمون للصلاة فيه جماعة، ولأداء مختلف الشعائر الدينية والعبادات، وتعلّم

¹ منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم: أبو أسامة معي الدين، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة، ط1، 1414هـ/1994م، 30.

² المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، سعاد فويال، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، 7.

³ ينظر: التعريف في المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 09 نوفمبر 2013م المتضمن القانون الأساسي للمسجد.

⁴ أخرجه البخاري في صحيحه برقم 429، كتاب الصلاة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

ما ينفعهم في دنياهم وآخرهم، والتعاون فيما بينهم والتناصح والتصالح، وتطبق فيه أحكام المساجد كصلاة تحية المسجد، والاعتكاف، وعدم رفع الصوت، وتزجيره عن كل أذى حسي أو معنوي، وغيرها.

وهذا هو المقصود في البحث، فرغم أن الأرض كلها جعلت مسجدا تصلح للصلاة فيها، إلا أن الإسلام حرص على وجود المسجد بساحته وصحنه وأروقته المتواضعة ليحوي بداخله الكثير من الأنشطة التي يفخر بها الإنسان¹.

المطلب الثاني: مفهوم الأمن المجتمعي

أولا- مفهوم الأمن:

- الأمن لغة: من أمن يأمن أمنا فهو آمن²، وأمن منه: سلم منه، وأمن على ماله عند فلان: جعله في ضمانه، والأمن: الأمان، ومنه قوى الأمن: الشرطة المكلفة بحماية الأهلية والسهر على طمأنينتهم³. أمن الرجل: اطمئن ولم يخف، وأمن البلد: أطمأن بأهله.

- واصطلاحا: العمل على التحرر من التهديد⁴. وقيل: هو الحالة التي يكون فيها الإنسان محميا ضد- أو بعيدا عن- خطر يهدده أو إحساس بتملك الإنسان بالتحرر من الخوف⁵. وفي سياق النظام الدولي، فإنه يعني قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيائها المستقل وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي يرونها معادية.

ثانيا- مفهوم المجتمع:

- لغة: يقصد به جمع المتفرق جمعا، أي ضم بعضه إلى بعض، وأجمع القوم، اتفقوا.
- واصطلاحا: هو تلك الهيئة الإنسانية المكوّنة من أفراد تربط بينهم روابط عقدية ومصالح حيوية محددة.

ثالثا- تعريف الأمن المجتمعي:

هو كل الإجراءات والخطط السياسية والاقتصادية والثقافية... إلخ الهادفة لتوفير ضمانات شاملة تحيط كل شخص في المجتمع بالرعاية اللازمة، وتوفر له سبل تحقيق

¹ منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم: أبو أسامة محي الدين.

² مختار الصحاح، محمد بن بكر الرازي، دار الكتب العربي، بيروت، 1404هـ/1993م، 599.

³ دور الأسرة في رعاية الناجين من إدمان المخدرات، المؤتمر العربي لمواجهة الإدمان، جامعة الدول العربية، 1988م، 101.

⁴ باري بوزان من كبار المنظرين للأمن في فترة ما بعد الحرب الباردة.

⁵ الأمن القومي الدولي: نشأت عثمان الهلالي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1985م، 155.

أقصى تنمية لقدراته وقواه، وأقصى قدرة من الرفاهية في إطار الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية¹. وقيل هو: خلق توازن فعلي بين الخصوصية الدينية واللغوية والعرقية وصورة بناء منطلق الاندماج القومي للمواطنين في بناء مجتمع تعددي وعادل.

من خلال التعريفات السابقة يمكن أن يستنتج أن للأمن المجتمعي علاقة قوية بوحدة الترابط الاجتماعي، ومتانة النسيج الاجتماعي، وهو ما لا يتحقق دون أمن نفسي وفكري وأخلاقي لأفراد المجتمع.

المبحث الثاني: الأدوار التي يقوم بها المسجد

المطلب الأول: الدور التعبدي

إنّ هذا الدور يختصره حديث النبي صلى الله عليه وسلّم المبيّن لوظيفتها الأساسية، حيث قال: (إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ)².

فيمكن تفصيل هذا الدور على النحو الآتي:

1- الصلاة:

الصلاة هي أول مهمة يضطلع بها المسجد، فهو المكان المخصص لأداء العبادات، وعلى رأسها الصلاة، فيجتمع الناس في المسجد ليؤدوا صلواتهم جماعة مع إمامهم، طلباً لمضاعفة الأجر فيها، حيث جاء في السنّة الحثّ والحضّ على الصلاة في المسجد مع الجماعة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَدِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)³. وجاء التحذير من التخلف عنها في المسجد بغير عذر، فقال عليه الصلاة والسلام: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُمَرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى مَنَازِلِ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحْرِقَ عَلَيْنَهُمْ)⁴. وتقام فيها صلاة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء، والخسوف والكسوف، في حال

¹ تعريف د. نبيل سكندر.

² صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء، من غير حاجة إلى حفرها، برقم: 285. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 236/1.

³ صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم: 645. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، 131/1؛ صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، برقم: 650، 450/1.

⁴ صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت، برقم: 2410، 122/3.

تعذر إقامتها في المصلى أو في الفضاء الخارجي للمسجد.

2- تعليم القرآن:

المساجد هي الدور الأولى للتعليم القرآني فقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم على تعليم أصحابه الكرام القرآن الكريم، حيث كان يتلو عليهم كل ما يوحى إليه من آيات القرآن، ويعلمهم معناها، واتخذ منهم كتاباً للوحي. واستمر المسجد يؤدي هذا الدور عبر العصور؛ اتباعاً لسنة النبي عليه الصلاة والسلام القائل: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)¹. والقائل: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)².

3- ذكر الله تعالى:

المساجد هي أشرف البقاع فكان محلاً مناسباً لذكر الله تعالى بمفهومه الواسع الذي يشمل التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما يشمل الخطب والدروس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9]. فجاء الحث على الذكر عند دخول المسجد وعند الأذان والإقامة وعند الخروج من المسجد قال صلى الله عليه وسلم: (إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ)³. وقوله: (إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ)⁴.

المطلب الثاني: الدور التعليمي:

من أهم الأدوار التي أسسها النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد هو التعليم من خلال ممارسة ذلك بنفسه، وحث الناس على حضور حلق العلم فقال: (مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لَا

¹ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم: 2699، 2074/4.

² صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم: 5027، 192/6.

³ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم: 713، 494/1.

⁴ صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول إذا سمع المنادي، برقم: 611، 126/1؛ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة، برقم: 383، 288/1.

يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ¹، وَحَثَّ عَلَى حُضُورِ
مَجَالِسِ الْعِلْمِ فَقَالَ: (إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا. قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ
الدِّكْرِ)². يَقُولُ ابْنُ بَادِيسَ: (الْمَسْجِدُ وَالتَّعْلِيمُ صَنَوَانِ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ يَوْمِ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، فَمَا
بَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ اسْتَقَرَّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ بَيْتَهُ حَتَّى بَنَى الْمَسْجِدَ، وَلَمَّا بَنَى
الْمَسْجِدَ كَانَ يَقِيمُ الصَّلَاةَ فِيهِ، وَيَجْلِسُ لِلتَّعْلِيمِ أَصْحَابَهُ، فَارْتَبَطَ الْمَسْجِدُ بِالتَّعْلِيمِ
كَارْتِبَاطِهِ بِالصَّلَاةِ، فَكَمَا لَا مَسْجِدَ بَدُونَ صَلَاةٍ، كَذَلِكَ لَا مَسْجِدَ بَدُونَ تَعْلِيمٍ، وَحَاجَةُ
الْإِسْلَامِ إِلَيْهِ كَحَاجَتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا إِسْلَامَ بَدُونَ تَعْلِيمٍ، وَلِهَذَا الْحَاجَةُ مَضَى النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ بِهِمَا، فَمَا انْقَطَعَ عَمْرُهُ كُلَّهُ عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ التَّعْلِيمِ فِي
مَسْجِدِهِ، حَتَّى فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ، ثُمَّ مَضَى الْمُسْلِمُونَ عَلَى هَذِهِ السَّنَةِ فِي أَمْصَارِ
الْإِسْلَامِ يَقِفُونَ الْأَوْقَافَ عَلَى الْمَسَاجِدِ لِلصَّلَاةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَمَنْ أَظْهَرَ ذَلِكَ وَأَشْهَرَهُ الْيَوْمَ:
الْجَامِعُ الْأَزْهَرُ، جَامِعُ الزَّيْتُونَةِ، جَامِعُ الْقُرَوَيْنِ)³.

فَالْمَسْجِدُ هُوَ مَقَرُّ تَعْلِيمِ الْأُمَّةِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْعُلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ النَّافِعَةِ،
وَزَلَّ يَقُومُ بِهَذِهِ الْمِهْمَةِ حَتَّى بَعْدَ افْتِتَاحِ الْمَدَارِسِ الْمُتَخَصِّصَةِ فِي التَّعْلِيمِ. وَقَدْ قَامَ الْمَسْجِدُ
بِدَوْرِهِ التَّعْلِيمِيِّ حَتَّى نَافَسَتْ النِّسَاءُ الرِّجَالَ فِي طَلْبِهِ وَتَلْقِيهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَقَدْ أَعْجَبَتْ
بِإِقْبَالِ الْأَنْصَارِيَّاتِ عَلَى الْعِلْمِ: (نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءً الْأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْنَهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي
الدِّينِ)⁴. وَانْقَطَعَتْ فِتْنَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الصِّفَةِ⁵ حَيْثُ سَكَنُوا الْجَزَاءَ الشَّمَالِيَّ
مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَهُمْ مَنْقَطِعُونَ لِلْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، قَالَ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ: (عَلِّمْتَ نَاسًا
مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ الْكِتَابَةَ وَالْقُرْآنَ)⁶.

إِنَّ الْمَسْجِدَ هُوَ جَامِعَةٌ كَبْرَى لِلتَّعْلَمِ وَالتَّعْلِيمِ، لَمْ يَقْتَصِرِ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ عَلَى عُلُومِ
الشَّرِيعَةِ، وَإِنَّمَا أَحْرَزُوا قَصَبَ السَّبْقِ فِي كُلِّ الْعُلُومِ الَّتِي وَجَدَتْ فِي عَصَرِهِمْ مِنْ عُلُومِ

¹ المعجم الكبير للطبراني، باب الصاد، برقم: 7473،

² سنن الترمذي، أبواب الدعوات، برقم: 3510، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث
ثابت عن أنس. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد
الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م،
532/5.

³ دور المسجد في التعليم الشرعي، مؤلف مجهول، مجلة البيان، العدد: 3740، 14/06/2018م.

⁴ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم.

⁵ الصفة موضع مظلل في المسجد النبوي كان يأوي إليه الغرباء وفقراء الصحابة ممن لا مسكن له وكان أبو
هريرة رئيسهم. تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري، 52/3.

⁶ ينظر: عصر الخلافة الراشدة، أكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1430هـ/2009م، 291.

اجتماعية وكونية، كعلوم التاريخ والمثل وعلوم الجغرافيا والفلك والحساب والطب، وذلك مما يذكره الأوروبيون في كتبهم¹ والحق ما شهدت به الأعداء.

المطلب الثالث: الدور التربوي

1- دور المسجد في التربية الإسلامية:

المسجد يلقن مبادئ العقيدة الإسلامية للفرد وفهم الهدف من هذه الحياة، وما أعدّه الله لهم في الدنيا والآخرة، فيجمع بين النمو الفكري والتطور الحضاري². والصلاة وقراءة القرآن في المسجد سبيل الإيمان في القلوب ومحبة الله ورسوله والعمل الصالح حتى يصبحون لا يريدون إلا ما يريد الله منهم شرعا وكل من أراد منهم غير ما أراد الله تعالى أوقفوه عند حدّه وأطروه على الحق أطرا³. فدور المسجد في خلوص التعبد لله وشحن القلوب بالإيمان الخالص والعقيدة الصحيحة بيّن واضح فالصلوات الخمس صورة حقيقية لتربية صحيحة على منهج الرسول عليه الصلاة والسلام من حسن الأداء والقيام والإخلاص في العبادة...⁴

2- التربية الروحية النفسية:

المسجد يربي الفرد على التقوى والعبادة والطهارة قال تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: 108]. كما أن المسجد يربي الفرد على الاطمئنان بذكر الله تعالى والتوجه إليه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]. فدأب العابدين في بيوت الله يشتغلون فيها بالصلاة وقراءة القرآن وذلك طريق لاطمئنان أنفسهم وراحتهم وسكينتهم، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن الذين تطيب قلوبهم بذكر الله ويحضرهم مجالس الذكر والعلم تنزل عليهم السكينة ورحمة الله تعالى فتطمئن قلوبهم فقال عليه الصلاة والسلام: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْ لَهُمُ

¹ منها: حضارة العرب لغوستاف لوبون، وشمس العرب تسطع على الغرب لزغريد هنكه.

² وظيفة المسجد في المجتمع، صالح بن ناصر الخزيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ، 15.

³ المسجد ودوره في التربية، 54.

⁴ عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز عبد الله الحميدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ، 14.

الْمَلَأْنِيكَهُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ¹.

فالمسجد مكان لأداء العبادة التي بها صفاء القلب وطمأنينة النفس، وفي المسجد تلبي حاجات المسلم الروحية التي هي أساس توازن الإنسان فهو بروحه مع ربه في صلاته وقرآنه، وذكره، فهو بذلك يعمل على تقوية الجانب الروحي عند المسلم نظريا وتطبيقيا من خلال ممارسة الشعائر المختلفة. فأداء العبادات والذكر في المسجد هو شحن الأنفس والقلوب بالطاقة والهمة، فيتحصل فيه المسلم على الراحة النفسية وتطمئن فيه القلوب وتتزكى النيات وتتصفى الروحانيات وتعلوا عزيمته وتتسامى أرادة العبادة والعمل².

3- التربية الأخلاقية:

يغرس المسجد الأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد، ويحثّ على مكارم الأخلاق حثّا شديداً، ويأمر بالتحلي بالفضائل ليستقيم سلوكه وينهاه عن الرذائل لئلا يبتعد عنها. فللمسجد دور كبير في تعزيز أسس الأخلاق الإسلامية من العزة بالإسلام، وحب الانتماء للدين، وقوة العزيمة في الولاء لله تعالى وأتباع السنّة نبّيه عليه الصلاة والسلام. ويتلقى الفرد في المسجد الصبر على الأقدار والمتغيرات والصبر على العبادات والطاعات والمداومة عليها. وتربي المساجد على التواضع من خلال المساواة والابتعاد عن التكبر والأنانية والوقوف صفا واحداً، والجلوس دون تمايز. كما تربي الفرد على الابتعاد عن المنكر واحترام الآخرين وعدم إيذائهم مهما كانت مستوياتهم وكل ذلك يتم عند الوقوف بين يدي الله صفا واحداً جنباً إلى جنب، تتراس فيها الصفوف وتتوحد فيها القلوب³.

كما أن الخطب والدروس الملقاة في المسجد لها الأثر الكبير في غرس الأخلاق، حيث إن الخطبة من أكثر الوسائل فعالية في غرس الأخلاق، وكذا الدروس التي تعقد بين المغرب والعشاء في تعليم السيرة النبوية والأخلاق.

4- التربية الاجتماعية:

يؤدي المسجد تربية اجتماعية متعددة من خلال:

أولاً: نشر التآخي والتحابب بين الأفراد: فالمسلمون ربما لا يلتقون غالباً في أحيائهم

¹ صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم: 2699، 2074/4.

² عمارة المسجد المعنوية وفضلها، الحميدي، 33.

³ في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط 17، 1412هـ، 569/1.

إلا في المسجد، فهو الذي يجمع بينهم بعد أن تفرقهم وتشغلهم أعمالهم، وإذا كان لهم ارتباط بحلقات الدروس في المسجد كان تعارفهم أوثق، فيصبح أهل الحي الواحد بعد فترة قصيرة متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم ومصافحتهم بعضهم لبعض ولقائهم في المساجد.

ثانيا: بعث التكافل الاجتماعي: يلتقي المسلم في المسجد مع أخيه المسلم خمس مرات في اليوم والليلة، ومرة أسبوعيا مما يعوّده تفقّد أحوال إخوانه وتفقّد أوضاعهم، وهو سبيل معاونتهم، فيكون المسجد ساحة واسعة ليعرف أفرادهم بعضهم بعضا فيكفل الغني الفقير، كما أنه يأوي المحتاجين ويساعد الفقراء فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدو على وجهه أثار الغضب إذا أوى إلى المسجد من حلت به الفاقة، فيجمع الصحابة في المسجد ويحثّهم على الإنفاق والصدقة.

ثالثا: بثّ المشاركة في الأفراح: ففي المسجد تعقد الأنكحة، وعقود الزواج، وعقد الزواج في المسجد له بركته والشهود الذين يحضرون غالبا هم من رواد المسجد. قال خليل: (وجاز بمسجد سكنى لرجل تجرّد للعبادة وعقد نكاح)¹، وقال الإمام الحطاب: (وأما العقد في المسجد فعده المصنف وغيره من الجائزات)². ويتم فيه أيضا إحياء المناسبات الاجتماعية، فيبعث بالمولود الجديد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحنّكه ويباركه، وكان عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك ويدعو له بالصالح كما فعل مع أول مولود بعد الهجرة وهو عبد الله بن الزبير³.

رابعا: تقوية الترابط الاجتماعي: من المعلوم أن أكثر العلاقات التي تنشأ بين أفراد المجتمع (خارج العلاقات الأسرية) هي العلاقات التي تتسبب فيها اللقاءات المتكررة، والمسجد يجمع الأفراد خمس مرات في اليوم الواحد ما يعني التكاثر من فرص الاحتكاك والتلاقي، واختلاط الفرد مع الآخرين في نظام اجتماعي متين يتعامل فيه الفرد بالمشاركة والتعاون، كل ذلك يسهم في تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وعندما يلتقي المسلمون في المسجد، فإن اجتماعهم يقترن التطبيق العملي بالتوجيه النظري فيحدث

¹ مختصر العلامة خليل: خليل بن إسحاق الجندي المالكي، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م، 211.

² مواهب الجليل شرح مختصر خليل، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: محمد بن محمد الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر، ط3، 1412هـ/1992م، 408/3.

³ السيرة النبوية والمعجزات (خلاصة تاريخ ابن كثير): القاضي محمد أحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، 213.

التعارف وتنشأ وشائج الأخوة الإسلامية. كما يساعد المسجد على التعمّد على النظام والتدريب على التنظيم والاهتمام بالوقت، ويساعد على توحيد الهدف والتوجه لجميع المسلمين مع الشعور بمعنى التجمع والتدريب على التعاون مع الآخرين والتناصح. وحرصاً على هذا التلاقي نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذ المصلي مكاناً واحداً في المسجد لا يغيّره، فنهى أن يوطّن الرجل المقام كما يوطّن البعير¹، وخاصة إذا علمنا أنه لن تكون لمن في قلبه شيء على صاحبه فرصة أن يقوم من موضع لا يشاركه فيه، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة بين السواري².

بالإضافة إلى أن هذا التلاقي في بيت الله غالباً يكون مجرداً عن دواعي الشر والمصلحة والأغراض الدنيوية مما يجعل العلاقات بين أفراد المجتمع في أرقى صورها. كما أنّ التجمع اليومي لشتى طبقات المجتمع يتعرف فيه الطفل على جيرانه وخاصة نظرائه في السنّ ويتعمّد الطفل على الخلطة وعدم الانعزال.

كما يتمّ فيه التلاقي والربط بين شرائح المجتمع بين محسن ومحتاج ويتخذ عند الحاجة مأوى للاجئين الذين لا يجدون مأوى، ومن الأدوار المعاصرة في هذا الباب: ما تقدّمه المساجد من أعمال تضامنية مع المناطق المتضررة عن طريق مجلس سبل الخيرات على مستوى المديريات وكذلك صندوق الزكاة الذي أصبح يقدم راتباً شهرياً أو فصلياً للفقراء.

إنّ علاقة الأفراد بالمجتمعات علاقة قوية فكلما تقوّت الروابط الاجتماعية من خلال العبادات العامة كلما تحقّق الترابط والتآلف بين قلوب أفراد المجتمع.

خامساً: غرس قيمة التصالح: يلجأ المسلمون إلى المسجد في جميع أحداث حياتهم حتى المنازعات والخصومات وحل المشكلات التي لا يخلو منها مجتمع ما، مع التفاوت في حجمها ونوعها، فيبحثون عن مكان للصالح فيما بينهم فيجدون أبواب المسجد مفتوحة في كل حين. ويكون المسجد أحياناً فضاء للقضاء من حيث التوجيه والإرشاد وبيان المصيب

¹ السنن الكبرى للبيهقي، جامع أبواب التبكير إلى الجمعة وغير ذلك، باب الرجل يوطن مكاناً في المسجد يصلي فيه، برقم: 5934. السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ/2003م، 338/3.

² سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب الصلاة بين السواري في الصف، برقم: 1002. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، 320/1.

من المخطئ ومعظم الأئمة اليوم يقومون بعمل خط الدفاع المتقدم بين الناس وبين الوصول إلى القضاء حيث تتم معالجة كثير من النزاعات الشائكة، وكان نبينا عليه الصلاة والسلام يقضي في المسجد، وقد قضى الشعبي وشريح وابن أبي ليلى في المسجد، جاء في المدونة قلت لابن القاسم: هل سمعت مالكا يقول: أين يقضي القاضي، أفي داره أم في المسجد؟ قال سمعت مالكا يقول: القضاء في المسجد من الحق وهو الأمر القديم¹، وأصله في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21].

المبحث الثالث: الأمن المجتمعي من خلال المسجد

المطلب الأول: دور المسجد في تحقيق الأمن الروحي

في المسجد يتم توطيد معنى الإيمان في النفوس من خلال إحياء المعاني الربانية من الإيمان بالله وتوحيده وأسمائه الحسنى، والإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخر باعتبارها أهدافا للحياة العليا وغايات الوجود الإنساني، فبذلك تطمئن القلوب وتهدأ النفوس، وبهذه الروح الإيمانية تتخلص نفس المؤمن من الفزع والحيرة والقلق والهواجس، ويشعر الفرد براحة البال والاطمئنان الروحي، وينتج به الضمير الحي لدى الأفراد.

إن أداء الفرد للصلاة في المسجد يحقق نشأة رابطة بين العبد وربّه والتي من خلالها يتذكر العبد خمس مرات في اليوم أن له ربا هو أكبر من كل شيء، وأنه مطلع على سرّه وعلايته، وهذه العلاقة كلما قويت تحقق للعبد أمن روحي سينعكس على صلاح سلوكه وتصرفاته. والمسجد يربي المسلم على الاطمئنان بالله، فيكون له تأثير عجيب في قلب المسلم الذي يدخله مثقلا بالهموم والأحزان الدنيوية، فما إن يقف بين يدي الله خاشعا متبتلا حتى ينسى كل ذلك، فوقوفه بين يدي الله وخشوعه في صلاته وتذكر عظمة الله تعالى تنسيه كل تلك الهموم ويستصغرها أمام قدرة الله تعالى. كما أن الفرد يجد نفسه في مصححة نفسية بالقرآن الذي يُتلى فيه فهو شفاء وطهارة للروح والنفس وطمأنينة للقلب. فبذلك يحقق المسجد نمو الفرد نموا صحيحا لا تعقيد فيه ولا رخاوة ولا اضطراب في شخصيته، يثبت فيه الفرد على الإيمان، فالمسجد هو الحصن الواقي للفرد من الهزات النفسية والمناخ الطيّب لتأصيل مجتمع طاهر²، كما تعلّمه الصلوات النظام وحفظ الوقت بالحضور في وقتها، والطهارة والتطهّر عند حضور الصلاة وكل ذلك مما يحقق

¹ المدونة الكبرى: مالك بن أنس الأصبحي المدني، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/1994م، 4/13.

² في ظلال القرآن، سيّد قطب، 1/561.

الأمن الروحي. ولا شك أن ذلك سيُبعد شبّح اليأس والخوف من نفوس الأفراد، بعد ما يغرس فيهم ويربّيهم أن الله قادر على كل شيء وعالم بكل شيء وهو الذي يحي ويميت ولن يصيب الإنسان شيء إلا الذي كتبه الله تعالى له أو عليه؛ ومن هنا تهنا النفوس، وتتوكل القلوب على الله تعالى، ويعمل كل واحد ما عليه، ويقوم بعمله وواجبه خير قيام، ثم يترك النتائج على الله تعالى.

والمسجد إذ يحقق الأمن الروحي للأفراد فإنه يسلك في سبيل ذلك عدة طرق ليصل بها إلى قمة درجات الأمن النفسي والاجتماعي داخل المجتمع، ومن ذلك: ملأ الفراغ الذي يكون سببا في الفراغ الروحي والاضطراب النفسي؛ فالمحافظة على الصلوات في جماعة وحضور مجالس وحلق الذكر والعلم، كما أن استقبال المسجد للتائبين ومساعدتهم سيخفف عليهم من وطأة الندم التي توصل إلى اليأس فيفرحون.

ومن هنا يحقق المسجد الأمن في نفوس الأفراد ليبدأ في إحلال الأمن داخل المجتمع، فإنه لا يخفى أن تحقيق الأمن الروحي سبب من أسباب تحقيق الأمن المجتمعي، فلا يمكن لمن أكرمه الله بالقرآن الكريم حفظا وتعلما وتدبرا ومدارسة أن يكون غير آمن نفسيا، وتحقيق هذا الأمن في نفوس أفراد المجتمع يجعل الخيانة لأمتهم مستحيلة ولا يمكن أن يكونوا مواطنين فاسدين، كما أن الذكر الذي يشتغل به الأفراد في المسجد سيصبحونه إلى حياتهم العامة خارج المسجد فلا ينسى العبد ذكر ربّه في كل شؤونه الخاصة والعامة فيذكر الله في تجارته وفي إدارته وفي مستشفاه، وفي مدرسته وجامعته وفي ثكنته وفي أرضه التي يفلحها، فيملأ نفسه اطمئنان ورضا وراحة تكفّه عن الشرّ والسلبية في المجتمع ويدفعه وينبّي فيه جوانب الخير والإيجابية.

المطلب الثاني: تحقيق الأمن الفكري

في المسجد يتمّ محاربة نزعات الإلحاد والشرك بكل صوره وألوانه حتى لا يعبد في الأرض إلا الله، ويتمّ أيضا بيان المذاهب والأفكار الملوثة والفسادة والتيارات الهدامة التي تستهدف العقول والمعتقدات الدينية الراسخة في المجتمع، وبذلك يتحقق الأمن العقائدي والفكري للأفراد والبعد عمّا يخلخل عقيدتهم أو يزعزعها في النفوس، فيستعمل المسجد أسلوب التحذير من العوامل الأساسية التي تغسل مخ الأفراد من الأفكار والمفاهيم الضالة الباطلة، بل يجعل من وعي الفرد وإيمانه حصنا يرد عنه أفكار الضلال

والمنحرفين¹، وكذا التحذير من الردة بشتى حالاتها سواء كانت قومية، أو وطنية أو إنسانية أو كراهية.

المطلب الثالث: تحقيق الأمن الأخلاقي

إن غرس العقيدة الصحيحة التي هي أساس صلاح الفرد، التي تتم في المسجد هي سبب لتقويم السلوكيات فمن صحت عناصر الإيمان في قلبه، استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة في الخير والصلاح، وأقدر على التحكم بسلوكه، وضبطها مما يدفع الضرر والمفسدة ويجلب الخير والمصلحة²، كما أنّ العمل التكافلي الذي يقوم به المسجد هو سبب رئيس في وقاية الفرد من الانحرافات والوقوع في الجريمة، وذلك عن طريق حث الأفراد على تلمس الفقراء والمحتاجين في المجتمع ومواساتهم ودعمهم وإعانتهم بالزكاة والصدقات لوقايتهم من ارتكاب الجريمة والاعتداء على حقوق وممتلكات الآخرين، وهذا ينمي خلق الترابط في المجتمع كترابط الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو اشتكت بقية الأعضاء.

كما أن المسجد من خلال بيان أهمية النصح في الإسلام والنصيحة الواعية لولاة الأمور ولعامة المسلمين ولخاصتهم سيحقق الوقاية من الجريمة بكل أنواعها. ومن أهم ثمرات دور المسجد في تحقيق أمن الفرد الأخلاقي أن يوجد له الجار الصالح الذي يأمن بوائقه والجليس الصالح الذي يفيد ولا يضره.

بالإضافة إلى أن غلق المساجد في فترة الوباء من 17 مارس 2020 إلى 03 أوت 2020 بالنسبة للصلوات الخمس إلى 06 نوفمبر 2020 بالنسبة لصلاة الجمعة، قد تسبب في تزايد جرائم عصابات الأحياء، بشكل لافت إلى درجة أن عقد مجلس الوزراء لمعالجة هذه الظاهرة، وهو ما كان أحد الأسباب الداعية إلى فتح الجمعة³.

¹ الأمن والمجتمع.

² العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1979م، ص31.

³ انظر مخطط الموازنة بين محذور تعطيل الفتح الكلي للمساجد ورفع التعطيل، المكتب الوطني للمجلس الوطني

المستقل للأئمة وموظفي قطاع الشؤون الدينية ولاوقاف، الجزائر، سبتمبر 2020، ص12

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت دور المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي أخلص إلى النتائج الآتية:

- يعتبر المسجد مركزا للإسلام، يقوم بأدوار تعبدية وتربوية وتعليمية، تسهم في بناء الفرد، وحماية الأسرة والمجتمع، فهو أحد حصون حماية مقومات الأمة الإسلامية، والملاذ في الحفاظ على الشخصية الإسلامية من أي اضطراب أو اختراق.

- يسهم المسجد بشكل فاعل في تحقيق الأمن الروحي والفكري والأخلاقي لكل فرد مسلم، ويجعل من شبكة العلاقات الاجتماعية مترابطة ترابطا متينا، يؤدي إلى وحدة النسيج الاجتماعي، وصعوبة اختراقه من أي جهة معادية، ومن خلال هذه الفاعلية يتحقق الأمن المجتمعي، ويكون المجتمع المسلم في منأى عن الاهتزازات والاضطرابات الداخلية، أو المحاولات الخارجية لضرب المجتمع المسلم ومحاولة تفكيكه روحيا وفكريا وأخلاقيا.

- غياب المسجد بسبب الغلق أثناء فترة الأزمة الوبائية، كان سببا ارتفاع الضغوط النفسية، وتزايد جرائم عصابات الأحياء والتوترات الأسرية، مما يدل دلالة تجريبية على دور المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي، وأنه لا غنى للمجتمعات المسلمة عن المساجد.

التوصيات:

1- ضرورة الاهتمام أكثر بعمارة المساجد معنويا وماديا، لاستكمال رسالتها الدينية والتربوية، ووضع البرامج والخطط للرفق بالخطاب المسجدي، من خلال العناية بتكوين الأئمة تكوينا يستجيب للتحديات المعاصرة التي يواجهها المجتمع المسلم.

2- أهمية إيجاد أطر للتعاون بين الجامعات ومراكز البحث العلمي والمسجد، تسهم من رفع كفاءة مؤسسة المسجد على مستوى جميع الأدوار الموكلة إليه.

3- أهمية التنسيق بين مؤسسات المجتمع المدني والمسجد، حتى تتكامل الجهود في بناء أمة قوية، وتحقيق أمن مجتمعي لا يتأثر بأي اهتزازات ارتدادية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- الكتب:

1. الأمن القومي الدولي: نشأت عثمان الهلالي، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1985م.
2. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
3. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
4. دور الأسرة في رعاية الناجين من إدمان المخدرات، المؤتمر العربي لمواجهة الإدمان، جامعة الدول العربية، 1988م.
5. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ/1975م.
6. السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ/2003م.
7. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
8. السيرة النبوية والمعجزات (خلاصة تاريخ ابن كثير): القاضي محمد أحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، ط1، 1417هـ/1996م.
9. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
10. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
11. عصر الخلافة الراشدة، أكرم بن ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1430هـ/2009م.
12. العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط2، 1979م.
13. عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز عبد الله الحميدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ.
14. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط17، 1412هـ.
15. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، مادة سجد، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

16. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.
 17. مختار الصحاح، محمد بن بكر الرازي، دار الكتب العربي، بيروت، 1404هـ/1993م.
 18. مختصر العلامة خليل: خليل بن إسحاق الجندي المالكي، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1426هـ/2005م.
 19. المدونة الكبرى: مالك بن أنس الأصبحي المدني، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ/1994م.
 20. المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، سعاد فويال، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.
 21. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2.
 22. معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ/1988م.
 23. منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم: أبو أسامة محي الدين، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة، ط1، 1414هـ/1994م.
 24. مواهب الجليل شرح مختصر خليل، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: محمد بن محمد الطرابلسي المغربي، المعروف بالخطاب الرُّعيني المالكي، دار الفكر، ط3، 1412هـ/1992م.
 25. وظيفة المسجد في المجتمع، صالح بن ناصر الخزيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ.
- ثانيا- المجلات:
1. مجلة البيان، العدد: 3740، 14/06/2018م.

واقع ومتطلّبات الخطاب المسجديّ بالوادي بعد أحداث 5 أكتوبر 1988 الفترة الممتدّة بين (1989م - 1999م)

د/ علي زواري أحمد

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

zouari-ahmed-ali@univ-eloued.dz



الملخص

البحث يعالج واقع ومتطلّبات الخطاب المسجديّ بالوادي بعد أحداث 5 أكتوبر 1988م، وبالذات في الفترة (1989م - 1999م)، وقد تحدّثنا فيه عن مفهوم الخطاب، والمراد بالخطاب المسجديّ، ثمّ تطرّقنا لوقائع أحداث أكتوبر، والأحداث والتغيّرات التي نتجت عنها بعد ذلك، وتكلّمنا مع ذلك عن الواقع المحيط بالخطاب المسجديّ في الوادي بين (1989م - 1999م) وبيننا متطلّبات الخطاب المسجديّ في هذه الفترة، وختمنا بأنواع الخطاب المسجديّ الذي كان موجودا حينها، وتوصّلنا إلى مجموعة من النتائج؛ منها: أنّ الخطاب المسجديّ بالوادي كان مختلفا في تلك الفترة، وكان يستلزم جملة من المتطلّبات لصعوبة الفترة وما فيها من أزمة وأحداث متغيّرة ومتسارعة أثّرت على جوانب مختلفة، منها الجوانب الأمنيّة والمعيشيّة والترابط المجتمعيّ.

الكلمات المفتاحيّة: الخطاب؛ المسجديّ؛ متطلّبات.

1. مقدّمة

المسجد أحد أهمّ المؤسسات الفعّالة، والتي لها كبير الأثر على الرأْي العامّ داخل مجتمعنا، فهو المنبع الصّافي لنشر العلم وتعاليم الدّين، حيث يلتقي فيه الكبار والصّغار والرّجال والنّساء والحاكم والمحكوم لأداء عباداتهم ولتعلّم أمور دينهم، فهو بمثابة مدرسة كبيرة في توجيه المجتمع بمختلف أصنافه، حيث نراه يرسّخ الالتزام بنظام الإسلام عقيدةً وأخلاقاً وأداباً وعبادةً وتعليماً... وهو الذي يوقظ الضّمير، ويوطّد أواصر الأخوة والمحبة بين المسلمين، ويرسّخ روح المساواة والعدل بينهم وهم يقفون صفا واحداً أمام الله

عزّ وجلّ.

ولذا كان وما يزال الخطاب المسجديّ من أهمّ الأدوار التي تؤديها مؤسسة المسجد داخل المجتمع، حيث إنّهُ يتماشى وحركة المجتمع وما يعترّيه من أحداث وتغيّرات حادثة وما يستجد فيها من قضايا، ما يجعل مادّة الخطاب المسجديّ تصطبغ بنوعيّة تلك الحركة المجتمعيّة.

ومن أهمّ الحركات المجتمعيّة التي حدثت في الجزائر أواخر القرن الماضي هي أحداث الخامس من أكتوبر من عام 1988م التي كان لها كبير الأثر على المجتمع الجزائريّ برمته - ومنها منطقة الوادي وغيرها من مناطق الوطن- وما تبع ذلك من تغيّرات وأحداث أثّرت في الخطاب بعمومه ومنه الخطاب المسجديّ الذي كان له الصّيت القويّ لمكانة المسجد في المجتمع.

ومن كلّ هذا فإنّ موضوع بحثنا يدور حول هذه الفكرة المتعلّقة بالخطاب المسجديّ بعد أحداث أكتوبر 1988م، وقد عنواناه بـ "واقع ومتطلّبات الخطاب المسجديّ بالوادي بعد أحداث 5 أكتوبر 1988م". مركّزين على الفترة التي تلت أحداث أكتوبر والممتدّة بين (1989م – 1999م).

إشكاليّة البحث:

وممّا سبق فإنّ إشكاليّة بحثنا تتمحور حول توصيف وتحليل واقع الخطاب المسجديّ بالوادي بعد أحداث 5 أكتوبر 1988م في الفترة الممتدّة بين (1989م – 1999م)، وذكر ما أفرزته المرحلة من أنواع الخطاب المسجدي، وبيان المتطلّبات التي كان يستلزم على الخطاب أن يتبنّاها ويجعلها من صميم أولوياته ليُسهم بفاعليّة في معالجة الأزمة وتجنب آثارها السّلبية.

ويمكن على هذه الإشكاليّة أن نُفرّع بعض الأسئلة الفرعيّة، والتي منها:

- ما هو مفهوم الخطاب، وما مدلول الخطاب المسجديّ؟
- وما هي وقائع أحداث 5 أكتوبر 1988م، وما الأحداث والتغيّرات التي نتجت عنها بعد ذلك؟

- ما هو الواقع المحيط بالخطاب المسجديّ في الوادي بين (1989م – 1999م)؟
- وما هي متطلّبات الخطاب المسجديّ الوادي، وما أنواعه بين (1989م – 1999م)؟

أهمية البحث:

وتكمن أهمية الموضوع كونه يتعلّق بجزء مهم من تاريخ منطقتنا، والكتابة في مثل هذه الموضوعات يحفظ لنا الذاكرة التاريخية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتعلّق بأهم مؤسسة في مجتمعنا؛ ألا وهي المؤسسة المسجديّة التي تعتبر من الثوابت ومن المقدّسات عندنا.

كما أنّ مثل هذه الموضوعات يُستفاد منها في يومنا وغدنا، فالأحداث والمتغيّرات تُعتبر من الرّصيد المعرفيّ الذي يُسهم في بناء غد أفضل، كيف لا وفيه من التجارب والخبرات ما هو كاف ليكون درسا وعبرة يستفاد منهما في الحاضر والمستقبل.

دوافع البحث:

وأما الدوافع التي دفعني بأن أكتب في هذا الموضوع فيمكن القول بأنّ هناك جملة من الدوافع دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، نجملها في العناصر التّالية:

أولا - موضوع هذا الملتقى يدفع للبحث والكتابة، حيث إنّّه يتحدث عن الخطاب المسجديّ في الفترة الممتدة بين (1962م - 2022م)، ولا ريب أنّ هذا من الأهمية بمكان، وتكمن أهميّته في أنّه يتحدّث عن أهمّ منبر للخطاب في مجتمعنا - قديما وحديثا - ألا وهو المسجد، وخاصّة لما يتعلّق الأمر بالمنطقة وما جاورها، فإنّ أبناء المنطقة هم أولى النّاس بالتّكلم فيه، كما أنّ الحاجة تدعو لدراسة هذه الفترة نظرا للمتغيّرات التي حصلت فيها والتي رافقها فيها الخطاب المسجديّ ولا محالة.. ومن هنا يكون توصيف هذه الفترة من الخطاب المسجديّ من الضّرورة بمكان للاستفادة منها والبناء عليها مستقبلا.

ثانيا - أنّي من المعنّين بالخطاب المسجديّ في هذه المنطقة (الوادي وما جاورها) نظرا لممارستي له من بدايات فترة الانفتاح السّياسي والتّعددية الحزبيّة وإلى اليوم، بما يزيد عن ربع قرن، فقد مارست شتّى أنواع الخطاب المسجديّ؛ من الخطابة والتّدريس وإلقاء الكلمات والمحاضرات والندوات... في المناسبات وغيرها، وفي جلّ مساجد الولاية.

كما أنّي من أعضاء المجلس العلمي لمديرية الشّؤون الدّينية بالوادي، ومن هيئة التّأطير للندوات والمحافل العلميّة، ومن إدارات التّكوين لإطارات القطاع الدّيني بالولاية؛ وخاصّة الجّد منهم، كلّ ذلك يجعلنا على قرب من الخطاب المسجديّ وعلى دراية بما يجري فيه.

ثالثا - أُنّي في تلك الفترة كنت عازما على وضع كتاب يُعَرِّج على أهمّ سمات وملامح ومتطلّبات الخطاب المسجديّ في تلك المرحلة المهمّة والحاسمة من تاريخ بلادنا، وقد سوّدت فيه مجموعة من الوُريقات، وأطلقت عليها: "المؤسّسة المسجديّة بين الواقع والمطلوب" ولكنّ تلك الوُريقات بقيت في الأدراج ولم يُفتح لها الأفق لتخرج للحياة، وعندما جاء هذا الملتقى قلت لعله فرصة أن نبثّ الحياة في بعض ما طوته الأدراج ولو باليسير منه وما يتناسب ومحاور الملتقى، فكان هذا البحث بهذه الصّورة.

رابعا - أنّ هذه الفترة (1989م - 1999م) من أهمّ الفترات التي مرّت بها الجزائر بعد الاستقلال حيث أحدثت تغييرا في الاتجاه والتّصورات والمعطيات... ولذا انصبغ فيها الخطاب المسجديّ بلامح مخالفة لما قبلها من الفترات ولما بعدها، ولم تكن منطقة الواديّ وما جاورها - وغيرها من مناطق الوطن - بمعزل عن ذلك.

فهذه الفترة كانت بداية الانفتاح السّياسيّ وقد تلت أحداث الخامس من أكتوبر مباشرة، وكانت نهايتها سنة 1999م - من حيث تغير الخطاب المسجديّ - بمجيء الرئيس السّابق عبد العزيز بوتفليقة ودخول مرحلة المصالحة الوطنيّة التي دخل فيها الخطاب مرحلة أخرى تغاير التي سبقتها.

منهج البحث:

وفيما يتعلّق بمنهج البحث فقد اعتمدنا على المنهج الوصفّي التحليلي الذي يتناسب ومثل هذه الموضوعات.

خطة البحث:

وأما خطة بحثنا لمعالجة الإشكاليّة المطروحة، فهي كالتّالي:

1. مقدّمة؛
2. مفهوم الخطاب في اللّغة والاصطلاح؛
3. مدلول الخطاب المسجديّ؛
4. وقائع أحداث 5 أكتوبر 1988م؛
5. ما أعقب أحداث 5 أكتوبر من تغيّرات وأحداث إلى 1999م؛
6. الواقع المحيط بالخطاب المسجديّ في الوادي بين (1989م - 1999م)؛
7. متطلّبات الخطاب المسجديّ بالوادي بين (1989م - 1999م)؛

8. أنواع الخطاب المسجدي بالوادي في الفترة بين (1989م - 1999م)؛

9. الخاتمة.

وبعد هذه المقدمة نبدأ في تفصيل جزئيات الموضوع.

2. مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح

أول ما نتحدث عنه هو مفهوم الخطاب، وماذا نقصد به في بحثنا؟ حتى تتضح وجهة بحثنا في هذه الصفحات ولا يتشعب الموضوع وينفلت من بين أيدينا.

الخطاب في اللغة من المادة الثلاثية (خ، ط، ب) التي لها دلالات عدة، ومنها التكلم والتحدث، حيث إن كل كلام بين شخصين يعد خطاباً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾¹. بمعنى غلبي في الخطاب.

وبهذه المراجعة في الكلام بين طرفين يُطلق لفظ الخطاب، قال تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾². وقال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾³.

يقول ابن فارس في مقاييسه: "(خَطَبَ) الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، وَالْخُطْبَةُ من ذلك. وفي التَّكَاحِ الطَّلَبُ أن يزوجه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾"⁴. وَالْخُطْبَةُ: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القوم فلانا، إذا دعوه إلى تزوجه صاحبتهم. وَالْخُطْبُ: الأمر يقع؛ وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التَّخَاطُبِ والمراجعة"⁵.

وفي لسان العرب لابن منظور: "وَالْخِطَابُ وَالْمُخَاطَبَةُ: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان. اللَّيْثُ: وَالْخُطْبَةُ مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يَخْطُبُ خُطْبَةً، واسم الكلام: الْخُطْبَةُ؛ قال أبو منصور:

1 - سورة ص: 23.

2 - سورة النبأ: 37.

3 - سورة هود: 37.

4 - سورة البقرة: 235.

5 - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م، 2/198.

والذي قال اللَّيْث، إِنَّ الخطبة مصدر الخطيب، لا يجوز إلّا على وجه واحد، وهو أَنَّ الخُطْبَةَ اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر. الجوهري: خطبت على المنبر خطبة، بالضمّ، وخطبت المرأة خطبة، بالكسر، واختطبت فيهما. قال ثعلب: خطب على القوم خطبة، فجعلها مصدرا؛ قال ابن سيّده: ولا أدري كيف ذلك، إلّا أن يكون وضع الاسم موضع المصدر"¹.

فمفهوم الخطاب والمخاطبة في لغة العرب يدور على مراجعة الكلام، وتوجيهه إلى الأنام بقصد الإفهام، فكلّ كلام لا يراد به الإعلام والإفهام لا يعتبر خطابا في لسان العرب، وقد يُطلق الخطاب ويراد به مضمون الكلام ومحتواه، وقد يطلق ويراد به الطّريقة التي يُؤدّى بها الكلام.

جاء في كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: "أصل اللّغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثمّ نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام. وقد يعبر عنه بما يقع به التّخاطب. قال في الأحكام: الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متبرّئ لفهمه. فاحترز باللفظ عن الحركات والإشارات المفهمة بالمواضعة وبالمتواضع عليه عن الأقوال المهملة. وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنّه لا يسوّى خطابا"². وعلى هذا المفهوم عرّف علماء اللّغة الخطاب، فقالوا: "الخطاب توجّيه الكلام نحو الغَيْر للإفهام"³.

وقالوا: "الخطاب: هو القول الذي يفهم المخاطب به شيئا"⁴.

1 - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 361/1.

2 - محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التّهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م. 749/1.

3 - زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنكي (المتوفى: 926هـ): الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ، ص: 68.

4 - زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م، ص: 156.

وأما من حيث الاصطلاح فقد عُرِفَ الخطابُ بعدة تعريفات وخاصة في الدرس اللغوي الحديث، حتى أنه يعتبر من المصطلحات التي شاعت في حقل الدراسات اللغوية، وقد لقي تداولاً كبيراً وواسعاً من قبل الدارسين والباحثين في حقل الدراسات اللغوية الحديثة، ونحن لا يسعنا في هذا البحث التعرض لكل تلك التعريفات، وكفيّنا أن نأخذ تعريفاً واحداً يوصل لنا الفكرة والمقصود من الخطاب، حيث يقول طه عبد الرحمن: "إنَّ المنطوق به أي الخطاب الذي يصلح أن يكون كلاماً: هو الذي ينهض بتمام مقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمّى خطاباً، إذا حُدَّ الخطاب أنه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً"¹.

وهذا هو المنسجم والمتناسب مع ما يهدف إليه بحثنا غير أنّه مقيّد ومختصّ بالخطاب المسجديّ - وليس عموم الخطاب - بل هو موصوف به ومنسوب إليه، وهو ما نتكلم عنه في العنصر الموالي.

3. مدلول الخطاب المسجديّ

إنَّ أهمَّ شيء يُطلق عليه لفظ الخطاب في المسجد هو الخطبة المنبرية التي يُطلق عليها "الخطبة" التي يُعرفها الجرجانيّ في التعريفات بقوله: "الخطبة: هو قياس مركّب من مقدّمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب النَّاس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعلُه الخطباء والوعاظ"².

ولهذا سُمِّيَ الكلام المنثور المسجوع والمنظوم الذي يُقصد به توصيل رسالة ما للمتلقّي "خطبة"، قال أبو إسحاق أنَّ الخطبة عند العرب: "الكلام المنثور المسجع، ونحوه"³.

ولا ريب أن الخطبة المنبرية وعلى رأسها خطبة الجمعة - ثمَّ العيدين - هي المقصودة بهذا الكلام، وذلك أنَّ أهمَّ ما يتجسّد فيه الخطاب المسجديّ هو خطب الجمعة المرتبطة بالمسجد الذي كان وما زال مركز تفاعل اجتماعيٍّ للمسلمين، فيلتقون كلّ مرّة في الأسبوع بالمسجد لأداء صلاة الجمعة، والخطبة أهمّ جزء فيها، وما يصاحب ذلك من إلقاء دروس

1 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م، ص: 255.

2 - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -

1983م، ص: 99.

3 - ابن منظور: لسان العرب، 361/1.

أو كلمات أو استفتاء الإمام.

ومع ذلك لا ينحصر الخطاب المسجدي فيما ذكرنا بل يشمل كل ما يقدمه المسجد من أعمال علمية تتم صياغتها لغوياً من خطبة الجمعة إلى درس الجمعة إلى الدروس المختلفة المتعلقة بالمناسبات وغيرها، مما يهدف إلى إحداث نوع من التأثير في رواد المسجد، ويُحدث نوعاً من التغيير في محيط المسجد¹.

وعلى هذا فإنّ المراد بعموم الخطاب المسجدي هو كل ما يقدمه المسجد من أعمال علمية، تتم صياغتها لغوياً من خطبة الجمعة إلى درس الجمعة، المحاضرات، والدّورات، والدّروس المختلفة المتعلقة بالمناسبات وغيرها مما يهدف إلى إحداث نوع من التأثير في رواد المسجد، ويحدث نوعاً من التغيير في محيط المسجد، باعتبار المسجد هو المؤسسة التي تنتج هذا الخطاب².

4. وقائع أحداث 5 أكتوبر 1988م

هذا العنصر يُعتبر أهم قضية تتعلق بها بحثنا، ولذا أفردناه بالكلام في عنصر مستقل، ونسرده كتاريخ وصفي من غير تحليل ولا تعليق عليه، لأنّ الهدف منه هو بيان الواقع الذي كان فيه الخطاب المسجدي في تلك الفترة حتّى تُعطي صورة يمكن من خلالها أخذ تصوّر عنها يتناغم وما سنعرضه في العناصر الموالية لهذا العنصر.

فأحداث الخامس من شهر أكتوبر سنة 1988م من أهم وأكبر الأحداث التي مرّت بها الجزائر بعد الاستقلال، وجلّ الأحداث التي وقعت بعدها تكون من آثار تلك الأحداث، فهي أحداث فاصلة بين مرحلتين، بين المرحلة التي سبقتها (1662م - 1988م) والمرحلة التي تلتها (1988م - 2019م)³ ومنها الفترة التي خصّصناها للبحث (1989م - 1999م).

ففي صبيحة الخامس من أكتوبر - تشرين الأول - عام 1988م، خرج الجزائريون في

1 - ينظر العمري مرزوق، "راهن الخطاب المسجدي والمرجعية الدينية الوطنية"، رسالة المسجد، السنة السادسة، العدد 01، محرم 1429هـ، جانفي 2008م، ص: 12.

2 - ينظر محمد منير حاجب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2004، ص: 253.

3 - قصدنا عام 2019م لأنّه وقعت فيه الأحداث المعروفة بالجرّك الشّعبية وكان من نتائجه إسقاط نظام الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ودخول مرحلة جديدة، تُسمّى بـ"الجزائر الجديدة التي جاءت بالرئيس الحالي السيّد: عبد المجيد تبّون.

مظاهرات عمّت كلّ أرجاء البلاد وبصفة خاصّة العاصمة وكُبريات المدن الجزائريّة، للمطالبة بالحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعيّة، واستهدف الشّباب الغاضب كلّ ما يرمز للدولة من مؤسّسات ومقرّات لحزب جبهة التّحرير الوطنيّ الحاكم... واختلفت التحليلات حتّى اليوم بالجزائر حول خلفيات انفجار الوضع في البلاد، وهل الأحداث كانت مفتعلة أم عفويّة رغم التقائها عند نقطة واحدة أنّ الوضع الذي كان سائدًا هو عنصر هام في ما حدث بحكم تردي الوضع الاقتصاديّ واستشرء الفساد. فوقع ما وقع في هذه الأحداث وانتهت بأن شكّلت نقطة تحوّل في التّاريخ السّياسي للبلاد¹.

فهذا ملخّصها، وقد كانت مجرياتها كالآتي:

في يوم 25 سبتمبر بدأت ملامح ثورة شعبيّة وعماليّة تلوح في الأفق بعد أن عقدت نقابة مؤسّسة صناعة السيّارات سوناكوم لقاء بالمرّكب، حيث ندّد العمّال لأوّل مرّة، بالفساد وببعض رموز الدولة، مردّدين شعارات مناهضة لهم، أمّا في الأحياء الشّعبية فقد فتح خطاب الشاذلي بن جديد المجال واسعا للحديث عن قرب ثورة شعبيّة في الجزائر ضدّ رموز الدولة، كيف لا والأزمة الاقتصاديّة التي عرفت الجزائر عام 1986م بسبب تدني أسعار المحروقات، وما صاحبها من تدنٍ للقدرة الشرائيّة، وإعلان عدد من الشّركات الوطنيّة إفلاسها وعدم قدرتها استيراد القهوة والدقيق... كلّ ذلك ساهم في تأجيج غضب الشّارع².

وفي يوم 4 أكتوبر بدأت بعض القلاقل تظهر في أحياء شعبيّة معروفة كباب الوادي والروبية والحراش، فانتشرت مصالِح الأمن - أو كان يسمّى سابقا لدى عامة النّاس بـ الأمن العسكري - عبر بعض هذه الأحياء لتقصّي الحقائق ومعرفة ما كان يُحضّر له³.

وفي يوم 5 أكتوبر وفي وسط باب الوادي اعترضت مجموعة من الشّباب سبيل حافلة

1 - ينظر بشير بن اعراب، وفاروق قارة، أحداث 05 أكتوبر 1988م في الجزائر "قراءة في الأسباب والنتائج" إشراف محمد السعيد قاصري، كلية العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة المسيلة، السنة الجامعيّة: 2016/2017، ص: 47 - 49.

2 - ينظر، الموسوعة الحرّة، ويكيبيديا، أحداث 5 أكتوبر 1988، تاريخ الاطلاع: 2023/02/24، الساعة: 17:05 مساءً، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB_5_%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%B1_1988

3 - المرجع نفسه.

وقاموا بإنزال كلّ ركبها وأضرّموا فيها النّار، ثمّ توسّعت إلى باقي شوارع الحيّ العتيق حيث استهدف المواطنون كلّ ما يرمز للدولة، وانتَهز العاطلون عن العمل، وكذا البسطاء مؤسّسات أروقة الجزائر ونهبوا كلّ ما فيها، وقد بلغ صدى هذه الاحتجاجات إلى أحياء باش جراح والحراش والشّراقة وعين البنيان، ثمّ حتّى الأحياء الرّاقية كالأبيار وبن عكنون وحيدرة، وتحوّلت العاصمة بأكملها إلى بؤرة للاحتجاجات وأعمال التّخريب والحرق ومحاولة اقتحام منازل عدد من الشّخصيات التي كانت ترمز لنظام الحكم في الجزائر آنذاك، أمّا المواطنون الذين لم يكونوا على علم بما يحدث، وفضلوا المكوث في بيوتهم، فكانت أذانهم معلقة ببعض الإذاعات الدّوليّة، خاصّة فرنسا الدّوليّة التي كانت تُعطي بعض المعلومات عمّا يحدث، أمّا التلفزيون الجزائريّ فاكتفى ببث صور التّخريب ونداءات تدعو للهدوء والتّعقل¹.

وفي يوم 6 أكتوبر امتدت المظاهرات إلى كلّ الأحياء الشّعبية، وانقطعت الدّراسة بالمدارس والثّانويات خوفا من أن تمتد المظاهرات إلى الثّانويات فيلتحقون بالحدث؛ وذلك بأمر من وزارة التّربية الوطنيّة².

وفي يوم 7 أكتوبر المصادف ليوم الجمعة، حاول بعض قادة التّيّار السّلفي في الجزائر قيادة مسيرة في شوارع باب الوادي انطلاقا من مسجد السّنة الذي كان يتواجد به علي بن حاج، وقبل انطلاق المسيرة، دعا أحمد سحنون ومحفوظ نحناح المصلين للتّعقل، غير أنّ هؤلاء لم يستجيبوا لنداءات الشّيخين الذين كانا يحظيان بمصداقية لدى عامّة النّاس، وقد حاول كلّ من أحمد سحنون ونحناح وعباسي التّوجه إلى رئاسة الجُمهوريّة لدعوة الرّئيس الشّاذلي بن جديد لوقف إطلاق الرّصاص على المتظاهرين وإطلاق سراح الموقوفين من المتظاهرين، لكنّ مصالح الأمن رفضت ذلك ومنعتهم من الوصول إلى مقر الرّئاسة. وفي المساء أعلن الرّئيس الشّاذلي بن جديد حالة الحصار، وفرض حظر التّجوّل ليلا في العاصمة وضواحيها، وانتشرت قوّات الجيش عبر كامل أحياء العاصمة حفاظا على ما تبقى ممّا خرّبه المتظاهرون³.

وفي يوم السّبت 8 أكتوبر بدأ عدد من الشّخصيات والمدافعين عن حقوق الإنسان، ومنهم علي يحيى عبد النّور وعدد من ممثلي تيار اليسار في التّحرك للمطالبة بالإفراج عن

1 - المرجع السابق.

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

الموقوفين بعد أن تسربت معلومات عن تعرّض العديد منهم للتّعذيب، وامتدّت هذه المطالبات إلى جامعة بن عكنون حيث عقد الطلبة الجامعيون جمعيات عامّة تطالب بالإفراج عن الموقوفين¹.

وفي يوم الأحد 9 أكتوبر اتّسعت حملة الاعتقالات، وأذاعت وسائل الإعلام خبر توجه الرئيس الشاذلي بن جديد بخطاب للأمة يوم الاثنين على الساعة الثامنة مساءً².

وفي يوم 10 أكتوبر بعد النداء الذي وجهه الشيخ علي بن حاج قام الآلاف من الشباب ببلكور الآتون من أحياء سوستارة والقصبية وباب الواد وبولوغين بمسيرة سلمية وصامتة باتجاه باب الواد، لكن لدى مرورهم بالمديرية العامة للأمن أطلق مجهول النار فردّ الجيش على إثر ذلك بالمثل، وكان عدد الضحايا 43 ضحية³.

بعدها يظهر الشاذلي بن جديد على التلّفيزيون دعا المواطنين للتّعقل، ووعدهم بغد أفضل، وبإصلاحات في جميع المجالات السّياسيّة والاقتصاديّة، وكان الهدوء قد عاد إلى كلّ أحياء العاصمة وما جاورها وفهم الجزائريون أن ثمة تلميح لتغيير في نظام الحكم، وأن الجزائر مقبلة على الانفتاح، وهو ما تمّ فعلا، حيث رحل شريف مساعديّة عن جبهة التحرير الوطني ليخلفه عبد الحميد مهري، وأقرّ الرئيس الشاذليّ دستورا جديدا أقرّ التعددية السّياسيّة والإعلاميّة في الجزائر، وفتح مجال النّشاط واسعاً لكلّ التّيّارات السّياسيّة مهما كان انتماءها، وأقرّ حرية التّعبير، كما فتح المجال الاقتصادي للقطاع الخاصّ، وفي يوم 12 أكتوبر تُرفع حالة الحصار لتدخل الجزائر مرحلة ما بعد الانتفاضة⁴.
تلکم هي مجريات أحداث الخامس من أكتوبر 1988م وقد كان لها ما بعدها من تغيّرات وأحداث، وهو ما سنذكره في العنصر الموالي نظرا للأثر الذي أحدثته في الخطاب المسجديّ.

5. ما أعقب أحداث 5 أكتوبر من تغيّرات وأحداث إلى 1999م

أحداث الخامس من أكتوبر 1988م لم تكن مجرد حدث عابر لا أثر له ولا نتائج ترتبت عليه، بل كان له جملة من التّغيّرات والأحداث كانت سببا لما حصل في البلاد، ومن أهمّ

1 - المرجع السابق.

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

4 - المرجع نفسه.

تلك التغيرات والأحداث، ما يلي:

من ذلك الاستفتاء الشعبي الذي عقب أحداث أكتوبر في يوم 03 نوفمبر 1988م قصد التعديل الجزئي لدستور 1976م، حيث أعلنت الرئاسة في 12 أكتوبر 1988م عن تنظيم استفتاء يوم 03 نوفمبر 1988م يعطي الشعب الكلمة للفصل في الإصلاحات التي توعد بها الرئيس الشاذلي، وقد تم الاستفتاء وكانت نسبة المشاركة فيه قد بلغت: 83.08%، ونسبة الموافقة عليه وصلت: 92.27%، وتضمن هذا التعديل الجزئي إعادة المادة صياغة 5 من من دستور 1976م التي أعطت للرئيس الصلاحيات الواسعة والتي منها رجوعه للشعب مباشرة عند الضرورة؛ أي أن الاستفتاء أصبح مشروعاً ومقنناً بنص الدستور الجديد¹.

وبعد هذا الاستفتاء - وما تم فيه من تعديل - كان إعادة انتخاب الشاذلي بن جديد لعهدة رئاسية ثالثة في: 22 ديسمبر 1988م، تم بعدها الإعلان عن إصلاحات سياسية نابعة من المطالب الشعبية التي جسدها أحداث أكتوبر، فكان من نتائجها إقرار دستور 23 فيفري 1989م، وذلك بعد استفتاء الشعب عليه وقد تمت الموافقة².

وهذا الدستور الجديد أقرّ ضمان الحريات العامة؛ كحرية التعبير، وحق الترشح في الانتخابات مسموح به للجميع، وحق التنقل والإقامة، وحق الإضراب، وحق التعليم والعمل والرعاية، وفصل السلطات الثلاث؛ التنفيذية والتشريعية والقضائية³.

كما نصّ الدستور الجديد في المادة: 40 منه على حق إنشاء جمعيات ذات طابع سياسي كان بمثابة اعتراف السلطة بالمعارضة السياسية، وبالأحزاب الناشئة، شرط التزامها بالوحدة الوطنية، والاستقلال، وسيادة الدولة، حيث وصل عدد الجمعيات ذات الطابع السياسي المعترف بها والمعتمدة قانوناً، حولي: 60 جمعية في نهاية 1991م، أما الجمعيات الأخرى ذات الطابع الغير سياسي فقد بلغت حوالي: 2000 جمعية، بذلك عرفت الساحة السياسية الجزائرية نشأة العديد من الأحزاب السياسية المختلفة التوجهات⁴.

1 - ينظر بشير بن اعراب، وفاروق قارة، أحداث 05 أكتوبر 1988م في الجزائر، ص: 47 - 49.

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

4 - المرجع نفسه.

ولم يتوقّف الأمر هنا، بل كانت بعد ذلك تعاقب العديد من الحكومات في فترات وجيزة جدا نظرا لتعقّد الأزمة، كما كان في هذه الفترة العصيبة من تاريخ البلاد شغور المنصب الرئاسي بعد استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد من منصبه عام 1991م، ويعقب ذلك حزمة من التّغييرات؛ منها تعاقب الرؤساء على البلاد من 1991م إلى 1999م حين أُنتخب عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للبلاد واستمر فيه إلى 2019م بعد حراك شعبيّ كبير أطيح بحكمه ونظامه.

نعود فنقول أنّ البلاد في تلك الفترة – أي فترة التسعينات – قد شهدت أحداثا كثيرة، منها التّجمّعات والمسيرات الكبرى، والاضرابات العامّة والعارمة، والاعتصامات المتوالية، وقد تمّ في تلك الفترة تعطيل المسار الانتخابي ودخول البلاد بعده في اشتباكات وأعمال عنف وتخريب وقتل وبطالة وندرة في المواد الغذائية.. عمّت جلّ ولايات الوطن – ومنها ولاية الوادي التي كان لها نصيبها من ذلك – حيث أدّت لأزمة خانقة كان لها آثارها على كلّ المجالات؛ السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والأمنيّة.. وغيرها.

6. الواقع المحيط بالخطاب المسجديّ في الوادي بين (1989م – 1999م)

من الضّروري مراعاة الخطاب المسجديّ للواقع الذي هو فيه - وقد سبق ذكره – فمن الحكمة وضع الشّيء في محلّه والأزمة قائمة والجوّ مكهرب لدرجة كبيرة يعلمها من عايشها، حيث أنّ كلّ كلمة بحسابها، فالقضيّة ليس مجرد إلقاء خطبة أو كلمة وكفى؛ بل يجب أن يراعي الخطاب المواطن الخصبة لزّرع المثمر، ويتصدّد مواسم الغرس النّاجحة كي تؤدي النّبتة أكلها بإذن ربّها، والدّارس للقرآن الكريم يجد الخطاب يتنوّع من مرحلة لأخرى؛ فخطاب مكّة يختلف عن خطاب المدينة، وخطاب ما قبل الهجرة يختلف عمّا بعدها، وقبل القتال يختلف عمّا بعده، وهكذا لكلّ مرحلة خطابها.

فمن خلال واقعنا هنا في ولاية الوادي – وحتى يكون الخطاب المسجديّ مراعيًا للواقع – فقد كانت التّوصيات والتّوجيهات دائما تتابع من طرف الجهات الوصيّة، وتُعقد التّدوات ويلتقي القائمون على الخطاب المسجديّ دوريا وبشكل مستمر، ويكون فيه عرض الأوضاع وتوصيف الواقع، ويكون في ذلك - كلّ مرة - توصيات وتصويبات لتعاطي الحسن مع الأزمة، والتّحذير من المنزلقات التي قد تؤدّي بالخطاب المسجديّ إلى التّحيز لجهة ما أو تحزيب المؤسسة المسجديّة وجعلها تخدم خطاب جهة بعينها، ممّا قد يؤدي لتعقيد الأزمة وتأجيج نار الفتنة، أو التّفريق بين أبناء البلدة الواحدة، مع الحث الدائم على التّعاون

والأخوة والوحدة وجمع الكلمة، والتذكير بالقيم والمبادئ التي يجب أن نتحلّى بها جميعاً حتى نتعاون على معالجة الأزمة والخروج منها بأمن وسلام.

وكان المراد من كلّ هذا حتى ينصبغ الخطاب المسجدي بالواقعيّة في الطّرح، والموضوعيّة في التحليل والإنصاف في النّقد، فيتناول الخطاب الوقائع والأحداث والحوادث النّازلة والمستجّدة بطريقة حكيمة بناء تهدف لخدمة البلاد والعباد، فيأخذ الخطاب من محيطه وحال الحاضرين ما يكون موضوعاً أو مادّة مفيدة مراعية لمقتضى الحال، وألا يكون الخطاب المسجديّ ضرباً من الخيال، ولا جنوحاً في الواقع يزيد من فتيل الأزمة.

وممّا يجب أن نسجّله هنا ونذكّر به ممّا يتعلّق بالواقع في منطقتنا أنّ هناك أموراً كبرى كان لزاماً مراعاتها في الخطاب المسجديّ وألا تغيب عمّن يتصدّى أو يتصدّر الخطاب، من ذلك:

أولاً - أنّ الأزمة التي تحدثنا عنها لم تكن ولايتنا بمعزل عنها، بل لحقها ما لحق باقي مناطق الوطن، من أزمة معيشيّة، وبطالة خانقة، وأعمال العنف، والتّهديد، والخوف، والخطف، والقتل، وتردي الحالة الأمنيّة، ووقوع الإصابات المختلفة، والاحتقان والتّوتر في النّفوس بسبب سوء الأوضاع، والحيرة والضّبابية في الأفق في بعض الأحيان... وغيرها من مظاهر الأزمة التي سبق ذكرها.

ثانياً - التّهيكل الحزبيّ داخل الولاية من مختلف التّوجهات، والاندفاع نحو ذلك التّوجه المختار والدّفاع عنه بكلّ قوّة ما أدّى في بعض الأحيان لتصادمات والمشاذات الكلاميّة - أو العنفيّة في بعض الأحيان - بين بعض التّيّارات أو الأشخاص، كما صحب ذلك نشوء تكتّلات مختلفة في المنطقة الواحدة من تراب الولاية - تنتهي لهذه الجهة أو تلك - تسبب ذلك في بعض المناطق بنشوء التّوتر والاختلاف والعداوة والخصومة من أبناء العائلة الواحدة ناهيك عن غيرهم، كلّ ذلك جعل الضّرف مشحوناً قابلاً لما لا يحمد.

ثالثاً - كانت أزمة ثقة حادة بين المواطن والدّولة، كادت أن تصل للقطيعة أو إنكار الوطنيّة والمواطنة من طرف بعض النّاس ولا تراه إلّا وهو يسبّ ويشتم الدّولة، ويسبّ ويشتم حتّى من يذكر الدّولة ومؤسّساتها بخير ويتهّمه بالعمالة والخيانة أو الفساد والخنوع، وقد تبلورت تلك الأزمة في بعض وجوهها بالتّحامل على الدّولة ومؤسّساتها ورموزها ولم يعد هناك تفريق بين السّلطة القائمة والدّولة، كلّ ذلك جعل الفرد يكاد يفقد

الأمل في الدولة ومؤسّساتها، ومثل هذا من الأمور الخطيرة العواقب لا محالة.

رابعا - في ظل هذا نجد شريحة كبيرة من أبناء الوادي يقفون في الوسط - وهم الكتلة الصّامتة - يبحثون عن السّبيل المخلّص من الأزمة والخروج منها نحو أفق أفضل، رغم أنّ كلّ الأطراف تتجاذبهم نحوها؛ التّيّارات والجماعات وأصحاب المصالح والسّلطة... وهذه الكتلة كان لزاما على الخطاب المسجديّ أن يراعها وينظر لمتطلّباتها، وينحو نحو آمالها، ويوجّهها نحو السّلوك الأمثل في التّعامل مع الأزمة.

خامسا - كما لا نغفل بأنّ منطقة الوادي لها خصوصيّة جغرافيّة كونها منطقة حدوديّة تطلّ بحدودها الشّرقية والجنوبيّة الشّرقية على دولتين عربيّتين؛ هما: تونس وليبيا الشّقيقتان، ومثل هذه المناطق تحتاج لخصوصيّة في الخطاب عند الأزّمت، وخاصّة في الأماكن المتاخمة للحدود.

سادسا - بما أنّ الأمر يتعلّق بالخطاب المسجديّ فلا بدّ من الإشارة لثلاثة أمور في الواقع لها تأثيرها على الخطاب المسجديّ في منطقتنا (الوادي)، هي:

أ - أن سكان الوادي - كسائر أبناء الجزائر - بطبعهم يغلب عليهم التّدين وحب الدّين لدرجة كبيرة تغطي في بعض الأحيان عن المراجعة للخطاب المسجديّ، بل تغلبهم في ذلك سطوة العاطفة على نظرة العقل عند سماع الخطاب المسجديّ بالذّات، حتى أنّ الأمر يصل بهم لدرجة التّسليم والاتباع والميل للخطاب إذا قويّت لهجته باسم الدّين أو كان من شخص يثقون به أو هم مقتنعون به، وهذا الأمر يجب مراعاته لأنّه ذو حدين إن لم تقيّده الحكمة كان ضرره أكبر من نفعه.

ب - في تلك الفترة وما سبقها يوجد بالمنطقة صحوة إسلاميّة - مختلفة المشارب - وفي عمومها نشطة وقويّة وكبيرة كانت تغطي جلّ المساجد، ويتصدّر أبنائها الخطاب الدّيني؛ ومنه الخطاب المسجديّ، وكان لها تأثير في الأوساط الشّعبية بمختلف مناطق الولاية، مع تطلّعها لخطاب مسجديّ يكون مناسبا لها، ويتلاءم مع أفكارها وتصوّراتها وأفقيها في الخطاب المقنع والمشيّع البعيد عن التّقيد والجمود، ولذا كان رؤاها والبارزون فيها يتصدّرون المحافل، ويعتلون المنابر، ويرمون المحاضرات والتّدوات العلميّة وغيرها، وكلّ هذا شكّل تكتلات وتجاذبات واختلاف في الرّؤى بعد الانفتاح السّيّاسيّ ودخول الوادي في ركب التعدّدية الحزبيّة كباقي ولايات الوطن.

ج - أن عددا لا يُستهان به من مساجد الولاية - في تلك الفترة - إما أنه يتصدّر الخطاب فيها من لا علاقة له بالجهة الوصيّة (متطوع منعزل) فيُبرم الخطاب المسجديّ على ما يراه حتّى أنّه يغيب عنه الواقع وما فيه، أو يراه من منظوره الشّخصيّ أو ممّن حوله من الذين يتلقّون خطابه، أو يتصدّر الخطاب أناسٌ ضعفاء الحصيّلة العلميّة والمعرفيّة، أو لا علاقة لهم بمجريات الأحداث ومعرفة واقع النّاس ويعيشون في محيطهم أو لديهم نظرة سطحيّة لا تؤهلهم لخطاب مسجديّ فعّال ومقنع ومؤثر له مردوده الإيجابي في معالجة الأزمة.. وهذا لا يعني - مطلقا - أنّهم غير أكفاء أو لا يليقون بالمكان والمقام؛ ولكنّ الفترة كانت تحتاج لخطاب فعّال ودائم ومتواصل ومستمر طيلة الفترة ليكون أقوى تأثيرا على الرّأي العامّ بمنطقتنا.

بعد كلّ هذا يمكننا أن نعتزّ ونقرّ - بحكم تواجدها في الميدان - بأنّ الخطاب المسجديّ في ولايتنا كان له تأثير كبير في معالجة الأزمة والتّعامل الإيجابي مع الأحداث التي تخلّلتها طيلة تلك الفترة، مع ظهور النّقص أو الهفوات أو غير ذلك في بعض الخطابات، لكن في عمومها لعب دورا كبيرا في المعالجة.

فهذا هو الواقع الذي كان يدور ويتحرك فيه الخطاب المسجديّ بالوادي في تلك الفترة، ولذا كان محتاجا ليضع بعض المتطلّبات على صعيد أولوياته، وتكون بمثابة أفكار وتصوّرات وخطوط عريضة أو استراتيجيّة لمعالجة الأزمة ومشاركة الخطاب المسجديّ في احتوائها وتوظيفها نحو الأفضل، والمساهمة بقوة وفاعليّة في تماسك المجتمع وتقويته وإيجاد الفرد الإيجابي الذي يؤدّي دوره داخل بوتقة المجتمع لتتشكّل مادّة خاماً تنهض بالمجتمع نحو التّنميّة المطلوبة والمرتقبة، فالفرد هو أساس كلّ ذلك، والأهمّ تُقاس برجالها، ولذا نحتاج في كلّ ذلك لسياسة رشيدة تضع يدها على الدّاء، وتحسن إعطاء الدّواء، والمسجد أحد المؤسّسات في بثّ هذا الوعي الاجتماعيّ الذي نحن بحاجة إليه - دوماً - وخاصّة في تلك المرحلة على سبيل الخصوص.

7. متطلّبات الخطاب المسجديّ بالوادي بين (1989م - 1999م)

مما ذكرنا فإنّ تلك الفترة (1989م - 1999م) كانت فترة عصيبة على الشّعب الجزائري كلّها ومنها منطقتنا (وادي سوف)، ولعلّها من أصعب المراحل التي مرّ بها الشّعب بعد الاستقلال، حيث فيها حلّت تلك الأزمة الخائقة والكبيرة التي كاد الشّعب أن يفقد فيها أمّله في المعافاة والرجوع للحياة من جديد؛ ناهيك عن التغيّر الذي ينشده بعد أحداث

الخامس من أكتوبر، كلّ هذا كان مدعاة للخطاب المسجديّ بأن يراعي جملة من المتطلّبات الضّروريّة حتّى يكون الخطاب المسجديّ متماشيا بإيجابيّة مع الأزمة، ويكون طرفا فعّالا في معالجتها.

ولهذا يمكن القول بأنّه في تلك الفترة، بين (1989م - 1999م) كانت في المجتمع فجوات وثغرات بسبب تراكم الأحداث والتي كانت إفاضة كأسها بعد أحداث الخامس من أكتوبر 1988م ودخول مرحلة الانفتاح السّياسي والتّعدديّة الحزبيّة؛ والوادي كان لها قسطها من ذلك، فكان ينبغي أن تسدّ تلك الفجوات والثّغرات من طرف الجميع - كلّ حسب مركزه وموطنه - ولا تُترك لمهب الرّيح فيدخل منها الضّرر، والخطاب المسجديّ واحد من أهمّ الأصوات الفعّالة في معالجة هذا الخلل والمساهمة في تخطّي المرحلة بسلام وأمان، بل وبما يخدم المرحلة التي بعدها.

ولذا سنشير لبعض المتطلّبات التي كان يحتاجها الخطاب المسجديّ في تلك الفترة، بحيث تكون من صميم محتواه وعلى صعيد أولوياته، وقد كنت دوما أركّز عليها في خطاباتي، وأوصي بها إخواني ممن يتصدّرون الخطاب المسجديّ في تلك الفترة.

أولا - أن يتضمّن الخطاب المسجديّ الدّعوة لتمسّك برباط الدّين بوسطيته واعتداله وسماحته، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾¹. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾².

وبما أنّنا أبناء منطقة واحدة فنحافظ على المرجعيّة الدّينيّة المعتمدة من طرف الدّولة والمجتمع، والتي تحتوينا بردائها، وتجمعنا جميعا بعباءتها كأبناء منطقة واحدة ووطن واحد حتّى لا يكون تعدّد المشارب - دينيّا أو سياسيّاً - سببا في فرقنا وتأجيج جذوة الخلاف المذموم بيننا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾³.

فهذا المتطلّب من أهمّ المتطلّبات التي تكون على رأس أولويّات الخطاب المسجديّ إذ ينطوي تحته كلّ لون، وكلّ لسان وكلّ جنس وكلّ عرق وهو بمثابة الدّافع والمحصّن لجميع

1 - سورة آل عمران: 103.

2 - سورة البقرة: 143.

3 - سورة الحجرات: 10.

الروابط الأخرى؛ حيث أنه يدعو إلى اجتماع أصناف الناس، ويرغب في تعايشهم وتعاونهم، ويجعل لهذا الترابط آداباً وحقوقاً وواجبات تحافظ على استمراره وامتانته.

والذي ينظر لنظام العبادات في ديننا - ومنها الصلاة التي تؤدّها مجتمعين في المسجد - يراها ترمي إلى الوحدة، واجتماع الكلمة، والحرية والتحرر، والاعتدال والتوازن، والانضباط والنظام في السلوك والأخلاق، وحسن المعاملة، ولهذا كان لنظام العبادات أهمية كبرى في تنظيم سلوكيات الفرد، والمحافظة على كيان المجتمع، وكلما نقصت العبادات في المجتمع أو أفرغت من روحها ومحتواها لتصبح طقوساً باردة لا حرارة فيها ضُعفت إثرها الأخلاق، واندثرت معالم الأخوة، وكان الخلل في المجتمع، وظهرت مؤشرات الفقرة والفساد.

ولهذا كانت الحاجة ماسة لغرس المفاهيم الصحيحة والروح اليقظة الحية بعيداً عن كلّ تحريف أو تأويل خاطئ أو انتحال مغرض يسئ للدين، بل الذي يجدر بنا هو بثّ الروح السامية التي تجعل الإنسان إيجابياً في عقيدته، وفي سلوكه، وفي سائر شؤونه، يتفجّر كيانه رحمة ووداً ومحبةً لتخطى أيّ تشنّت كائن أو محتمل، وتتجنب أيّ خلاف أو صراع قد يهوي بنا إلى الهاوية، فلو تكاثفت الفرص، وتكاثفت الجهود، وتوحّدت العزائم لإنشاء روح الدين السّميحة - وذلك بتحمل كلّ إنسان مسؤوليته وعلى أوسع نطاق - لكانت قادرة على ربط المجتمع ربطاً حقيقياً من شأنه أن يدفعه دفعاً إيجابياً قُدوماً إلى الأمام، فيسعد بذلك الفرد والمجتمع والإنسانية على حد سواء.

ثانياً - أن يتضمّن الخطاب المسجديّ الدّعوة لتَمسك بالوطنية بمفهومها الصّحيح بعيداً عن التّشويه أو الانتحال، وغرس روح المواطنة الصّادقة والصّالحة، فحبّ الأوطان من صلب أساسيات الدّين، والخطاب المسجديّ حرّيّ به أن يكون أولى المنابر بها، وقد بلغنا عن نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام أنّه قال: «وَاللّٰهُ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللّٰهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللّٰهِ إِلَى اللّٰهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»¹. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدَةٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ،

1 - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُسَتي (المتوفى: 354هـ): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الحج، باب فضل مكة، ذكر البيان بأن مكة خير أرض الله، وأحبها إلى الله، رقم الحديث: 3708، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 - 1993، 22/9.

مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»¹.

فالروح الوطنية من أهمّ الدوافع التي تدفع الإنسان إلى استشعار قيمة وطنه ومسقط رأسه الذي تربى وترعرع ونشأ فيه، لذا يعرف حقيقته وينزله منزلته اللائقة، ولا يبخل عليه بجهده، ورحم الله العلامة ابن باديس حين طرح يوما سؤالاً، فقال: "لمن أعيش أنا؟ وأجاب عنه بقوله: أعيش للإسلام والجزائر"².

ولهذا تعتبر الوطنية من أهمّ الروابط التي تربط جميع أفراد مجتمعنا، فهي تمثل أصلاً من الأصول المتعارف عليها والمسلّم بها والتي تهون دونها المصالح الشخصية، وغياب الوعي الصحيح أو ضعفه يجعل من الوطنية شعاراً فارغ المحتوى، ولعلّ التصرفات العرجاء والممارسات المنحرفة تجعل البعض لا يميّز بين الدولة والسلطة، ولا بين الأشخاص والوطن، ولا بين المواطنة والمواطن، حتّى ساد أنّ المواطن يُدمّر ويُفسد ممتلكات الوطن باسم عقلية البايك التي ورثناها من أيام الاستعمار، أو ربّما يظنّ أنّ تلك الممتلكات والمؤسسات والمكتسبات كأنّها لسلطة القائمة أو لأفرادها، ويغفل أنّها لدولة فيزول الأشخاص وتبقى الدولة، وقد يستحي ويخجل بل قد يشمئز عندما يتذكّر القضايا الوطنية والمحافضة عليها، وما هذا التّصوّر إلّا صورة مشوّهة من تصوّرات تحمل خلفيات أو حسابات أو وعي ناقص لم يكتمل بعد حتّى ضاق بها الأفق فلبسها البعض وتغّى بها البعض الآخر، وتسوّت تحتها البعض، وتخلّى عنها البعض وكأنّها لا تعنيهم، أو ليس لهم، أو أنّهم ليسوا من أهلها حتّى ارتسمت الوطنية لأصناف من النّاس دون سواهم.

فالروح الوطنيّة لا ريب أنّها موجودة وبقوّة في أبناء ولا يتنا الوادي، لكنّها تحتاج إلى تجلية وتحريك وتوعية للمواطن بما له وما عليه ليميّز بين ما يجب أن يكون وما هو كائن، وبين التصرفات العشوائيّة التي تُبغض المواطن في موطنه ووطنه؛ فالوطن ينتظر البذل والعطاء... ونحن بحاجة إلى إعادة النّظر في بعض مفاهيمنا وتصورتنا لمعنى المواطنة والوطنية لغرس المفهوم الصحيح لهما من خلال المراحل القادمة ليزداد المجتمع ترابطاً ويؤدي دوره في عجلة الحياة باختلاف أشكالها ومستلزماتها؛ فحبّ الوطن ليس شعاراً يردّد

1 - ابن حبان: الصحيح، كتاب الحج، باب فضل مكة، ذكر البيان بأن مكة كانت أحب الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3709، 23/9.

2 - عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ): آثار ابن باديس، المحقق: عمار طالبي، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة: الأولى (عام 1388 هـ - 1968 ميلادية)، 234/3.

بل سلوكيات وأعمال يجسدها الفعل... وإنّ الوطنية لا تنهض في النفوس بذكرى بعض الوقائع الباردة أو المناسبات العابرة أو الفخر بالآباء... - رغم أهميّة كل ذلك - ولكنها تنهض بالتّخطيط المحكم والبرامج المفيدة والجادة التي تغذي المواطن عبر أطوار حياته، وكلّما ازداد الاعتناء بتاريخنا ازدادت الوطنيّة وضوحاً، وكلّما ازداد الاعتناء برجالنا ورموزنا ازدادت الوطنيّة تجليّة.

ولعلّ البعض يستغرب هذا أو لا يستوعبه، أو يراه ثقيل المآخذ، وإن كان كذلك فنحن بحاجة إليه وعلى جميع الأصعدة؛ فإذا كان الإنسان مغروساً فيه الغيرة على عرضه، فإننا نرى من الواجب الغيرة على الوطن، فهو بمثابة العرض وما قيمة العرض ولا وطن يحميه ولا يكفي في غرس الروح الوطنية إحياء بعض المناسبات بخطبة أكاديمية صاحبها فيها من الزّاهدين يرى أنّها حُتمٌ عليه الوقوف عندها، أو الارتياح من موضوع أعياء البحث عنه، وإن كان ذلك من طرق إحياء الرّوح الوطنيّة ولا نقلل منه شأنه؛ ولكن نريد أكثر من ذلك وهو إحياء الضّمير وإيقاظ النّفس ليُدرك المواطن موقعه في المجتمع وأهميّة جهده وإن قلّ ليستشعر قيمة وطنه ومكتسباته وقيمة الدّفاع عنها والمحافظة عليها، وما أجمل وأروع ما قاله العلّامة ابن باديس رحمه الله تعالى: "صارخين دائماً بشعارنا الرّسعيّ، وهو: "الحق فوق كلّ أحد، والوطن قبل كلّ شيء"¹.

ثالثاً - أن يتضمّن الخطاب المسجديّ الدّعوة لتّمسك بالروابط والصّلات التي تجمعنا جميعاً، وذلك لأهميّة تلك الروابط في جمع كلمتنا وصرّ صفنا، وبضعفها أو التّخلي عنها يكون الفُرقة والهلاك لا محالة، وقد ذكرنا القرآن بذلك حين حكى لنا عن أهل النّار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾. [البقرة: 166] أي ذهب الصّلات التي كانت تربطهم². جاء في الجلالين: "الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة"³.

ومن تلك الصّلات التي يجب التّمسك بها رباط العلاقات الاجتماعيّة؛ كالجوار والمصاهرة والأرحام... والمحافظة على الصّلات العائليّة والأسريّة التي عرّف بها سكان الوادي ومن القديم، بحيث كانت سرّ وحدتهم، ومركز قوتهم، وعنوان تعاونهم وتضامنهم

1 - المرجع السابق، 281/3.

2 - أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربيّة المعاصرة، 1835/3.

3 - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ): تفسير الجلالين، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، ص: 34.

وتكافلهم مع بعضهم البعض في عزّ الأزمات ومختلف المناسبات.

وقد كنّا يومها على مشارف القرن الواحد والعشرين - رغم الأزمة التي نمرّ بها - وكان يجدر بنا أن نعتني بروابط المجتمع وتقوية شوكتها، ونجعل ذلك من أهمّ أولوياتنا للاستعداد لمعركة المرحلة القادمة فيما بعد غياب سحاب الأزمة القائمة؛ لأنّه بقدر الأمن والاستقرار والتّماسك والاحترام يكون النّماء والازدهار، وقد علمتنا التجارب الإنسانيّة - قديماً وحديثاً - أنّ تفكّك الرّوابط لأيّ مجتمع يؤدي به حتماً إلى التّخلف والتّفرق والفتن.

فلو نظرنا إلى المجتمع لوجدناه حلقات مترابطة الواحدة تلي الأخرى؛ إمّا قرابة أو نسباً أو جواراً أو صداقة، ... كأنّنا عائلة وحدة، نمثّل جسداً واحداً وكياناً واحداً - كما أخبر النّبي عليه الصّلاة والسّلام - وهذه الحلقات مهمّة لترابط المجتمع وتقوية أوصاله وبث الإحساس بروح المسؤولية فيه ما يُولّد عنه الإحساس بالغير والاعتناء به، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾¹.

فنحن - بالأمس واليوم وغدا - بحاجة إلى تجسيد روح العلاقات بولائتنا الوادي، وتقوية شوكتها في إطار المعروف، فبلدنا بحاجة إلى ضمّ الجراح وجمع الشّمل، ونزع فتيل الأحقاد، وتجييف منابع العنف وسيلان الدّموع، وبتر شجون الأحران، وقطع عوامل الفرقة والتّآكل والتّصارع، وغرس روح التّكامل والتّضامن والتّعاون والإخاء، وتجاوز عقلية الضّدّ والعداء، وطيّ إفرازات المحنة والفتنة، وبث روح التّفاؤل والأمل والتّواصل والتّراحم والتّعاطف والتّلاحم، وقد كنّا نجسد هذا في بلدنا، والكبار منّا قد عاشوا هذا الكلام الذي نقوله ونكون بذلك خير خلف لخير سلف، وإنّها لمهمّة صعبة تُثقل كاهل الجبال الرّاسيات ولكن على قدر أهل العزم تكون العزائم، فالمجتمع المقطّع الأوصال لا يستطيع أن يقوم بدوره الكامل، ولهذا نحن بحاجة إلى تقوية ثقافة العلاقات لتجنّب التّفكّك الاجتماعيّ البغيض والمقيت الذي يُورثه الجفاء وثقافة العداء.

إنّه مع الأزمة والفتنة التي مرتّ بها بلدنا وعموم بلادنا والتي تسبّبت في بعض الأمراض الموجعة نرى أنّ المجتمع له من القابلية والاستعداد لتحمل وتقبّل ثقافة العلاقات؛ لأنّها من صميم فطرته، ومن خالص تربيّته ومن كينونة عاداته ما يعطيها بعدها الحقيقي لتقوى

1 - سورة الحجرات: 13.

بذلك الروابط المجتمعية، فيشدّ البنيان بعضه بعضاً، وتلك روح التعايش والتسامح والتعارف التي عبّر عنها القرآن الكريم، ونعالج على إثرها كلّ ما هو مؤدّي إلى التّباعّد والتّنافر، سواء على المستوى الأفكار والتّصورات أو على مستوى الأفعال والممارسات.

رابعا - أن يتضمّن الخطاب المسجديّ الدّعوة لتمسّك برباط الأمن الذي هو موطن الحماية للجميع في أرواحهم وممتلكاتهم وأسرههم وعائلاتهم وتحركاتهم وأعمالهم، بمعنى يحفظ استقرارهم ومصالحهم، فذلك نعمة كبرى لا يقدرها حقّ قدرها إلّا من فقدوها أو العارف بها، وصدق ربّ العالمين القائل في محكم تنزيله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾¹.

فبالأمن تُراعى المصالح المشتركة بين النّاس والتي يسعون لتحقيقها لكسب معاشهم وضمان أوقاتهم في أمن وطمأنينة من غير خوف ولا تهديد، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾².

فما أحوجنا إلى أن نفقه هذا الأمر ونفهمه لأبناء مجتمعنا جميعا، ونحن نعلم ما مسّ النّاس في أوقاتهم، وكيف ضيّقت الأزمة في معاشهم، وكيف نرى بعضنا يصطاد في ظلّ الأزمة، ويغتنم الفرصة ليكون الثّروة، ويكسب المال على حساب إخوانه من أبناء مجتمعه، متغافلا عن روح الأخوة وسنة التّسخير التي يتكامل بها النّاس، ويسخر بعضهم بعضا في ظل روح المسؤولية والعدل والأمانة، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَاسِمَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْطَانًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾³.

إنّ الإنسان خلق ضعيفاً وهو بذلك محتاج لغيره، ولذا كانت عملية التّسخير سنة إلهية لإدارة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع، فالإنسان له مع غيره مصالح مشتركة ولو نظرنا إلى مصالح الأفراد داخل المجتمع لوجدناها متداخلة ومتراصة وتكمل بعضها بعضا، وما يستطيع أحد أن يستغني عن غيره، بل محتاج إليه بالضرورة والكلّ يكمل غيره، وهو مخلوق وميسر لما خلق له.

وهكذا اقتضت سنة الحياة وعمارة الكون، ولولا ذلك لكان الاستحلاف في الأرض

1 - سورة العنكبوت: 67.

2 - سورة قريش: 3، 4.

3 - سورة الزخرف: 32.

صعب المنال، فالتاجر محتاج إلى الطبيب، وكلاهما محتاج إلى العامل والفلاح، وهكذا دواليك سلسلة متواصلة، ولهذا كانت المصالح المشتركة بين أفراد المجتمع تشكّل رباطاً وثيقاً لا يستغني عنه أحد، وإنّه لمن الخطأ أن يقاطع الفرد أخاه أو يعاديه أو يظنّ أنّه لا يحتاجه، وليتذكّر كلّ واحد منا وصيّة ذي الجلال والإكرام: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾¹.

وما أوجنا إلى إعادة بثّ ثقافة المصالح المشتركة، وبث الروح الحقيقية من وراء ذلك لنتجنب الأنانية القاتلة، والذاتية الماحقة، ونُلطّف من التّدافع نحو إثبات الذات التي تدفع الإنسان إلى أن يستعمل أخاه الإنسان ويحجر عن قدراته وطاقاته، بل ويضيق عليه في مصالحه وحاجاته - التي هي في خدمة المجتمع - وهو بحاجة إليها، فكم من جهود وقدرات وطاقات ومصالح للناس أهملت وهمشت وغيّبت في طيات الزمن بسبب أمراض المصلحية الذاتية.

إنّنا - ولا ريب - في عصر المصالح، ولغة التّعامل هي المصالح، ولكن نريدها مصالح مشتركة تخدم المجتمع ولا تستغل الضّعيف، فنحن نؤمن أنّ حرية الفرد تنتهي عند حرية غيره، وأنّ كرامة الإنسان والدّود عنها فوق كلّ اعتبار، وأنّ أيّ تكشير من أجل المصالح الذاتية الشّخصيّة وغلق العين في توسيع النّظرة الموضوعيّة والإنسانيّة تجعل الإنسان جشعاً لا يحترم مصالح غيره إلّا بقدر ما فيها مصلحته، وذلك من أخطر الأمراض على البنية الاجتماعيّة، بحيث تجعل المجتمع مجتمعاً متباغضاً متنافراً لا مجال للضعيف فيه.

إنّ إعادة النّظر في تشكيل البنية التّنظيميّة للمجتمع وفق الأخلاق السّليمة والمفاهيم الصّحيحة أمر تحتّمه ضرورات الشّرع وحاجيات الواقع حتّى تتقوى روابط المجتمع وتتقوى بذلك الروح الحقيقيّة المقصودة من وراء المصالح المشتركة وتسخير الإنسان في خدمة الإنسان لندعم بعضنا، ونستفيد من طاقاتنا، فنسعد أنفسنا، وننفع غيرنا، ونهض ببلدتنا، ونُسهم في تنمية وطننا، ونشارك في عزّ أمتنا.

تلکم هي أهمّ المتطلّبات التي اقتضتها الفترة الممتدّة بين (1989م - 1999م)، ولعلّنا ما زلنا بحاجة إليها وإلى اليوم، وقد كان حتماً على الخطاب المسجديّ أن يتبنّاها ويركز

عليها ويجعلها من أولى أولوياته، وهي كفيلة بأن تكون وعاء لكل أنواع الخطاب المسجدي، كما يمكنها أن تستوعب جميع المجالات التي يطرقها الخطاب المسجدي، ولعل المتتبع لما ذكرنا قبل ذلك في أثناء الحديث عن الواقع الذي عايشه الخطاب المسجدي في تلك الفترة سيجد كل التوصيات والتوجيهات من جهة الوصاية أو من القائمين على الخطاب المسجدي تهدف لهذه المحاور التي ذكرتها.

وقبل ختام هذا العنصر، وبعد بيان المتطلبات التي يتطلّبها فحوى ومضمون الخطاب المسجدي في الفترة بين (1989م - 1999م) فإنّه حتّى تنجح مهمّة الخطاب كان لزاماً أن ينضبط الخطاب بشيء مهمّ، بل وفي غاية الأهميّة: وهو عدم تحزيب المؤسسة المسجديّة - وكذلك جميع مؤسسات الدّولة - فللمجتمع منابر الحزبيّة الخاصّة بعد الولوج في التعدديّة ووضع قانونها الذي ينظمها بعد تعديل الدّستور، وهذا ما يسمّى بالمفهوم المتداول بالسياسة، والذي أدّى بالبعض إلى سوء الفهم في التّفريق بين حقيقة السياسة والتّحزب، حيث نجدهم أخلطوا بينهما، ولم يقدروا على التّفريق بين السياسة المتعلّقة بمصالح المجتمع والدّولة الدّاعية لإيجاد الرّوح المسؤولّة والدّور البناء، وبين الحزبيّة التي تتبلور فكرتها وفق تصوراتها ونظرتها وفي حدود هيكلتها والدّعاية لأفرادها وبرامجها وتوجّهاتها.

ولذا تبّى بعض رواد الخطاب المسجديّ سياسة الهروب من الواقع نظراً لخطورة الموقف ومخافة الانزلاق فيه، والبعض الآخر أساء الاستعمال لهذه المهمّة النبيلة واستعمالها في الحدود الضيّقة، والبعض عرف قدر نفسه وفهم معنى الدّعاية الحزبيّة والسياسة المقتضية لها، واستوعب تحقيق المصالح والمنطويّة ضمن السياسة الشرعيّة الهادفة لجلب المصالح ودرء المفاسد، والتي تقود المجتمع وتوجّهه نحو الأفضل لتحقيق مصالحه والاهتمام بشؤونه.. ومن هذا سوف ننقل للعنصر الموالي الذي نتحدث فيه عن أنواع الخطاب المسجديّ في تلك الفترة الممتدة بين (1989م - 1999م)

8. أنواع الخطاب المسجديّ بالوادي في الفترة بين (1989م - 1999م)

في الفترة التي تلت أحداث أكتوبر 1988م والتي عايشنا الانفتاح السياسيّ وبداية التعدديّة الحزبيّة، وخاصّة في الفترة الممتدة بين (1989م - 1999م) كان الخطاب المسجديّ بمنطقة الوادي جدّ صعب للغاية، حيث تتعاوره ثلاث رقابات:

أولها - رقابة الله التي تشعر صاحب الخطاب دوما بضرورة التبليغ، وتأمره بأداء الواجب نحو مجتمعه انطلاقا من الأمانة التي قيّظه الله لحملها.

وثانيها - رقابة القانون (الدولة) التي تضبطه بالقانون المسبّر لمؤسسة المسجد، وأنّ المسجد يجب أن يكون في خدمة الدولة والمجتمع، ومع استفحال الأزمة لا ريب أن الخطاب يَنَاطُ به المشاركة الفعّالة في معالجتها وفق الرؤية المتبناة.

وثالثها - رقابة النَّاس (المجتمع)، وهي رقابة لا تقلّ في الأهميّة عن سابقتها، فالمجتمع مع اختلاف توجهاته دوما يتطلّب خطابا يناسبه وفق ما يراه ويميل إليه - ولا نزال نلمس آثار ذلك إلى اليوم - وهذا ما جعل بعض المساجد يصعب فيها الخطاب المسجدي لاختلاف مشارب النَّاس، فكلّ يريد الخطاب الذي يراه، لهذا أصبح الخطاب المسجدي محل أخذ ورد، وقبول ورفض، وتجاذب وتدافع، ونقد وتقييم في أوساط النَّاس.

ومن خلال ما ذكرنا نستطيع أن نصنّف أنواع الخطاب المسجدي في تلك المرحلة الحرجة التي مرّت بها منطقتنا - الوادي - حتى دخلنا مرحلة أخرى بانتخاب عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للجمهورية سنة 1999م ودخول مرحلة المصالحة الوطنيّة وبداية انفراج الأزمة.

ولهذا سنذكر أهمّ أنواع الخطاب المسجدي التي كانت في تلك الفترة الحرجة التي مررنا بها.

النوع الأول - الخطاب المُسيّس

فالحاملون لهذا النوع من الخطاب اتخذوا من الخطاب المسجدي وسيلة لنشر دعوتهم وأفكارهم التي يحملونها ويرونها هي الصّواب، ولذا جعلوا من الخطاب المسجدي منبرا لتكلّم في أغراضهم الحزبيّة وتوجهاتهم السياسيّة والفكريّة، غير آبهين بجموع النَّاس ممن يتلقّى خطابهم ولا يتّبع توجهاتهم.

والغالب على هذا النوع من الخطاب أنّه يميل للتشدّد والغلوّ وتجريح الهيئات أو الأشخاص، ويتحامل على النظام القائم ورجالاته، وينتقد السياسات المنتهجة للسلطة بشدّة، كما أنّه لا يبالي بسامعيه ممن يخالفونه في التّوجّه والرّؤية ولا يراعي مشاربيهم، وأيضا أنّ هذا النوع من الخطاب يضيق بالمخالف ولا يؤمن به، بل في بعض الأحيان يشنّع ويتهم عليه، ناهيك أن يقرّ بتعدد الصّواب أو احترام المخالف؛ لأنّه ببساطة يستصغر

غيره ويرى الحق فيما يراه.

ومن سميات هذا الخطاب كذلك أنّه يغلب عليه السّطحية في الطّرح وعدم الموضوعيّة في العرض، وقد كان له نصيب في دفع عجلة التحريض والعنف والتّطرف، كما يتعرّض هذا النّوع الخطاب لنفرة غالبية النّاس منه، حيث غطّى برفع صوته على الكثير من الحقائق في تلك الفترة رغم قلّة حامله من جهة الخطاب، ولكنّه كان له بعض الأتباع والمتأثرين به من عوام النّاس.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذا النّوع من الخطاب - في فترة من الفترات - ظلّ أصحابه أنّهم هم من يتحكّم في زمام منبر المؤسّسة المسجديّة، واعتقدوا من خلال تغيب أو ضعف دور الجهات الوصيّة أنّهم هم من يقوم بتوجيه سياسة هذه المؤسّسة ولا حاجة لمن يوجّههم خارج إطار أفكارهم وقناعاتهم، كما استغلّوا حلم السّلطة وتوجّهها نحو مشكلات الأزمة، فأروا كأنّه لا وصاية ولا دولة ولا سلطة فاستمروا في هذا النّوع من الخطاب.

كما أنّ هذا النّوع من الخطاب في فترات وجد حاله وجها لوجه مع المجتمع، وفي بعضها الآخر وجها لوجه مع الدّولة، ما جعل حامله يزيدون في الحدّة، ويتهمون النّاس في توجيهاتهم أو في معتقداتهم، ويرمون السّلطة القائمة بأنواع من التّوصيفات التي تجعلها محلاً لكره النّاس ونفورهم منها وزعزعة الثّقة فيها... حتّى وقع في بعض المناطق إزاحة بعض الأئمّة ليتولّى أصحاب هذا النّوع من الخطاب زمام الأمر ويكونوا في أماكنهم ما أدّى لمشادات بين أبناء المسجد الواحد والحيّ الواحد، وفي بعضها كادت أن تُزعزع هيبة الخطاب المسجديّ، وقد لحق بهذا الصنف من النّاس بعد ذلك المتابعات الأمنيّة والإجراءات القانونيّة المختلفة.

النّوع الثّاني - الخطاب المُهرّب

هذا النّوع من الخطاب أثر سياسة الهروب من الواقع باسم الواقع، وسبب ذلك التّخوف من الواقع وما يحمله من شحنات مكهربة تحتاج للحكمة في التّعامل معها حتى لا تحدث صدمات تكون نتائجها سيئة وغير محمودّة العواقب، كما أنّه وقع عند أصحابه لبس بين التّصوّر الحقيقيّ للسياسة - الذي ذكرناه آنفاً - وبين الأغراض الحزبية الضّيقة التي لا يُرغب فيها بأنّ تكون ضمن منظومة الخطاب المسجديّ المقبول عند الجهات الوصيّة ولا المرحب بها عند عامّة النّاس في تلك الفترة.

فهذا الشّيء جعلهم يهربون من معالجة الواقع باسم الواقع، وخاصّة عندما وجّهت

أصابع الاتهام لبعض القائمين بهذه المهمة الذين لم يحسنوا استعمالها، ولم يوفقوا في توظيفها التوظيف المقبول، فأوجسوا من ذلك خيفة إلى خيفتهم، وتزامن معه ضعف الفقه بالواقع فضّلوا سياسة الهروب، بحيث لم يعد للواقع مكان في خطابهم المسجدي، وعزفوا عن أداء الواجب المقتضي المساهمة في معالجة الأزمة - وإن لم يسهموا في تأزيمها ولم يكونوا طرفا فيها - وبهذا الموقف أصبحوا في الموقع المحتشم حيث تغلبت عليهم سياسة التعميم في التناول والسطحية في الطرح والتسليم بالواقع.

وأصحاب هذا النوع من الخطاب لو اجتهدوا قليلا، ولو بذلوا جهدا متواضعا لكان بإمكانهم أن يقدموا خطابا فعّالاً يُسهم في معالجة الأزمة عندنا ولكّتهم أثروا غير ذلك، فكان يغلب على خطابهم المواعظ في التزكية أو الحديث عن الجنة والنار وما يتعلّق بهما، والتركيز المتكّز عن جملة من الأخلاق في غالب خطابهم، وهذا دأبهم طوال العام، رغم أهميّة كلّ ذلك لا محالة ولكنّه غير كاف في تلك الفترة والمنطقة تعيش في أزمة متعدّدة الجوانب والأفق فيها غير واضح المعالم، والناس بحاجة لمن يتحدث بلسانهم الذي يعيشون فيه، ويأملون في علاجه أو على أقلّ تقدير ملامسته والإشارة إليه.

إنّ المطلوب من الخطاب المسجديّ في كلّ زمن أن يعايش الواقع وما فيه من مستجدات محليّة أو عالميّة ويحسن التّكيف معها، ومن غير التّقيّد بمرحلة من المراحل، فإذا رأى معروفا نوه به وشجّع عليه، وإذا رأى منكرا أو انحرافا أخذه من مأخذ اللّطف والرّحمة وقام بعلاجه، مثله كمثل الطّبيب الذي يفحص المريض ثمّ يصف له الدّواء مع يبعث الأمل في نفس المريض، وهكذا بحكمته وفطنته يجعل المجتمع يعيش زمانه وحاضره ويمدّد الرجاء والتّفاؤل لمستقبله.

وانّه لمن الغرابة أن تمرّ الأحداث، وتقع أحداث وكأنّ الخطاب المسجديّ لا صلة له بعالم النّاس، يلقي عليهم مجرد كلمات جوفاء فارغة المحتوى اقتنيت من كتاب ما، أو من هنا أو هناك، لا تحرك مشاعر، ولا توقظ ضمائر، ولا تلامس القلوب، ولا تدغدغ العواطف، ولا تدقّ قفل الجوارح، ولا تطرق باب الأرواح، يخرج منها السّامع ولم تضف له شيئا ولم يستفد منها شيئا، وربّما يقول الواحد لصاحبه ماذا قال آنفا؟

النوع الثالث - الخطاب المتواضع

هذا النوع من الخطاب متواضع العطاء، ولسان حاله يقول: "ليس في الإمكان أبدع

ممّا كان¹، أي لا يمكنه تقديم غير ذلك، بحيث لم يُقدّم شيئاً لمعالجة الأزمة القائمة يمكن أن يُعتدّ به سوى أنّه على ثغرة من ثغور المجتمع لا يُؤتى من قبلها – وإن كان أصحاب هذا النوع من الخطاب المسجديّ قلّة في مجموع المساجد لكنهم متواجدون وخاصّة في ضواحي الولاية وفي بعض قراها ومداشرها، وقد استمعت لبعضهم في بعض الخطب والمناسبات فأحسست أنّهم في عالم آخر غير العالم الذي نعيش فيه ولا الأحداث التي نمرّ بها.

فهذا الصّنف قليل الباع، عطاؤه ضعيف، وجهده بارد، لا يعالج الواقع، ولا يحسن التّطرّق إليه، ولا يدرك كيفة التّعامل معه، يطرح الأمور بجفاف كبير، ما يجعل خطابهم في واد والمجتمع في واد غيره، أو كما يقال: خطابهم صحيحة في واد ونفخ في رمد، يميلون لتقليد بحيث لا يمكن لأحدهم أن ينسج خطبة من خياله ويخطّها بيده، فأغلب خطابهم مستعار من خطاب قيل في زمانه ولواقعه وأهله... ونستطيع أن نقول أنّ فهم بركة الصّالحين وغفلة المساكين، لم يبخلوا بما عندهم ولكنّ فاقد الشّيء لا يعطيه.

وللملاحظة أنّ النّاس في ولايتنا (الوادي) في تلك الفترة بالذات لم يعد عندهم القابليّة لهذا النوع من الخطاب، وإن قبلوه فعن مفضّ – وذلك لعدّة أسباب ومعطيات أشرنا لبعضها أنفا وبعضها لم نشر إليه - ناهيك أن يكون في المساجد الكبيرة والجامعة، أو في المناطق المؤهّلة بالسّكان؛ كعواصم البلديات والدوائر والأحياء الكبرى فيها، وخاصّة عندما يتزامن الأمر مع أحداث كبيرة وأزمة عظيمة كالتي نتحدّث عنها فإنّ واقع النّاس لم يعد يقبل بهذا النوع من الخطاب، ما جعل عددا من المساجد يلجأ معمرورها للمتطوّعين ممن يرون فيهم الأهلية لتولّي الخطاب مكان هؤلاء عند تقاعدهم أو عند عجزهم أو تخليهم عن المكان.

فلم يعد الظرف يستسيغ الأسلوب الخطابيّ القديم الذي كان عليه أرباب الفصاحة والبيان، فبعض الخطباء يأخذون خطب القدامى بكاملها كما دَوّنها، فيكثرون من السّجع والمجازات والاستعارات والمحسنات ويطرحون المعاني بطرح فات زمنه - فلم تعد تُفهم في عصرنا اليوم إلّا لمن حاز لغة أدبيّة عالية - قد لا يفقهها حتّى الخطيب الذي يلقيها ما ظنّك بمن يستمعها...

وعلى نفس الطريقة بعض الخطباء في محيطنا اليوم بحيث ينهجون نفس النّهج، وإن

1 - ينظر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 18/434.

كانت الخطب من تأليفهم، وكان الأجدر بهم أن يخطبوا الناس بما يعقلون ويتخيرون من الألفاظ ما يعرفون، فليس الغرض من الخطاب امتحان الخطيب، ولا معرفة بلاغته أو التفّرّس في إظهار عضلاته. وإنّما الغرض إيصال المفاهيم والمعاني للعقول والقلوب، وفي ذلك يسلك الخطيب كلّ طريق يقرب الخطاب من المتلقّي، ويجعله يحسن الاستماع لما يُلقى عليه.

ونختم هذا العنصر بأن نشير إلى أنّ بعض المساجد - في تلك الفترة التي نتحدث عنها (1989م - 1999م) - تقلّد مسؤوليتها من ليس لها بكفاءة، فمن هؤلاء صنف نستطيع أن نصنّفه من صنف الأُمّيين أو قريب من ذلك، ومنهم من قدّمته الجماعة في يوم ما لخصوصيّة ما كقيامه على شؤون المسجد، أو لا يوجد غيره، ومنهم من ورثها عن أهله؛ كأبيه أو عمّه أو أخيه، كما هو ملاحظ في بعض المساجد التي تداولت عليها عائلة أو عائلات بعينها، وأغلب هؤلاء يقدّمون خطابا متواضعا لا يرقى لتعامل مع الأحداث والوقائع التي مرّت بمنطقتنا ومعالجتها معالجة فعّالة.

النوع الرابع - الخطاب المعتدل

وأما النوع الرابع من الخطاب فهو الخطاب المعتدل الوسطي والفعال، وهذا هو نهج الإسلام كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾¹. فقد كان لهذا الخطاب دور كبير في التوعية وتوظيف تلك المتطلّبات - التي سبق ذكرها - حيث أوجد لنفسه موقعا مقبولا ومرحبا به في أوساط الناس، وكانت مضامينه وفحواه تجد لها الأذان الصّاغية والقلوب الواعية.

فأصحاب هذا النوع من الخطاب فهموا حقيقة موقعهم من المعادلة التي فرضتها الأزمة في تلك الفترة، حيث أصبحت واقعا لا بدّ من تفهمه والتعامل معه بما فيه الخير للبلاد والعباد، وبذلك لم يحزّبوا المؤسسة المسجديّة، ولم يسيّسوا (بالمفهوم الحزبي) الخطاب المسجديّ أو يحصروه في أطر ضيقة تخدم فئة أو جهة بعينها دون غيرها.

كما أنّ هذا النوع من الخطاب المسجديّ لم يغفل عن معالجة الواقع وما فيه من مشاكل مختلفة، ولذا لم يتهرب من المسؤوليّة المنوطة به، فعايش المجتمع في كلّ شيء يحدث فيه، وأدرك مواطن الألم، ومراكز الأمل وخبر مواقع القوة فيه، ومواقع الضعف،

ومواضع الصّحة ومكانن الدّاء، وعلى ذلك فقد طرح ما يريد طرحه بحنكة ورزانة، واحترام ولباقة من غير ازدراء للمتلقّين ولا فرض قناعاته عليهم بقوة صيت المنبر.

فأرباب هذا الخطاب المعتدل الوسطيّ تبنّوا منهج الموضوعية في الطّرح والحياد في العرض، فيتكلمون بمنطق المسؤولية والإحساس بالأمانة وأداء الواجب، ما جعلهم يوجّهون المجتمع نحو القيم والمبادئ والأخلاق التي تجمع ولا تفرّق، وتقوي ولا تضعف، داعين للوحدة والتّعاون والأخوة، ونبذ العنف والتّطرف من أيّ جهة كان، والتّخلي عن إقصاء المخالف والابتعاد عن التّهميش والتّطاول.

كما أنّهم ساهموا بخطابهم المعتدل في غرس المفاهيم الصحيحة المتعلّقة بالدين والدّولة والمجتمع والقضايا العامّة والمشاركة بين الجميع وللجميع، وإزالة الشّبهات التي أثارت زوبعة وأدّت لزعزعة العلاقات بين أبناء مجتمعنا كما أوهنت الثّقة بين المجتمع ومؤسسات دولته، فكان لهذا الخطاب المعتدل دور كبير في إحداث التّوازن وإرجاع الأمور لنصابها.. وهذا كسب هذا الخطاب احترام أطراف المجتمع؛ والعقلاء منهم بالخصوص رغم تعرّض بعض أصحابه لتّهديد أو التّشنيع والاتهام بالتّبديع والتنقيص وغيرهما.

وهذا النّوع الرابع من الخطاب المسجديّ نختم بحثنا.

9. الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نعطي أوّلاً ملخصاً يُجمل أهمّ ما جاء فيه، حيث عالج البحث واقع ومتطلّبات الخطاب المسجديّ بالوادي بعد أحداث 5 أكتوبر 1988م، وبالذّات في الفترة (1989م - 1999م)، وقد تحدّثنا فيه عن مفهوم الخطاب، والمراد بالخطاب المسجديّ، ثمّ تطرّقنا لوقائع أحداث أكتوبر، والأحداث والتّغيّرات التي نتجت عنها بعد ذلك، وتكلّمنا مع ذلك عن الواقع المحيط بالخطاب المسجديّ في الوادي بين (1989م - 1999م) وبيننا متطلّبات الخطاب المسجديّ في هذه الفترة، وختمنا بأنواع الخطاب المسجديّ الذي كان موجوداً حينها.

وثانياً نسجّل ما يمكن تسجيله من النّتائج، والتي منها:

- للخطاب المسجديّ أهمّية بالغة داخل المجتمع، بحيث لا يمكن أن نستغني عنه في مرحلة من المراحل، نظراً لما يلعبه المسجد من دور بارز في معالجة القضايا الواقعة، وتوجيه المجتمع نحو الصّالح من الأعمال من خلال القداسة الدّينيّة التي يحظى بها

الخطاب المسجديّ عن غيره من أنواع الخطابات الأخرى.

- أنّ الخطاب المسجديّ بالوادي كان مختلفا في تلك الفترة الممتدة بين (1989م - 1999م) عن الفترات التي سبقتها، والسبب الرئيس في ذلك هو أحداث الخامس من أكتوبر 1988م وما نتج عنها من تغييرات وأحداث كان لها كبير الأثر على واقع الخطاب المسجديّ.

- كما أنّ هناك جملة من الحقائق المتعلقة بحال المنطقة والتغيرات الحاصلة فيها قبل أحداث الخامس من أكتوبر 1988م جعلت من الخطاب المسجديّ يتأثر بذلك الواقع ما جعله يدخل في خضم معترك الأزمة ليُسهم في معالجتها من خلال النظرة التي يراها حامل الخطاب، ولذلك تنوع الخطاب لاختلاف الرّؤى.

- استلزم على الخطاب المسجديّ في الفترة الممتدة بين (1989م - 1999م) الأخذ بجملة من المتطلّبات لتكون من أولوياته في كلّ خطاب نظرا لصعوبة الفترة وما فيها من أزمة وأحداث متغيرة ومتسارعة أثّرت على جوانب مختلفة، منها الجوانب الأمنيّة والمعيشيّة والترابط المجتمعيّ وغيرها.

- ما تزال الاستفادة قائمة من دروس وعبر تلك المرحلة وإلى اليوم، فالأحداث والمتغيرات تُعتبر من الرّصيد المعرفيّ التجريبيّ الذي يُسهم في بناء غد أفضل، كيف لا وفيه من التّجارب والخبرات ما هو كاف ليكون درسا وعبرة يستفاد منهما في الحاضر والمستقبل.

10. قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- بشير بن اعراب، وفاروق قارة، أحداث 05 أكتوبر 1988م في الجزائر "قراءة في الأسباب والنتائج" إشراف محمد السعيد قاصري، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، السنة الجامعية: 2016/2017.
- طه عبد الرحمان، اللّسان والميزان، طبعة المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، 1998م.
- زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السّنيكي (المتوفى: 926هـ): الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ.
- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم

المنافى القاهري (المتوفى: 1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، الناشر: عالم الكتب 38
عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، 1410هـ-1990م.

- عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ): آثار ابن باديس، المحقق: عمار طالي، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة: الأولى (عام 1388 هـ - 1968 ميلادية).
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ): التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ-1983م.
- العمري مرزوق، "راهن الخطاب المسجدي والمرجعية الدينية الوطنية"، رسالة المسجد، السنة السادسة، العدد 01، محرم 1429هـ، جانفي 2008م.
- محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1996م.
- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
- محمد منير حاجب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2004.
- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 - 1993.
- الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB_5_%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%B1_1988

القصور في الخطاب المسجدي المعاصر

وسبل النهوض به

أ.د/ يوسف عبد اللاوي

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

abdallaoui-youcef@univ-eloued.dz



مقدمة

رسالة الإسلام هي الرسالة الخالدة والدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى أن يكون خاتمة الرسالات، فهو النور المبين، والسراج المنير، والمنقذ من الضلال، فلا تستقيم حياة البشرية إلا به، ولا تسعد في الحياة الأبدية بعيدا عن هديه، قال الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 52، 53].

هذه الرسالة العظيمة لا بد لها من رجال، يحملون همها، ويبلغون هديها، وينشرون قيمها، ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

والمسجد هو أقدس البقاع التي يبلغ فيها خطاب هذا الدين وهديه لمعتنقيه، فرغم تنوع وسائل الخطاب وأدواته، إلا أن المسجد هو الجامع لكامل أطياف المجتمع العمرية والفكرية، وفيه دون غيره تقام الصلاة الجامعة الواجبة مع خطبتها وهي صلاة الجمعة والتي يصغي لخطبتها ملايين الناس في كل أصقاع الأرض حيث وجد الموحدون.

وبوجود عشرات الآلاف من المساجد على وجه الأرض توجد منابر الجمعة وكراسي التدريس وحلق العلم في المساجد، وهو ما يشكل بجموعه "الخطاب المسجدي" الذي لا يوازيه خطاب من حيث الكثافة والانتشار والوصول إلى سائر شرائح المجتمع.

والخطاب المسجدي بمثابة المؤشر لقياس درجة صحة أي مجتمع من المجتمعات الإسلامية، ولقد كان هذا الخطاب في أوج تطور الحضارة الإسلامية في أعلى درجات الرقي شكلا ومضمونا، وكانت المساجد هي من تقود قاطرة التغيير عندما كانت منابر الخطاب

المسجدي يمتطي صهوتها علماء ربانيون من طراز الفقهاء السبعة، والأئمة الأربعة، وكبار المحدثين، وجلة المصلحين.

وفي فترات أفلو الحضارة الإسلامية أو انخفاض منحياتها قزم دور المنبر، وحجم مستوى الخطاب طوعا أو كرها.

وأما الخطاب المسجدي في عصرنا ومجتمعنا رهين بيئة وظروف، فطبيعة الأنظمة السياسية المتعاقبة لها تأثير مباشر على نوعية ومستوى الخطاب، ثم ما يعيشه الإمام من ظروف نفسية ومادية.

ومن المؤشرات المهمة لتقييم الخطاب المسجدي ودوره المجتمعي، هو واقع المجتمع نفسه، لا ننفي درجة الوعي والصحة الإسلامية والتي كان للخطاب المسجدي فيها نصيب، ولكن في مقابل ذلك منحى الفساد المجتمعي الذي يتزايد يوميا يؤكد على أن الخطاب المسجدي لا يؤدي دوره كما ينبغي.

وبالنظر إلى كون غالب الخطباء عندنا هم ممن تلقوا تكوينهم الديني في معاهد التكوين التابعة للوزارة، وقلة منهم من حملة شهادات الجامعية في العلوم الإسلامية.

والإطار الديني المتكون في المعاهد المتخصصة التابعة للوزارة، يعاني من مشكل المستوى التعليمي مما نتج عنه ضعف في استيعاب المقررات، ونقص في امتلاك المهارات.

والإطارات الجامعية على قلتهم في خارطة الخطاب المسجدي الرسمي، وإن كانت درجة استيعابها المعرفي أكبر وأعمق، فالمشكلة أن غالبيتهم لا يحفظون القرآن، وكذا لا يمتلكون التدريب الكافي، والمهارات اللازمة لفنون الدعوة والخطابة.

وانطلاقا من كل ما ذكرنا آنفا فمن الطبيعي أن يكون من نتائجها المباشرة والملموسة ضعف الخطاب المسجدي، خطيبا وخطابا.

هذه الورقة البحثية جاءت ترصد أوجه القصور في هذا الخطاب وسبل النهوض به.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوجه القصور في الخطيب

المطلب الثاني: أوجه القصور في الخطاب المسجدي

المطلب الثالث: سبل النهوض بالخطاب المسجدي

المطلب الأول: أوجه القصور في الخطيب

كثير من الخطباء عندنا هم ممن تلقوا تكوينهم الديني في معاهد التكوين التابعة للوزارة، والقليل منهم من حملة شهادات جامعية في العلوم الإسلامية، وكثير من المساجد غير مؤطرة توظيفاً، مما جعل منابرها عرضة لعدم الاستقرار حيث يتداول عليها الكبير والصغير، والمتعلم ونصف المتعلم.

ويعرض الأستاذ بشير بلحماري هذه الحالة بتفصيل دقيق فيقول: (وأكبر مشكل موضوعي يواجهه هاته المعاهد، هو عدم وجود ضوابط وشروط علمية للالتحاق بها - من حيث المستوى التعليمي والتخصص العلمي - مما نتج عنه تفاوت درجة التكيف والاستيعاب لمحتوى البرامج المقترحة، ففي الوقت الذي يعاني فيه مثلاً الجامعيون مع القرآن الكريم، تجد القادمين من الزوايا لا يعانون هذا المشكل رغم ضعف المستوى التعليمي، بل لهم معاناة خاصة مع إنجاز البحوث العلمية وطريقة عرضها، بينما يعاني الأئمة الذين لهم تخصص في العلوم الطبيعية والتقنية مع مواد علمية أخرى مثل علم التجويد والبلاغة والنحو، والتي في الحقيقة أمور أساسية لنجاح الأداء الخطابي، وإذا ربطنا كل هذه النقائص مع قصر مدة التكوين، التي لا تتجاوز الثلاثة سنوات، وكثافة البرامج، نجد أنه من الصعب تقبل هذا الأمر علمياً وعملياً، لأن الإمام الذي يعاني مثلاً مع منهجية إنجاز البحوث العلمية لا يجد الوقت الكافي لمعالجة نقائصه، خاصة في ظل تراكم الدروس، ويستمر هذا النقص معه حتى في عمله، ليجد الحل في تكرار المواضيع القديمة ومن الكتب القديمة التي لا يستجيب لمشاكل وظروف الحياة الاجتماعية الجديدة)⁽¹⁾.

وانطلاقاً من هذا الواقع فمن الطبيعي أن يكون من نتائجه المباشرة والملموسة ضعف الخطاب المسجدي، خطيباً وخطاباً.

ومن أبرز مظاهر القصور في الخطيب ما يأتي:

1. محدودية الشعور بالمسؤولية

من مقررات ديننا أن من باشر عملاً، مختاراً غير مكره، فلا بد أن يوفيه حقه، ويلتزم

(1) الإمام في الجزائر بين التكوين والممارسة الاجتماعية، أ. بشير بلحماري جامعة الأغواط، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، سبتمبر 2013 / ص: 381.

بشرطه، انطلاقاً من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽¹⁾، ومن قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ﴾⁽²⁾.

(والمجتمع بأسره وأجهزته ومؤسساته كافة في حاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعياً، فارتفاع درجة إحساس والتزام أفراد المجتمع بالمسؤولية الاجتماعية تعد المعيار الذي نحكم بموجبه على تطور ذلك المجتمع ونموه. وتنمية الشعور بالمسؤولية في نفوس أبناء المجتمع ضرورة مؤكدة)⁽³⁾.

وإذا كانت المسؤولية مطلوبة في كافة الواجبات الدنيوية، فهي أكد وجوباً وطلباً في المسؤوليات الدينية، خصوصاً ما كان منها متعدياً إلى الغير، ومن ذلك واجب الدعوة والتبليغ، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾⁽⁴⁾.

ومن ذلك مسؤولية الخطاب المسجدي للمتصدين له، فمسؤوليته عظيمة لارتباطه بالمسجد الذي يجمع كل أفراد المجتمع وجوباً مرة واحدة على الأقل في الأسبوع في صلاة الجمعة المرتبطة ارتباطاً مباشراً بخطبة لها الأهمية والأثر والمكانة في نفوس الناس.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تصدى للخطابة والإفتاء من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يشعرون بثقل الأمانة وعظم المسؤولية، فلا يفتون بغير علم، ولا يتخلفون عن واجب التبليغ، ويخصصون غالب وقتهم لواجب بناء الإنسان بالتربية والتعليم والقودة.

لكن الأمر عندنا بخلاف ما كان عليه الأوائل، فغالب خطابائنا لا يمتلكون الشعور الكافي بالمسؤولية تجاه واجباتهم المسجدية، وأمانة الخطاب، إما بسبب ضعف الإيمان،

(1) المائدة: 01.

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان، برقم (5312، 5313، 5314)، تحقيق محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط: 1، 1990/1410، (334/4)، وأبو يعلى في مسنده برقم 4386 (349/7) تحقيق حسين بن سليم الأسد، ط: 1، 1992/1412، دار الثقافة العربية دمشق.. وقد ذكره الألباني في الصحيحة برقم 1113 (106/3) ط: 1995/1415، مكتبة معارف الرياض. وصحيح الجامع الصغير برقم 1880 (383/1). تحقيق زهير الشويش، ط: 3، 1988/1408 المكتب الإسلامي، بيروت.

(3) المسؤولية الاجتماعية ودورها في بناء واستقرار المجتمع، محمد سالم <https://sustainability-excellence.com>

(4) الأحزاب: 72.

أو غلبة الجهل، أو عدم الوعي بأهمية الخطاب المسجدي ودوره في النهوض بالفرد والمجتمع والأمة.

ومن مظاهر ضعف الشعور بالمسؤولية: كثرة الغياب عن أداء الواجب، عدم التحضير الجيد، عدم السعي للتطوير الذاتي، عدم الحرص على تحصيل صفات الفرد القدوة... الخ.

2. ضعف التكوين المعرفي

ونقصد بالتكوين المعرفي، ما يقوم على ثلاثة أنواع من التكوين على الأقل:

- التكوين الشرعي القائم على علوم أصول الدين والشريعة (عقيدة وشريعة وأخلاقا).
- والتكوين المعرفي الإنساني القائم أساسا على علم النفس وعلم الاجتماع البشري.
- والتكوين المهاري الاتصالي القائم على اكتساب مهارات التواصل مع الآخر بأسلوب مقنع ومؤثر.

وبالنظر إلى المهمة العظيمة المنوطة بالخطيب واعطا ومعلما ومفتيا ومصلحا والتي أسندها إليه المشرع الجزائري والذي استفادها بدوره مما قرر من أحكام وضوابط وشروط في الشريعة الإسلامية تتعلق بالمتصدي لمجال الخطاب الديني عموما والمسجدي خصوصا، والتي تنحصر في النقاط الآتية⁽¹⁾:

- تعليم القرآن الكريم.
- إعطاء دروس في مختلف العلوم الإسلامية.
- إلقاء دروس الوعظ والإرشاد قصد تبليغ أحكام الشريعة الإسلامية.
- المساهمة في الحفاظ على الوحدة الدينية للجماعة وتماسكها.
- القيام بالتكوين المستمر للأئمة والأعوان الدينين.
- المساهمة في ترقية الخطب المنبرية والدروس المسجدية.
- المساهمة في إعطاء الدروس الاستدراكية التي تنظمها المساجد لفائدة التلاميذ وللطلبة في مختلف مراحل التعليم.
- إعطاء الأميين والأميات دروسا في القراءة والكتابة والمساهمة في النشاط الثقافي

(1) (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية، مرسوم رقم 9-114 أفريل 1991، المتعلق بتحديد مهام الأئمة على اختلاف رتبهم، المادة من 5 إلى 28، الجريدة الرسمية، العدد 20، الصادرة في 01 ماي 1991).

المسجدي.

-تولي خطبة النكاح وترشيد الزواج والولائم.

-إصلاح ذات البين بين الأفراد.

-السهر على حرمة المسجد وآدابه ورعاية النشاط الاجتماعي.

فهذه المهام والصلاحيات المنوطة بالإمام والخطيب، يقابلها واقع ناطق يكشف عدم قدرة غالب المتصدين للخطاب المسجدي على الإيفاء بهذه الواجبات على أكمل وجه.

ويعود السبب الرئيس إلى ضعف التكوين رغم الجهود المبذولة في التأطير وتحسين المستوى.

وضعف التكوين ليس مرده بالضرورة عدم وجود مواد معرفية ضرورية، ولكن قصر مدة التكوين مع ضعف المستوى -عند الأغلبية- الذي يؤثر في مستوى الفهم والاستيعاب مع غياب مقياس المنهجية الذي يهتم بكيفية التعامل الأمثل مع المصادر وتوظيف المعلومة، وبناء الأفكار والموضوعات ذات الصلة بالحاجة الملحة والواقع الضاغط، هذا فضلا عن غياب عدد من مواد التكوين المتعلقة بفهم نفسية المخاطب وواقعه الاجتماعي.

يقول الباحث بشير بلحيمر: (وبنظرة متفحصة وممحصنة لبرامج التكوين في المعاهد الإسلامية أو الجامعات، نلاحظ عدم الاهتمام الكافي بمادة المنهجية وهذا الأمر يظهر تأثيره بشكل واضح على طريقة انتقاء الأئمة لمصادر

الخطاب وكيفية توظيفه، وعلى صياغة الشواهد والاستدلالات التي تستجيب لأهداف الرسالة الخطابية وتقرب الموضوع من اهتمامات المصلين، ومن أهم المؤشرات الدالة على هذا الضعف، هي تكرار المواضيع وطرح القضايا الدينية منفصلة عن بعضها البعض بطريقة يشعر معها المتلقي أن هناك تعارضا وتناقضا في النصوص، بالإضافة كذلك إلى غياب الاهتمام الفعلي بتكوين ثقافة قانونية تقرب المتكون من واقع مهنته وتزيل عنه الغموض الذي يميز علاقاته مع الهيئات الرسمية المسؤولة عنه، أو مع محيطه الاجتماعي، لأن هذا الأمر يمثل بالنسبة للإمام شكلاً مهماً من أشكال الحماية القانونية التي ينشدها ويتطلع إليها، أما أهمية المواد الاجتماعية (علم الاجتماع وعلم النفس) فتكمن في كونها تمنح الإمام المقدرة على فهم السلوك الإنساني وتحليل علاقاته الاجتماعية المختلفة في ضوء أحكام الشريعة، كما أنها تساعد على فهم الظواهر

المرضية في المجتمع ومعرفة أسبابها، لأن نصوص الشريعة بما تحتويه من حلول مباشرة لكل المشاكل الاجتماعية، قد لا يكون استعمالها وانتقاؤها مناسباً إن لم نفلح في تحديد مكان الخلل وأسباب حدوثه انطلاقاً من تحليل علمي وموضوعي للظواهر الاجتماعية، وهنا يأتي دور علم الاجتماع بما يمتلكه من أساليب ومناهج علمية تمكنه من فهم الواقع الاجتماعي وتفسيره⁽¹⁾.

3. محدودية المعرفة بفقه الواقع:

ونقص بفقه الواقع، فهم واستيعاب الوقائع والأحداث، ويرى العلامة القرضاوي رحمه الله: "أن فقه الواقع مبني على دراسة الواقع المعيش دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع، معتمدة على أصح المعلومات، وأدق البيانات والإحصاءات"⁽²⁾.

وفي تعريف أكثر استيعاباً يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: (فالنزول إلى الميدان وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعتهم وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تنزل عليهم في واقعهم، في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة، إنما هو فقه الواقع، وفهم الواقع، إلى جانب فقه النص)⁽³⁾.

إذا معرفة واقع المخاطبين واهتماماتهم، وما يقع في المجتمع وما يستجد من أحداث محلية ووطنية وعالمية، من أهم ما ينبغي أن يملكه الخطيب...

والقرآن الكريم نزل في غالب آياته وفق أسباب هي وقائع فردية وجماعية، وهذا ما جعله أبلغ تأثيراً في نفوس المخاطبين.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش واقعه، فتنوعت مواضعه لتعالج شتى احتياجات الفرد المسلم في عقيدته وعبادته وأخلاقه وفنون تعامله مع الآخرين مسلمين وغيرهم، وكانت سنته وسيرته العملية شاهدة على أهمية الدفع بالمسلم ليعيش وسط محيطه ويتفاعل معه، ويتعاطف مع إخوانه ويهتم بشؤونهم، فقال عليه الصلاة والسلام: (المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر

(1) الإمام في الجزائر بين التكوين والممارسة الاجتماعية، أ. بشير بلحماري جامعة الأغواط، مجلة الدراسات الإسلامية العدد الثالث سبتمبر 2013 / ص: 380-381.

(2) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة، ص: 30.

(3) "الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي" د. عبد المجيد السوسوة الشرفي - مقدمة الكتاب عمر عبيد حسنة - ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف القطرية، 1418 هـ، ص: 32.

على أذاهم⁽¹⁾.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)⁽²⁾.

وكثير من الخطباء يبدعون في تصوير حياة السلف وظروفهم الاجتماعية، ولكنهم مغيبون عن واقعهم، فتجد بعضهم يقضي الأسابيع الطوال في تقرير ما هو مقرر في مسائل العقائد وبأسلوب غير مفهوم لجمهور حسم معركة العقيدة منذ وعى الدنيا بتوحيد خالص لا تشوبه شائبة، ويترك الحديث عن هم أكل الحرام، وأكل أموال الناس بالباطل، واغتصاب الحقوق، ويغض الطرف عن الآفات الاجتماعية، ولا يفكر مجرد تفكير في الحديث عن الشأن السياسي.

والبعض الآخر لا حديث له إلا على الزهديات والروحانيات، في ظل فقر مدقع يضرب طبقات من المجتمع، وغنى طاغ استأثرت به القلة، وكأنني به يدعو أن تترك الدنيا والسعي فيها إلى غير عباد الله المتقين.

وينسب إلى الإمام العز بن عبد السلام قوله: (من نزل بقرية فشئ فيها الربا، فخطب عن الزنا، فقد خان الله ورسوله)، وسواء ثبتت نسبة القول له أم لم تثبت، فالمعنى صحيح.

ومن آثار عدم واقعية كثير من الخطباء، مزيد من انتشار الظلم المسكوت عنه، والآفات الاجتماعية التي لا يشار إليها إلا قليلا.

4. ضعف الاهتمام والتحضير والتخطيط: عدم إيلاء الخطبة الاهتمام الكافي، وعدم وضعها في سلم الأولويات يجعل صاحبها يؤجل التفكير فيها والتحضير لها إلى الساعات الأخيرة من الأسبوع صبيحة الجمعة، فلا يجد حلا إلا النسخ من المواقع غير مراعية للواقع، ولا ملتفت إلى هضم أفكار الخطبة وحفظ شواهدا وتنزيلها على أحوال مخاطبيه، فيكتفي من كل ذلك بالسرد الممل البارد الذي قد تترافق معه العثرات التعبيرية والأخطاء

(1) الترمذي أبواب: صفة القيامة والرقائق الورع، تحقيق أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م (2507/4) (662/4)، وابن ماجه، كتاب الفتن باب الصبر على البلاء، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - بيروت - (4032) (1338/2) وأحمد، دار الحديث القاهرة، تحقيق، أحمد شاكر، 1995/146. (5022) (486/4)

(2) رواه مسلم كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين. (2586) (199/4) دار إحياء التراث العربي بيروت

اللغوية، مع الطول الممل أو الاختصار المخل، مما ينفر السامعين ويدفعهم إلى الهروب إلى غيره، أو الالتحاق المتأخر بالخطبة وحرمانهم أجر التبكير.

5. ضعف القدوة لدى أرباب الخطاب المسجدي: ونقصد بالقدوة هنا، الالتزام بما يدعو إليه، والسبق إلى تطبيقه، والاتصاف بأعلى الكمالات الممكنة في محيطه سلوكاً وممارسة، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى في هذه الأمة (لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة) ⁽¹⁾، وكان يجسد أحكام القرآن وأخلاقه سئلت عائشة رضي الله عنه عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت (كان خلقه القرآن) ⁽²⁾.

والشيء نفسه بالنسبة للصحابة والتابعين والسلف الصالح ولسائر الأولياء الصالحين والعلماء العاملين والدعاة المصلحين في كل زمن وحين.

ومن أوجه هذا الضعف، عدم الالتزام بصلاة الجماعة، عدم الاهتمام بنوافل العبادات، العلاقات المشبوهة مع سيئ السيرة والسلوك في المجتمع، الوقوع في هيمنة الكبراء والأعيان، الغلظة والفظاظة في التعامل مع الناس، عدم الاهتمام بأهل بيته زوجة وأولاداً، التهاون في القيام بواجباته المسجدية (إمامة الصلوات، التعليم القرآني، الدروس المسجدية، إدارة عقود النكاح، الصلاة على الجنائز، إصلاح ذات البين.. الخ)

المطلب الثاني: أوجه القصور في الخطاب

ونقصد بالخطاب المسجدي: كل ما يقدمه المسجد وما يقام فيه من أعمال علمية، تتم صياغتها لغوياً من خلال درس وخطبة الجمعة، إلى الدروس المختلفة مما يهدف إلى إحداث نوع من التأثير في رواد المسجد، ويحدث نوعاً من التغيير في محيط المسجد باعتباره المؤسسة التي تنتج الخطاب ⁽³⁾.

وبما أن المسجد يؤمه الجميع، الصغير والكبير، الذكر والأنثى، الرئيس والمرؤوس، وتتنوع من خلال ذلك المستويات والقدرات والمدارك، بل يؤمه العالم والجاهل، والعاصي والطائع، فهذا يتطلب حسن اختيار الموضوعات المناسبة، والأساليب المؤثرة، وأنواع من

(1) الأحزاب: 21.

(2) رواه أحمد في المسند - طبعة شعيب الأرنؤوط - (25813)

(3) راهن الخطاب المسجدي، العمري مرزوق، نقلا الخطاب المسجدي وشروط كفاءته كما يدركها المتلقي - أطروحة دكتوراه جامعة باتنة 1 - (2017/2018)، الشريف مرزوق عن ص: 43.

الخطاب التي تراعي هذه الفوارق والمستويات.

ومع الواقع الذي وصفنا جزءا منه في المطلب السابق، فمن الطبيعي أن يظهر جليا ضعف واضح في الخطاب المسجدي، فالأمر يتناسب طردا مع ضعف صاحب الخطاب، فإذا لم تتوفر الشروط المطلوبة للخطيب الناجح فسينعكس ذلك على نوعية الخطاب بلا شك.

وقد رصدنا ثلاثة أنواع من القصور في الخطاب المسجدي:

أولا: القصور على مستوى لغة الخطاب

ثانيا: القصور في محتوى الخطاب

ثالثا: القصور على مستوى استراتيجية توجيه الخطاب

أولا: أوجه القصور على مستوى لغة الخطاب

ونقصد بلغة الخطاب، الأساليب التي تعين على إيصال الخطاب إلى الجماهير المستهدفة بكل وضوح وجاذبية مع مراعاة حال المخاطب وعقله، و"مهارة الاتصال هي قدرة المرسل على نقل المعلومة إلى المستقبل بأسلوب مؤثر"⁽¹⁾.

وهذا لا ينفك عنه من تكون في المعاهد أو الجامعات، فإذا كان المتكونون في المعاهد ينالون قسما من هذه المهارات دراسة وتطبيقا، لكن يعترضهم ضعف المستوى الذي لا يؤهلهم للنجاح المقبول في اكتساب المهارات المطلوبة في الغالب.

فالجامعيون من ذوي التخصصات الشرعية، ليس لهم حظ كاف في اكتساب هذه المهارات مهارات التواصل كمقاييس مقررة، ونقصد بذلك مقياس الدعوة والخطابة، عدا تخصص الدعوة والإعلام والدعوة والثقافة الإسلامية، وهم أيضا ينالونه نظريا دون ممارسة عملية. و(من خلال الاطلاع على المحتويات والبرامج العلمية التي يتكون عليها الإمام في الجامعة تبين لنا منذ البداية أنه يتلقى تعليما عاليا ومعلومات شرعية مكثفة، وفي تخصصات علمية دقيقة، فيتكون لديه رصيد معرفي معتبر، لكن بالمقابل لا يتم إعطاؤه الطرق والكيفيات التي تمكنه من توظيف هذه المعارف في إطار مهنته، كونه طيلة

(1) مقال مهارات نبوية في الاتصال، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي نقلا عن "التكوين الشرعي وأثره في العمل الدعوي - دراسة رابطة الشباب الدعاة الجزائر-" بحث دكتوراه كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر باتنة 1 ص: 109.

سنوات الدراسة الجامعية يجهل مصيره ومستقبله المهني، وبالتالي يغيب عنه الاستعداد الذهني والنفسي لممارسة مهنة معينة بذاتها، كما أن الاتجاه إلى التخصص الدقيق في الدراسة الجامعية ينتج أئمة لديهم العديد من الفجوات في تكوينهم، لأن الإمام في هذه الحالة يكون متمكناً من بعض المواد التي هي ضمن تخصصه، دون مواد أخرى تغيب عن تكوينه رغم أهميتها لمزاولة عمله، فالإمامة تتطلب في شاغلها الإمام والتعمق في جميع المعارف والعلوم الإسلامية، وبإسقاط أهم وظيفة يقوم بها الإمام وهي الخطابة والدعوة على المواد التي تكون عليها في الجامعة فإننا نلاحظ عدم وجود الاهتمام الكافي بمادتي الخطابة والدعوة في جميع التخصصات، إضافة كذلك إلى غياب المواد الاجتماعية رغم أهميتها⁽¹⁾.

ومن أهم الأساليب التي تعين على إيصال الخطاب إلى الجماهير المستهدفة: الوضوح، الجاذبية، الإيجاز والاقتصاد في الموعظة، أسلوب الحوار، أسلوب الدعابة. فمن أبرز أوجه القصور الناجمة عن عدم توفر هذه الأساليب أو ضعفها في الخطاب المسجدي ما يأتي:

1- اللغة الركيكة وكثرة الأخطاء: فاللحن يُفسد المعنى، ويقلب المقصود أحياناً، وإذا فسد المعنى أو التبس، ذهب رونق الخطاب وبهاؤه وحسن موقعه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن من البيان لسحرا أو إن بعض البيان لسحر)⁽²⁾.
وقد كان السلف والأئمة يعيرون اللحن من طالب العلم والخطيب والمتحدث. قال ابن شبرمة: «إن الرجل ليتكلم فيلحن فكأن عليه أسماً⁽³⁾»، إن أحببت أن يصغر في عينك الكبير، ويكبر في عينك الصغير فتعلم النحو⁽⁴⁾.

(1) الإمام في الجزائر بين التكوين والممارسة الاجتماعية، أ. بشير بلحماري جامعة الأغواط، مجلة الدراسات الإسلامية العدد الثالث سبتمبر 2013 / ص: 379.
(2) رواه البخاري في صحيحه: تح د. مصطفى ديب البغا، ط3، 1407-1987 دار ابن كثير، اليمامة - بيروت- كتاب (الطب) باب (إن من البيان سحرا) برقم (5434) (2176/5).
(3) جمع (سمل) الخلق من الثياب. انظر النهاية في غريب الحديث (403/2) مادة -سمل-.
(4) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، 1397 - 1977، ص: 219.

2- الرمزية والغموض في الخطاب: الذي يجعل العبارة تحتل أكثر من معنى، واجتناب الألفاظ المستغربة والسجع المبالغ فيه حتى لا ينطمس المعنى بالكلية. وقد بلغ من وضوح الخطاب النبوي في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم أنه اقتنع به القريب والبعيد ، ففي فتح مكة « قام أبو شاه - رجل من أهل اليمن - فقال: اكتبوا لي يا رسول الله ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " اكتبوا لأبي شاه »⁽¹⁾.

وجاء في مقدمة صحيح الإمام مسلم⁽²⁾ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » ومثله ما بؤب البخاري: «باب من خص بالعلم قوماً دون آخرين كراهية ألا يفهموا فيقعوا في شر منه»⁽³⁾.

3- السرعة في الكلام حتى لا يفهم، أو البطء الشديد حتى يملّ: فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسر دكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصلٍ، يحفظه من جلس إليه" ⁽⁴⁾.

4- عدم الاهتمام بتكرار ما ينبغي تكراره من مهم اللفظ والعبارة: فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه" ⁽⁵⁾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:- "ويلٌ للأعقاب من النار" مرتين أو ثلاثاً" ⁽⁶⁾.

5- عدم الاستعانة بوسائل المساعدة على الإيضاح: فهناك من الخطباء والوعاظ من يقف كالخشبة لا يتحرك، ولا يكاد يحرك جارحة من جوارحه وهو يخاطب الناس في منبره أو كرسي تدريسه، وهذا بخلاف أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم ومنهجه الدعوي.

(1) رواه البخاري في صحيحه تح كتاب (اللقطة) باب (باب كيف تعرف لقطة أهل مكة) (857/2) برقم 2302. ومسلم في صحيحه دار الجيل، دار الفاق الجديدة بيروت، كتاب (الحج) باب (باب تحريم مكة وصيدها وخلها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام) (110/4) برقم 3371.

(2) مقدمة صحيح مسلم باب النبي عن الحديث بكل ما سمع (19/1) برقم 14.

(3) صحيح البخاري (59/1) من كتاب العلم.

(4) رواه الترمذي في سننه تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت - أبواب (المناقب) باب (في كلام النبي صلى الله عليه وسلم) (600/5) برقم 3639.

(5) رواه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه) (48/1) برقم (95).

(6) رواه البخاري كتاب (العلم) باب (من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه) (48/1) برقم (96)، ومسلم في صحيحه كتاب (الطهارة) باب (وجوب غسل الرجلين بكمالهما) (147/1) برقم (589).

فلقد كان أحياناً يغيّر جلسته: كما في حديث أكبر الكبائر: "وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقولُ الزور، ألا وشهادةُ الزور".⁽¹⁾

أو يحرك يده وجسمه: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « بعثت أنا والساعة كهاتين ». قال وضم السبابة والوسطى.⁽²⁾

وقال عمار بن ربيعة: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - أي إذا كان على المنبر - ما يزيد على أن يقول بيده هكذا وأشار بإصبعه المسبحة⁽³⁾.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: "سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على المنبر يقول: "ياخذ الجبار سماواته وأرضه بيده - وقبض بيده، يقبضها ويسطها - ثم يقول: أنا الجبار! أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟"؛ قال: ويتمايل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن يمينه وعن يساره، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحركُ من أسفل شيء منه! حتى إني أقول: أساقطُ هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟"⁽⁴⁾.

كما كان من أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب:

- **طرح السؤال:** وذلك للفت الانتباه والتأثير على المخاطبين، ومن نماذج ذلك قوله: "أندرون ما الغيبة"⁽⁵⁾، "أندرون من المفلس"⁽⁶⁾، "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثلها مثل المسلم فأخبروني ما هي"⁽⁷⁾.

ولا شك أن السؤال مدعاة للتفكير وتنميته، ومدعاة للاشتياق لمعرفة الجواب مما

-
- (1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (عقوق الوالدين من الكبائر) (5/2229) برقم (5631).
- (2) البخاري في صحيحه كتاب (الرفاق) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة كهاتين) (5/2385) برقم (6138)، ومسلم في صحيحه -واللفظ له- كتاب (الفتن وأشراط الساعة) باب (قرب الساعة) (8/209) برقم (7597).
- (3) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (تخفيف الصلاة والخطبة) (13/3) برقم (2053).
- (4) رواه ابن ماجه في سننه كتاب (في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم) باب (فيما أنكرت الجهيمه) (1/71) برقم (198) صحيح ابن ماجه (1/164).
- (5) رواه مسلم في صحيحه كتاب (البر والصلة والآداب) باب (تحريم الغيبة) (8/21) برقم (6758).
- (6) رواه ابن حبان في صحيحه تح: شعيب الأرناؤوط ط2، 1414 - 1993، مؤسسة الرسالة - بيروت (16/359) برقم (7359).
- (7) رواه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم) (34/1) برقم (62)، ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (مثل المؤمن مثل النخلة) (8/137) برقم (7276).

يكون أرسخ في الدهن.

- وأحياناً يغير نبرات صوته: "كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم".⁽¹⁾

- وأحياناً يستخدم السكّنة الخفيفة قبل المعلومة المهمة: عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال: "خطبنا النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم النحر فقال: "أتدرون أي يوم هذا؟"، قلنا: الله ورسوله أعلم؛ فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال: "أليس يوم النحر؟"، قلنا: بلى، قال: "أي شهر هذا؟"، قلنا: الله ورسوله أعلم؛ فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه، قال: "أليس ذو الحجة؟"، قلنا: بلى، قال: "أي بلد هذا؟"، قلنا: الله ورسوله أعلم؛ فسكت حتى ظننا أنه سيسمّيه بغير اسمه قال: "أليست بالبلدة الحرام؟"، قلنا: بلى، قال: "فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم" "⁽²⁾.

6- طول المساحة الزمنية للخطاب: وهو مما ابتلي به كثير من الخطباء دون مراعاة حال المخاطبين، فإذا ترافق ذلك مع ضعف الخطيب وعدم امتلاكه وسائل الجذب، تحول إلى فتنة وصدّ عن سبيل الله - وإن لم يقصد- فإذا كانت الصلاة مع شرفها العظيم قياساً بالخطبة قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إطالتها فما بالكم بغيرها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يرجع فيؤم قومه، فصلّى العشاء فقرأ بالبقرة، فانصرف الرجل، فكأن معاذًا تناول منه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "فتان، فتان، فتان" (ثلاث مرار) أو قال: "فاتنًا، فاتنًا، فاتنًا" وأمره بسورتين من أواسط المَفْصَل "⁽³⁾.

فالمطلوب أن تكون الموعظة خطبة كانت أو درسا أن قصدا عدلا، فإن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً، وقد جاء في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مَنَنَةٌ"⁽⁴⁾ من فقهه... "⁽⁵⁾.

(1) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (تخفيف الصلاة والخطبة) (11/3) برقم (2042).

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الحج) باب (الخطبة أيام منى) (620/2) برقم (1654) ومسلم في صحيحه كتاب (القسماء) باب (تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال) (108/5) برقم (4478).

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الصلاة) باب (الأذان).

(4) المِنْنَةُ، العلامة. انظر مختار الصحاح ص: 642.

(5) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الجمعة) باب (تخفيف الصلاة والخطبة) (12/3) برقم (2046).

فالبعد عن الثثرة، وتجنب الحشو وتكرر الأفكار، وإطالة المقدمات والاسترسال في سرد الأدلة والتفاصيل المملة يفقد الموعظة كثيرًا من فوائدها، وإنما القصد القصد.

في «الصحيحين»: عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بُعِثْتُ بجوامع الكلم»⁽¹⁾.

قال الحافظ ابن حجر: (قال البخاري: بلغني أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت لمن قبله في أمر واحد أو أمرين، وقال غيره المراد الموجز من القول مع كثرة المعاني وجزم في "النهاية" بأن المراد القرآن)⁽²⁾.

خرج أبو يعلى الموصلي في مسنده من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إني أُوتِيتُ جَوَامِعَ الكلم وخواتمه واختصر لي الكلام اختصارًا»⁽³⁾.

وأثر عن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى قوله: [عَجِبْتُ لِمَنْ لَاحَنَ النَّاسَ كَيْفَ لَا يَعْرِفُ جَوَامِعَ الكَلَمِ] أي فاطنهم وجادلهم كيف لا يقتصرون على الوجيز ويتروك الفضول⁽⁴⁾.

7- عدم الاستعانة بلغة الحوار: فيستأثر بالكلام مهما طال الخطاب حتى يسود الملل والغفلة والتثاؤب، والاستعانة بأسلوب الحوار مطلوب، لتنبية الغافل وإيقاظ الوسنان⁽⁵⁾، وتفتيح الأذهان كمثله قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "أتدرون ما الإيمان بالله؟"⁽⁶⁾. وكقوله: "أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (بعثت بجوامع الكلم) (6/2654) برقم (6845) ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد) باب (من دون ترجمة) (2/64) برقم (1196).

(2) انظر فتح الباري (99/1).

(3) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، تح: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة/ دار الغيث - السعودية - 1419هـ، ط1، كتاب (المناقب) باب (سعة علم رسول الله صلى الله عليه وسلم) (15/634) برقم (3848).

(4) النهاية في غريب الحديث (1/811) (4/460).

(5) السِّنَةُ النَّعَاسُ من غير نوم ورجل وَسْنَانٌ وَنَعْسَانٌ بمعنى واحد والسِّنَةُ نَعَسٌ يبدأ في الرأس فإذا صار إلى القلب فهو نوم وفي الحديث وتَوَقَّظَ الْوَسْنَانُ أي النائم الذي ليس بمُسْتَعْرِقٍ في نومه والْوَسْنُ أول النوم. انظر لسان العرب (13/439).

(6) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (أداء الخمس من الإيمان) (1/29) برقم (53) ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه) (1/35) برقم (125).

قالوا لا يبقى من درنه شيء...⁽¹⁾ وقوله: "أتدرون من المفلس؟"⁽²⁾.

سأل أصحابه يوماً: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي". قال ابن عمر - راوي الحديث - فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: "هي النخلة"⁽³⁾.

على ألا يكون الحوار باباً لإخراج المتحدث عن موضوعه أو لكثرة المداخلات أو الإخلال بنظام المجلس أو الدرس.

8- غياب روح الدعاة: فالجدية في الكلام دون انبساط أحياناً، والشدة في الخطاب دون دعة، مما يجعل الخطاب أبعد عن التأثير، فمطلوب استدعاء روح الدعاة أحياناً وفي مواضعها لإذهاب الكآبة والسآمة وتنشيط الروح، وإراحة العقل من ضغط التركيز وتهينة النفوس للتقبل، وقد قال جرير بن عبد الله: "ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رأيي إلا تبسم"⁽⁴⁾، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحدثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره.

على ألا يستغرق هذا الأسلوب معظم فترات الخطاب، لأنه يسقط المهابة ويضعف التأثير، وإنما كالملاح في الطعام لا غنى عن قليله، وكثيره يفسده.

ثانياً: أوجه القصور في محتوى الخطاب

1. فقدان الشمول: الإسلام دين شامل يتناول مظاهر الحياة كلها، فعن سلمان قال: قيل له: قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال: أجل،

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (مواقيت الصلاة) باب (الصلوات الخمس كفارة) (197/1) برقم (505) ومسلم في صحيحه كتاب (المساجد) باب (المشي إلى الصلاة تمعى به الخطايا وترفع به الدرجات) (131/2) برقم (1554).

(2) سبق تخريجه.

(3) رواه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم) (34/1) برقم (62) ومسلم في صحيحه كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب (مثل المؤمن مثل النخلة) (137/8) برقم (7276).

(4) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (التبسم والضحك) (2260 /5) برقم (5739) ومسلم في صحيحه كتاب (فضائل الصحابة) باب (من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) (157/7) برقم (6519).

لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم⁽¹⁾.

هذا الشمول تجسّد في موضوعات القرآن الكريم التي استوعبت الدين والدنيا، عالم الغيب وعالم الشهادة، المادة الروح، وزادها النبي صلى الله عليه وسلم بياناً وتفصيلاً في سنته النبوية وسيرته العملية.

فكان من أبرز مظاهر القصور في محتويات الخطاب لكم النظرة التجزيئية والتي من مظاهرها:

- التركيز على الجانب العاطفي على حساب الجانب العقلي، فتكون عامة مواضعه في الترغيب والترهيب دون الاهتمام بالقضايا الفكرية والثقافية والتحديات العقدية.
- أو العكس وذلك بالتركيز على العقل والفكر والثقافة دون الاهتمام بجانب الروح وما يؤدي إلى تزكيتها
- الاهتمام بمسألة التوحيد والعقائد، وإغفال الجانب التشريعي في الإسلام، والمسائل القيمية.

- التركيز على المسائل التربوية والإيمانية دون القضايا الاجتماعية.

- إغفال الجانب السياسي وعدم الاهتمام بقضايا الأمة.

2. ضعف المنهج العلمي: ويتمثل هذا الضعف في الجوانب التالية⁽²⁾:

- الأحاديث شديدة الضعف أو الموضوعة.
- النصوص التراثية الضعيفة، أو الشاذة، أو المخالفة لمقصد الإسلام.
- قلة التوثيق أو عدمه.
- بتر النصوص، والأخذ ببعضها دون بعض.
- الانتقائية التي يحكمها الهوى والاعتبارات الشخصية.
- مزج اتجاه المخاطب ورأيه بالقواعد والأحكام الشرعية، وجعل ذلك شيئاً واحداً.
- التعجل في إصدار الأحكام وتبني المواقف دون دراسة متأنية علمية.
- المبالغة والتهويل، وقد أصبح الأخذ بهما أمراً سائداً في الخطاب الدعوي

(1) رواه مسلم كتاب الطهارة باب الاستطابة (223/1) (262).

(2) مقال "الخطاب الدعوي المنقوص" <https://www.noslih.com/article>

3. إغفال الأولويات في مضامين الخطاب المسجدي

ونقصد بالأولويات تقديم الأهم على المهم، أو تقديم ما يستحق التقديم وتأخير ما يستحق التأخير.

والسياسة الدعوية التي انتهجها النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة وطوال المرحلة المكية كانت تركز على التوحيد وغرس فضائل الأخلاق، كصلة الرحم، والصدق، والعفاف، وأداء الأمانة، وحسن الجوار ونحو ذلك، قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج، وقبل أن ينهأهم عن الربا والزنا والسرقعة وشرب الخمر، واستمرت هذه السياسة طوال ثلاث عشرة سنة.

ومن الأدلة على ذلك:

ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: « إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ؛ فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ؛ فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ؛ فإن هم أطاعوا لك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ؛ فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »⁽¹⁾.

وقد ذكر هذا الحديث الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد، باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وذكر في مسائل الباب: (المسألة الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم)، وفي شرح الحديث قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (وفيه البداءة في الدعوة والتعليم بالأهم فالأهم)⁽²⁾. ومن الأمثلة على ذلك أيضاً ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: «يا عائشة لولا أن قومك حديث عهدُهم -قال ابن

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع) (4/ 1580) برقم (4090) ومسلم في صحيحه كتاب (الإيمان) باب (الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) (37/1) برقم (130).

(2) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ص: 101

الزبير: بكفر - لنقضتُ الكعبة فجعلت لها بابين: بابٌ يدخل الناس، وبابٌ يخرجون»⁽¹⁾
ففعله ابن الزبير.

وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: (باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يَقْصُرَ
فهمُ بعض الناس عنه فيقعوا في أشدَّ منه).

قال ابن حجر - رحمه الله - وفيه تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب
المصلحة، وأنهما إذا تعارضا بدئ بدفع المفسدة. وأن المفسدة إذا أمن وقوعها عاد
استحباب عمل المصلحة⁽²⁾.

ومن أوجه القصور في الخطاب المسجدي المعاصر، إهمال فقه الأولويات في التعامل
مع مضامين هذا الخطاب

ومن أبرز مظاهر هذا الخلل في عصرنا:

-إغفال جانب البناء العقيدي والتشريعي كلازم من لوازم الخطاب المسجدي لا ينفك
عنه، لبناء الفرد الصالح.

-عدم تصحيح التصورات المغلوطة على أحكام الشريعة الإسلامية زمن تسلط وتكالب
العدو إعلاميا وثقافيا.

-إغفال الحديث عن السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية زمن الفساد
السياسي.

-عدم التطرق إلى الآفات الاجتماعية، مخدرات، مهلوسات، فواحش، سرقة، زمن
الفساد الاجتماعي

-إغفال الحديث عن خطر الإلحاد والإباحية والشذوذ الذي انتشر انتشارا مخيفا
وسط الشباب بسبب كثرة تعاملهم مع الوسائط الإعلامية.

-إهمال الحديث عن القضية الفلسطينية في أوج الصراع، وزمن الاعتداءات
والقصف والقنابل.

4. ضعف الالتزام بالمرجعية الدينية للبلد

لكل بلد وأقليم مرجعية يحتكم إليها، في المنهج العقائدي، والمذهب الفقهي، والمشرب

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس
عنه فيقعوا في أشد منه) (59/1) برقم (126).

(2) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر دار المعرفة - بيروت، 1379 (448/3).

الصوفي، والرواية القرآنية ففي بلدنا الجزائر مثلاً، فقد حسمت المرجعية منذ قرون، وقد نظم الإمام ابن عاشر ذلك في منظومته الشهيرة فقال:

في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

والمرجعية الدينية في الجزائر، تتمثل في: منهج الإمام الأشعري في العقيدة، ومذهب الإمام مالك في الفقه، وطريقة الإمام الجنيد في التصوف، ورواية ورش عن نافع من طريق الأزرق في القرآن.

والجزائر لعلها البلد الوحيد الذي تتعدد فيه المنابر الخطابية، والخطابات المسجدية المناوئة لمرجعية البلد، فيكون الخطاب الرسمي في واد، والخطاب المسجدي في عديد الحالات في واد آخر، رغم محاولات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ضبط الوضع بين الحين والآخر.

ومن أبرز مظاهر هذا الانفلات والفوضى:

- الاختلاف في مشروعية إحياء المولد النبوي الشريف، فالخطاب الرسمي يشيد ويحتفي ويدعو إلى الإحياء، ومنابر مسجدية مناوئة تقاومه وتتهم أصحابه بالبدعة.
- الحروب الطاحنة التي تتجدد كل عام في السنوات الأخيرة حول مشروعية إخراج زكاة الفطر عينا أو نقدا، ففتوى الوزارة بجواز إخراجها نقدا، وفتاوى الاتجاه السلفي المسيطر على عديد المنابر المسجدية في الجزائر تعتبره على خلاف السنة.
- القراءة برواية حفص عن عاصم في إمامة الكثير من المساجد على خلاف الرواية المعتمدة (ورش من طريق الأزرق).

- تبديع الطرق الصوفية كافة دون تمييز من الأئمة من ذوي الاتجاه السلفي.
- إخراج الأشاعرة مذهب غالبية أهل البلد من دائرة أهل السنة والجماعة من طرف أصحاب الاتجاه السلفي وتجلى ذلك في الفتوى الشهيرة المثيرة للجدل التي صدرت من زعيمهم في الجزائر آنذاك الدكتور محمد علي فركوس.
- ضعف في الاستعانة بمنطق الأحداث (ضرب الأمثال):

والاستعانة بضرب الأمثال من أفضل الأساليب الدعوية المؤثرة، لأنه يتعامل مع أمثلة واقعية يعايشها الناس، وكثيرا ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يستخدمه كوسيلة للتوضيح وإثارة الانتباه، ومن ذلك ما قاله في: بيان فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة... الحديث" (1).
وقال في فضل قراءة القرآن: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب
وطعمها طيب... إلى آخر الحديث" (2).

وفي صحيح البخاري (3) بسنده عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - قال: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم إني رأيتُ
الجيشَ بعيني، وإني أنا النذيرُ الغريان، فالنجاء النجاء! فأطاعه طائفةٌ من قومه
فأدْلجوا (4) فانطلقوا على مهلبهم فنَجوا، وكذبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصَبَّحهم
الجيشُ فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثلُ من أطاعني فاتَّبَعَ ما جئتُ به، ومثلُ من عصاني
وكذب بما جئتُ به من الحق».

ثالثاً: أوجه القصور على مستوى استراتيجية توجيه الخطاب

ونقصد باستراتيجية توجيه الخطاب من حيث اختيار التوقيت المناسب لهذا
الخطاب، وكذا التركيز على محتويات معينة من ألوان الخطاب وتكثيفها في مناسبات
معينة، واستغلال الوسائط الإعلامية للبت والترويج، وكذا استراتيجية الصبر والاحتمال
حين التعرض إلى هجوم من المتربصين، خصوصاً كانوا أو أعداء، وعدم التسرع في الردود
المتشجعة غير المنضبطة.

وعدم امتلاك هذه الاستراتيجية، أوقعت الخطاب المسجدي في عديد أوجه القصور
من هذه الحيثية ومن ذلك:

1- عدم اختيار التوقيت المناسب للخطاب: فقد يراعي الخطيب ظرفه ولا ينظر إلى
ظروف المخاطبين، أو يجتهد في اختيار الوقت، وفي توزيع مواعظه على أيام الأسبوع دون
مشورة مع القائمين على المسجد، أو أخذ رأي عينة من المصلين على الأقل، فإذا كان الوقت

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الشركة) باب (هل يقرع في القسمة والاستهام فيه) (882/2) برقم (2361).

(2) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الأطعمة) باب (ذكر الطعام) (2070/5) برقم (5111).

(3) في كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) باب (الافتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (2656/6) برقم (6854).

(4) فادْلجوا. الإدلاج بالتخفيف: سير أول الليل، وبالتشديد: سير آخر الليل. شرح السنة للإمام البيهقي، تح: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي - دمشق. بيروت. ط2- 1403 هـ - 1983 م، كتاب (الإيمان) باب (الاعتصام بالكتاب والسنة) (189/1).

لا يناسب مع تكثيف المواعظ طول أيام السنة، فإن تأثير ذلك الخطاب سيكون محدودا بلا شك، فضلا على أن ذلك خلاف الهدي النبوي، يقول ابن مسعود - رضي الله عنه -: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخوّلنا بالموعظة في الأيام؛ كراهة السامة علينا⁽¹⁾؛ أي: أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل، كما نقله ابن حجر - رحمه الله - في "الفتح" عن الخطّابي⁽²⁾. فهذا سيد البيان، وأبلغ الخطباء صلى الله عليه وسلم، يختار الأيام وينتقيها انتقاء ولا يكثر، مراعاة لنفسيات المخاطبين وأمزجتهم، وتحصيلا لما هو أنفع وأبلغ، فكيف بمن دونه بكثير من أمثالنا.

2- عدم اختيار ما يناسب حسب الظروف والمناسبات: فإغفال المناسبات، وعدم مراعاة حاجة الناس في نوعية معينة من الخطاب، وضرورة تكثيفها في مواعيد محددة، سيفقد الخطاب تأثيره.

والهدي النبوي مليء بنماذج حسن اختياره صلى الله عليه وسلم لما يناسب من الخطاب، حسب الظروف والمراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية، فالمرحلة المكية فرضت عليه التركيز على الإيمان والعقيدة لإعادة صياغة الإنسان من جديد فعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ونحن فتيان حَزَاوِرَة⁽³⁾، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن، فازدنا به إيمانا⁽⁴⁾).

وفي صحيح البخاري عن خباب بن الأرت. رضي الله عنه. قال: "شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة. فقلنا: "ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟". فقال: "قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل، فيحفرون له في الأرض، فيُجعل فيها.. ثم يُؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيُجعل نصفين، ويُمشط بأمشط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه.. والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (العلم) باب (ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا) (38/1) برقم (68).

(2) انظر الفتح (228/11).

(3) حَزَاوِرَة: هو جَمْعُ حَزَوْرٍ وَحَزَوْرٍ وهو الذي قارب البلوغ والتاء لِتَأْنِيثِ الجمع. انظر النهاية في غريب الحديث ص(952/1).

(4) رواه ابن ماجة في سننه كتاب (افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم) باب (في الإيمان) (23/1) برقم (61).

صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون" (1)!

أما مناسبات كشهر رمضان وموسم الحج فالأمثلة فيها أكثر من أن تحصى.

3. ضعف في استغلال الوسائط الإعلامية لبث الخطاب المسجدي وترويجه: من أبرز ما ينبغي أن يركز عليه أرباب الخطاب المسجدي، الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الناس، فلقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم، استغلال أماكن تجمع الناس ومواسمهم لتبليغ رسالة السماء، فكان يستغل مواسم الحج، ويقصد تجمع الناس في أسواق عكاظ ومجّة وذى المجاز في المرحلة المكية، وازداد الأمر عند انتقاله إلى المدينة.

وكان كل صحابي ترجمانا صادقاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، فينقل هديه إلى أهل بيته، وإلى ذويه ورحمه وإلى الكافة ممن له القدرة على الوصول إليهم، فالهدف هو تبليغ ما أوجب الله تبليغه، (يا أيها المدثر قم فأندِر) (2)، (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك) (3)، (ادع إلى سبيل ربك...) (4)، (ومن أحسن وقولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) (5).

ومع ثورة الاتصال الحالية، والتي حولت العالم إلى قرية صغيرة، وتوفر كل وسائل التواصل مع الناس صوتاً وصورة صار لزاماً أن تستغل هذه الوسائل لنشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وبث وترويج الخطاب المسجدي المنضبط الهادف الرسالي إلى أكبر شريحة من الناس.

وبنظرة إلى ما يبث من محتويات هابطة في الغالب عبر هذه الوسائط، وما تجده من تفاعل كبير جداً من عديد الأوساط خصوصاً الشبابية، وما ينجم عن ذلك من تأثير فظيع على منظومة الأخلاق والقيم في المجتمع، تحول استغلال هذه الوسائط خصوصاً ممن يملكون خطاباً مؤثراً من الواجبات، (وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) كما تقول القاعدة الأصولية.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الإكراه) باب (من اختار الضرب والقتل واليهوان على الكفر) (6/ 2546) برقم (6544).

(2) المدثر: 1.2.

(3) المائدة: 67.

(4) النحل: 125.

(5) فصلت: 33.

وقد تنبه عدد من الدعاة المؤثرين إلى أهمية هذه الوسائل فأحسنوا استغلالها، ووصلوا إلى شرائح واسعة من المجتمع وكان لهم الأثر البالغ في التوعية والإرشاد، ولكن عددهم قليل جدا قياسا بحاجة المجتمع الكبيرة.

في المقابل نجد غالب الخطباء والدعاة غير مكترئين باقتحام هذا العالم واستغلال هذه الوسائل، إما جهلا بتقنياتها وكيفية استغلالها، أو رغبة في عدم إجهاد النفس بعمل إضافي يرهقهم.

4- التسرع في الردود المتشنجة غير المنضبطة: إشغال الخطاب المسجدي بالردود والمماحكات، على حساب ما يبني ويرمم، من أوجه القصور التي أصيبت به بعض المنابر. فالمطلوب هو انتهاز استراتيجية الصبر والاحتمال حين التعرض إلى هجوم أو الرمي بتهمة وعدم التسرع في الردود المتشنجة غير المنضبطة، فهذا يوفر على الخطاب المسجدي جهدا ووقتا يمكن أن يضيع هدرا في حال الانشغال بالرد، ناهيك على أن الرد غير المنضبط وغير المدروس قد يعود بالضرر على الدعوة.

وقد قدم لنا النبي صلى الله عليه وسلم دروسا عملية في هذا الشأن.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَقسِمُ قَسْماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال: (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)⁽¹⁾

حتى أن عمر بن الخطاب استأذنه في قطع عنقه فلم يأذن له صلى الله عليه وسلم حتى لا يقال بأن محمدا يقتل أصحابه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ما قال، بل ورفض تصعيد الموقف حتى يعلم أصحابه فن الصبر والاحتمال في مثل هذه المواقف الصعبة.

وفي حديث آخر يعالج قضية مشابهة للتي ذكرت في الحديث السابق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر صراحة في الدعوة إلى الصبر والاحتمال حين التعرض لهكذا مواقف.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) (3/ 1321) برقم (3414) ومسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (ذكر الخوارج وصفاتهم) (112/3) برقم (2505).

حيث قال أحدهم: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله!، فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة الرجل؛ فقال صلى الله عليه وسلم: "رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر!"⁽¹⁾.

وقال الحافظ ابن حجر تعليقا على هذا الحديث: (...وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم ومع ذلك فيتلقون ذلك بالصبر والحلم كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم اقتداء بموسى عليه السلام)⁽²⁾.

وهذا لا يعني أن يُسكت على أي هجوم، وألا يرد على أي اتهام، خصوصا إذا كان الأمر يتعلق بالدين أو أصل من أصوله، أو بواحد من رموزه، فلقد مارس النبي صلى الله عليه وسلم حق الرد، وطلب من شاعره حسان بن ثابت، أن ينافح عن الإسلام وأن يذم المشركين واليهود يوم قريظة فقال: "اهْجُئْهُمْ -أو هاجِهم- وجبريل معك"⁽³⁾ لكن المحذور هو عدم التفريق بين ما ينبغي أن يرد عليه وما يمكن أن يسكت عنه، وبين ما الرد عليه فيه مفسدة وبين ما فيه مصلحة، ثم ما يستغرق جل الخطاب، وما يأخذ مساحة محدودة ومدرسة ومنضبطة.

4- التأخر فيما ينبغي الوقاية منه أو معالجته قبل وقوعه: فزيادة على ما تم الحديث عنه آنفا، فيما يتعلق بفقهاء الواقع، وضرورة معالجة ما يستجد من وقائع وأحداث، فإن التنبأ بما قد يقع، من خلال الأمارات والإشارات، ومن ثم التنبيه عليه ومعالجته قبل وقوعه، إما للتوقي منه أو التخفيف من أثره مهم جدا للخطاب المسجدي ودوره الذي ينبغي أن يكون مؤثرا وفاعلا.

وهناك قاعدة شرعية تقول: (الدفع أولى من الرفع)؛ ومعناها: أنه إذا أمكن رفع الضرر قبل وقوعه، فهذا أولى وأسهل من رفعه بعد الوقوع، لأن مدافعة الشيء قبل وقوعه تكون من حيث السهولة وقلة المؤونة وضآلة المفسدة ما لا تكون بعد وقوع الشيء ورجحان مفسدته⁽⁴⁾.

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المغازي) باب (غزوة الطائف) (4/1576) برقم (4081) ومسلم في صحيحه كتاب (الزكاة) باب (إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه) (3/109) برقم (2495).

(2) انظر فتح الباري (10/512).

(3) رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (4/112) (3213). مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت (4/1933) (2486).

(4) الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، المؤلف: علي بن عبد الكافي السبكي

وإذا تأملنا بعض خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- وجدناها على هذا النسق في مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: «ويل للعرب من شرٍ قد اقترب»⁽¹⁾ هذا بيان استباقي قبل أن يقع، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»⁽²⁾، وقوله: «فوالله! ما الفقر أخشى عليكم»⁽³⁾، وقوله: «سيأتي على الناس سنوات خداعات. يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق. ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين. وينطق فيها الرويبضة، قيل وما الرويبضة. قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»⁽⁴⁾ إلى آخر هذا النوع من حديثه -صلى الله عليه وسلم- التي يبين فيها شيئاً مما سيكون، فيأخذ المسلمون أهبتهم لذلك.

6- عدم انتهاز المناسبات والفرص: تمر أحداث وفرص ومناسبات دون استغلال من أرباب الخطاب المسجدي، ولا يتخذ المنبر المسجدي - على تأثيره الشديد - مطية للتعليق أو المعالجة أو التنبيه حينها، فمن فطنة الخطباء الرساليين، استغلال المواقف في إصلاح الناس وتوجيههم، فيكون التعليق أبلغ في التأثير، وأقرب للفهم والمعرفة، مع استغلال استعداد المدعويين النفسي وتهيبهم للقبول، كما روى مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته، فمرَّ بجذْي أسكَّ⁽⁵⁾ ميّت فتناولهُ، فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يُحبُّ أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نُحبُّ أنه لنا بشيءٍ، وما نصنع به؟! قال: أُتُحِبُّون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيّاً كان عيباً فيه لأنه أسكُّ، فكيف وهو ميت؟! فقال: فوالله للدنيا أهونُ على الله من هذا عليكم"⁽⁶⁾.

قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- سي، فإذا امرأة من السبي قد تحلَّب ثديها

-
- تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت - ط1، 1404 (227/2) بشيء من التصرف.
- (1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الفتن) باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم (ويل للعرب...)) (6/ 2589) برقم (6650) ومسلم في صحيحه كتاب (الفتن وأشرط الساعة) باب (اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج) (8/ 165) برقم (7416).
- (2) رواه البخاري في صحيحه كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام) (3/ 1317) برقم (3403).
- (3) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الرفاق) باب (ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها) (5/ 2361) برقم (6061) ومسلم في صحيحه كتاب (الزهد والرقائق) باب (من دون ترجمة) (8/ 212) برقم (7614).
- (4) رواه ابن ماجه في سننه كتاب (الفتن) باب (الصبر على البلاء) (2/ 1339) برقم (4036).
- (5) الأسك "بفتحين وتشديد الكاف: الصغير الأذن، وقيل: صغير الأذنين. ملتصقهما وقيل: الذي لا أذنان له، والذي قطعت أذناه، وهو أيضاً: الأصم الذي لا يسمع. انظر شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، تح: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد - الرياض، ط1، 1420 هـ - 1999 م (1/ 437).
- (6) رواه مسلم في صحيحه كتاب (الزهد والرقائق) باب (من دون ترجمة) (8/ 210) برقم (7607).

تسعى؛ إذا وجدت صبيّاً في السبي أخذته فألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال: "أترون هذه طارحة ولدها في النار"، قالوا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، قال: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها"⁽¹⁾.

ولا شك أن انتهاز المناسبة له أثره في تربية الأمة وهداية الأفراد، مع وجود عنصر التشويق لدى السامعين.

المطلب الثالث: سبل النهوض بالخطاب المسجدي

بلا شك كل ما تم تناوله من أوجه القصور في الخطاب المسجدي، فهي يحمل ضمناً وصراحة أبرز ما ينبغي أن ينهض بالخطاب المسجدي، فما كان قصوراً فضده هو المطلوب. ومع ذلك يحسن أن نصوغ أهم سبل النهوض بالخطاب المسجدي في نقاط أساسية تجمع ما تفرق في البحث، وما ذكر صراحة وما أشير إليه، وحتى ما لم يذكر.

1. إعادة النظر في نمط التكوين للأئمة، تراعي ما ينبغي توفره من المستوى التعليمي الجيد للإمام، والحفظ المتقن وبالأحكام للقرآن الكريم، والمعارف الشرعية والإنسانية والمهارية للإمام، وكذا الوقت الكافي لهذا التكوين، مع التركيز على الجانب التدريبي.

2. اعتماد معايير دقيقة لحسن انتقاء الخطيب، تراعي مستوى التكوين والمهارة والالتزام، فليس بالضرورة أن يكون كل من انتسب لمعاهد التكوين وتلقى التكوين المطلوب، ناجحاً في مهمته، فلذا ينبغي أن يخضع لامتحان اختبار الكفاءة، فإن نجح فذاك، وإلا فيوجه إلى مهام غير الخطابة، مع إمكانية التحسن مستقبلاً لمباشرة مهمة الخطاب المسجدي.

3. التكفل المادي بالإمام بما يتناسب مع مكانته المجتمعية، وجهده المبذول، وشهادته المحصل عليها، والقرآن الكريم الذي يحفظه على ظهر قلب، بما يحقق له الكفاية التي تغنيه عن البحث عن مصادر مادية أخرى لتحسين معيشته، وهذا ما سيجعله متفرغاً للعمل المسجدي.

4. توفير الحماية والحرية للأئمة ومراجعة المنظومة القانونية التي تحكم الإمام، وذلك

(1) رواه البخاري في صحيحه كتاب (الأدب) باب (رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) (5/ 2235) برقم (5653) ومسلم في صحيحه كتاب (التوبة) باب (في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) (97/8) برقم (7154).

حتى يبدعوا في خطابهم، ولا بد من سن قوانين رادعة ضد من يهين القائمين بشأن الخطاب أو يعتدي عليهم.

5. تحسين نوعية التكوين المستمر، لتشمل زيادة على التكوين الشرعي، التزود بمعارف في علمي النفس والاجتماع، وكذا مهارات التواصل والاتصال تقنية ووسائل وأساليب.

6. تحويل المسجد إلى مؤسسة متكاملة، تضطلع بدورها الديني والإصلاحي والاجتماعي، ولذلك بتحسين الإطار القانوني الذي يعالج هذا التوسع في المهام والرسالة.

7. ضمان التوظيف في كافة المساجد، وتنويع مناصب العمل في المسجد لتشمل جميع الوظائف المطلوبة، وذلك حتى يفرغ الإمام لأداء مهمته، ودعم معارفه، وتنمية مهاراته.

8. التأكيد على الالتزام بالمرجعية الدينية لأهل البلد، حرصا على وحدة الصف واجتماع الكلمة.

9. صيانة الخطاب المسجدي من لغة تصفية الحسابات، أو إحياء النعرات، أو إثارة الفتن.

10. التشديد على صيانة الخطاب المسجدي من الوقوع في أعراض العلماء، أو التعريض بهم، أو سبهم، أو النيل مع أقدارهم، مهما اختلفت مشارب هؤلاء العلماء الفكرية أو المذهبية أو الروحية، مع ضرورة التفريق بين النقد العلمي المنضبط، وبين التعريض والوقيعة.

11. المراجعة المستمرة للخطاب الدعوي، واعتماد مبدأ النقد الذاتي، ومراجعة الخطط.

12. ضرورة الاهتمام بمعرفة نوعية المخاطبين.

13. تطهير المسجد من العصبية والحزبية والاحتكار من ذوي التوجهات، والضابط في هذا هو الالتزام بالوسطية والاعتدال ومرجعية البلد.

14. أهمية إنشاء صفحة فيسبوكية على الأقل، لبث الخطب والدروس وكل نافع مدروس بعناية.

الخاتمة

الحديث عن قصور الخطاب المسجدي هو حديث عن واقع وحال، ويعتبر هذا الخطاب بمثابة الترمومتر لقياس درجة صحة المجتمع والوطن والأمة، فإذا كان المنبر بخير، فالمجتمع في عمومته في الطريق السليم، والعكس صحيح، وحاولت في هذا البحث أن أضع أصبعي على عدد من مواطن هذا القصور، ثم اقترحت جملة من الحلول هي بمثابة التوصيات للنهوض بالخطاب المسجدي.

وخلصت بعد هذه الجولة البحثية إلى عدد من النتائج:

1. المنبر المسجدي أهم منبر دعوي على الإطلاق، مهما تعددت وتنوعت الوسائل، وذلك لارتباط كافة شرائح المجتمع به وجوباً مرة في الأسبوع على الأقل، وما يحظى به من مكانة في نفوس غالبيتهم.

2. ارتهان الخطاب المسجدي بطبيعة النظام السياسي لأي بلد، بين توسع وتضييق وتدخل وإملاء.

3. أوجه القصور في الخطاب المسجدي متعددة ومتنوعة خطيباً وخطاباً، وذلك راجع إلى طبيعة انتقاء صاحب الخطاب، ونوعية التكوين، وترسالة القوانين الضابطة للمساجد.

4. من أهم أوجه القصور في الخطيب، ضعف لغة التواصل والتأثير في السامعين، وضعف التكوين المعرفي المتكامل والمتوازن، والجهل – في الغالب – بفقهِ الواقع والأولويات، وخفوت جانب القدوة.

5. ومن أهم أسباب القصور في الخطيب، ضعف المستوى التعليمي – في الغالب –، وطبيعة العملية التكوينية في مدتها الزمنية، وأدواتها التعليمية والمعرفية والمهارية.

6. من أهم أوجه القصور في الخطاب، قصور المحتوى: موضوعاً ومادة واستدلالاً.

7. من أهم أوجه القصور في الخطاب، قصور في استراتيجية توجيه الخطاب: توقيتاً، ومناسبة، واستهدافاً.

8. ومن أبرز أسباب القصور في الخطاب، ضعف المكوّن والمتكون، ضعف العناية

بالإمام والخطيب ماديا ومعنويا، عدم شعور الإمام بالحرية في اختيار المناسب من الموضوعات، إما لطبيعة القوانين والتشريعات، أو الحصار المفروض من بعض القوى الضاغطة في المسجد، أو لطبيعة المجتمع.

9. النهوض بالخطاب المسجدي مسؤولية الجميع، الخطيب ومعاونوه ومحيطه القريب، والجهات الرسمية الوصية رعاية وعناية واهتماما.

10. هي بمثابة التوصية المهمة: التشديد على ضرورة قيام ورش عمل مكثفة بعد القيام بمؤتمرات وندوات ولقاءات متخصصة في الحديث عن رسالة المسجد، والخطاب الذي ننشده، والإمام القدوة المؤثر وسبيل الوصول إليه، والخروج بتوصيات ملزمة إطارها الأساس هو حسن التكفل بالعملية المسجدية، خطابا وخطيبا ماديا ومعنويا.

والحمد لله أولا وآخرا

خصوصية الخطاب المسجدي

د / فهيمة بن عثمان

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

benatmane-fahima@univ-eloued.dz



مقدمة

المساجد بيوت الله تعالى، وجدت لهدف سام هو عبادة الله تعالى وحده، والتذكير والدعوة إلى تعاليم الإسلام وقيمه السامية، وتوجيه حياة الإنسان المسلم في كل مجالات الحياة، وهي إلى يومنا هذا تقوم بهذا الدور الهام، فهي مصدر هام للدعوة إلى الله تعالى من خلال النشاطات المسجدية المتنوعة، ومن خلال الخطاب المنطلق من هذه المساجد في شكل خطبة أو درس أو آذان أو محاضرة وندوة.

الخطاب المسجدي خطاب دعوي، يهدف كباقي الخطابات الدعوية إلى التذكير بتعاليم الإسلام والدعوة إلى التزامها في حياة المسلم، ويسعى إلى معالجة قضايا الأمة والمجتمع الذي يقدم، حيث يتم توجيه أفكار الفرد وسلوكاته وأسلوب حياته على الصعيد الاجتماعي والثقافي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي... إلخ وهو يوجّه المجتمع كذلك في كل مجالات الحياة، من خلال خطاب أسبوعي (خطاب الجمعة) أو سنوي (خطاب العيدين) أو من خلال الدروس اليومية القارّة.

للخطاب المسجدي خصوصية تميزه عن باقي الخطابات الدعوية التي تقدم في وسائل الإعلام القديمة والجديدة أو المؤسسات التربوية، أو الجامعات.. إلخ سواء من حيث المواضيع أو الجمهور أو نوعية الاتصال والتأثير، وكلما كان القائمون بهذا الخطاب على وعي بهذه الخصوصية كلما كانوا أكثر تأثيرا وكان لخطابهم الكثير من الثمار والنتائج.

الإشكال الذي تطرحه هذه الدراسة: ما هي خصوصيات الخطاب المسجدي التي تميزه عن باقي الخطابات الدعوية الأخرى؟

لمعالجة هذه الإشكالية سأتبع المنهج الوصفي التحليلي.

من أهم الدراسات السابقة في الموضوع:

- أطروحة الدكتوراه للباحثة فهيمة بن عثمان، المعنونة بالخطاب المسجدي في الجزائر وسبل النهوض به -دراسة ميدانية بولاية المسيلة-، قدمت بكلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسم الدعوة والاعلام، 2016-2017.

- رسالة: نمط تكوين الأئمة في الجزائر، الباحثة فهيمة بن عثمان، جامعة باتنة، كلية العلوم الاسلامية والاجتماعية، سنة 2005.

- رسالة: "الأبعاد الإعلامية والاجتماعية للجمعة" قدمها الباحث: نور الدين جفافة، لنيل شهادة الماجستير، بقسم الدعوة والإعلام، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، بقسنطينة سنة 1999م.

_ رسالة: "اتجاهات أئمة المساجد نحو الأساليب التربوية: "دراسة ميدانية بولاية أم البواقي" قام بها الباحث: الشريف مرزوق لنيل شهادة الماجستير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1998-1999.

- رسالة: "دور المسجد في الجزائر في المجتمع الإسلامي المعاصر: دراسة لدور المسجد في فترة الاحتلال الفرنسي نموذجاً"، قام بها الباحث نور الدين طوابة، وهي رسالة ماجستير، قدمت بمعهد أصول الدين والدعوة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، سنة 1992-1993م.

- رسالة: "الدور الاتصالي الإقناعي للإمام: دراسة وصفية لدور الإمام كقائم بالاتصال في ولاية جيجل" قام بها الباحث كمال لعربي من أجل نيل شهادة الماجستير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005-2006م.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم الخطاب المسجدي

المبحث الثاني: خصوصية الخطاب المسجدي

المبحث الأول: مفهوم الخطاب المسجدي

وردت مادة خ.ط.ب في القرآن الكريم بصيغ عديدة هي: خاطبهم، تخاطبني، الخطاب، خطابا، خطبك، خطبكم، خطبكما، خطبكن، خطبة النساء.¹

وورد في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أيضا:

فصل الخطاب: الذي يفصل بين الحق والباطل.

الخطب: الشأن الذي تقع فيه المخاطبة.

الخطبة بكسر الخاء: طلب المرأة للزوج.²

أورد ابن منظور³ تعريف الخطاب في مادة خطب.

خطب: الخطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم، وقيل: هو سبب الأمر، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جلل، وخطب يسير.

والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة أو الشأن والحال، ومنه قولهم: جل الخطب أي عظم الأمر والشأن.

وخطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة بالكسر، وخطبي.

والخطب: الذي يخطب المرأة، وهي خطبة التي يخطبها والجمع أخطاب.

الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان. والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة.

وورد في جمهرة اللغة⁴ تحت المادة: ب، خ، ط، الخطابة: خطب الرجل، خطابة، فهو خطب، بين الخطابة، واسم الكلام الخطبة، وخطبة النساء بالكسر، وكذلك هو في

¹- مجمع اللغة العربية: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1981، ص: 178-179.

²- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مصدر سابق. ص: 178-179.

³- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مج 1، ص: 421-423.

⁴- أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ابن دريد: جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مادة (ب.خ.ط)، ج 1، ص: 237.

التنزيل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [سورة البقرة: 25].

والخطب: الأمر العظيم، والجمع خطوب، والخطاب مصدر خاطبته، مخاطبة، وخطابا. تقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير، وجمعه خطوب، والخطبة مصدر الخطيب، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر.

وقال الليث: إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر، والعرب تقول: فلان خطب فلانة، إذا كان يخطبها. وقال أيضا: الخطاب: مراجعة الكلام، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطّاب.

أما الفيروز آبادي فقد ربط الخطاب بالخطابة فقال: خطب الخاطب على المنبر خطابة هي: "الكلام المنتثر المسجّع ونحوه، وقال: رجل خطب حسن الخطبة"¹. وكل المعاجم اللغوية تربط الخطاب بالخطابة ولا تفرق بينهما.

وقد تعرّض اللغويون في معاجمهم حتى لتفسير بعض الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ "الخطاب" كما فعل الأزهرى في تهذيبه.²

شرح الزمخشري فصل الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [سورة ص: 19]، بأنه: الكلام البين، لأنهم قالوا: كلام ملتبس، وفي كلامه لبس، الملتبس المختلط، فقليل في نقيضه: فضل؛ أي: مفصول بعضه عن بعض، بمعنى: فصل الخطاب.

والبين من الكلام: الملخص الذي يتبينه من يخاطب به، لا يلتبس عليه. والفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والصواب والخطأ...

ويجوز أن يراد بالخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل.³ ويقول الألوسي في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

¹ محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي: القاموس المحيط، المطبعة الميرية، مصر، ط2، 1301 فصل الخاء، باب الباء، ج1، ص: 62.

² محمد بن أحمد الأزهرى: مصدر سابق، ج7، ص: 246-247-248.

³ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، سوريا، ط1، 1977، مج3، ص: 365.

وَفَصْلُ الْخِطَابِ» [سورة ص: 19]: "الخطاب الكلام الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس، يراعي فيه مضان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمام والحذف والتكرار ونحوها".¹

والفصل مصدر إما بمعنى اسم الفاعل، أي: الفاصل المميز المقصود من غيره... الخ، والفصل يفصل بين الحق والباطل، والصواب والخطأ، والصحيح والفساد، أو بمعنى اسم المفعول أي المقصود الذي فصل بين أفراد الكلام بتلخيصه مراعاة ما سمعت فيه، أو الذي يفصل بعضه من بعض.²

أما الخطاب عند الإعلاميين فكالاتي:

بيّن المختصون في الإعلام أنّ "الخطاب في الوقت الحاضر لا يقتصر على الوسائل التقليدية الشفهية والمنبرية الوعظية والتحميسية، بل يتعداها لينفتح على عالم وسائل الإعلام بأفاقه الرحبة، وبهذا تغدو الصورة خطابا والشاشة خطابا، والواقع الافتراضي خطابا، والكلمة خطابا، ولو ذهبنا بعيدا فإن الجسد وتمظهراته الخارجية في الراهن خطابا، وعليه فالخطاب أعم مما يتخيل ويمارس من قبل الإسلاميين في الوقت الحاضر.³ وعرف الخطاب في معاجم الإعلام بأنه: "توجيه الكلام إلى الآخرين للإفهام سواء أكان الإفهام في الحال أم في المستقبل".⁴

وعرفه منير حجاب بقوله: "تعبير عن الأفكار بالكلمات، أو محادثة بين طرفين أو أكثر، أو مناقشة رسمية أو معالجة مكتوبة لموضوع ما، أو حوار أو كلام".⁵

وعرفه كذلك بقوله: "مصطلح يدل في عالم اللغويات على أي امتداد لغوي له بناء منطقي سليم، ويكون أكبر من الجملة الواحدة أو الفقرة المتكاملة".⁶

¹ أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، د ط، د ت، ج 23، ص: 177.

² المرجع نفسه، ص: 177.

³ محمد أحمد يونس: الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2004، ص: 13.

⁴ طه أحمد الزايدي: معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، دار النفائس، الأردن، ط 1، 2010، ص: 116.

⁵ منير حجاب: المعجم الإعلامي، دار الفجر، القاهرة، مصر، ط 2، 2004، ص: 239.

⁶ المرجع نفسه، ص: 239.

وعرفته عواطف عبد الرحمن وغيرها بقولها: "مجمل الرموز والإشارات التي تصدر عن مرجعية معينة، تشكل صورتها ومظهرها العام وتبرز خطورتها الفكرية عبر عملية تواصل بين هذه المرجعية الفكرية والجمهور في عملية تفاعلية يكون فيها الخطاب وسيلة لا غاية"¹.

يفهم من تعريف الإعلاميين أن الخطاب لا يقتصر على جانب الكلام أو القول، بل يتعداه إلى أمور كثيرة أخرى؛ فنمط اللباس خطاب، والصورة خطاب، بل قد نخاطب الآخرين حتى دون أن نتكلم، ويمكنهم فهم ما نريد قوله بطريقة صحيحة، فالنظرة خطاب، وملامح الوجه خطاب، وحركات اليد خطاب، وقد نعبر عن احترامنا للآخرين أو كرهنا أو احتقارنا بمجرد حركة للعين، أو الشفاه أو اليد... الخ. وقد يفهم الآخرون رضانا أو غضبنا أو فرحنا من ملامح الوجه ودون أن نتكلم.

لذلك فالخطاب في نظر الإعلاميين لا يشمل فقط الكلمات، بل يشمل كل ما يصدر عن الإنسان ويفهم منه الآخرون رسائل معينة.

- قد يكون الخطاب نصا مكتوبا أو مسموعا.

- للخطاب مرجعية يصدر عنها، ويكون وسيلة لا غاية.

- يعد تعدد الخطابات دليلا على صراع الإيديولوجيات والمنافسة.

- اللغة هي الأداة المعبرة عن الخطاب.

وعرفه هشام عطية بأنه: "تصور أو موقف لشخص أو جماعة بشأن قضية مطروحة، وهو بذلك يعد تعبيراً عن إيديولوجية الأفراد والجماعات باعتبار أن الإيديولوجية مجموعة منتظمة ومتراصة من الأفكار والأحكام والمعتقدات الخاصة بجماعة ما في نظرتها للواقع والجماعات الأخرى، ويعدّ تعدد الخطابات تعبيراً عن صراع الإيديولوجيات المتنافسة، وتمثل اللغة الأداة المعبرة عن هذا الصراع باعتبارها المنتج النهائي"².

¹- عواطف عبد الرحمن ونادية سالم، وليلى عبد المجيد: تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، العربي للنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص: 13-19.

²- هشام عطية: تأثير السياسية الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشؤون الدولية: دراسة تحليلية مقارنة للصحافة المصرية للفترة من 1990-1992، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 1995، ص: 39-41. نقلا عن محمد أحمد يونس: الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004، ص: 12.

وعرفه حسن مصطفى قائلا: "مجلد الرموز والإشارات التي تصدر عن مرجعية معينة تشكل صورتها ومظهرها العام، وتبرز خطورتها الفكرية عبر عملية تواصل بين هذه المرجعية الفكرية والجمهور في عملية تفاعلية يكون فيها الخطاب وسيلة لا غاية".¹

وعرفه سعيد إسماعيل علي بقوله: "الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة، وهو كلام منطوق أو مكتوب، تمثل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ فيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان".²

- يعدّ الخطاب تصوّراً أو موقفاً لشخص أو جماعة بشأن قضية مطروحة.

- يرتبط الخطاب بعامل الزمان والمكان الذي قيل فيه؛ فيفهم الخطاب في الإطار الزماني والمكاني الذي قيل فيه.

من خلال كل التعريفات السابقة للخطاب يمكن القول أنه: كل كلام نافع موجه للغير لإفهامهم والتأثير فيهم، سواء وجه إليهم مكتوباً أو مشافهة، ويكون الخطاب وسيلة لا غاية، للتعبير عن الأفكار والإيديولوجيات والمرجعيات.

- مفهوم الخطاب المسجدي:

الخطاب المسجدي هو: "ذلك المترجم التوجيهي العلمي والديني والأخلاقي الذي تتبناه المؤسسة الدينية ومن ورائها المجتمع والجهاز المشرف على نشاط هذه المؤسسة في مجال الدعوة إلى الله، وهو من جهة أخرى مجال رحب يسعى المجتمع من خلاله إلى استثمار فرص التلاقي بين المسلمين في أوقات أداء العبادات وتوجيههم الوجهة المطلوبة، كما يتم من خلال هذا الفضاء العمل على تحقيق مقاصد الخطاب الدعوي وجعل سلوكيات الأفراد منسجمة مع ما يرضيه الشرع".³

¹- حسن مصطفى: الخطاب الإسلامي وتحدي الانفتاح على الإنسان الحديث، مقال منشور على الانترنت، متوفر على الانترنت على الموقع: <http://www.guateefiat.com/ga/magalat/katbh%2050.htm> تم الدخول إلى الموقع يوم: 2012-04-30.

²- سعيد إسماعيل علي: الخطاب التربوي الإسلامي، سلسلة كتب الأمة، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط 1، د ت، ص: 09.

³- عبد القادر فضيل: منهجية بناء الخطاب المسجدي، مقال في رسالة المسجد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، العدد 02، السنة الأولى، رجب 1424هـ، سبتمبر 2003، ص: 27.

ونلاحظ أن هذا التعريف يشير إلى تقييد والتزام الخطاب المسجدي بالمرجعية التي يتبناها المجتمع والجهة المشرفة على المؤسسات الدينية، ويشير كذلك إلى الوظيفة الدعوية والاجتماعية والسلوكية التي يجب أن يسعى الخطاب المسجدي إلى تحقيقها من خلال استثمار فرص التلاقي أثناء أداء العبادات لتوجيه الأفراد نحو الوجهة التي يتطلع إليها المجتمع وكذلك الجهة المشرفة على المساجد.

وفي تعريف آخر نجد أنه: "ما صدر من المسجد من كلام للناس يشرح لهم حقائق الدين وأحكامه وقيمه في شؤون الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية سواء في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق أو التشريع".¹

وبين طه أحمد الزبيدي أن الخطاب المسجدي "لا يختلف في جوهره عن الخطاب التعليمي الذي يمارس في المدارس والمعاهد، ومع صفوف المتعلمين فكلهما يهتم بإيصال المعارف والحقائق إلى أذهان المتلقين حتى ولو كانت هذه المعارف مختلفة".²

والملاحظ أن هذين التعريفين يركزان على محتوى الخطاب المسجدي، وهو شرح حقائق دينية متعلقة بالفرد أو بالأسرة أو العقيدة أو العبادة أو الأخلاق أو التشريع.

كما يعتبر الخطاب المسجدي من خلال تعريف الزبيدي خطاباً تعليمياً مثل الخطابات التعليمية التي تلقى في المعاهد و صفوف التدريس، وإن كان يختلف عنها في بعض الجوانب.

و- التعريف الإجرائي: ويقصد بالخطاب المسجدي في هذه الدراسة: كل قول يوجهه القائم بالخطاب المسجدي نحو الجماهير المسجدية، سواء جاء الخطاب في شكل خطبة أو درس، هدفه توجيه هذه الجماهير في مختلف مجالات الحياة ووفق مبادئ الإسلام وقيمه، سواء تعلقت بأفكار الجمهور أو سلوكهم الخ.

المبحث الثاني: خصوصية الخطاب المسجدي

للخطاب المسجدي ميزات تعكس خصوصيته نذكرها فيما يلي:

1- الخطاب المسجدي جزء من الخطاب الإسلامي: الخطاب المسجدي جزء من

¹- علي بن الحبيب ديدى: منهجية الخطاب المسجدي، دار العوادى، عين البيضاء، الجزائر، ط1، 2012، ص: 07.

²- طه أحمد الزبيدي: الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، دار الفجر، الأردن، ط1، 2010، ص: 72.

الخطاب الإسلامي؛ لأن الخطاب الإسلامي له العديد من الوسائل للوصول إلى الجماهير ومن ضمنها المسجد.

الخطاب المسجدي ليس هو الإسلام، بمعنى أن الإسلام وحي معصوم، والخطاب الإسلامي تفاعل للعقل المسلم مع الوحي المعصوم، والعقل قد يقصر أحيانا عن بلوغ الغاية، وقد يغلو أحيانا فيشط ويخرج عن مساره.¹

2- المنبر المسجدي وسيلة إعلامية لم يتجاوزها الزمن: من مهام وسائل الإعلام معالجة قضايا الأمة والإعلام بها، وهذه مهمة ينبري لها المسجد من خلال خطابه منذ أن وجد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الملاحظ أن وسائل الإعلام تشهد تطورا كبيرا مما جعل بعضها يتجاوز الزمن وصار يطلق عليها وسائل الإعلام القديم وفقدت جمهورها وقلّ تأثيرها، لكن الزمن لم يستطع تجاوز المنبر كوسيلة إعلامية هامة تمتلكه فقط الأمة الإسلامية وما زال يحافظ على جمهوره ورسالته التي وجد من أجلها.

3- الاتصال المسجدي اتصال مباشر: الخطاب المسجدي اتصال له رسالة سامية، وله أهداف ومقاصد واضحة يسعى لتحقيقها، وهو اتصال مباشر، ويعتبر الاتصال المباشر أنجح أنواع الاتصال؛ لأنه يتم بدون واسطة، فالخطيب فيه يؤثر بقربه من الجمهور وبنبرة صوته، وبحركاته (لغة الإشارة)، وهذه الصفة تتوفر فقط للاتصال المسجدي إذ نجد باقي وسائل الإعلام كلها تستعمل الوسائل، والوسيلة يعثرها التشويش، من انقطاع البث أو انقطاع الأنترنت والكهرباء وغيرها، أما الاتصال المسجدي فبعيد عن هذه الانقطاعات.

4- يندرج الخطاب المسجدي ضمن الاتصال الإقناعي: فهو يوجه عن قصد رسائله لإحداث تأثير محسوب على اتجاهات وسلوك مجموعات معينة مستهدفة، فهو اتصال هادف إلى التأثير في الاختيار. كما يسعى هذا النوع من الاتصال إلى إثارة اهتمام الأفراد بالسلوك الواجب اتباعه وإقناعهم بممارسته، وعلى هذا النوع من الاتصال تقوم رسالة الأنبياء وورثتهم من العلماء والدعاة.²

إن عملية الاتصال نوعان، نوع يستهدف بصفة عامة مجرد الإعلام والشرح والتفسير

¹- أحمد محمد هليل: نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الفرقان، الأردن، ط1، 2007، ص: 12.

²- طه أحمد الزايد: معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، دار النفائس، الأردن، ط1، 2010، ص:

والتحليل، وتقديم المعلومات والمواد المعرفية والتسليية، ونوع آخر يستهدف إقناع جمهور المتلقين بأفكار ومعلومات وآراء معينة، والتأثير في سلوكهم وهذا النوع يعرف بالإعلان التجاري والحملات الدعائية، وبعض جهود العلاقات العامة والتعليم والخطابة، ومن هذا النوع بصفة خاصة ما يقوم به الإمام داخل المسجد وخارجه من خلال وسائل وأشكال الاتصال الشخصي والجمعة التي يقوم بها.¹ الخطاب المسجدي اتصال، وللاتصال دور كبير وعال في نشر الدعوات والتعاليم الدينية.²

يعتبر الاتصال عن طريق الخطاب المسجدي اتصال جمعي، وهو الذي يكون بين شخصين أو مجموعة محددة أو صغيرة أو مألوفة بشكل مباشر، ويتمثل الاتصال الجمعي بالطرق الآتية، الدروس، المحاضرات، الخطب، الندوات، المؤتمرات، الاجتماعات، اللقاءات، والحفلات الجماعية، وبرامج التدريب.³

5- خصوصية الجمهور الصعب: الخطاب المسجدي خطاب للجماهير المسلمة.⁴ يعتبر الجمهور المسجدي أصعب أنواع الجمهور، لتباين فئاته وتركيبته، حيث نجد فيه كل الفئات العمرية الأطفال المراهقين الشباب الكهول والشيخوخ، ونجد فيه جنس الذكور والإناث، وتباين فيه المستويات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية، حيث نجد فيه المتعلمين وغير المتعلمين، والبسطاء وأصحاب المناصب العالية، والأغنياء والفقراء.. الخ مما يجعل إعدادة أمرا صعبا إذ مطلوب من الخطيب إعداد خطاب يجذب كل هذه الفئات ويؤثر فيهم و مطلوب منه اختيار مواضيع تثير اهتمام كل هذه الفئات المتباينة من الجمهور.

مطلوب من الخطيب التحضير المركز للخطاب، والابتعاد عن الاختيار السريع لمواضيع الخطاب، ومطلوب منه الابتعاد عن التحضير الآني أو الزهد في التحضير أصلا، خطأ كبير أن يستسهل الخطيب رسالة المسجد أو الخطاب الذي يلقي في المسجد أو يستسهل الجمهور المتلقي، اعتقادا منهم أن الخطاب أمر تعودوا على أدائه ويمكنهم تقديم

¹- سمير محمد حسين: الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 1996، ص: 166.

²- طه عماد مكاوي، ليلي حسن السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، د ط، 1998، ص: 85.

³- طه أحمد الزايدى: معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، مرجع سابق، ص: 14.

⁴- المرجع نفسه، ص: 72.

المواعظ التي حفظوها، وهي تغنيهم عن التحضير، كما يعتقدون أن خبرة سنوات العمل العديدة تغني عن التفكير والبحث والإعداد المركز، رغم أن الحقيقة عكس ذلك فالخطاب المسجدي من أصعب أنواع الخطاب، ويتطلب تطوير المهارات والمعلومات كل يوم، لا الاستسهال بعد الحصول على الخبرة.

يختلف الخطاب المسجدي عن باقي الخطابات التعليمية التي تمارس في المدارس والمعاهد... الخ فهو يختلف في جوهره عنها، رغم أن الكثيرين يعتقدون غير ذلك، باعتبار أن كلاهما يهتم بإيصال المعارف والحقائق إلى أذهان المتلقين حتى ولو كانت هذه المعارف تختلف كما ونوعا من مستوى إلى آخر، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالخطاب المسجدي يختلف كثيرا ومن أوجه عديدة عن الخطاب الذي يمارس في مجال التعليم المباشر أو المتخصص، لأن التعليم في المدارس والمعاهد موجه إلى طائفة متجانسة في الأعمار، ومتقاربة في المستويات المعرفية، وتلتقي جميعها عند هدف مرسوم لها، وتستطيع إبداء رأيها، ويعتمد الخطاب معها في مجال التبليغ مستوى لغويا واحدا، ومنهجية موحدة وأسلوبا بيداغوجيا يفرضه مستواهم الإدراكي والتعليمي.¹

أما الخطاب المسجدي فهو خطاب موجه لطوائف عديدة، ولأناس ذوي أعمار غير متجانسة، ومستويات مختلفة ومتباينة في المجال الثقافي والمعرفي والمستوى الإدراكي، مما يتطلب اختيار منهجية خاصة ولغة مشتركة وبسيطة وأسلوبا توجيهيا متنوعا.²

بسبب وجود التباينات السابق ذكرها يعتبر الخطاب المسجدي من أصعب الجماهير مما يتطلب حكمة وتكوينا مميزا للقائمين عليه ليستوعبوا في خطابهم كل هذه الفئات المشكلة للجماهير المسجدي، ويتطلب من الخطاب المسجدي كذلك اختيار موضوعات تتصل باهتمامات الناس كلهم صغيروهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وتمس كل فئة من فئات المجتمع، وتعالج الانحرافات والاختلالات التي تلاحظ في أوساط المجتمع الذي يمثلونه، حتى المحتويات التي يركز عليها الخطاب المسجدي تختلف عن المحتويات المقررة في مجال التعليم.³

الخطاب المسجدي موجه لطوائف عديدة، ولأناس ذوي أعمار غير متجانسة

¹- عبد القادر فضيل، مرجع سابق، ص: 27.

²- المرجع نفسه، ص: 27.

³- المرجع نفسه، ص: 27.

ولمستويات مختلفة ومتباينة في المجال الثقافي والفكري والمستوى الإدراكي، مما يتطلب منهجية خاصة في تقديمه.¹

6- خصوصية الجمهور المتكفل به إلهيا: إذا كانت وسائل الإعلام تسعى إلى تكوين جمهور وتبذل في ذلك مجهودات وأموال كثيرة، وتبذل نفس المجهودات للحفاظ على الجمهور بعد تكوينه، إلا أنه في الخطاب المسجدي قد تكفل الله تعالى بمسألة الجمهور، حيث أوجب عليه ترك كل الأعمال والسعي إلى الاستماع للخطاب المسجدي بآية قرآنية كريمة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (الجمعة 9) فلا يبحث الإمام قبل الجمعة أو العيدين عن الجمهور، بل الجمهور يأتي إلى المسجد بأمر من الله تعالى، في أجمل صورة وأبهأها، متعطرا، مغتسلا، يلبس أجمل الثياب، مجتنباً أكل كل أنواع الأطعمة ذات الرائحة الكريهة.

كما تكفل النبي صلى الله عليه وسلم بالحد من التشويش حين قال (عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إِذَا قَلَّتْ لَصَابِحُكَ: أَنْصِتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتُ"). [متفق عليه] ؛ وهذه الالتزامات يكون الإنصات، وحين يذهب المسلم مغتسلاً فإنه يكون بنفسية جديدة مرتاحة لها قابلية للإنصات والاستماع للمواعظ والتعاليم الإسلامية.

7- خصوصية الخضوع للمناسبات: يراعي الخطاب المسجدي في الجوائر المناسبات الدينية والوطنية، والأحداث الوطنية، وبعض الأحداث العالمية التي يسمح له بطرحها ومعالجتها، كل ذلك لكي يواكب الخطباء المناسبات ويعيشوا زماهم، ويتخذوا من قضاياها مواضيعاً لخطابهم:

الخطاب المسجدي خاضع لعامل المناسبات الدينية والوطنية والعالمية، هذا الخضوع يجعله يواكب المناسبات الدينية والوطنية والعالمية، فلا يكون الخطاب في عالم والمجتمع في عالم آخر، لكن المناسبات تعود سنوياً، والجمهور قد يكون نفسه، لذا كلما غيّر الخطيب زوايا النظر والطرح في المناسبات كلما تجنب الاجترار وإعادة نفس الكلام الذي قيل العام الماضي أو السنوات الماضية، وقضية تجنب الخطاب المسجدي للوقوع

¹ - المرجع السابق، ص: 28.

في التكرار والاجترار تحتم على الخطباء الاجتهاد الدائم في المطالعة وتطوير أنفسهم بالعلوم العصرية والتربية الروحية المستمرة ومدارسة القرآن الكريم والسيرة النبوية باستمرار.

يعتبر المرسل (القائم بالخطاب) عنصرا أساسيا في عملية الاتصال المسجدية؛ لأنه يستطيع تفعيل وتنشيط المسجد إذا امتلك المعارف والمهارات الأدائية اللازمة لرسالة الإمامة وحافظ على مسألة تطوير نفسه.

للإمام دور كبير في جلب الجماهير إذا امتلك أسلوب الخطاب المؤثر، وهذا ما يعكس وجود مساجد مقصودة بقوة من طرف الجماهير لسمعة إمامها وقدراته العلمية والتأثيرية، بعكس مساجد أخرى يعرض عنها الجمهور لعدم تجديد الإمام لمواضيعه ولأسلوب معالجتها... الخ.

8- الاتصال عن طريق الخطاب المسجدي يسعى الى التأثير: هو كباقي عمليات الاتصال الأخرى والتي تهدف بشكل عام إلى التأثير في المستقبل (الجمهور المسجدي) حتى تتحقق المشاركة في الخبرة مع المرسل، وقد ينصب هذا التأثير على أفكار لتعديلها أو تفسيرها، أو على اتجاهاته أو على مهاراته كذلك وسلوكه.¹

كما يتم من خلاله تعديل السلوك العملي للمستقبل كالقيام إلى الصلاة عند سماع الأذان، أو المسارعة في التبرع لمشروع خيري عند الاستماع أو قراءة الآيات القرآنية التي تبين فضل الإنفاق... الخ.²

9- المسجد مؤسسة: اعتماد العمل المسجدي على النشاط الفردي في أغلب الأحيان، فرغم أن المسجد مؤسسة دينية لها وظائف مختلفة ومتنوعة، ويفترض أن يتقاسم العمل فيها طاقم بشري متكامل، يتكون من إمام يقدم الخطاب المسجدي، وإمام للصلوات الخمس، وآخر لتعليم القرآن الكريم والترتيل، ومرشدة دينية لتفعيل النشاط المسجدي الموجه للمرأة، ومؤذن يرفع الأذان بطريقة معبرة وموحية، وقيّم يحرص على جمال المسجد ونظافته، فإذا بنا نجد إماما واحدا يختزل فيه كل هذا الطاقم البشري، ويحمله مهمة القيام بكل النشاطات والمهام المنتظرة قانونيا من المسجد، فيجد نفسه يعمل

¹- إبراهيم أو عرقوب: الاتصال الإنساني ودورة التفاعل الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1999، ص: 44.

²- المرجع نفسه، ص: 48.

وحده، وهو معرض للتعب والملل، والعجز عن أداء كل المهام بإتقان، فلا يكون له الوقت لتحسين ورفع مستوى معارفه ومهاراته، فيركن أحيانا إلى الركود في الأفكار والمعارف، وبالتالي ينزل مستوى الخطاب الذي ينتجه، ولا يجد الفرص لحضور الملتقيات والندوات التي تجدد طاقته ومعارفه ومهاراته.

هناك عدة مميزات وخصائص يتميز بها الخطاب المسجدي، فيتفق حيناً ويختلف أحيانا عن باقي أنواع الخطاب المقدم في وسائل الإعلام أو المؤسسات التعليمية... الخ، أهمها:

10- المسجد مؤسسة يعتمد عليها المجتمع في حل أزmate المستعصية: الخطاب المسجدي خطاب للجماهير المسلمة.¹ وفي كثير من الأحيان تستعين الدولة بالمسجد في محاربة كثير من الظواهر والآفات التي تفتك بالمجتمع كالانتحار والمخدرات والإدمان بأنواعه والتفكك الأسري والتسرب المدرسي... الخ لإدراكها مكانته لدى الفرد المسلم، وللقدسية التي يكتسبها الخطاب المنطلق من المسجد، ولمكانة الرموز الدينية في المجتمع المسلم.

11- المرجعية الدينية: يتبع الخطاب المسجدي في الجزائر فقهيا المذهب المالكي وعقدياً الأشاعرة، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، أما فكرياً فهو يتبع بعض المرجعيات المشرقية، وللجزائر مرجعيات فكرية جديدة بالاحترام والتقدير وتتبع منهجها كالعلامة ابن باديس والإبراهيمي.

الخطاب المسجدي يترجم التوجيه العلمي والديني والأخلاقي الذي تتبناه المؤسسة الدينية ومن ورائها المجتمع والجهاز المشرف على نشاط هذه المؤسسة في مجال الدعوة إلى الله وإلى الإيمان بالحق، وتربية الناس، كل الناس على حب الخير والصلاح والحق، ومحاربة الرذائل والآثام وتعليمهم كيف يتعاملون مع الحياة في جوانبها المختلفة المادية والمعنوية.²

12- علمية الخطاب المسجدي: فهو يعتمد الطرح العلمي الذي يستند إلى الأدلة والحجج، فلا يقدم حقيقة شرعية أو حكماً ملزماً، أو قيمة من القيم إلا إذا ساندتها الدليل الصحيح الواضح، ومن ثم فالخطاب المسجدي يستبعد الأوهام والشبهات

¹- المرجع السابق، ص: 72.

²- المرجع نفسه، ص: 27.

والظنون التي لا تغني من الحق شيئاً.¹

13- موضوعية الخطاب المسجدي: بالتجرد عن العواطف الخاصة والأمزجة والاعتبارات الذاتية، وهي ما يسمى في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بالأهواء، وإنما الخطاب الموضوعي يتطلب الحق ويتعرف عليه، فإذا وجدته يلتزمه.

ومن موضوعية الخطاب المسجدي تجرده عن التشخيص والتعيين، فهو خطاب عام في بيانه لحقائق الدين، أو في علاجه للمشكلات، أو في نقده للأفعال والتصرفات الخاطئة، فلا يتعرض لذكر الأشخاص والهيئات بأسمائهم أو أوصافهم أو ألقاب شهرتهم.²

14- روحانية الخطاب المسجدي: يتسم بالصبغة الروحانية، أي مخاطبة الروح والقلب بالمواظع الرقيقة تارة، ويخاطب العقول بالمنطق العلمي تارة أخرى.

إن اقتناع العقول وحده لا يكفي لتحفيز الجوارح للعمل، بل لا بد من إرادة قوية وعزيمة ماضية، والقلوب هي مواضع العزائم والإرادات، والقلوب لا يحركها المنطق العلمي الجاف، وإنما يحركها الخطاب الروحي العاطفي، الذي ينفث في النفس الإيمان بالله واليوم والآخر، مستخدماً حافز الترغيب حيناً والترهيب حيناً آخر.³

15_ وضوح الخطاب: بحيث يكون الغرض الذي يهدف إليه الخطيب مفهوماً للسامعين، ولهذا لا يستعمل كلمات لغوية غامضة، ولا تعبيرات مجازية بعيدة المعنى، فخطيب المسجد يستمع إليه أخلاط من الناس منهم المثقف، ومنهم الساذج قليل الثقافة أو عديمها، ومنهم من هو بين بين، وهؤلاء تختلف درجاتهم العقلية والثقافية، وهذا في الواقع يلقي على خطيب المسجد مشقة كبيرة، إذ هو مسؤول أن يفهم سامعيه بمختلف درجاتهم العقلية والثقافية، ولكن يجب أن نلاحظ أن العامة والناشئة المتعلمين يفهمون المعاني الإجمالية رغم أن بعض الجمل والعبارات تخفى عليهم، ومن هنا كان التكرار والإلحاح على المعنى الواحد بعبارات مختلفة له أهميته، فمن خفيت عليه جملة بينتها الأخرى، ولا بأس أن يستعمل الخطيب بعض الجمل العامة لتوضيح غرضه على ألا يكثر من إيرادها.⁴

¹- علي حبيب ديدي، منهجية الخطاب المسجدي، مرجع سابق، ص: 46.

²- المرجع نفسه، ص: 46.

³- المرجع نفسه، ص: 51.

⁴- عبد الجليل عبده شلبي، مرجع سابق، ص: 23.

كما أن على الخطيب أن يبتعد عن الغموض والتعقيد حتى لا يؤدي إلى عدم الفهم وسوء التأويل أو التحريف.

17- التيسير والتبشير: فهما من خصائص الإعلام وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بالتيسير: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا".¹

والتيسير هو إتباع منهج التسهيل والتوسعة والسماحة والتخفيف والبعد عن التعصب والتضييق والإجراج والإعنات ومن مظاهره: تيسير الفهم للدين وأحكامه، وتيسير العمل بالدين وشرائعه، ومراعاة جانب الرخص، وتقديم الأيسر على الأحوط، والتضييق في دائرة الإيجاب أو التحريم، فلا يفرض شيئاً أو يحرمه إلا بنص شرعي، وكذا العمل بمقتضى القواعد الفقهية الميسرة مثل، الضرورات تبيح المحظورات، الحاجة تنزل منزلة الضرورة خاصة أم عامة، المشقة تجلب التيسير... إلخ.

أما التبشير فهو كل دعوة تحبب الله تعالى إلى عبادة وترغيمهم في عبادته وطاعته، وتقودهم بحب ورفق إلى إتباع صراطه المستقيم، ومن مظاهره: تغليب التفاؤل على التشاؤم، وبث روح الأمل، والحذر من اليأس والقنوط، وتغليب جانب الرحمة والمغفرة والعفو، وبيان أن الدين يسع الجميع، والرفق بالمخطئ والمذنب، والتبشير بمستقبل الإسلام.²

18- تجديد الخطاب: من سمات الخطاب المسجدي التي تجعله صالحاً لكل زمان ومكان ميزة "التجديد"، وذلك أن الخطاب المسجدي هو صدى الدين ورسالة إلى الناس، وإذا كان الدين يحتاج إلى تجديد كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها"³؛ فالخطاب المسجدي أيضاً يحتاج إلى تجديد وتطوير، ومن معاني التجديد في الخطاب المسجدي: اختيار أحسن الطرق والأساليب في عرض الإسلام بلغة مفهومة لهذا العصر، فما كتب في العصور السابقة لا ينبغي أن يؤخذ بحذافيه كما هو ويخاطب به أهل عصرنا، وقد تغيرت المعلومات وتغيرت بالتالي الأفكار، وتغيرت المشكلات، وتغير أسلوب الخطاب، والمطلوب: أن يراعي ذلك كله، إذا أراد الخطباء أن يفهم الناس.

¹- حديث: "يسروا..."، رواه الشيخان.

²- علي بن حبيب ديدني، منهجية الخطاب المسجدي، مرجع سابق، ص: 64-65.

³- حديث: "إن الله..."، رواه أحمد وأبو داود والبيهقي.

ويعني التجديد كذلك إعادة صياغة الأفكار والتصورات والمفاهيم بصيغة عصرية على أساس من ثوابت الشرع وقيمه الأصلية، وكذلك يشمل معالجة المشكلات على أساس قيم الدين وتشريعاته، كما يظهر التجديد في التعليق الدقيق على ما يقع من حوادث والمستجدات على المستوى المحلي أو الوطني أو العالمي بعد قراءتها قراءة صحيحة.

إن التجديد سنة إلهية في الخلق لا بد من مراعاتها ومتابعتها في الخطاب المسجدي حتى يتم إيصال ما جاء به الإسلام للناس بطريقة صحيحة.¹

19- عنصر الاستمالة في الخطاب المسجدي: ويعني توجيه عواطف السامعين واستمالتهم لما تدعو إليه الخطبة؛ لأن السامع قد يقتنع بفكرة ما، ولكن لا يعنيه أن ينفذها أو أن تتحقق في غيره، فلا يسعى لتحقيقها، هذا العنصر من أهم عناصر الخطاب المسجدي لأنه هو الذي يحقق المطلوب منه، فمن الخطباء من يكون فاطر الإلقاء ضعيف التأثير فتضيع أدلته الكثيرة المقنعة هباء، ومنهم من يأتي بأدلة أقل أو أضعف ولكنه يثير عواطف السامعين ويلهب مشاعرهم فيتحمسون لتنفيذ فكرته، ويحاول كل منهم أن يعمل على تحقيق أشياء بقدر طاقته.²

20- يعتبر الخطاب المسجدي فرصة هامة لدعوة الجماهير إلى الالتزام بمبادئ الشرع، وفرصة كذلك لنصح المجتمع ومناقشته بمختلف فئاته وتنبيهه لقضاياها وأزماته، والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها.

من مميزات الخطاب المسجدي أنه اتصال له رسالة سامية، وله أهداف ومقاصد واضحة يسعى لتحقيقها.

كما يتميز الخطاب المسجدي باعتماده على الاستشهاد من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن التراث الإسلامي عموماً، وكذلك باعتماده على الصور البيانية والمحسنات البديعية التي تزيد المعنى وضوحاً واللفظ جمالاً.³

¹- عبد الجليل عبده شلبي، مرجع سابق، ص: 68.

²- المرجع نفسه، ص: 13.

³- سهام مادن: تحليل الخطاب المسجدي النسوي، مقال منشور بمجلة رسالة المسجد، العدد 05، السنة الثامنة، جمادى الأولى 1431هـ، ماي 2010، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص: 35.

خاتمة

- فعالية المسجد مرتبطة بفعالية القائمين عليه.
- لا زال الخطاب المسجدي مصدرا هاما لبث الثقافة الشرعية، والتذكير بقيم الإسلام، والدعوة إلى التزام هذه القيم فكريا وسلوكيا.
- الخطاب المسجدي مصدر هام لفئة كبيرة من الجمهور في مجال التعليم والتوعية والتزود بالثقافة الدينية ومعرفة تعاليم الإسلام.
- الجمهور المسجدي من أصعب الجماهير نظرا لتنوعه وتباينه، لذا يتطلب من الخطيب الكثير من الحكمة وامتلاك المعارف والمهارات للنجاح في احتوائه وتقديم الرسائل التي تؤثر فيه.
- يعتبر الخطاب المسجدي وسيلة اتصال وإعلام هامة يمكن تبليغ تعاليم الإسلام من خلالها.
- يراعي الخطيب المسجدي المناسبات الدينية والوطنية، والأحداث الوطنية، وبعض الأحداث العالمية التي يسمح له بطرحها ومعالجتها، كل ذلك لكي يواكب الخطباء المناسبات ويعيشوا زماهم، ويتخذوا من قضاياهم مواضيع لخطابهم.
- لابد من وعي الخطباء بأهمية المسجد كوسيلة اتصال مباشر، تتيح فرصة اللقاء المباشر بالجماهير المتنوعة لإيصال تعاليم الإسلام، إضافة إلى وجود عامل الإنصات في المسجد، والحضور الكبير، وتعطش الجماهير لسماع المواعظ... إلخ، كل هذه العوامل تجعل الرسائل تصل إذا أحسن القائم بالاتصال التحضير وواظب على تطوير معارفه ومهاراته، وأخلص في أداء عمله وأحبه.
- لا بد من التخطيط للخطاب المسجدي في إطار العمل الجماعي للإطارات العاملة في المسجد، ولا بد من متابعة آثار الخطاب والحفاظ عليها.
- المسجد وسيلة ترابط وتماسك المجتمع؛ لذا لا يجب الخوف من تفعيله؛ لأنه يحث على الصلاح والاستقامة والإيجابية، وهي أسس المواطن الصالح.
- يسجل على الخطاب المسجدي بعض الثغرات لا بد من تجاوزها وهي:
- غلبة العمل الفردي في المساجد رغم أنها مؤسسات دينية لها رسالة متنوعة وشاملة، ويفترض أن تتضافر فيها جهود الإمام الخطيب والمرشدة الدينية، وإمام الصلوات الخمس ومعلم القرآن الكريم، والقيّم والمؤذن، إلا أن الملاحظ هو وجود شخص

واحد أو اثنين في المسجد مما يؤدي إلى التعب وقلة الفاعلية.

- غياب التخطيط وغلبة العشوائية على الخطاب المسجدي فبعض القائمين على المساجد يقدمون خطابا وانتهى، ولا يحددون أهدافا قريبة وبعيدة لهذا الخطاب، تمكّنهم فيما بعد من تقييم المنجزات والثمرات، وكثير من الخطباء لا يتتبعون آثار خطابهم في المجتمع، فعملية التقييم والتقويم غائبة عند أغلب الخطباء.

- يعاني الخطاب المسجدي من عجز كبير جدا في الإطارات الدينية المتخصصة في العمل مع النساء خصوصا (المرشدات الدينيات)؛ مما يجعل المرأة تعيش فراغا في الخطاب الديني، رغم أنها نصف المجتمع وتحتاج إلى تربية وعناية دينية تمكنها من أداء الأدوار المطلوبة منها في المجتمع وفق تعاليم الإسلام، والمرأة تبني وتربي وتعلم أبناءها ولديها واجبات وحقوق كأم وكزوجة... الخ.

- يعاني الخطاب من الإقحام في بعض القضايا السياسية أحيانا، والأجدر أن يبقى المسجد بعيدا عن الضغوطات ليمارس مهام التربية والإرشاد والدعوة إلى كل ما دعا الإسلام إليه.

- تعاني المساجد من فراغ في الخطاب خلال أيام الأسبوع ما عدا الجمعة؛ لذا لا بد من تقديم الدروس القارة وعلى الخطباء أن يجتهدوا في تحديد الأوقات المناسبة للجمهور؛ لأن هذه الدروس تساهم في تعمير المساجد وتفعيل دورها في التربية والتوجيه والتذكير.

- قلة وعي كثير من القائمين على المساجد بأهمية الاتصال المباشر بال جماهير باستمرار، ومدى تعطش الجماهير للرسائل الدينية، ذلك أن منبر المسجد يتيح فرصة للتأثير لا يتيحها مكان آخر، لوجود الإنصات والإقبال وتنوع الحضور وفرصة الخطاب دون واسطة، فهي فرصة ثمينة للعمل على تذكير الجمهور بتعاليم الإسلام ودعوته إلى تمثّل والتزام مبادئ الإسلام وعقيدته وشريعته.

- غلبة العمل الروتيني في المساجد، خاصة وأن المناسبات تتكرر وبعض الخطباء لا يتجددون ولا يجددون أفكارهم ومعارفهم وزادهم العلمي والروحي، مما يجعل خطابهم كله روتين وتكرار؛ ويؤدي بأفكارهم إلى الجمود واللامبالاة.

- إسناد مهمة الخطاب المسجدي لمن لم يكونوا له أصلا، فالدراسة أثبتت العجز في الإطارات الدينية المؤهلة والمعدة أصلا لإعداد وتقديم الخطاب، من خلال إسناد أمره إلى أئمة الصلوات الخمس، أو معلمي القرآن الكريم أو المؤذنين أو المتطوعين، وهؤلاء جميعا

لم يتلقوا التكوين الذي يؤهلهم للخطاب في الأساس.

يعاني الخطاب المسجدي من مشكلة التقصير في رسم الأهداف، فغياب الأهداف والغايات من أذهان بعض القائمين عليه أدى إلى العمل ببساطة وروتين في كثير من الأحيان، والعمل بوسائل تقليدية دون عصرنه، ودون مواكبة لوسائل الاتصال الحديثة، وأدى هذا كله إلى مشكلة أخرى يعاني منها الخطاب المسجدي هي قلة المحطات التقويمية من طرف القائمين عليه، وقلة المتابعة لآثار خطابهم في المجتمع، وقلة السعي للحفاظ على ثمرات الخطاب والمنجزات، وكأن رسالة الخطباء تنتهي بتقديم الدرس أو الخطبة.

إن رسم الأهداف يجعل القائم بالخطاب يسير على بينة، تمكّنه من معرفة نقطة الانطلاق، ونقطة الوصول بالجمهور، وتمكّن الإمام فيما بعد من تقويم نفسه تقويماً ذاتياً ليعرف ما تمكن من إنجازه وما أخفق فيه، فيعيد رسم الخطط ويصحح الأخطاء، ويجدد الوسائل التي توصله إلى تحقيق المراد، ويؤدي هذا كله إلى معرفة ما تمّ إنجازه فيسعى الخطيب للحفاظ على منجزاته، وإذا ما غابت كل هذه الخطوات عن أي خطاب فسيسير إلى الضعف وقلة التأثير.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم أو عرقوب: الاتصال الإنساني ودورة التفاعل الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د ط، 1999
- ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، مج 1، ص: 421-423.
- أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، د ط، د ت،
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، سوريا، ط 1، 1977، مج 3، ص: 365.
- أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ابن دريد: جبهة اللغة، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، مادة (ب.خ.ط)
- سعيد إسماعيل علي: الخطاب التربوي الإسلامي، سلسلة كتب الأمة، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط 1، د ت.
- سمير محمد حسين: الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 3، 1996.
- سهام مادن: تحليل الخطاب المسجدي النسوي، مقال منشور بمجلة رسالة المسجد، العدد 05، السنة الثامنة، جمادى الأولى 1431 هـ، ماي 2010، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر
- طه أحمد الزايدي: معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، دار النفائس، الأردن، ط 1، 2010،
- طه أحمد الزبيدي: الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية، دار الفجر، الأردن، ط 1، 2010.
- طه عماد مكاي، ليلى حسن السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، د ط، 1998، ص: 85
- عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1981.
- عبد القادر فضيل: منهجية بناء الخطاب المسجدي، مقال في رسالة المسجد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، العدد 02، السنة الأولى، رجب 1424 هـ، سبتمبر 2003، ص: 27.
- علي بن الحبيب ديدني: منهجية الخطاب المسجدي، دار العوادي، عين البيضاء، الجزائر، ط 1، 2012.
- عواطف عبد الرحمن ونادية سالم، وليلى عبد المجيد: تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، العربي للنشر، القاهرة، د ط، د ت.

- مجمع اللغة العربية: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1981
- محمد أحمد يونس: الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة،
- محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي: القاموس المحيط، المطبعة الميريّة، مصر، ط2، 1301 فصل الخاء، باب الباء.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، د ط، 1981.
- منير حجاب: المعجم الإعلامي، دار الفجر، القاهرة، مصر، ط2، 2004.
- هشام عطية: تأثير السياسية الخارجية للدولة في المعالجة الصحفية للشؤون الدولية: دراسة تحليلية مقارنة للصحافة المصرية للفترة من 1990-1992، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 1995، ص: 39-41. نقلا عن محمد أحمد يونس: الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، دار القلم، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2004.
- حسن مصطفى: الخطاب الإسلامي وتحدي الانفتاح على الإنسان الحديث، مقال منشور على الانترنت، متوفر على الانترنت على الموقع:
- <http://www.guateefiat.com/ga/magalat/katbh%2050.htm> تم الدخول إلى الموقع يوم: 2012-04-30.

رسالة المسجد - الواقع والمأمول -

أ.د/ حياة عبيد

مخبر الدراسات الفقهية والقضائية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

Abid-hayat@univ-eloued.dz



الملخص

لقد تحققت غايات الدين وعلت راياته بالمسجد، لقد كان عنواننا لسمو الدين ودليل عنايته بالفرد والجماعة، فهل لا زال يؤدي رسالته في عصرنا في أوضاع صعبة تعيشها أوطان المسلمين؟ وكيف السبيل إلى استعادة أدوار المسجد وتفعيل رسالته في عصرنا؟

إنّ الوعد النبوي بإمكانية تجديد الدين كل مائة عام بل وتَحَقُّق ذلك يشمل تجديد أهم مؤسسة دينية وهي المسجد، وهذا ما سنتناوله بالبحث مع تقديم مقترحاتنا لعلنا نحظى بخدمة هذا الدين ومساجده بيوت الله وأحب بقاع الأرض إليه.

ومن أهم النتائج المتوصل إليها: أنّ للمسجد مكانة سامقة في وجدان المسلم وتاريخ المسلمين، ويمكن استعادة أدواره بشيء من التخطيط والتكوين الجيد للأئمة والمرشدين الدينيين، مع توفير القوانين المنظمة والحامية والمحفزة لعمل هذه المؤسسة العريقة.

المقدمة

كان تأسيس المسجد بناء ورسالة ومهمات من أول ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة المنورة مهاجرا لتمكين الدين وتأسيس دولة الإسلام.

لقد اشترى أرض المسجد من يتيمين من بني النجار ودفع ثمنه، وبناه بسواعده وسواعد أصحابه، فكان قصر حكومته بالتعبير المعاصر، ومجلس الشورى، ومسرح عقد ألوية الجيش، وقاعة شرفية لاستقبال السفراء والدبلوماسيين من بلدان شتى، كما كان مدرسة وجامعة، ودار قضاء وشكوى وفصل، وإدارة لكتابة الوحي والرسائل السياسية والإدارية، ومقر بيت المال، وكان قبل ذلك كله وبعده بيت الله تقام فيه الصلوات والذكر، وكل ما يحقق تزكية النفس والسمو بالأخلاق والقيم.

لقد تحققت غايات الدين بالمسجد، وعلت راياته به، كان المسجد ولا يزال عنوانا لسمو الدين ودليل عنايته بالفرد والجماعة، يحتمي به المنقطع والغريب والطائع والمنيب، ولأهمية رسالة المسجد وأدواره في عمارة الإنسان وإصلاحه ليقوم بعمارة المكان باسم الله الباري، ولتحقيق مقاصد الشريعة في الفرد والجماعة، اخترت لمداخلتي عنوان: "رسالة المسجد -الواقع والمأمول- ضمن المحور الأول: المسجد في الإسلام: المؤسسة والرسالة، وهي مداخلة أعددتها للملتقى الوطني التاسع: الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022 والمزمع انعقاده يومي 3-4 ماي 2023، بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي.

الإشكالية:

وارتأيت أن تكون إشكالية مداخلتي عبر أسئلة فرعية كالآتي:

-ما هو واقع المسجد وواقع رسالته اليوم؟

-هل لا زالت رسالته وغاياته متحققة في هذا الزمن رغم الأعداد الكبيرة من المساجد وما اشتملت عليه من تجهيزات مادية، وامكانات بشرية؟

-ما هو المأمول منه في عصرنا، عصر محاربة الدين بأبنائه وأعدائه؟

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت بحث المساجد في الإسلام وأدوارها الدعوية والتعليمية وعمارته الفنية وتطورها، وكل ما يتعلق بها، وقد اخترت لمداخلتي ثلاث دراسات رأيتها تخدم مداخلتي بنسب مختلفة حسب محاور البحث، وفيما يلي عرض لتلك الدراسات:

1- رسالة الإمام ومقاصد الإمامة، للأستاذ الدكتور. نور الدين بوحزمة، وهو مقال في مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والاقواف بالجزائر، المجلد 20/ العدد2، 1444هـ-2022م، ص 57-73.

تناول فيه كاتبه أهمية رسالة الإمام في إصلاح المجتمع وتوعيته، وأنه ضامن في نصحهم، القائم بالجماعة بالإمامة، ثم بين مقاصد الإمامة وأجملها في: تعليم الناس وإرشادهم ودعوتهم للخير، وأن على الإمام تقع مسؤولية تجديد الخطاب المسجدي

والتصدر للفتوى باعتبار المقاصد الشرعية، والتحديات المعاصرة التي يواجهها الإمام كبيرة تستدعي التسلح لها بالعلم والثقافة والحكمة في دعوة الناس وائتلافهم.

وقد استفدت من هذا المقال في المحور الثاني لواقع رسالة المسجد وكذا المحور الثالث عن كيفية تفعيل رسالة المسجد، والإمام عنصر مهم في إنجاح ذلك.

2- دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، د. بشير قادرة، مقال في مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، باتنة 1، المجلد 12، العدد 01، 2010/12/01م، وقد تناول الكاتب القوانين المنظمة لمؤسسة المسجد هيكلية ورسالة وتأطيرا، وانتقد القصور الواضح في التشريعات القديمة في الجزائر، وتناول واقع المسجد في عصرنا، وضعف أدواره وأسباب ذلك، وقد استفدت من هذا المقال في المحور الثاني الذي تناولت فيه واقع رسالة المسجد في الجزائر.

3- رسالة المسجد في المجتمع الاسلامي وكيف يمكن بعثها حتى يؤدي دوره الفعال في نهضة المسلمين المعاصرة، للدكتور توكي رايح عمامرة، مقال في مجلة حوليات جامعة الجزائر، مجلد 1، العدد 1، 1986م. ورغم أنّ البحث نُشر في الثمانينيات إلا أنّ ما أورده كاتبه لا يزال واقعا مرا لمؤسسة المسجد ورسالته، وكيف نجح الأعداء في إبعاد الناس عن المسجد، وتجييف منابع قوته في التأثير على حياتهم الدينية والاجتماعية بتحجيم دوره وحصرها في الصلاة وقراءة القرآن على أهميتهما، وفصل الكاتب في مقترحاته العملية لإحياء دور المسجد وتجديد رسالته في المجتمع، وقد استفدت من هذا المقال لتحليل محاور مداخلتي الثلاث.

منهج المعالجة:

اعتمدت على المنهج الوصفي في تناولي لرسالة المسجد عند نشأته، وفي توصيف واقع المسجد ورسالته في عصرنا مع تحليل أسباب ذلك الضعف والتردي، كما استخدمته في رؤيتي لتفعيل رسالة المسجد وأدواره المتعددة والهامة في المجتمع.

خطة البحث:

قسمت مداخلتي لثلاثة محاور، مع مقدمة وخاتمة، أولها نشأة المسجد ورسالته، وثانيها لواقع المسجد وواقع رسالته، وثالثها للمأمول من استعادة المسجد دوره وريادته في حياة الفرد والمجتمع.

المحور الأول: نشأة المسجد ورسالته:

أولاً: نشأة المسجد:

قبل الحديث عن نشأة المساجد يجدر بنا تعريف المسجد، فالمسجد لغة هو : مفعّل بالكسر اسم لمكان السجود، وأما المسجد شرعاً: فكل موضع من الأرض، لقوله صل الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجداً"، وهذا من خصائص هذه الأمة. قاله القاضي عياض: لأن من كان قبلنا كانوا لا يُصلون إلّا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلّا ما تيقنّا نجاسته.. ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه فقيل : مسجد، ولم يقولوا مركع. ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمها، وكذلك الربط والمدارس فإنها هيئت لغير ذلك¹.

ولقد ثبت في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "أينما أدركتكم الصلاة فصلّ، فهو مسجد"².

أمّا التعريف الاجتماعي للمسجد: فالمسجد مؤسسة دينية تربوية اجتماعية سياسية اقتصادية. فدينية لأنه تؤدي فيه الصلوات الخمس يوميا وصلاة الجمعة وبقية العبادات من قراءة القرآن والذكر والتهجد والاعتكاف؛ وتربوية لأنه بفضل تلك العبادات وما يسمعه المصلون فيه من الإمام في مختلف الدروس والخطب يؤدي إلى تربيتهم وتنشئتهم على الدين في كل جوانبه ؛ واجتماعية لما يتم فيه من صلة قوية بين المصلين في مختلف المجالات التعليمية والثقافية وتوثيق شبكة العلاقات الاجتماعية والتفاعل الإيجابي فيما بينهم، كل ذلك بسبب صلّتهم بالجامع؛ وسياسية لأنه في المسجد تم عقد البيعات للخلفاء الراشدين، وتدار فيه الحوارات والمناقشات بين أعلام المسلمين وقادتهم فيما يخص بلاد المسلمين وشؤونهم العامة؛ واقتصادية حيث ترعى المساجد أسر المتعفيين عن طريق اللجان الخيرية التي تقوم على جمع التبرعات من الميسورين وتوزيعها

¹ محمد بن عبد الله الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة، ط4، 1416هـ-1996م، ص26-28.

² رواه مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دط، 1374هـ/1955م، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، رقم 520، ج1، 370.

على المحتاجين¹.

هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وبنى دولة الإسلام فيها منذ أيامه الأولى، ثم أعلن عن دستور الدولة الجديدة بعد مشاورات عديدة، فكانت وثيقة المدينة وثيقة للمواطنة ولتنظيم شؤون الدولة الفتية داخليا وخارجيا، وتعيين حدود المدينة المنورة التي شكلت أرض الدولة التي يترأسها²، كما كان بناء المسجد النبوي الشريف قبل بناء بيته الخاص³ بل عين مكانه واشترى أرضه من يتيمن من الأنصار⁴ قبل أن يحط رحاله في بيت مضيفه أبي أيوب الأنصاري⁵.

لقد بنى الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد النبوي بسواعده وسواعد أصحابه، فكان مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر رضي الله عنه شيئا، وزاد فيه عمر رضي الله عنه، وبناه على بنائه في عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا، ثم غيره عثمان رضي الله عنه فزاد فيه زيادة كبيرة⁶.

كان مسجده عليه الصلاة والسلام بسيطا في بنائه شامخا بروحه ومعانيه وأهدافه، لم يفرض طابعا معيناً لمعماريته، وإنما أكد على عمارته بعمارة الإنسان فيه وتزكية نفسه. ف"من محاسن الإسلام ومرونته، إذ لم يفرض شروطاً خاصة أو تصميمات محدداً لبناء المساجد، بقدر ما وضع ضوابط عامة تحدد هويتها الجوهرية أهمها الطهارة واتجاه

¹ بشير قادرة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، باتنة 1، المجلد 12، العدد 01، 2010م، ص 200.

² محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس - بيروت، ط 5، 1985، ص 57.

³ قال الحافظ شمس الدين الذهبي في لبلب الروض: "لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد، ولا أحسبه بعد ذلك إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين، ثم لم يحتج لبيت آخر حتى بنى بعائشة في شوال سنة اثنتين، وكأنه عليه السلام بناها في أزمان مختلفة" راجع: محمد بن عبد الله الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، المرجع السابق، ص 224.

⁴ انظر تفصيل ذلك في المباركفوري، الرحيم المختوم، دار إحياء التراث، دط، دت، ص 167، حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، دط، يناير 1981م، ص 50-51، عبد الله الحجيلي، الاوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1430هـ-2009م، ص 46.

⁵ عبد الله الحجيلي، الاوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، المرجع نفسه، ص 44.

⁶ محمد بن عبد الله الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، المرجع السابق، ص 224-225.

لقد كان لسبق الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء المسجد وبيان رسالته ومهماته قولاً وممارسة وإرشاداً ذي دلالات عميقة، فالدولة تُبنى وتُقام، وتستقر وتدوم بالإنسان الفرد والجماعة، ولا أحسن وأجدى وأنفع في بنائهما من المسجد، فيه تتم عمارة الإنسان الذي يعمر المكان، فتزول كل وحشة وغربة بين الإنسان ودينه، وكأن المسجد مأواه الأول في الجنة قد أواه ثانية فلا وحشة ولا انفصال بين عمارة المكان وعمارة الإنسان.

عادة ما يقع المسجد في قلب هذه المدن، لا باعتباره مكاناً للعبادة والشعائر الدينية فقط، إنما كذلك لدلالاته الرمزية على سلطة المعرفة في قلب المدينة، فالجامع ملتقى طلاب العلم من أقاصي المدينة وحتى خارجها. ومن ثم كانت تتوزع حوله المدينة، وتنتشر في تنظيم متناغم، ينتهي بأسوار تشكل درع المدينة وحصنها في وجه الأعداء.²

ثانياً: مكانة المسجد ورسالته:

1- مكانة المسجد وفضله: آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل تبين فضل المساجد وعمارته، كما زخرت كتب الصحاح والسنن بالأحاديث النبوية تشيد بالمساجد وبنائها وعمارته وفضلها وفضل من بناها وعمرها بالذكر والعلم، وقد عدد الزركشي فضلها في كتابه "إعلام الساجد بأحكام المساجد" ونقل عنه كثير من العلماء ذلك منهم د. حسين مؤنس في كتابه المساجد، ولا بأس بإيراد شيء من فضل المساجد دون تفصيل كبير:

- أشار د. حسين مؤنس أنه قد ورد في القرآن الكريم ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام ثمانية وعشرين مرة، ووردت الإشارة إلى المسجد الحرام بلفظ البيت سبعة عشرة مرة، ووردت الإشارة إليه باسم مقام إبراهيم ومصلى مرة واحدة، ووردت الإشارة إلى المساجد بلفظ البيوت مرة واحدة³؛ وفي هذا دلالة على فضل المساجد وشرفها.

- لمكانتها العالية وعظم منزلتها عند الله تعالى أضافها إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم،

¹ أحمد محمد سعيد السعدني، المساجد بين الماضي والحاضر نظرة مستدامة، Journal of urban research, Faculty of urban and regional planning, Cairo university, vol32, April 2019

² محمد طيفوري، المعمار والإنسان "نصنع الأبنية وتصنع حياتنا"، في: الاقتصادية - جريدة العرب الاقتصادية الدولية - تاريخ المشاهدة: 2023/04/22 الساعة 12 سا، الرابط:

https://www.aleqt.com/2021/08/11/article_2150346.html

³ انظر تفصيل ذلك في: حسين مؤنس، المساجد، المرجع السابق، ص 13-19.

وفضل، كقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: 114] وكقوله - عز وجل ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 18] وقوله - سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، مع أن جميع البقاع وما فيها ملك لله - عز وجل -، فهو خالق كل شيء ومالكة، ولكن المساجد لها ميزة وشرف؛ لأنها تختص بكثير من العبادات، والطاعات، والقربات، فليست المساجد لأحد سوى الله، كما أن العبادة التي كلف الله بها عباده لا يجوز أن تصرف لأحد سواه¹.

- وقد امتدح الله عُمَرَا المساجد بالعبادة والذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: 18]، وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: 36-38].

- ومما يدل على فضل المساجد، ومكانتها قول الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: 40]، فالجهاد شرع لإعلاء كلمة الله، والمساجد هي أفضل البقاع التي تُرْفَع فيها كلمة التوحيد، وتُؤَدَّى فيها أعظم الفرائض بعد الشهادتين، ولهذا كان الدفاع عنها واجباً على المسلمين².

- وتوعده الله أعداء المساجد المانعين لعماريتها بالخوف والخزي والعذاب يوم القيامة³ في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 114-115].

- وثبت في فضل المساجد حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا"⁴

¹ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المساجد - مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، دط، دت، ص9.

² المرجع نفسه، ص10

³ حسين مؤنس، المساجد، المرجع السابق، ص14، سعيد القحطاني، المساجد، المرجع نفسه، ص12.

⁴ رواه مسلم، صحيح مسلم، المرجع السابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في المصلى بعد الصبح وفضل المساجد، برقم 671، ج1، 464.

قال الإمام النووي - رحمه الله: أحبّ البلاد إلى الله مساجدها؛ لأنها بيوت الطاعات، وأساسها على التقوى، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها؛ لأنها محل الغش، والخداع، والربا، والأيمان الكاذبة، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه"¹.

- وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبوا أن يدعه على هيئته فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من بنى مسجدا لله بنى الله له بيتا في الجنة مثله².

- حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. فقال: ورجل قلبه معلق بالمساجد³.

- قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومسجد الأقصى"⁴.

لا يسعنا إيراد كل ما ثبت في فضل المساجد وعمارتها وتنظيفها وتطيبها وآدابها وفضل السعي لها والذكر فيها والتعلم والتعليم، فذلك أمره يطول، ويمكن الرجوع إلى أفضل ما جمع من فضلها في إعلام الساجد لأحكام المساجد للزركشي، والمساجد لحسين مؤنس، والمساجد وأفضالها للقحطاني.

2-رسالة المسجد: يمكن تلخيص رسالة المسجد ومهامه المتعددة منذ نشأته في المدينة المنورة على يد رسول الإسلام فيما أوضحه ابن تيمية، إذ يقول في ذلك: "..وكانت مواضع الأئمة، ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والذكر والقراءة، وتعليم العلم والخطب، وفيه عقد الأولوية، وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، فيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم..⁵".

¹ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المساجد، المرجع السابق، ص 13-14.

² الزركشي، إعلام الساجد، المرجع السابق، ص 36.

³ روه مسلم، صحيح مسلم، المرجع السابق، باب فضل اخفاء الصدقة، رقم 1031، ج 2، ص 715، الزركشي، إعلام الساجد، المرجع نفسه، ص 39.

⁴ رواه مسلم، صحيح مسلم، المرجع السابق، كتاب الحج، باب فضل المساجد الثلاثة، برقم 1397، ج 2، ص 1014. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المساجد، المرجع السابق، ص 17.

⁵ أبو العباس أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن النجدي، طبعة إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، دط، 1404هـ، ج 2، ص 550.

ويؤكد الشيخ علي الطنطاوي ذلك قائلا: "والمسجد هو المعبد في الإسلام وهو البرلمان، وهو المدرسة، وهو النادي، وهو المحكمة.. وفي المساجد وضعت أسس الثقافية الإسلامية.. وكان يدرس في المسجد كل علم ينفع الناس، من علوم القرآن، وعلوم السنة وعلوم الشريعة وعلوم اللسان وعلوم سنن الأكوان".¹

إذن تمثلت رسالة المسجد منذ تأسيسه فيما يلي:

1- المسجد هو المعبد، هو بيت الله، مكان طاهر يتصل فيه المخلوق بخالقه، فيه تقام الصلوات الخمس جماعة، والجمعات، وفيه يقرأ القرآن ويرتل، ويذكر اسم الله ويُشكر.

2- المسجد للتعليم والتعلم مدى الحياة للناس جميعا، وفي كل الأماكن والأوقات، يقول د. أحمد فكري: "كان التدريس إذن قائما في المساجد منذ صدر الإسلام، وكان للعلماء فيها حلقات، وكانت هذه الحلقات مأهولة بالطلاب، وكانت منتشرة في جميع عواصم العالم الإسلامي.. وتعددت الحلقات في المسجد الواحد، ولم تكن هذه الحلقات مقصورة على علوم الدين، فكان يجلس للتدريس بها علماء كذلك في اللغة والنحو والتاريخ وغيرها من العلوم النقلية.. ويبقى التدريس قائما قرونا طويلة منذ العصر الأول، وما زال قائما في بعضها حتى وقتنا هذا".²

لقد ارتبطت مهمة التعليم وتعميمه، ونشر العلم بالمسجد حتى كأنهما لحمة واحدة لا يمكن فصلهما عن بعض³، ألم تكن "اقرأ باسم ربك" هي أول ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فهذا الشيخ ابن باديس يؤكد على ذلك فيقول: "المَسْجِدُ وَالتَّعْلِيمُ صَنَوَانِ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ يَوْمِ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، فَمَا بَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يَوْمَ اسْتَقَرَّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ. بَيْنَهُ حَتَّى بَنَى الْمَسْجِدَ، وَلَمَّا بَنَى الْمَسْجِدَ كَانَ يُقِيمُ الصَّلَاةَ فِيهِ وَيَجْلِسُ لِتَعْلِيمِ أَصْحَابِهِ، فَارْتَبَطَ الْمَسْجِدُ بِالتَّعْلِيمِ كَارْتِبَاطِهِ بِالصَّلَاةِ، فَكَمَا لَا مَسْجِدَ بِدُونِ صَلَاةٍ كَذَلِكَ لَا مَسْجِدَ بِدُونِ تَعْلِيمٍ، وَحَاجَةُ الْإِسْلَامِ إِلَيْهِ كَحَاجَتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا إِسْلَامَ بِدُونِ تَعْلِيمٍ، وَلِهَذَا الْحَاجَةُ مَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ بِهِمَا، فَمَا انْقَطَعَ

¹ علي الطنطاوي، الجامع الأموي في دمشق، وزارة الأوقاف، سوريا، مطبعة الحكومة بدمشق، د ط د ت، ص 5، بتصرف.

² أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة، ط 2، د ت، ج 2، ص 137.

³ انظر تفاصيل ذلك في: حياة عبيد، أحكام الوقف ودوره في تشجيع وترقية البحث العلمي - أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة وهران بالجزائر، 2014م)، ص 376-403، رابط الأطروحة: <https://theses.univ-oran1.dz/theseart.php?id=61201445t>

عُمْرُهُ كُلُّهُ. عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ التَّعْلِيمِ فِي مَسْجِدِهِ، حَتَّى فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ"¹

3-المسجد مكان للتوجيه الديني والأخلاقي والاجتماعي للمسلمين²، يُحرص فيه على كل ما يحقق تركية النفس والسمو بالأخلاق والقيم.

4-هو مكان لتشااور المسلمين وتناصحهم فيما بهمهم من أمور الدين والدولة؛

5-في المسجد كانت تعقد ألوية الجيش، وقاعة شرفية لاستقبال السفراء والدبلوماسية من بلدان شتى³؛

6-وكان المسجد دار قضاء وشكوى وفصل للخصومات، يتم فيه اصلاح ذات البين، وفيه تُبرم عقود الزواج، ويتشارك المسلمون أفراحهم وأقراحهم؛

7-وكان إدارة لكتبة الوحي والرسائل السياسية والإدارية، ومقر بيت المال، وكان قبل ذلك كله وبعده بيت الله لعباده المؤمنين جميعا ولو شَيدَده واحد منهم.

لقد كان المسجد قديما هو قلب المدينة الإسلامية النابض بالحياة، ومركز خدمة المجتمع في كافة المجالات⁴، وظل يتبوأ مكان الصدارة في اهتمامات المسلمين وهو المؤسسة الوحيدة التي عرفها المسلمون واستوعبت نشاطهم متعدد الأوجه⁵، إذ قامت المساجد بالتربية الروحية، والتوعية الدينية والاجتماعية والسياسية، ونشاطات أخرى أملت لها ظروف كل بلد⁶، وكان في مقدمة تلك الأنشطة النشاط العلمي والتعليبي⁷.

ولأهمية المساجد وفضلها، ودورها في إصلاح الفرد وريادة المجتمع تسابق الحكام ورعاياهم من كل الطبقات، وفي كل الأمكنة والأزمنة لوقف المساجد والوقف عليها، فكان المسجد ولا زال من أهم الأوقاف الإسلامية، وكانت أولى المساجد في تاريخ المسلمين هي

¹ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، 1938، ص 95 نقلا عن: تركي رابح عمامرة، رسالة المسجد في المجتمع الاسلامي وكيف يمكن بعثها حتى يؤدي دوره الفعال في نهضة المسلمين المعاصرة، مجلة حوليات جامعة الجزائر، مجلد 1، العدد 1، 1986، ص 82

² تركي رابح عمامرة، رسالة المسجد في المجتمع الاسلامي، المرجع نفسه، ص 71.

³ المرجع نفسه، ص 71

⁴ المرجع نفسه، ص 71

⁵ سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عهد السلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، 1992م، ص 177-179.

⁶ حسين مؤنس، المساجد، المرجع السابق، ص 42.

⁷ د.عبد المنعم الخفاجي، الأزهر في ألف عام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1408هـ-1988م، ص 111، أحمد فكري، مساجد القاهرة، المرجع السابق، ج 2، ص 135-138.

نفسها أولى وأكبر الجامعات، فالحرمين الشريفين، وجامع عمرو بن العاص، والجامع الأزهر، وجامع الزيتونة والمسجد الأقصى، وجامع القرويين، وجامع الأموي، وجامع قرطبة بالأندلس وغيرها، كلّها كان لها دور كبير في نشر العلم وتعليم الناس، ورفع مستوى معرفتهم الدينية، وقد تكوّن الآلاف من العلماء وتخرجوا من تلك المساجد، وبنوا حضارة الإسلام في عالم الناس¹.

المحور الثاني و واقع المسجد و واقع رسالته:

واقع المساجد ورسالتها في تربية الفرد وإصلاحه، وريادة المجتمع لا تنفك عن حال الأمة الإسلامية وتخلّفها الحضاري، فالجهل والفقر والمرض والتردي الأخلاقي، والتفكك الأسري والتدهور الاجتماعي والأزمات الاقتصادية وغياب الأمن المجتمعي والأمن الخارجي وضع عام تعيشه معظم البلدان الإسلامية بتفاوت في بعض العلل والمظاهر، وكذا أصبحت حال جلّ المساجد في عالمنا اليوم، تقلصت مهامها وانحسرت في الصلاة وما يلزم من خطب الجمعة والعديد من خطبها قليلة مكررة لا تبعث الحياة في النفوس الميتة. ولا ترسل شعاع الأمل في اليأس والبائسة وأرواحهم.

وفيما يلي سنتناول واقع المساجد وواقع رسالتها في عصرنا بشيء من التعميم للحالة المشتركة لغالبية المساجد دون الإشارة للمساجد التي تشهد استثناء لا يحقق النهوض المسجدي المنشود.

وسنتناول ذلك الواقع في عنصرين، الأول لواقع البناء والمعمار أي الهندسة المعمارية، والثاني لواقع الرسالة والأدوار.

أولاً: واقع المساجد من حيث البناء والمعمار:

بدأت المساجد بسيطة في بنائها، عميقة وسامقة بروحها، شامخة وهادفة وواضحة في رسالتها، ثم تطور بناؤها مع تطور العمران في البلاد الإسلامية مع الحفاظ على هويتها

1- راجع: حسين مؤنس، المساجد، المرجع السابق، ص 140-180، د. محمد القطري، الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ص 70-125، المقرئزي، أحمد بن علي المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئزية، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، دت، دط، ج 2، ص 244-316، علي محمد الشاذلي الخولي، دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد 10، د ط، د ت، الكتاب كله يتحدث عن المساجد الشهيرة، حياة عبيد، أحكام الوقف ودوره في تشجيع وترقية البحث العلمي، المرجع السابق، ص 376-403

الإسلامية¹ ومهامها الدينية والتربوية والتعليمية والاصلاحية، بل أوضحت المساجد الكبرى جامعات مشهورة تألفت في سماء الحضارة الإسلامية بل العالم بأسره، بما أدته من مهام وأنتجته من علماء وفقهاء².

ومع التحولات التي عاشتها الدولة الإسلامية ومجتمعاتها، ازدهرت عمارة المساجد الفنية، وتطور بناؤها وزخرفتها وتزيينها، فأصبحت آية في الجمال والرونق والابداع المعماري³، وصاحب ذلك شيئا فشيئا تغير في رسالتها، وانفصلت عنها كثير من المهام، فاستقلت مهمات الدولة عنها كالقضاء والشورى الرسمية في الشؤون السياسية، ومؤسسة الجيش، ودور استقبال الوفود الرسمية وغير ذلك، وانحصرت مهمة المسجد في العبادة وما يتعلق بالصلاة والوعظ والإرشاد⁴، وذلك لأسباب عديدة أهمها:

- انفصال المهمات التعليمية والعلمية عن المساجد⁵، وتحوله إلى المدارس والجامعات، ففقدت المساجد دورا مهما لها بعد العبادة وإقامة الشعائر الدينية والإرشاد وهو التعليم، ونشر العلم وتكوين طلبة العلم وتخريج العلماء والفقهاء.

- مخطط الاحتلال الأجنبي الذي احتل بلاد المسلمين، وانتبه لكون المساجد مصدر قوة المسلمين المعنوية والعلمية والسياسية، ففيها يتربى الفرد ويتعلم، وهي التي تعزز فيه قيم الكرامة ورفض الذلة والعبودية والخضوع لغير الله، وهي التي تعزز في الجماعة روح التعاون والتضامن والجهاد في سبيل الله وتحرير الأوطان، فكانت أولى مهمات الاحتلال القضاء على المساجد بناء ورسالة، وعند عجزه على تهديم المساجد عملوا بمكر وكيد للقضاء على رسالة المسجد، وسلبه روحه التي يحيا به المسلمون.

وفي الجزائر، عمل الاحتلال الفرنسي على هدم المساجد والاستيلاء عليها وتحويلها إلى ثكنات عسكرية وإدارات⁶ واصطبلات، وليقضي على رسالة المسجد التغيرية الثورية استولى على أوقافها التي تمكنها من أداء مهماتها، ومنع التدريس فيها، وتحكم في شؤونها

¹ انظر: كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م، ص122-123.

² انظر تفصيل ذلك في: كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية، المرجع نفسه، ص12-13، حياة عبيد، أحكام الوقف ودوره في تشجيع وترقية البحث العلمي، المرجع السابق، ص376-361، ص402-378.

³ انظر تفصيل ذلك: حسين مؤنس، المساجد، المرجع السابق، ص61-138.

⁴ بشير قدارة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، المرجع السابق، ص212.

⁵ كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص28-30، ص122-125.

⁶ بشير قدارة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، المرجع السابق، ص213.

وإدارتها بالسيطرة على مواردها المالية، فتم تجفيف منابع قوتها وتقليص مهماتها في المجتمع، ولولا تصدي جمعية العلماء المسلمين ورئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس لمخططهم لنجحوا في القضاء على هوية الجزائر العربية المسلمة¹.

ثانيا: واقع رسالة المسجد في عصرنا²:

إذا أردنا توصيف واقع المساجد وواقع رسالتها فإنه يلزم النظر إلى جميع مكونات هذه المؤسسة الهامة ودراسة حالها للوصول إلى حقيقة ما تعيشه من مشكلات ليتسنى للمسؤولين إصلاح أوضاعها كل حسب موقعه وتخصصه ومسؤوليته.

مؤسسة المسجد ترتبط بالقوانين المنظمة لها من بناء وتشيد وتوظيف وغير ذلك مما ينشر في الجريدة الرسمية في بلدنا الجزائر، ثم الموظفين من أئمة ومرشحات دينيات ومؤذنين والقائمين على تنظيفها، ثم رواد المسجد من رجال ونساء وأطفال وسياح وزوار، ثم الموارد المالية للمساجد من أوقافها وما تستلمه من تبرعات عينية ونقدية.

1- القوانين المنظمة للمساجد: جاء في الجريدة الرسمية الجزائرية تعريف للمسجد ورسالته كما يلي: "المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله ولتعلم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وهو مؤسسة دينية اجتماعية تؤدي خدمة عمومية هدفها ترقية قيم الدين الإسلامي"³، "والمسجد وقف عام لا يؤول إلا للدولة المكلفة شرعا والمسؤولة عن حرمة وتسييره واستقلاليتها في أداء رسالته وتجسيد وظائفه"⁴.

وجاء في المادة 04: "وظيفة المسجد يُحددها الدور الذي يؤديه في حياة الأمة الروحية والتربوية والعلمية والثقافية والاجتماعية"⁵.

¹ تركي رايح عامرة، رسالة المسجد في المجتمع الاسلامي، المرجع السابق، ص 81-82.

² سأتناول حلة المسجد ورسالته في الجزائر لمعرفتي ببعض واقع مساجده ومعوقات دوره لعمله السابق كمرشدة دينية في المساجد.

³ المادة 02 من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 2013 المتضمن القانون الأساسي للمسجد، الجريدة الرسمية، العدد 58 بتاريخ 14 محرم 1435 هـ / 18 نوفمبر 2013، ص 5.

⁴ المادة 03 من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 2013، المرجع نفسه، ص 5.

⁵ المادة 04 من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 2013، المرجع نفسه، ص 5.

ورغم وضوح مهام المسجد ورسالته في هذا المرسوم إلا أن واقع المساجد يشهد معوقات تعيق أداء رسالته، منها:

- كثرة بناء المساجد دون تخطيط مسبق لأمكنة تشييدها، إذ يوجد في الحي الواحد أكثر من مسجد واحد، فالدولة تركت أمر بنائها وتكلفته لعامة الشعب مع فرض قوانين معينة لتنفيذ ذلك¹.

- اندثار مفهوم المسجد الجامع الذي يحقق هدف التعارف والتواصل، وحمل الهمّ المجتمعي في القرية الواحدة أو المدينة الواحدة.

- عدم منح موظفي المساجد الرواتب الكافية مما يضطرهم للبحث عن عمل إضافي يكون على حساب جودة رسالتهم في المسجد².

- تأخر صدور القوانين المنظمة للمساجد ووظائفها وأدوارها، فأول قانون لتأطير المسجد في الجزائر صدر سنة 1970م، أي بعد ثمان سنوات بعد الاستقلال، وقبل ذلك كان المسجد قائما على جهود المتطوعين³.

- قلة الحوافز المادية والمعنوية للأئمة والمرشدين القائمين على المساجد، وعدم تقدير أهمية وخطورة رسالتهم في التنشئة الاجتماعية⁴.

- ضعف توعية الوزارة الوصية عامة الناس بأهمية المسجد ودوره في تربية الفرد وتعليمه أحكام دينه، وجهوده في وقاية الشباب من الانحرافات السلوكية ومن المخدرات⁵ رغم تسطير ذلك في المراسيم التنفيذية في الجريدة الرسمية⁶.

- إهمال استقطاب النساء والأطفال للمساجد، بداية بعدم تخصيص الأجنحة والقاعات الخاصة بهم أثناء التخطيط لبناء المسجد، وإذا وُجد المكان المخصص لهما فهو غير ملائم وغير مجهز التجهيز المناسب.

¹ بشير قادرة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، المرجع السابق، ص 203-204.

² المرجع نفسه، ص 209.

³ المرجع نفسه، ص 208.

⁴ المرجع نفسه، ص 207-208.

⁵ حسان بوسرسوب، دور المؤسسات الدينية في الوقاية من ظاهرة العنف داخل المجتمع الجزائري-قراءة تحليلية سوسيولوجية مؤسسة المسجد أنموذجا- مجلة التمكين الاجتماعي، جامعة محمد ملين دباغين، سطيف 02، المجلد 2، العدد 01، مارس 2020، ص 79.

⁶ المواد 5 و6 و7 و8 و9 من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 2013، المرجع نفسه، ص 5.

-عدم تسطير برنامج دائم ومتكامل ومدرّوس لتكوين الأئمة والمرشّدين وفق متغيرات العصر، ورغم وجود بعض البرامج التكوينية للأئمة والمرشّدين إلا أنّ ذلك يبقى غير كاف كما ونوعا وجوده، وإغفال متغيرات المجتمع والعالم المقتضي فقه الواقع ومعالجة مشكلاته ومخاطبة الناس بلغة عصرهم، والاهتمام بمساعدتهم لحل مشكلات حياتهم اليومية بما لا يتعارض مع أحكام الشرع الحنيف.

-تأخر تعيين المرشّدين الدينيين في المساجد رغم أهمية دورهم في توعية المرأة مربية الأجيال، فأول تعيين لهم ونسب قليلة جدا¹ كان سنة 1992م.

2-الموظفون من أئمة ومرشّدين دينيين ومؤذنين وقيّمي² المساجد: تعاني هذه الفئة من الموظفين في الجزائر من مشاكل عديدة ومعوّقات تضعف من جودة عملهم في الإرشاد الديني والتوعية والتعليم والتكوين، ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

-ضعف تكوينهم في مجال العلوم الإسلامية والإرشاد الديني والخطاب المسجدي، فهم تلقوا العلوم الإسلامية نظريا، والواقع العملي في المسجد يتطلب معرفة آليات التطبيق والتنزيل، والتدرب على الخطاب المسجدي وتغييره بما يتلاءم مع الفئات المتلقية له من رواد المسجد، والتمكن من علم مقاصد الشريعة والاجتهاد المقاصدي المرتكز على فقه التنزيل، وفقه الواقع والمتوقع، والنظر للمآل وسد الذرائع، وفقه الموازنات والأولويات لم يعد من نافلة التعلم والتخصص بل أصبح من ضروريات العلم الواجب على الإمام والمرشدة الدينية التضلع بها³.

- بعض المهام المسندة للأئمة في مستواهم الحالي فضفاضة وغير قابلة للتطبيق، هي غير واضحة، وغير مدعّمة بالآليات للتطبيق والتفعيل، ومثالها: ما جاء في المادة 08 "تعزيز الوحدة الدينية والوطنية عن طريق دروس الوعظ والإرشاد"⁴.

¹ عُيّن كمرشدة دينية في مدينة برج بوعريّج سنة 1992 وهي أول سنة تعين فيها خريجات العلوم الإسلامية في الجزائر، وكنت المرشدة الوحيدة في المدينة الكبيرة آنذاك، ولما انتقلت إلى ولاية الوادي كنت أيضا المرشدة الوحيدة لسنوات عديدة رغم كثرة المساجد وحاجة النساء والفتيات للإرشاد الديني والنفسي والأسري.

² تتعلق مهام قيّم المسجد بفتح المسجد وغلقه ونظافته، انظر: بشير قادّرة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، المرجع السابق، ص205.

³ انظر تفصيل ذلك في: نور الدين بوحزمة، رسالة الإمام مقاصد الإمامة، مقال في مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، المجلد 20/ العدد 2، 1444هـ-2022م، ص66.

⁴ المادة 08 من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 2013، المرجع السابق، ص5.

فهل المقصود بها توحيد الفتوى؟ ولكي يقوم الإمام بها يجب أن يكون في مستوى الإفتاء؟ وهل يسمح لهم تكوينهم ببلوغ درجة الإفتاء؟¹ وكيف يحققون ذلك عن طريق دروس الوعظ والارشاد؟

-عدم توفير السكنات الوظيفية أو الوقفية للأئمة والمرشدين في كثير من الأحيان، مما يؤثر ذلك على دوام التواصل مع رواد المساجد في حيّ المسجد، فيضعف تأثير الامام فيهم لجهله بمشكلاتهم وظروفهم، وتغيب مسألة الاقتداء بالإمام لغيابه عنهم، وقد لا يرونه إلا في الجمععات والأعياد.

-ضعف رواتب الأئمة والمرشدين وبقية الموظفين في المساجد، وقلة الحوافز والامتيازات الممنوحة لهم أثرت في هؤلاء وفي إبداعهم في عملهم المسجدي الدعوي، وفي طرد الكفاءات من تولي تلك الوظائف².

- عدم مواكبة كثير من الأئمة والمرشدين التطورات الحادثة في المجتمع وفي العالم، والثورة التقنية والذكاء الاصطناعي، مما يجعلهم يظهرون وكأنهم يعيشون في عصر غير عصر من يخاطبونهم.

3-رواد المسجد من رجال ونساء وأطفال:

-الخلل الواقع في فهم عامة الناس لحقيقة المسجد وأدواره المختلفة في تربية النشء والتوجيه والإرشاد الموجه لجميع فئات المجتمع، فالمسجد للآخرة وليس له شأن بدنيا الناس، وهذا أدى إلى عزوف الناس عن ارتياد المسجد وعدم تشجيع الأسر لأولادهم وبناتهم ليكونوا من رواده.

-ضعف الاهتمام باستقطاب فئة النساء والشباب والأطفال، واستحداث مختلف التحفيزات لجذبهم، رغم كونهم أكبر شريحة في المجتمع ويعول عليهم في مسائل التغيير والتنمية المجتمعية والاقتصادية.

-خطاب الكراهية والعنف وإقصاء الآخر خاصة فئة النساء، أثر بشكل كبير في تنفير الناس من المسجد ونشاطاته.

-غياب القدوة الحسنة من موظفي المساجد خاصة الأئمة والمرشدين ومعلمي القرآن

¹ انظر: بشير قادرة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، المرجع السابق، ص205.

² انظر: المرجع نفسه، ص209.

العظيم، فالإمام قد يكتفي بإمامة الصلوات وخطب الجمعة ودروس رمضان وخطب العيدين، ويعيش في برجه منفصلاً عن حياة الناس، فلا تواصل ولا مشاركة في الأعمال التطوعية كحملات النظافة وتزيين المحيط والمناسبات الرياضية والعلمية، والنشاطات الاجتماعية من تكافل وتآزر وزيارة المرضى وغير ذلك، وهذا يحدث انفصاما بين قول الإمام والمرشدة وسلوكهم اليومي الذي يشاهده رواد المسجد وينتقدونه، فلا يصبح الإمام ولا المرشدة ممن يشكلون قدوة، بل يصبحون ممن ينفرون الناس عن الدين وعن المسجد خاصة.

4- الموارد المالية للمساجد من أوقافها وما تستلمه من تبرعات عينية ونقدية:

رغم نص المادة 03 من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 2013 على أن المسجد وقف عام، والمادة 24 على إمكانية وقف الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين لوعاء عقاري لبناء المسجد، والمادة 28 التي نصت على أن المسجد وما يلحق به يُعتبر من الأملاك الوقفية العامة، ونصت المواد 18 و19 من نفس المرسوم على جمع التبرعات في المسجد لصالحه، كل ذلك لم يؤد إلى اكتفاء المسجد ماليا للقيام بنشاطاته، إذ أهمل استثمار أوقافه إن وجدت له أوقاف استثمارية، وجل اعتماده على الهبات والتبرعات من عامة الناس وأغنيائهم، وفي كثير من الأحيان يضطر الإمام لطلب تمويل نشاطه المسجدي من الميسورين من رواد مسجده، وهو أمر يقيد حرية الإمام في اختيار نوعية نشاطاته وبرامجه.

ويشرح الشيخ ابن باديس أن فعالية نشاط المسجد مرتبط بأوقافه، فيقول:

"إِنَّ الَّذِي يُرَاجِعُ عُقُودَ الْأَخْبَاسِ الْمَسْجِدِيَّةِ يَجِدُ أَكْثَرَ الَّذِينَ أَسَّسُوا الْمَسَاجِدَ وَخُصُوصًا مَسَاجِدَ الْجَمْعِيَّةِ. حَبَسُوا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا يُصَرَفُ لِلتَّعْلِيمِ فِيهَا كَمَا حَبَسُوا مَا يُصَرَفُ لِلْقَائِمِينَ بِالصَّلَاةِ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأُمَّةَ كَانَتْ تَتَلَقَّى دِيْنَهَا فِي مَسَاجِدِهَا؛ وَقَدْ أَدْرَكْنَا بَعْضَ الْمَسَاجِدِ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ وَقَدْ أَبْقِيَ فِيهَا بَعْضُ التَّعْلِيمِ..."¹.

وفي كل الأزمان والأوطان ما ازدهرت المساجد وتألفت وقامت بمهامها، وكانت منارات للدعوة الإسلامية، وجامعات كبرى لنشر العلم وتطوير البحث العلمي إلا بأوقاف

¹ عبد الحميد محمد بن باديس، آثار ابن باديس، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ-1968م، ج3، ص227.

استثمارية خُصصت لتمويل رسالة المسجد، ليتحرر والقائمون عليه من كل قيد وضغط، وإملاء برامج وأوامر تضعف من دور المسجد أو تحيد به عن طريق الصلاح والإصلاح¹.

المحور الثالث: المأمول في استعادة رسالة المسجد دوره في ريادة الفرد والمجتمع.

إذا أردنا تفعيل رسالة المساجد، وتحسين أوضاعها فإنه يلزم النظر إلى المشكلات التي تعاني منها تلك المؤسسة العريقة لتمكين جهود المصلحين من تغيير أوضاعها كل حسب موقعه وتخصصه ومسؤوليته.

ولتحقيق ذلك يجب تفعيل كل مكونات مؤسسة المسجد التي تناولنا دراستها في المحور الثاني من هذا البحث وهي كما يلي:

1- تفعيل القوانين المنظمة للمساجد:

- تحيين القوانين المنظمة لمؤسسة المسجد بما يتلاءم مع التحديات الراهنة في كافة المجالات خاصة الدينية، كموجات الإلحاد وشبهات الحداثيين والمستشرقين الجدد، ومع تطور المجتمع ووجود مشكلات مجتمعية مختلفة عن العصور الماضية تحتاج لحلول مبتكرة.

- الاهتمام بالتكوين الجيد والمتواصل للأئمة والمرشدين، فعملهم يحتاج لمعرفة مستجدات العصر، والتأهيل الدائم في العلوم التي تسهل عليهم عملية القيام برسالة المسجد، ويمكن للوزارة الوصية عقد اتفاقيات مع الجامعات في الوطن لإسهام أساتذتها في تكوين الأئمة والمرشدين بل وفي تأطير المساجد أيضا.

- رعاية الموظفين في مؤسسة المسجد بالاهتمام بتوفير السكن لموظفي المساجد، وزيادة رواتبهم وتحسينها وتقديم الحوافز والامتيازات، كتمكين الأئمة والمرشدين من تربية خارج الوطن في أشهر المساجد، لكسب الخبرة وتبادل الخبرات على منوال استفادة أساتذة الجامعات من فرص التربص خارج الوطن.

- تشجيع المبادرات المتميزة ومكافأة أصحابها، فيؤدي ذلك للتنافس في النشاطات المسجدية والابداع في أساليب تفعيل رسالة المسجد.

¹ راجع تفصيل ذلك في: حياة عبيد، أحكام الوقف ودوره في تشجيع وترقية البحث العلمي، المرجع السابق، ص376-403

2- تفعيل دور ومهام موظفي المسجد من أئمة ومرشحات دينيات¹:

- ضرورة التكوين الجيد والمستمر مدى الحياة، خاصة مع المستجدات في مجالات لها علاقة كبيرة بالعمل المسجدي، كالمستجدات الأسرية وتلك المتعلقة بالفتاوى في المجالات المختلفة، ومشاكل الشباب من ذكور وإناث وما يواجهونه من تحديات جديدة كال تعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، والانحرافات الأخلاقية، والمغريات المنتشرة في كل مكان، والتفكك الأسري، والتسرب المدرسي، والمخدرات والمهلوسات التي تعصف بشريحة هي مستقبل البلاد وغير ذلك، مما يستدعي تأمل الواقع وفقهه، وتجديد الخطاب الديني والمسجدي للتأثير على جموع المتلقين للخطاب، ومساعدتهم في إصلاح أوضاعهم، والعودة بهم لعمارة أرواحهم بعمارة مساجدهم².

- العناية بالدروس الدورية المقدمة لرواد المسجد، والانتباه لترقية الخطاب والانتقال به من الوعظي إلى الخطاب العلمي المقنع متى استدعى المقام ذلك³.

3- تفعيل دور رواد المسجد من رجال ونساء وأطفال:

- التوعية المستمرة بأساليب عصرية متطورة، ونتيجة عن دراسات علمية جادة لأهمية المسجد ودوره في التنشئة الاجتماعية، وأخلفة السلوك الفردي والجماعي، وإحداث التغيير الاجتماعي الإيجابي في البيئة المحيطة بالمسجد أولاً ثم يمتد التغيير إلى المجتمع المحلي ثم ربوع الوطن جميعها.

- رواد المسجد هم رجال المجتمع ونساؤه وشبابه وأطفاله، يُفرض على الرجال والشباب فرضاً ارتياده مرة في الأسبوع يوم الجمعة على أقل تقدير، فكيف لا تُستغل خطب الجمعة⁴ في تكوين رأي مستنير يجمع بين الوعي الديني والإقناع العقلي في فهم ومناقشة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية وغيرها؟؟؟ لا يوجد أسهل

¹ انظر تفصيل رسالة الإمام في: نور الدين بوحزمة، رسالة الإمام مقاصد الإمامة، مقال في مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والوقف بالجزائر، المجلد 20/ العدد2، 1444هـ-2022م، ص60.

² نور الدين بوحزمة، رسالة الإمام مقاصد الإمامة، المرجع نفسه، ص60، ص64

³ مهداوي مروان، دور المسجد في تنمية الوعي البيئي -دراسة نظرية- مجلة الإحياء، جامعة باتنة1، مجلد 22، عدد 02، ص447.

⁴ انظر دور خطبة الجمعة في التغيير: حسان بوسرسوب، دور المؤسسات الدينية في الوقاية من ظاهرة العنف، المرجع السابق، ص77.

وأنفع من تعبير خطب منبرية تأخذ باللب والفكر، وتنعش الروح وتزكي النفس¹.

- إعادة إحياء الكراسي العلمية الوقفية في المساجد²، فيُخصص كرسي لصنف معين من العلوم مما يلي رغبة وتطلع وطموح فئات كبيرة من رواد المسجد من الأساتذة والمهندسين والمثقفين، ويُعين لتلك الكراسي العلماء والفقهاء من مصاف الأستاذية في الجامعات الجزائرية³، ومن الأئمة المشهود لهم بالعلم والفقه والوسطية في الخطاب الديني.

- تفعيل دور المسجد في تعميم التعليم على الرجال والنساء ممن يعانون من أسر الأمية، ثم التخطيط للتعليم وتحسينه مدى الحياة، وذلك لمرونة المسجد في تقديم التعليم في أوقات فراغ الإنسان من سعيه في كسب رزقه، وفي ذلك يقول الفقيه ابن الحاج: "وأفضل مواضع التدريس المسجد؛ لأنّه موضع مجتمع الناس رفيعهم ووضيعهم، وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فإنّه محجور على الناس إلا من أبيع له وذلك لأناس مخصصين.. فكان المسجد أولى لأنّه أعم في توصيل الأحكام وتبليغها للأمة.. والمسجد أفضل من المدرسة.. والوجه الثاني أنّ المدرسة لا يدخلها في الغالب إلا آحاد الناس بالنسبة إلى المسجد، لأنّه ليس كل الناس يقصد المدرسة وإنّما يقصد أعمهم المساجد، وليس كل الناس أيضا له رغبة في طلب العلم، وإذا كان التدريس أيضا في المدرسة امتنع توصيل العلم إلى من لا رغبة له فيه، والمقصود بالتدريس إنّما هو التبين للأمة وإرشاد الضال وتعليمه ودلالة الخيرات، وذلك موجود في المسجد أكثر من المدرسة ضرورة.."⁴.

- العمل على تنظيم العمل التطوعي والعمل التطوعي المتخصص انطلاقا من المسجد، تكون القيادة فيه للإمام والمرشدة، فهما القدوة لرواد المسجد ولسكان الحيّ، فالسلوك

¹ انظر: مهداوي مروان، دور المسجد في تنمية الوعي البيئي، المرجع نفسه، ص 445.

² انظر: حياة عبيد وإبراهيم وصيف خالد، إحياء الكراسي العلمية للفقه المالكي في المساجد رؤية تجديدية، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الدولي الثالث عشر للمذهب المالكي "التجديد في المذهب المالكي" وزارة الشؤون الدينية، ط 1، 1439هـ/2018م، ج 2، ص 585-586.

³ وهذا ما انتشر مؤخرا في مساجدنا، إذ تولى الغمامة وتقديم الدروس المسجدية والمحاضرات العامة والخاصة في المساجد زملاء أفاضل، تطوعوا وخصصوا جزءا من أوقاتهم وجهدهم لتفعيل رسالة المسجد وتفعيل التعليم المسجدي في عصرنا، وكذلك فعلت الأستاذات الجامعيات، جزاهم الله خيرا.

⁴ ابن الحاج، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت، ج 1، ص 85، بتصرف. راجع أيضا: د. محمد القطري، الجامعات الإسلامية، المرجع السابق، ص 24.

أقدر على التأثير من الكلام والخطب والوعظ الذي لا يتبعه عمل وتنفيذ وتفعيل¹.

-جذب النساء والفتيات ليصبحن من رواد المسجد بالحكمة والموعظة الحسنة والتدرج في نصحن²، والابتعاد عن خطاب الكراهية الموجه لهن مهما كانت الظروف والملابسات.

-المسجد شريك اجتماعي مهم في تربية الأطفال في المجتمع، وتعزيز هويته الإسلامية والوطنية، وتربيته بالقدوة على قيم التسامح والتكافل والتضامن، وعلى انتمائه للجماعة من خلال صف الصلاة والانضباط فيه وفي الوقت والهدف والأسلوب³.

-تمكين رواد المسجد من المشاركة في تقديم النصح والتخطيط والتنظيم والتقييم للنشاط المسجدي، فذلك أحسن وأسرع الطرق لتفعيل رسالة المسجد وضمان عمارة المسجد بالإنسان.

4-تنمية وحسن استغلال الموارد المالية للمساجد من أوقافها وما تستلمه من تبرعات عينية ونقدية، ولن يتحقق ذلك إلا بتمكين مؤسسة المسجد باستقطاب الأوقاف واستثمارها في تمويل برامجها، وتقديم مختلف أنواع التحفيز لرواده، وهو عمل كبير ينتظر تغيير قوانين الأوقاف لتصبح شريكا أساسيا في التنمية المستدامة⁴.

الخاتمة

أولاً: النتائج: ومن أهم النتائج المتوصل إليها:

1-المسجد له مكانة سامقة في وجدان المسلم وتاريخ المسلمين، ولم يكن في الماضي على هامش حياة الناس، بل كان المسجد حياتهم، يعمل على توجيهها وفق أحكام شريعة الإسلام.

2-لانسحاب المسجد من التأثير في الفرد والمجتمع أسباب عديدة منها عمل الاحتلال الفرنسي على تهديمه وتقزيم دوره وحصره في الصلاة والشعائر، وسلبه التكفل بتعليم الناس وتنويرهم، ومنها عدم رعايته الرعاية الكافية والتامة من قبل الدولة، وعدم

¹ نور الدين بوحزمة، رسالة الإمام مقاصد الإمامة، المرجع السابق، ص 62-64.

² المرجع نفسه، ص 65.

³ حسان بوسرسوب، دور المؤسسات الدينية في الوقاية من ظاهرة العنف، المرجع السابق، ص 76-79.

⁴ انظر: علي باللموشي، الوقف والتنمية، سامي للطباعة والنشر، الوادي، الجزائر، ط1، 2023، ص 183-184.

الاهتمام اللازم بدوره تشريعاً وتأطيراً وتحفيزاً للقائمين عليه.

3- يمكن تفعيل رسالة المسجد، والتأثير على رواده اعتماداً على حسن اختيار القائمين على مؤسسة المسجد.

4- تتحقق استعادة أدوار المسجد بشيء من التخطيط لكيفية إحياء رسالته بالتجديد في الخطاب المسجدي، والتكوين الجيد للأئمة والمرشدين الدينيين.

5- توفير آليات تطبيق القوانين المنظمة والحامية والمحفزة لعمل هذه المؤسسة العريقة ييسر عملية استعادة المسجد لأدواره التربوية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ثانياً: التوصيات

1- تشجيع طلبة الجامعات على تخصيص مذكراتهم للماستر والدكتوراه في موضوع رسالة المسجد وكيفية تفعيلها.

2- إحياء الكراسي العلمية والمجالس العلمية العامة والمتخصصة في المساجد.

3- عقد اتفاقيات مع أساتذة الجامعات لتأطير المساجد وتكوين الأئمة والمرشدين بتسليط برنامج مكثف يستجيب لمستجدات المجتمع ويحقق مقاصد الشريعة في الفرد والجماعة والوطن والأمة.

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص

ثانياً: الكتب والمقالات:

- تركي رايح عمامرة، رسالة المسجد في المجتمع الإسلامي وكيف يمكن بعثها حتى يؤدي دوره الفعال في نهضة المسلمين المعاصرة، مجلة حوليات جامعة الجزائر، مجلد 1، العدد 1، 1986.
- حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، دط، يناير 1981م.
- حياة عبيد، أحكام الوقف ودوره في تشجيع وترقية البحث العلمي- أطروحة دكتوراه غير منشورة- (جامعة وهران بالجزائر، 2014م)، رابط الأطروحة: <https://theses.univ-oran1.dz/thesesar.php?id=61201445t>
- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، المساجد - مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق،

- وآداب في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، دط، دت.
- علي محمد الشاذلي الخولي، دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، العدد 10، دط، دت.
- ابن الحاج، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، دت.
- أبو العباس أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن النجدي، طبعة إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، دط، 1404هـ.
- أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، دت، دط.
- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت.
- أحمد محمد سعيد السعدني، المساجد بين الماضي والحاضر نظرة مستدامة، Journal of urban research, Faculty of urban and regional planning, Cairo university, vol32, April 2019
- المباركفوري، الرحيم المختوم، دار إحياء التراث، دط، دت.
- المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435هـ الموافق لـ 09 نوفمبر 2013 المتضمن القانون الأساسي للمسجد، الجريدة الرسمية، العدد 58 بتاريخ 14 محرم 1435هـ/ 18 نوفمبر 2013.
- حسان بوسرسوب، دور المؤسسات الدينية في الوقاية من ظاهرة العنف داخل المجتمع الجزائري-قراءة تحليلية سوسيولوجية مؤسسة المسجد أنموذجا- مجلة التمكين الاجتماعي، جامعة محمد أمين دباغين، سطيف 02، المجلد 2، العدد 01، مارس 2020.
- حياة عبيد، وإبراهيم وصيف خالد، إحياء الكراسي العلمية للفقهاء المالكي في المساجد رؤية تجديدية، مقال منشور ضمن أعمال الملتقى الدولي الثالث عشر للمذهب المالكي "التجديد في المذهب المالكي" وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1439هـ/2018م.
- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، 1938.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عهد السلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، 1992م.
- عبد الحميد محمد بن باديس، آثار ابن باديس، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ-1968م.

- عبد الله الحجيلي، الأوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ-2009م
- عبد المنعم الخفاجي، الأزهر في ألف عام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1408هـ-1988م.
- علي الطنطاوي، الجامع الأموي في دمشق، وزارة الأوقاف، سوريا، مطبعة الحكومة بدمشق، د ط د ت.
- علي باللموشي، الوقف والتنمية، سامي للطباعة والنشر، الوادي، الجزائر، ط1، 2023.
- كامل حيدر، العمارة العربية الإسلامية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.
- محمد القطري، الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
- محمد بن عبد الله الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة، ط4، 1416هـ-1996م.
- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس-بيروت، ط5، 1985.
- محمد طيفوري، المعمار والإنسان "نصنع الأبنية وتصنع حياتنا"، في: الاقتصادية - جريدة العرب الاقتصادية الدولية- تاريخ المشاهدة: 2023/04/22 الساعة 12سا، الرابط: https://www.aleqt.com/2021/08/11/article_2150
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دط، 1374هـ/1955م
- بشير قادرة، دور المسجد بين المرجعية الدينية والإطار التشريعي الجزائري، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، باتنة1، المجلد12، العدد01، 2010م.
- مهداوي مروان، دور المسجد في تنمية الوعي البيئي -دراسة نظرية- مجلة الإحياء، جامعة باتنة1، مجلد22، عدد02،
- نور الدين بوحزمة، رسالة الإمام مقاصد الإمامة، مقال في مجلة رسالة المسجد، تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بالجزائر، المجلد20/ العدد2، 1444هـ-2022م.

المقاصد التربوية لرسالة المسجد

د/ عاد التجاني

مخير الدراسات الفقهية والقضائية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

ad-tedjani@univ-eloued.dz



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعتبر المسجد في الإسلام مركز العبادة ومنبر العلم ومدرسة التربية والتكوين، فهو اللبنة الأولى لبناء المجتمع الإسلامي ومنه انطلقت دعوة الإسلام عبر أصقاع العالم، إذ يعدّ المشروع الأول الذي باشره الرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حيث بناه بيده مع أصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

إنّ تأسيس هذا الصرح العبادي والعلمي يحمل أهمية عظمى في حياة الفرد والمجتمع، وذلك يظهر من خلال الاهتمام النبوي به ومشاركته عليه الصلاة والسلام في بنائه، حيث كانت تقام فيه الجمع والجماعات وتعقد فيه مجالس العلم وحلق الذكر والمذاكرة، وكان أيضا دار الفتوى والقضاء والفصل في الخصومات بين الناس.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية ومكانة المسجد وأبعاد رسالته فقال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [المائدة: 108]. وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: 36].

فرسالة المسجد في الإسلام رسالة شاملة لمختلف مجالات حياة الإنسان، إذ أنها تسعى إلى تحقيق مقاصد تربوية عظيمة تستمد عظمتها من أصول الإسلام ومبادئه وقيمه وأخلاقه.

وتأتي هذه المداخلة للمساهمة في بيان أهم المقاصد التربوية (الإيمانية – الأخلاقية-

الاجتماعية- الحضارية) لرسالة المسجد، وقد عنوانتها بـ " المقاصد التربوية لرسالة المسجد"، والتي ارتأيت أن أشارك بها في الملتقى الوطني التاسع حول: " الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962م إلى 2022م" بكلية العلوم الإسلامية- جامعة الوادي- الجزائر.

فكانت الإشكالية كالتالي: ما هي أهم المقاصد التربوية لرسالة المسجد في الإسلام؟

وقد تناولت الكثير من الدراسات والأبحاث موضوع المسجد في الإسلام من حيث بيان مفهومه ومكانته وأهميته وآثاره وأدواره، ولكن لم أطلع في حدود علمي على دراسة مخصصة بموضوع الدراسة، فأردت أن أفرد به بالبحث من خلال القراءات الاستنباطية لبعض المقالات المنشورة في الشبكة العنكبوتية.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الاستنباطي التحليلي: وذلك باستنباط أهم المقاصد التربوية الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والحضارية للرسالة المسجدية، ومحاولة تحليلها.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة في البحث، قسّمت البحث إلى مبحثين:
المبحث الأول: مفهوم المسجد في الإسلام.
المبحث الثاني: رسالة المسجد ومقاصدها التربوية.

المبحث الأول: مفهوم المسجد في الإسلام

قبل التطرق إلى أهم المقاصد التربوية التي تسعى رسالة المسجد إلى تحقيقها على مستوى الفرد والمجتمع، لابد من التعرف أولاً على مصطلح المسجد من الناحية اللغوية والشرعية، وبيان مكانته ودوره في الإسلام، وذكر أهمية رسالة المسجد في الإسلام.

المطلب الأول: تعريف المسجد لغة وشرعا

الفرع الأول: المسجد لغة

من الفعل (سَجَدَ) فَالسَّيْنُ وَالْجِيمُ وَالْدَّالُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَرَّدٌ يَدُلُّ عَلَى تَطَامُنٍ وَذِلٍّ. يُقَالُ سَجَدَ، إِذَا تَطَامَنَ. وَكُلُّ مَا ذَلَّ فَقَدْ سَجَدَ. قَالَ أَبُو عَمْرِو: أَسَجَدَ الرَّجُلُ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ وَأَنْحَى¹.

¹ - مقاييس اللغة، ابن فارس، 133/3. مادة (سجد).

فمعنى سجد، أي خضع¹.

جاء في مختار الصحاح: " (سَجَدَ) خَضَعَ وَمِنْهُ (سُجُودُ) الصَّلَاةِ وَهُوَ وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ وَبَابُهُ دَخَلَ وَالْإِسْمُ (السَّجْدَةُ) يَكْسِرُ السَّيْنِ...وَالْمَسْجِدُ يَكْسِرُ الْجِيمِ وَفَتْحُهَا مَعْرُوفٌ...وَالْمَسْجِدُ يَفْتَحُ الْجِيمِ جِهَةُ الرَّجُلِ حِينَ يُصِيبُهُ أَثَرُ السُّجُودِ"².

وقال ابن منظور: "وَالْمَسْجِدُ، بِالْفَتْحِ: جِهَةُ الرَّجُلِ حَيْثُ يُصِيبُهُ نَدْبُ السُّجُودِ.... والمسجد اسم جامع حيث سجد عليه"³

وَالْمَسْجِدُ بَيْتُ الصَّلَاةِ وَالْمَسْجِدُ أَيْضًا مَوْضِعُ السُّجُودِ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ وَالْجَمْعُ مَسَاجِدُ⁴.

وجاء في مفردات القرآن: "سجد- السُّجُودُ أصله: التَّطَامُنُ والتَّذَلُّلُ، وجعل ذلك عبارة عن التَّذَلُّلِ لله وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات... والمسجد: موضع الصلاة اعتبارا بالسجود"⁵.

الفرع الثاني: المسجد شرعا

قال الزركشي: "وأما شرعا فكل موضع من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا"⁶"⁷.

وقد عرّف المسجد بتعريفات أخرى متنوعة ومتقاربة في المعنى منها:

- أ- الموضع الذي يسجد فيه⁸.
- ب- المكان الذي أعد للصلاة فيه على الدوام⁹.
- ت- بقعة من الأرض تحررت عن التملك الشخصي، وعادت إلى ما كانت عليه لله تعالى،

¹ - القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص 287. مادة (سجد).

² - مختار الصحاح، الرازي، ص 142. مادة (سجد).

³ - لسان العرب، ابن منظور، 205/3. مادة (سجد)

⁴ - المصباح المنير، الفيومي، 266/1. مادة (سجد)

⁵ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 396-397.

⁶ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطُحُورًا، حديث رقم: 438، 95/1.

⁷ - الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص 27.

⁸ - معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعي - حامد صادق قنيبي، ص 428.

⁹ - المرجع نفسه، ص 428.

وخصّص للصلاة والعبادة¹.

ث- المبنى الموقوف المخصّص للصلوات الخمس المكتوبة وغيرها².

ج- مكان مخصص له أحكام مخصصة بني لأداء عبادة الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن³.

وقد جاء في المادة الثانية للباب الأول من المرسوم التنفيذي رقم 13-377 المؤرخ في 09 نوفمبر 2013م تعريف المسجد بأنه: (مؤسسة دينية اجتماعية تؤدي خدمة عمومية هدفها ترقية قيم الدين الإسلامي).

وعليه فالمسجد هو المكان المخصّص للعبادة بأداء صلاة الجماعة والجمعة، وتقديم الدروس الوعظية والتعليمية وحلقات التوجيه والإصلاح.

فالمسجد هو المؤسسة الثابتة في الإسلام وهو الرابطة الدينية والاجتماعية التي توثق الصلة وتحقق التعارف بين فئات المجتمع المسلم⁴.

المطلب الثاني: مكانة المسجد في الإسلام

للمسجد في الإسلام مكانة رفيعة، وأهمية عظيمة، فالمساجد بيوت الله في الأرض، وأحب الأمكنة إلى الله - تعالى - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَابْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَأُهَا"⁵.

ومن الأمور التي تدل على هذه المكانة السامية للمسجد في الإسلام ما يلي⁶:

1. أن المسجد يسمى بيت الله تبارك وتعالى، وفي هذا دلالة على قدسية المسجد ونزاهته، وخلّوه من الأغراض والمقاصد الدنيوية، وأن من يدخله لابد أن يجعل عمله

¹ - أحكام حضور المساجد، عبد الله بن صالح الفوزان، ص 06. نقلا عن أحكام المساجد في الإسلام، محمود حسين الحريري، ص 18.

² - أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، إبراهيم بن صالح الخضير، مع 1، ص 11.

³ - أحكام حضور المسجد، عبد الله بن محمد العسكر، ص 07.

⁴ - إمام المسجد مقوماته العلمية والخلقية، سعود بن محمد البشر، ص 07.

⁵ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أحب البلاد إلى الله مساجدها، حديث رقم: 464/1، 288.

⁶ - مكانة المسجد في الإسلام، أخذ من موقع إمام المسجد، يوم 2023/03/19، على الساعة: 9:56

<https://alimam.ws/ref/2288>

خالصاً لله تبارك وتعالى وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن:18) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: "يقول تعالى أمراً عباده أن يوحدوه في محال عبادته، ولا يُدعى معه أحد، ولا يشرك به"¹.

2. فضل إنشاء المساجد وعمارتها، ونظافتها والاهتمام بشؤونها، وتزويدها بما تحتاجه من خدمات، وأن ذلك العمل دلالة على الإيمان، والبشرى بالرحمة والرضوان من الله الكريم المتعال، قال في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:18)، وقال عثمان بن عفان عندما قال الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ: إنكم أكثرتم (أي: في الإنكار على ما فعلته)، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: من بنى مسجداً - قال بكير: حسبت أنه قال: يبتغي به وجه الله - بنى الله له مثله في الجنة².

3. فضل إتيان المسجد والذهاب إليه في كل صلاة، حتى يصير قلب الإنسان معلقاً به قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف:29)، وعن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَدْلِكُكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ»³، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزْلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»⁴، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"⁵، والشاهد قوله: ورجل معلق قلبه بالمساجد.

¹ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 256/8.

² - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً، حديث رقم: 450، 97/1.

³ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، بابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، حديث رقم: 41، 219/1.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، بابُ فَضْلِ مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَمَنْ رَاحَ، حديث رقم: 662، 133/1.

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلُ الْمَسَاجِدِ، حديث رقم: 660، 132/1.

4. أن المساجد أحب البقاع إلى الله تبارك وتعالى، وفي هذا دلالة على فضل المسجد والاهتمام به، ومحبته، وإيثار البقاء، وانتظار الصلاة فيه ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها".

5. أن المسجد موضع تنزل الرحمت، واستجابة الدعوات، والبشرى بالطيبات، ومنسكاً للأعمال الصالحات لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران:39)، وقد عظم الله شأن المساجد، وأثنى على الذين يعمرونها بالطاعة، ووعدهم جزيل الثواب قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۖ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۚ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور:36-38).

6. اعتناء النبي ﷺ حين قدومه المدينة ببناء المسجد النبوي، وكان هذا هو أول عمل أقامه بعد وصوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، وجعله مكاناً لانطلاق دعوة الإسلام الحنيف إلى مشارق الأرض ومغاربها، كما جعل منه ﷺ بيت المسلمين الكبير، وجامعتهم العظيمة، ومأواهم في السراء والضراء، فكانت إذا نزلت نازلة أو حدث أمرٌ أمرٌ بالآ رضي الله عنه فينادي الصلاة جامعة.

بل إن أول عمل قام به النبي ﷺ حين قدومه مهاجراً من مكة إلى المدينة هو تأسيس مسجد قباء، أول مسجد أسس على التقوى، وفي هذا العمل منه ﷺ حكمة عظيمة، ومغزى هام في التأكيد على أهمية المسجد، واعتناء الإسلام به قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة:108).

فالمسجد في الإسلام ليس مكان عبادة، ومحل إقامة الصلاة فقط، فالمساجد في الإسلام تبنى لأكثر من ذلك:

فالمسجد هو المدرسة التي تربي فيها النفوس تربية روحية باتصالها بخالقها أثناء تأدية الصلاة والتعبد فيه.

والمسجد هو المدرسة التي يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم، ولقد كان رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - يعلم الصحابة الإسلام في المسجد.
والمسجد كان القاعدة الحربية التي تجتمع فيها الجيوش، وتعتقد فيها الألوية، وتنطلق
للجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام.

والمسجد كان دار القضاء والإفتاء، والدعوة والإرشاد، وتوعية المسلمين.
والمسجد كان داراً لمجلس الشورى، تناقش فيه أمور الأمة على ضوء الكتاب والسنة.
تلك هي جزء من رسالة المسجد في الإسلام، فرسالة المسجد في الإسلام شاملة لا تدع
أمراً من أمور الدين والدنيا إلا أحصته¹.

المطلب الثالث: دور المسجد في الإسلام

إن دور المسجد في الواقع جزء متكامل مع أدوار المؤسسات الأخرى في المجتمع،
فتنطلق منه لتمارس أنشطتها من خلاله مغزولة ومتداخلة في النسيج الذي يكون حياة
المجتمع.

وقد استمرت المساجد تؤدي هذا الدور العظيم قرونًا طويلة من الزمن، حتى أصبحت
الأمة الإسلامية اليوم في مرحلة الغنائية الهزيلة الطافية من الداخل، وتكالب قوى الشر
والطغيان والغزو عليها من الخارج، ضعف دور المسجد وانحسر مدة ونضب نبعه أو كاد
في كثير من بلدان الإسلام!! وذلك على حين غفلة من بعض المسلمين، وسذاجة بعضهم،
وسوء نية بعضهم الآخر.

وفي ظل هذه الأوضاع المتردية وفي خضم تلك المؤامرات الهادفة إلى إقصاء المسجد عن
رسالته ووظيفته في المجتمع، ما فتئت روح الإسلام تدب في كل عرق من عروق العالم
الإسلامي ديباً طبيعياً هادئاً، فتدفعه إلى الإسلام دفعاً متواصلاً، ونتيجة لهذه اليقظة
الواعية والصحو المباركة بدأت المساجد تستعيد دورها الرائد في المجتمع المسلم: توجيهاً
وتعليماً وتربية وخلايا حيّة تنبض بالحركة والعطاء، لتؤدي دورها وتقوم بواجبها موجهة
المؤسسات الأخرى كالبيت والمدرسة... إلخ، متعاونة معاً في ميدان التوعية والتوجيه².

المطلب الرابع: أهمية رسالة المسجد في الإسلام

والحديث عن رسالة المسجد في الإسلام حديث يتناول التحول الإنساني المنبعث من

¹ - مكانة المسجد في الإسلام، أخذ من موقع مداد، يوم 2023/03/19، على الساعة 10:12.
[/https://midad.com/article/213664](https://midad.com/article/213664)

² - الأثر التربوي للمسجد، صالح السدلان، ص ص 6-7.

المساجد، التي هي أفضل البقاع في الدنيا، وأعز الأمكنة إلى المؤمنين، الذين يبحثون اليوم عن حياة السعادة والفلاح، ويريدون أن تكون أيامهم المستقبلية عزيزة مشرقة، كما كانت أيام سلفهم الصالح من قبل، ذلك السلف الذي أراد الله به خيراً فحبّها إليه، وتكون في ساحتها التكوين الذي مكّنه من أن ينشر دين الله في الأرض.

قال الدكتور القرضاوي: "فكان المسجد النبوي مدرسة الدعوة الإسلامية الأولى، ودار الدولة الإسلامية الكبرى، تلك المدرسة التي فتحت أبوابها لمختلفي الأجناس من عرب وعجم، ومختلف الألوان من بيض وسود، ومختلفي الطبقات من أغنياء وفقراء، ومختلفي الأسنان من شيوخ وشباب وغللمان".¹

فالمسجد هو مكان الصلاة للجماعة وللجمعة، وكل ما اتخذته الناس مصلى فهو مسجد؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»، وإن كان مسمى المسجد صار أخص من سائر الأرض.

والمسجد في الإسلام، وكما كان في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس مكان إقامة الصلاة فحسب، بل كان منطلق أنشطة كثيرة... فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعقد فيه الاجتماعات، ويستقبل فيه الوفود، ويقوم فيه حلق الذكر والعلم والإعلام، ومنطلق الدعوة والبعوث، ويبرم فيه كل أمر ذي بال في السلم والحرب. وأول عمل ذي بال بدأه النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قدم المدينة مهاجراً أن شرع في بناء المسجد، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، كما ورد في الصحيح.

أما الآن ومع تدرج الزمن وتغيّر أساليب الحياة فقد تحوّل كثير من وظائف المسجد إلى مؤسسات أخرى وهيئات ودوائر... لكن لا يعني ذلك أن المسجد انتهت رسالته، أو لم يعد له دوره وتأثيره، بل بقي الكثير. ولو لم يكن للمسجد إلا إقامة الصلاة وما يقام فيه من الحلقات لكان ذلك أمراً عظيماً، كيف والصلاة هي ركن الإسلام وعمود الدين، وأعظم شعائر الإسلام الطاهرة.

ومع ذلك لا يزال المسجد مهماً للقيام بأدوار عظيمة في التعليم والتربية والوعظ والتوجيه والإرشاد، والتكافل الاجتماعي، والحسبة.

وأهل الخير والإحسان لا يزالون بحمد الله يبذلون بنفوس سخية في سبيل عمارة

¹ - العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، ص 233.

المساجد وخدمتها.

وبدأت المساجد تشهد -بحمد الله- نشاطاً ملحوظاً في تحفيظ القرآن وحلق العلم والذكر والوعظ والإرشاد والمحاضرات والندوات والدروس العلمية والحلقات والدورات والمكتبات وغيرها.
فالخلاصة:

المساجد أهم وسيلة، وأسلم مكان، وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء وطلاب العلم لتوجيه الناس، وتعليمهم وتفقيهم، وحل مشكلاتهم، ولذا كان المسجد منذ عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والقرون الفاضلة هو المكان الذي يصدر عنه كل أمر ذي بال يهم المسلمين في دينهم ودنياهم¹.

فرسالة المسجد هي رسالة تكوين وإعداد الفرد الصالح، الذي يقوم عليه صلاح المجتمع ونهضته.

المبحث الثاني: رسالة المسجد ومقاصدها التربوية

نتناول في هذا المبحث بالتفصيل أهم المقاصد التربوية الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والحضارية التي تسعى رسالة المسجد إلى تحقيقها وتمكينها وإحيائها على مستوى الفرد والمجتمع، وتوضيحها كالتالي:

المطلب الأول: المقصد الإيماني لرسالة المسجد

يتمثل المقصد الإيماني لرسالة المسجد في:

1. الحفاظ على إيمان المسلمين، فالأساس الرئيس الذي اجتهد صلى الله عليه وسلم في زرعته في صحابته هو الإيمان بالله عز وجل، والمسجد كما يظهر من اسمه هو مكان للسجود لرب العالمين سبحانه وتعالى، للرضوخ الكامل له، والطاعة المطلقة لكل أوامره².
2. التزود الإيماني، حيث يتزود المسلم بالطاقة الإيمانية بالمحافظة على صلاة الجماعة في المسجد، فصلاة الجماعة علامة الإيمان.

3. تحقيق التقوى التي هي أسى مراتب العبادة، فعمارة المسجد بالحضور إلى الصلوات وشهود صلاة الجمعة ومتابعة الدروس المسجدية والندوات العلمية والتوعوية

¹ - أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ص13-15.

² - السيرة النبوية، راغب السرجاني، 15/11.

والإصلاحية، يعزز قيمة التقوى ويرسخها في النفس.

4. التعارف والأخوة الإسلامية، إن التعارف قاعدة من قواعد الآداب الإسلامية، بل هو ضرورة من ضرورات التعامل بين الناس، فالجار يحتاج إلى جاره، ولا يمكن أن يتعامل معه إلا إذا تعارفا، وكل واحد من الناس قد يحتاج إلى غيره، فكيف يتعامل معه بدون تعارف بينهما؟ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]

والمسجد كفيل بإيجاد تعارف أخوي إيماني لا ينسى، ذلك أن المصلين في الحي الواحد لا يلتقون في المسجد غالباً إلا لأداء صلاة الفريضة، أما إذا كانت تربطهم حلقات الدرس في المسجد فإن لقاءهم يكون أكثر، وكذلك صلاة العيدين والجمعة وغيرها. إن أهل الحي الواحد بعد فترة قصيرة يصبحون كلهم متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضاً ومصافحة بعضهم بعضاً، ولقائهم في حلقات الدروس عند العلماء، وهكذا.

ولكن التعارف بين المسلمين، ليس هو مجرد معرفة اسم الشخص واسم أبيه ولقبه ووظيفته فقط، وإنما المقصود منه هو أهم من ذلك، وهو تقوية أواصر الأخوة الإيمانية التي يترتب عليها العمل بكل ما يقويها من المحبة، والتزاور والتواصل وعبادة المريض، وإجابة الدعوة، وإعانة المحتاج والضعيف وإفشاء السلام، وطلاقة الوجه وطيب الكلمة، والتواضع وقبول الحق، والعفو والسماحة ودفع السيئة بالتي هي أحسن، والإيثار وحسن الظن، ونصر المظلوم، وستر المسلم إذا وجدت منه هفوة، وتعليم الجاهل، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وأداء الحقوق إلى أهلها، والنصح لكل مسلم وهذا كله منطلقه بيت الله.

وقد كانت هذه المعاني العظيمة من الأخوة الإيمانية وتعاطي ما يقويها، وتجنب ما يضعفها موجودة في أعلى صورها عندما كان المسجد موجودا في أعلى صورة له، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين، وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم أول أخوة، وهي أخوة المهاجرين والأنصار الذين أظلمهم مسجده الشريف، وربطت أخوتهم الشهادتان، ووحدتهم راية الجهاد في سبيل الله حتى لقد عزم أخ من الأنصار أن يتنازل لأخيه من المهاجرين عن شطر ماله، وإحدى زوجتيه يطلقها، فتعتد فيتزوجها المهاجر، فما كان من المهاجر، إلا أن قال للأنصاري: "بارك الله لك في أهلك ومالك".

وهكذا كان أهل المسجد، فأين تعارف المسلمين اليوم؟ إن الجار بجانب جاره، أو

أمامه، يخرجان في وقت واحد لأعمالهما، ويدخلان في وقت واحد إلى منزلهما، وقد يجمعهما مصعد واحد نازلين وطالعين، وقد لا يسلم أحدهما على الآخر، وقد يسلم فلا يرد الآخر، وقد يرد وهو مدبر لا يرى أخاه ابتسامته، وقد يموت أحدهما ويدفن وهو لا يدري عنه، وقد يكونان في مؤسسة واحدة في العمل ولا يعرف أحدهما الآخر، فأين تعارف المسجد يا أمة الإسلام؟!¹.

5. التمكين الإيماني في القلوب وتأثيره في واقع المسلمين، عندما يكون للمسجد مكانته في المجتمع الإسلامي، لا يتخلف المسلمون عن حضور صلاة الجماعة، وبذا يتمكن الإيمان من قلوبهم فيحبون الإيمان ويحبون الله ورسوله، والعمل الصالح، ويكرهون الكفر والفسوق والعصيان، وتنهاتهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر والبغي فلا يأتون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ منهم شرعاً، وكل من أَرَادَ منهم غير ما أَرَادَ اللهُ، أو أَرَادَ أَنْ يَغْشَى غير ما أَرَادَ اللهُ أَوْقَفُوهُ عِنْدَ حُدُودِهِ وَأَطْرُوقِهِ عَلَى الْحَقِّ أَطْرُقًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45].

ومن صفات المؤمنين إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: 71].

ومن صفات المؤمنين المصلين أنهم لا يحبون أن تشيع الفاحشة ويعم المنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: 19]².

هكذا تربي الصلاة ومعانيها الإيمانية في نفس المسلم حب الخير ونبذ الشر، فيزداد إيمانه وينعكس ايجابيا على جوارحه فتحصل الاستقامة في الحياة الأسرية والاجتماعية وتؤسس العلاقات على الدعائم الإيمانية لا المصالح الشخصية.

المطلب الثاني: المقصد الأخلاقي لرسالة المسجد

يتمثل المقصد الأخلاقي في:

1. التخلق بأخلاق الإسلام من الكلم الطيب والرحمة والتعاون والعفو والصفح وغيرها من مكارم الأخلاق التي بعث من أجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

¹ - الأثر التربوي للمسجد، صالح السدلان، ص ص 24-21.

² - المرجع نفسه، ص ص 26-27.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله: "فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهدا كبيرا في مد شعاعها وجمع الناس حولها، لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلهم، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم، حتى يسعوا إليها على بصيرة... والعبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركاناً في الإيمان به ليست طقوساً مهمة... وحركات لا معنى لها، كلا فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه، هي تمارين متكررة لتعويد المرء بأن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل مستمسكا بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف"¹.

فالصلاة شرعت لحكم ومقاصد ولعل أهم حكمها أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت: 45. يقول القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "... ثم أخبر حكما منه بأن الصلاة تنهى صاحبها وممثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتغل على الموعظة. والصلاة تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذلت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة."²

2. تعديل السلوك عن طريق ارتباط المسلم بالمسجد شهودا للصلوات المكتوبة، وحضورا للحلقات العلمية من قراءة للقرآن الكريم ودروس الفقه والعقيدة والأخلاق، يثمر صلاحاً وإصلاحاً لأخلاق المسلم وتعديلاً لسلوكه إن كان فيه بعض الانحراف.

3. توجيه سلوك المسلم نحو القيم العليا والرقى الأخلاقي والترفع عن سفاسف الأمور، فتعلق المسلم بالمسجد وحضور نشاطاته العلمية والثقافية تجعل منه إنساناً إيجابياً يسعى دائماً إلى السمو الأخلاقي.

4. تنمية القيم الأخلاقية لدى الشباب، فالشباب المرتبط قلبه بالمسجد بأدائه للصلوات المكتوبة وحضوره لمختلف النشاطات المسجدية يكتسب منها الروح الأخلاقية في تعامله الحسن مع والديه وأرحامه وأصدقائه والناس أجمعين.

5. إكساب الطفل قدوة أخلاقية منذ نعومة أظفاره، وذلك من خلال مرافقة أبيه إلى المسجد وعمارته ومشاهدة المصلين وتحليهم بأداب المسجد، فيصطبغ بصبغة أخلاقية

¹ - خلق الإسلام، محمد الغزالي، ص 07.

² - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 348/13.

تجعل منه فرداً صالحاً نافعا لمجتمعه في المستقبل.

المطلب الثالث: المقصد الاجتماعي لرسالة المسجد

يتمثل المقصد الاجتماعي في:

1. تحقيق التماسك الاجتماعي عن طريق وحدة الصف في الصلاة والالتزام بتسوية الصفوف أثناء أداء الصلاة.

2. تنمية أخلاقيات المجتمع المسلم وتهذيبها، فالخطاب المسجدي له أثر في معالجة ما في المجتمع من أمراض وعيوب، واستئصال لكل خلق ذميم حتى يعيش المجتمع المسلم في سلام وأمن.

3. الالتزام بالانضباط الاجتماعي والتحلي بالأداب العامة داخل نسيج المجتمع، فالهدوء والوقار والسكينة داخل المسجد يعين الفرد على النظام، لذلك نهى الإسلام عن اللغو والحديث عن أمور الدنيا داخل المسجد.

4. تربية وبناء روح الألفة والجماعة والاتحاد، فأهل الحي الواحد يجتمعون في المسجد كل يوم خمس مرات، يؤدون الصلاة جماعة وتسود بينهم روح الود والمحبة والتقارب والألفة، إذ تتكرر رؤية بعضهم لبعض والتقاؤهم في مكان واحد جنباً إلى جنب في صف واحد، مما يعمق الاتحاد والإخاء بينهم ويجعل منهم قوة متماسكة ووحدة متألّفة. فيقابل المسلم أخاه في المسجد فيسلم عليه ويبادله تحية الإسلام التي تعمق روح التضامن بين المسلمين¹.

5. المساهمة الفعالة في خدمة الناس وإصلاح أحوالهم المعيشية والاجتماعية، فكان المسجد دار إغاثة ورعاية اجتماعية، تُستقبل وتقسم فيه الصدقات، ويدعى فيه الأغنياء إلى البذل والميسورين إلى الإنفاق على إخوانهم المحتاجين، وخصص النبي -صلى الله عليه وسلم- في مسجده مكاناً لإيواء الفقراء الغرباء، الذين ليس لهم مأوى ولا محلة يسكنون فيها عرفوا بأهل الصفة².

6. معالجة مشكلة الفقر والقضاء عليها وإشاعة التعفف في المجتمع، فقد أنزل الله في أهل الصفة قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ

¹ - دور المسجد في إصلاح المجتمع، أخذ من موقع الخطباء يوم: 2023/03/19، على الساعة 16:39

<https://khutabaa.com/ar/article>

² - المرجع نفسه.

يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: 273]. فكان المسجد متكفلاً بهم مراعيًا لهم، لا يألو جهدًا ولو بالقليل في إطعامهم وإدخال السرور عليهم، "فإِذَا أَتَى النَّبِيُّ صَدَقَةً بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا" [أخرجه البخاري (6452)].

ومن حديث المُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ [ص: 705]: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُقَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِأَلَا فَأَذْنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] وَالْآيَةِ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: 18] «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْتَزُّ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ¹.

7. تحقيق العدالة الاجتماعية، ففي المسجد تتصافى النفوس والقلوب، فليس هناك طبقية تمنع دخول المسلم إليه مهما كان لونه وجنسه وقومه ولغته وسنه ومكانته الاجتماعية، فلا فرق هناك بين ملك ورعية وبين غني وفقير وعامل ووزير، ولا بين شريف ووضيع فالكل هنا سواسية كأسنان المشط².

8. تكوين الاجتماع البشري

المطلب الرابع: المقصد الحضاري لرسالة المسجد

يتمثل المقصد الحضاري في:

1. التوجيه العلمي الحضاري الذي يتضمنه الخطاب المسجدي، فرسالة الإسلام هي رسالة العلم فكلمة "اقرأ" هي إعلان عن بداية التغيير الحضاري للبشرية عن طريق رسالة الإسلام العالمية، وتعدّ الهجرة النبوية المباركة نقطة تحوّل في مسيرة حضارة الإسلام، فقد

¹ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ الْحَبِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، حديث رقم: 1017، 704/2.

² - دور المسجد في إصلاح المجتمع، مرجع السابق.

بنى الرسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد النبوي عند قدومه المدينة المنورة ليكون منطلقاً للإشعاع الحضاري لرسالة الدين الإسلامي، وقيام دولة العدل والحرية والسلام.

2. تعزيز التواصل الحضاري بين الرسالة المسجدية وحياة المجتمع، فالمسجد يعدّ قاعدة حضارية ومصدراً للمعرفة الدينية في معركة توجيه الحياة مع أمواج التيارات الفكرية السابحة في كل اتجاه.

3. ترسيخ قيم الوسطية في نفوس أفراد المجتمع، من أجل تحقيق الأمن الفكري ومن ثمّ التعايش السلمي بين شرائح المجتمع، حيث تتنوع الأفكار وتتعدّد الآراء لتصبّ كلها في خدمة مصلحة المجتمع وترقيته والنهوض به إلى المعالي.

4. مركزية القيادة الحضارية بين المجتمعات والأمم، فقد كان المسجد في عهد الرعيل الأول منارة للعلم ومركزاً للحضارة وجامعة للتكوين والتدريب والإعداد والتأهيل، حيث تخرّج من مدرسة المسجد النبوي العلماء والقادة والمصلحين والدعاة الذين رفعوا راية الإسلام وقدموا للمجتمع البشري منظومة فكرية إسلامية متكاملة تضمن العيش الإنساني بمحبة وسلام وإحسان.

5. المحافظة على المرجعية الدينية والهوية الوطنية، فرسالة المسجد من خلال الخطاب الديني الوسطي وتفعيل النشاط المسجدي يؤدي إلى استقرار المجتمع وتعزيز الرسالة الحضارية للمسجد وترسيخ القيم الدينية الأصيلة وفق المرجعية الدينية الوطنية، ونبذ كلّ أشكال التطرف الذي يهدّد الأمن الفكري والأسري والاجتماعي.

خاتمة

بعد هذا التجوال العلمي بين ثنايا هذا الموضوع، يمكن صياغة أهم النتائج والتوصيات كالتالي:

أولاً: النتائج

1. المسجد في الإسلام ركن أصيل في نشر تعاليم الدين وثوابت الأمة.
2. يحظى المسجد في الإسلام بمكانة عظيمة، كونه أول مشروع نبوي ضمن تأسيس المجتمع الإسلامي.
3. يتبوأ المسجد في الإسلام دوراً وظيفياً هادفاً، يتمثل في التعليم والتربية والتوجيه والإصلاح تنويراً للعقول وتهذيباً للسلوك الفردي وتمكيناً لخيرية المجتمع الإسلامي.

4. رسالة المسجد في الإسلام بأبعادها التربوية تسعى إلى تكوين وإعداد الفرد الإيجابي الصالح المصلح، الذي يحمل كريم الأخلاق الحسنة وطيب المعاملة الطيبة لبناء المجتمع الرباني.

5. المقاصد التربوية الإيمانية لرسالة المسجد تهدف إلى تحقيق الحصانة الإيمانية للفرد والمجتمع.

6. المقاصد التربوية الأخلاقية لرسالة المسجد تهدف إلى ترسيخ القيم الأخلاقية في الفرد والمجتمع.

7. المقاصد التربوية الاجتماعية لرسالة المسجد تهدف إلى تمكين الاجتماع البشري الخيري المتواصل.

8. المقاصد التربوية الحضارية لرسالة المسجد تهدف إلى التعارف والتواصل الإنساني وحفظ ثوابت الأمة الإسلامية، بالاعتماد على المرجعية الدينية والوطنية تحقيقاً للاستقرار والأمن والسلم الاجتماعي.

ثانياً: التوصيات

1. إحياء رسالة المسجد وتفعيلها بتعزيز الأنشطة العلمية والدروس الوعظية والمحاضرات التثقيفية.

2. إعداد منظومة فكرية تأهيلية تهتم بتكوين الإمام تكويناً شاملاً من ناحية الخطابة المنبرية وتقديم الدروس والمحاضرات بأسلوب معاصر جودة وأداء.

3. ربط الأنشطة المسجدية بمؤسسات المجتمع المدني من أجل توسيع دائرة التثقيف الفردي، والحرص على التكامل المعرفي بين المؤسسات الاجتماعية خدمة لرسالة الإسلام. هذا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأثر التبروي للمسجد، صالح بن غانم السدلان، د.ط، د.ت.
- أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، ناصر بن عبد الكريم العقل، د.ط، د.ت.
- أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، إبراهيم بن صالح الخضير، دار الفضيلة للنشر-الرياض، ط2: 1420هـ- 2001م.
- أحكام حضور المساجد، عبد الله بن صالح الفوزان، ط2: 1420هـ.
- أحكام حضور المسجد، عبد الله بن محمد العسكر، السعودية-الخرج، د.ط، د.ت.
- إعلام المساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي، تح: أبو الوفا مصطفى المرأغي(ت: 794هـ)، وزارة الأوقاف-القاهرة، ط4: 1416هـ- 1996م.
- إمام المسجد مقوماته العلمية والخلقية، سعود بن محمد البشر، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عدد الصفحات: 34.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2: 1420هـ- 1999م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1: 1422هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2: 1384هـ- 1964م.
- خلق الإسلام، محمد الغزالي، دار الريان للتراث- القاهرة، ط1: 1408هـ- 1987م.
- دور المسجد في إصلاح المجتمع، الموقع الإلكتروني: <https://khutabaa.com/ar/article>
- السيرة النبوية، راغب السرجاني، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net>
- العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط24: 1416هـ- 1995م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8: 1426هـ- 2005م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3: 1414هـ.
- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت:

666هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5: 1420هـ / 1999م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت. د.ط، د.ت.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2: 1408 هـ - 1988م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1: 1412هـ.
- مكانة المسجد في الإسلام، الموقع الإلكتروني: <https://alimam.ws/ref/2288>.
- مكانة المسجد في الإسلام، موقع مداد، <https://midad.com/article/213664>.

التكوين والتأهيل

وأهميتهما لجودة الخطاب المسجدي

د / محمد الصديق قادري

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

kadri-mohammedseddik@univ-eloued.dz



مقدمة

نهدف من خلال هذه الدراسة بيان حتمية تكوين وتأهيل القائم بالاتصال لتحسين الأداء الخطابي، فغياب مهارات التواصل وحسن الخطاب ومحتواه كفيل بفشل الخطبة المسجدية وضعف تأثيرها، وإن كانت عوامل نجاح الخطبة مشتركة ومتوزعة بين أركان العملية الاتصالية كلها، لكن الحلقة الأهم في هذه العملية كلها هو الخطيب ذاته، إذ تتوزع عوامل النجاح عند الخطيب بين التمكن العلمي والفكري والفكري والثقافي والحس الحضاري العالي المستوى، والمهارات الاتصالية التي يتعلمها في مرحلة تكوينه وتأهيله قبل اعتلاء منبر الخطابة، ومنه إشكالية هذه الدراسة: ماهي أهمية التكوين والتأهيل لنجاح الخطابة المسجدي؟

-أهمية الدراسة:

1. الوقوف على واقع الخطاب المسجدي في الجزائر.
2. رصد وتقييم خطط تكوين الإطارات الدينية، وكيف يؤثر ذلك بشكل مباشر على الخطاب المسجدي.
3. محاولة تقديم تصور للبرقي بالخطاب المسجدي وتطويره.

-الدراسات السابقة:

استعانت هذه الدراسة بالكثير من البحوث التي تركز على التكوين كآلية للتطوير والتدريب، بالإضافة إلى عدد من البحوث عن الخطاب المسجدي وتجديده فيما يتعلق بالأنماط والاتجاهات، من ذلك نذكر مثالا لا حصرا:

1 / نمط تكوين الائمة في الجزائر، بن عثمان فهمية / رسالة ماجستير / جامعة باتنة / سنة 2004.

2/ اتجاهات رواد المساجد نحو الخطاب المسجدي / خديجة زحاف / جامعة الوادي / سنة 2017.

-المنهج المتبع:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي وآلية التحليل، ذلك أن هذا المنهج هو الأنسب لمثل هذه الدراسات.

-مفاهيم الدراسة:

1/ مفهوم التكوين: مصطلح التكوين من المصطلحات المتعددة الاستعمالات، وضبطه يلتزم أساسا بنوعيته ومجاله، ولقد شاع الفعل نفسه لكن بتسمية أخرى كالتدريب، وحسب الأستاذ خلاب نور الدين فإن مراكز البحث بشمال إفريقيا تستخدم مصطلح التكوين أما نظيرتها في المشرق فتسمي الفعل نفسه بالتدريب، وعرفا لا يفرق المستعملون بين مصطلحات التكوين والتدريب والتأهيل والتنمية.

ويعرف التكوين: هو نوع من التكوين يركز على تهيئة المتكون لاكتساب المعارف والمهارات التي يحتاجها لممارسة مهنة معينة.

يعرفه "لوجندر": «مجموعة من الأنشطة الوصفية البيداغوجية والوسائل الديداكتيكية التي تستهدف إلى إكساب وتنمية المعارف (معلومات- مهارات - قدرات - مواقف ...) من أجل ممارسة مهنة أو عمل جديد»

2/ مفهوم التأهيل: جرت العادة استخدام هذا المصطلح في المجالات التي يصعب على الإنسان اقتحامها لوجود عاهة خلقية فيه، كالمعوق عموما إذا أدمج لعلاج سمي ذلك الفعل تأهילה، والمدمن على المخدرات إذا أدخل العلاج سمي ذلك تأهילה، وخلاصة القول هنا أن التأهيل يستخدم عند تعلق الأمر بعلاج معين، أما ما تعلق بتطوير الفرد وتقوية مهاراته فيستخدم مصطلح Habilitation/Qualification للدلالة على استيفاء الفرد لمجموعة من الشروط والمعايير التي تعطيه الحق في مستوى مهني أو درجة مهنية معينة، وهذا المصطلح هو لذي نقصده في هذا الدراسة، وتعرفه منظمة الصحة العالمية "التأهيل هو الإفادة من الخدمات الطبية والنفسية والاجتماعية والتربوية والمهنية من أجل تدريب

وإعادة ترتيب الأفراد لتحسين مستوياتهم الوظيفية".

تعرفه منظمة العمل الدولي: "هو ذلك الجانب من عملية التأهيل المستمرة المترابطة الذي ينطوي على تقديم الخدمات المهنية كالتوجيه المهني والتدريب المهني والتشغيل، مما يجعل المعوق قادرا على الحصول على عمل مناسب والاستقرار فيه". (نور الدين خغلاب، محاضرات في التكوين).

ويجوز استخدام مصطلح التدريب للدلالة على التأهيل، إذ يقول عبد الفتاح رأفت: "عملية تعتمد على تقديم الخبرة والمهارة والعلم للأفراد والجماعات داخل المؤسسات الاجتماعية والخدمية، وذلك لتحقيق أعلى قدر من الأداء في مواجهة المعوقات والعقبات التي تواجه وظائفهم ومهنتهم في ضوء استراتيجية تلك المؤسسات".

أما الدكتور أحمد زكي بدوي فيقول: "هو إعداد الفرد للاستخدام والترقي في أي فرع من فروع النشاط، ومساعدته في الإفادة من قدراته، حتى يحقق لنفسه وللمنشأة التي سيعمل بها وللمجتمع أكثر ما يمكن من مزايا".

ويقول كارت جود: "هو مجموعة أنشطة منظمة ومخططة، تهدف لتطوير معارف الأفراد وخبراتهم واتجاهاتهم، وتساهم في تجديد معلوماتهم، ورفع كفاءتهم الإنتاجية، وقدراتهم على حل مشكلاتهم، وتحسين عملهم وأدائهم".

3/ مفهوم الجودة: مصطلح الجودة كان يطلق قديما للدلالة على الإتقان والدقة، واقترب اللفظ بالجرف كون الناس انتشرت عندهم الصناعات والآثار ...، وفي العصر الحديث تغير معنى هذه اللفظة ليرتبط بعلم الإدارة وتغيرت مفاهيمه واستعمالاته ليصبح له بعد جديد، وأصل كلمة الجودة QUALITAS تعني بأصل طبيعة الشخص أو الشيء ودرجة صلابته.

وجل البحوث التي مرت علي في إعداد هذه الورقة سارت بهذا المصطلح نحو المعاني الاقتصادية والتجارية، وأقرب تعريف يتناسب وهذه الدراسة تعريف ايشيكاوا: الجودة عبارة عن "جودة العمل، وجودة الخدمة، وجودة المعلومات، وجودة التشغيل، وجودة القسم والنظام، وجودة الناس، وجودة الشركة، وجودة الأهداف ومن الواضح أن مفهوم الجودة عن ايشيكاوا يشمل جميع الأشياء الموجودة في المؤسسة سواء أكانت مادية أم بشرية.

المبحث الأول: الخطاب المسجدي ودوره في المجتمع.

الخطاب المسجدي هو أحد صور الخطاب الدعوي عموماً، وجودته تعني بالضرورة الانتقال لمستوى اتصالي أحسن أو أكثر فاعلية، وبالمقابل ضعفه وتراجعه يعني قصوراً في المهمة الدعوية التي كلفت بها أمة الإسلام، ومنه فهو مؤشر الضبط للمجتمع، لهذا اهتمت به الحضارة الإسلامية باعتباره أداة هامة للتأثير في المسلمين وقضاياهم. وللخطاب المسجدي أدوار في مجالات عدة يمكنه أن يكون فاعلاً فيها. وفي التاريخ الإسلامي كانت رمزية المسجد ودوره بارز، فالنبي عليه الصلاة والسلام أول ما بدأ بناء الدولة الإسلامية تشييد مسجد قباء، الذي تجاوز دوره الوظائف التعبدية إلى وظائف اجتماعية وسياسية بل كان نواة السياسة العامة للدولة الإسلامية، ويمكن أن نقسم دور المسجد إلى ما يلي:

1/ الدور التعبدية: أول وظيفة للمسجد هي الوظيفية التعبدية، فالمسلم يأتي للمسجد كل يوم خمس مرات لأداء صلاته، وهذا كفيل بأن يضمن فرداً صالحاً في نفسه ومع أسرته والمجتمع الذي يعيش فيه، ويختتم أسبوعه بأكبر لقاء روعي هو صلاة الجمعة فيسمع ما يشحن قلبه ويقوي إيمانه ويمتن رابطته مع ربه، فجعلت خطبة الجمعة كاتصال جماهيري روعي، يعظ فيه الخطيب النفوس لضمان سيرورة إيمانية بقية أيام الأسبوع، وأكبر جناية ألا يجد الجمهور هذا الإشباع الروحي القوي.

2/ الدور الاجتماعي: ليس المسجد للدور التعبدية فقط بل يتجاوزه إلى كل ما يتعلق بالمجتمع المسلم، فالخطيب أو الإمام دوره بقية الأيام أن ينظر في المجتمع وقضاياها، فيرصد أسباب الظواهر السلبية ويخطط لعالجها وتنبيه الناس لها وضررها وخطورتها، ويثمن الظواهر الإيجابية ويمدح فاعليها ويدعو الجمهور للاقتداء بها، وهذا لا يتأتى إلا بمخالطة الناس والاحتكاك بهم والجلوس لسماعهم.

3/ الدور الثقافي: ربما من أكثر أسباب ضعف الخطاب المسجدي تعطيل الدور الثقافي للمسجد، ونقصد بذلك كل صور النشاط الثقافي القيمي، من ذلك دورات التعليم والتوجيه، حلق العلم، رياض الأطفال، دورات التعليم القرآني، المسابقات الثقافية، حملات التوعية الصحية، المكتبات.... إلخ. إن صورها كثيرة مادامت لا تمس بحرمة المسجد وقديسيته، وهذا الصورة وإن كانت في مجتمعنا فهي محتشمة، وعلى سبيل المثال لا الحصر أن مكتبة المسجد لا تجد فيها إلا الكتب الدينية وكأن حاجة الناس في هذا المجال فقط فلا أثر للفلسفة والطب والعلوم والرياضيات....

المبحث الثاني: أهمية التكوين والتأهيل في العملية الاتصالية الخطابية

يضمن التكوين والتأهيل سير مؤسسة المسجد عموما والخطاب المسجدي خصوصا على نمط إيجابي يضمن الجودة على جميع المستويات ويحقق التكوين والتأهيل مايلي:

1/ تحسين كفاءة الخطيب في مؤسسة المسجد: الخطيب ركن أساسي في العملية الاتصالية الخطابية، وضعفه يعني تراجع تأثيره، والضعف ينسحب على جميع المقومات التي يجب أن تتوفر في الخطيب؛ لذلك لا بد من ضبط دورات تدريبية مستمرة للتأقلم مع جميع متطلبات العصر.

وتسري الكفاءة على الجوانب الآتية:

أ/ الكفاءة اللغوية: ويتم ذلك باستشعار أهمية الفصاحة والأسلوب اللغوي، ليصل الخطيب إلى درجة التكيف الاتصالي الذي يمكنه من القدرة على التعرف على مواضع استعمال اللغة المناسبة للمقام، فكثيرا ما تكون اللغة عائقا لوصول الرسالة والخطاب، وقد يعتقد الخطيب أن دوره قد انتهى بعد أن حرر خطبة تعج بالأسجاع والمحسنات والطباق والشعر، فيلقي كلاما لا يصل إلى القلوب وإن وصل لم يتعد تأثيره حرم المسجد.

ب/ الكفاءة الاتصالية أو الحس الحضاري الاتصالي: من أسباب الانكسار الاتصالي بين المتصل أو الخطيب وجمهور المصلين افتقار الخطيب لمهارات الاتصال على جميع المستويات فخطبة الجمعة ليست مجرد إطار مرتبط بوقت يلقيه الخطيب على جمهور لفترة زمنية معينة ويتحرر منها، إن أعظم انتكاسة أن يأتيك مسلم متحضر ومنتظر لما يربطه بربه ويشحن قلبه لبقية أيام الأسبوع ثم يكرر عليه الخطيب كلمات حررها في عجلة، فيخرج من جمعته كأن لم يتغير فيه شيء، وقد تحدث الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن هذا الصنيع: "سمع خطبة حملت من ليل الشتاء ثلاث صفات: الطول، والبرد، والظلمة، فهي طويلة ولا وحدة موضوعية لها، وهي باردة فلا شحن ولا إثارة فيها، وهي ظلمة أي لا جديد فيها".

2/ الارتقاء الحضاري بمؤسسة المسجد: من الأمور المهمة لتجويد الخطاب المسجدي تفعيل دور المسجد في المجتمع، وذلك حتى يؤدي دوره كاملا، وأي ضعف يعتره ينزل المسجد مباشرة من دوره الحقيقي، والنزول هنا يقصد به التخلي عن أدواره الاجتماعية والثقافية والحضارية... الخ.

والحاصل أن كثيرا من المساجد تخلّت عن أدوارها الحقيقية واكتفت بالجانب التعبدى، وربما المساجد تغلق بمجرد الفراغ من الصلاة المفروضة، وهذا مع مرور الزمن قضى على رمزية المسجد وقزم دور الخطيب في المجتمع.

ومن صور الارتقاء: حسن اختيار الخطيب لموضوع خطبته، فكثيرا ما يحول دون وصول الرسالة أن الجمهور يفكر في شيء والخطيب يفكر في شيء آخر، أي أن توقيت العقول غير منسجم، وهذا ما يفسر الضعف الشديد والتراجع الرهيب للخطاب المسجدي وتأثيره، فالمساجد على كثرتها لا يكاد تأثيرها يذكر وبالمقابل تتسع دائرة التيار المعاكس. هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد لا يحسن الخطيب تناول موضوعه، فالقيمة في تشخيص الداء وحسن علاجه، من ذلك مثلا أسلوب الهجوم الحاد، فكثيرا ما ينتهي بالتنفير أو زهد الجمهور في الخطبة أصلا، إذ يتعمد الجمهور أغلبه أو من يعنهم الأمر الوصول عند إقامة الصلاة فقط.

3/ التكوين والتأهيل نشاط رئيسي مستمر: التكوين نشاط رئيسي مستمر في تطوير المحتوى والأداء الخطابي، ذلك أن الخطيب يحتاج لتدريب نفسه وترقيتها في كل مرة، والحاجة لهذه الاستمرارية ماسة، خاصة ونحن في زمن تتغير فيه المعطيات شكلا ومضمونا كل يوم وكل لحظة، فما كان جديدا ومعاصرا اليوم سيصبح قديما بعد شهور، والجهود على المكتسبات القديمة أو التقليدية من شأنه أن يؤثر درجة التواصل الفاعل.

لهذا على الجهات الوصية اعتماد ما يطور مستوى الخطيب بشكل دوري، فلا يكفي التأهيل الأساسي الذي يسبق ولوج الخطابة مباشرة، وقد ذكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله -وهو خريج جامع الأزهر- بشأن قوة تكوينه، أنه بعد ست جمعات خطيبا لم يجد ما يقوله للمصلين، معنى ذلك أن التكوين القاعدي مهم والتأهيل المستمر ضروري لسيورة الأداء الوظيفي بمستوى عالٍ.

4/ تجسيد روح التكامل المعرفي: من مقتضات التكوين والتأهيل انفتاح الخطيب على تخصصات أخرى تخدم رسالته، فكما أشرنا سابقا على أهمية الانفتاح على وسائل الإعلام وتقوية توظيفها لتجويد الأداء الخطابي، من الضروري كذلك الانفتاح على العلوم الأخرى وأقصد بذلك انفتاح الخطيب على فنون التخصص وعلومه كعلم المقاصد وفقه الواقع... الخ، والانفتاح أيضا على دراسة علم النفس وعلم الاجتماع، فهذه العلوم تشتغل

على الإنسان وعلى المجتمع وكلاهما كفيل بتحسين الخطاب وتجويده، وصور تجسيد ذلك أن الخطيب يعقد دراسات لمعرفة أحوال الناس وميولاتهم وإشباعاتهم واتجاهاتهم، فهذه الأمور ضرورية لتجويد الخطاب ولا يمكن الحصول عليها إلا إذا تدرب الخطيب على توظيفها بشكل صحيح.

وقد يستعين الخطيب بأهل الاختصاص إذا تعذر عليه، من صور ذلك مواضيع ذات التخصص الطبي والصحي لا يصلح لها إلا متخصص، وقد رأينا العجب في ذلك أيام جائحة كورونا.

5/ مبادئ الجودة في الخطاب الإسلامي عموماً:

عرف العمل الإسلامي عموماً سواءً الرسمي أو التطوعي انفتاحاً كبيراً على أسس وأنظمة الجودة العالمية، وهذا المحاولات كان وراءها سنوات من الاحتكاك بالتجارب الغربية، فجاءت نداءات إدراج نظام الجودة كمظهر من مظاهر التجديد، وتحولت هذه الأعمال الدعوية التقليدية في التنظيم والهيكلية إلى مؤسسات صغيرة يتم من خلالها تقسيم الأعمال وتوزيع الأنشطة، ومن ثم القيام بالواجبات المختلفة بما يخدم الدعوة، ويحقق جسور التواصل المستمر مع جمهورها، ومع هذا تعرضت الدعوة الإسلامية إلى مشاكل موضوعية، تتعلق بالمنهج والسير والمبادئ وبعض الإشكالات التنظيمية المتعلقة بالقائد والعامل، وبعض التحديات الواقعية التي تتضمن التكيف مع الواقع ومتطلباته (زواقة بدر الدين، إدارة العمل الدعوي).

ويقوم هذا الانفتاح على أربعة أسس: التخطيط، التنظيم، التنفيذ، الرقابة.

الخاتمة

وفي ختام هذه الورقة يمكننا القول: كثيرة هي دعوات تجويد وترقية الخطاب المسجدي ليتناسب مع العصر الذي كثرت فيه التحديات والصراعات، أمام واقع لا يقبل الضعف ولا يتعايش مع الخصوصيات ولا يعتبرها. ونرفع هذه التوصيات للجنة الملتقى الوطني التاسع الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها:

1/ ضرورة رسم خطوات عملية لتجويد الخطاب المسجدي، وينطلق هذا من البذرة الأولى التي يتم فيها اختيار الخطباء.

2/ تفعيل الدورات العلمية المتخصصة متعددة المجالات لتوسيع مدارك الخطباء

وتدريبهم على متطلبات العصر.

3/ الاهتمام بالتكوين القاعدي للخطباء، خاصة تنزيلات فقه الواقع والخطابة والمقاصد.

4/ الاهتمام بمؤسسة المسجد وتوسيع مجال فاعليتها ومشاركتها في المجتمع.

5/ ضرورة الاهتمام بالتكوين الإعلامي للخطباء، خاصة الانفتاح على القوالب الجديدة لإعطاء الخطب المسجدية مساحة تأثير أكبر من الحيز المسجدي.

6/ تفعيل إتفاقيات تحسين المستوى وتكملة المسار الدراسي بين الجامعة ومؤسسة تخريج الأئمة.

قائمة المراجع:

1/ الخطاب المسجدي وشروط كفاءته كما يدركها المتلقي، الشريف مرزوق، رسالة دكتوراة، جامعة باتنة، 2018.

2/ إدارة العمل الدعوي، زواقة بدر الدين، مطبوعة جامعية موجهة للسنة أولى ماستر دعوة وإعلام، 2011.

3/ محاضرات مدخل إلى هندسة التكوين، نور الدين جغلاب، مطبوعة جامعية موجهة لمستوى ماستر إرشاد وتوجيه، جامعة الوادي.

4/ إدارة الجودة، رحمانى سناء، مطبوعة جامعية موجهة للسنة الثالثة إدارة أعمال، جامعة المسيلة، 2018.

مقومات الخطاب المسجدي وإشكالاته مع أثره في معالجة قضايا الواقع

د/ مليكة زيد

دكتوراه دعوة وثقافة إسلامية

كلية العلوم الإسلامية-جامعة الوادي (الجزائر)

malikazid@yahoo.com



المقدمة

إنَّ الحديث عن رسالة المسجد ودوره الشمولي في ريادة المجتمع وبنائه في جميع جوانبه الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية إذ هو من الموضوعات الحساسة ذات الأولوية وجدُّ مهمة من حيث نوعيتها وقيمتها ومكانتها خاصة في ظلِّ ظروف الثورة الفكرية الإعلامية وحملاتها ضد الدور الريادي للمسجد، بغرض زعزعة استقراره وتشويه سمعته ومحاولة إبعاده عن الساحة بشقّي الطرق والوسائل، ومنعه من أداء واجبه والقيام بمهامه المنطوية به منذ صدر الإسلام.

ليصبح دور المسجد أمراً جد ملموس على أرضية الواقع بكلِّ وضوح، والتاريخ يشهد مسيرة المسجد في تخريج العديد من المشايخ والعلماء والفقهاء والخطباء والوعاظ والقراء، فبات المسجد على مرِّ العصور مؤسسة قائمة للإبقاء على دورها من خلال مسؤولية أئمتها وخطبائها القائمين على الدور الخطابي التوعوي والتوجيهي والتحسيبي والتاريخي المتميز، فيتحنم على القائمين عليه الاهتمام بالخطاب الذي يمثلّه والذي هو في الأصل تعبيراً عن الحالة الإسلامية في عموميتها وخصوصيتها وتقييم رسالته تقييماً يهدف إلى تطويره، وإنَّ تفحص هذا الأمر يحتاج إلى دراسة مستفيضة لواقع هذا الخطاب بمدارسة إشكالياته المعاصرة وما يستلزم من مراجعات ليلحق بركب الحضارة وأدواتها المعاصرة، يقول الدكتور عمر عبيد حسنة في "كتابه مراجعات في الفكر والدعوة والحركة": (وقد نكون اليوم أكثر من أيّ وقت مضى بحاجة إلى القيام بالمراجعة للخطاب الإسلامي في الدعوة، وخاصة في هذه المرحلة بالذات، حيث السُّقوط الحضاري للمقولات

العالمية التي كادت تشكل أمل الفقراء).¹

وللاهتمام بهذا الموضوع عمد العديد من الباحثين في دراسته من جوانب عدّة استفاد منها البحث في محاولة جمع شتات مادة البحث بين صفحات هذه المجهودات كدراسة توابيتية الطاهر، دور الخطاب المسجدي في إرساء أبعاد التنمية المستدامة دراسة استطلاعية على عينة من بعض المصلين في ولاية تبسة، مجلة البحوث الاقتصادية والمالية، مج7، العدد1، 2020، ودراسة جمال محمد بواطنه، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، وهو بحث مقدم في المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فلسطين، د، ت، ودراسة بلال بوسنة، دور الخطاب الديني في معالجة أزمت الواقع –الخطاب المسجدي أنموذجا -مجلة العلوم الإسلامية، مج1، العدد1، 2019م، ودراسة عبد اللطيف حني حول آليات الخطاب الديني المعاصر أمام تحديات العولمة، المعهد الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، مركز الجامعي الطارف، د، ت، ودراسة عبد الله بوقصة، آليات الخطاب المسجدي مقاربة تداولية الشيخ أحمد سحنون أنموذجا، مجلة حوليات التراث، 2019م، العدد 19، محاولة الخروج بنتائج تخدم الغرض.

فتكتسب أهمية هذا البحث بضرورة الاهتمام بمسألة الخطاب المسجدي إستجابة لمتطلبات الواقع والإطار الدولي والمجتمعي الذي يحيط به في المرحلة الراهنة، والتي تنبثق بالدرجة الأولى من أهلية الخطيب المسجدي ودوره في حمل هذا اللّواء وفق آليات وأساليب تسعى في تغيير نمط الخطاب القائم على السرد.

ونظراً لعمق الموضوع وأهميته التاريخية والاجتماعية والسياسية والدعوية عمدت هذه الورقة البحثية لتحقيق الأغراض الآتية مستخدما في ذلك المنهج الوصفي:

- ✓ التعرف على أهمية الخطاب المسجدي وقدرته في إحداث التغيير في المجتمعات.
- ✓ الوقوف على إشكالات الخطاب المسجدي المعاصر والتي تحتاج إلى تعديل وتطوير.
- ✓ الوقوف على أهم آليات الخطاب المسجدي المنوطة بتحسين أدائه.
- ✓ تحديد أساليب الخطاب المسجدي ومساهمتها في التسلل إلى مداخل العقول وكوامن القلوب

¹ عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1419هـ، 1998م)، ص 47.

✓ بيان العلاقة التي تربط بين الخطيب والرسالة والمتلقين من جمهور المصلين.
 ولمعرفة جوانب هذا الموضوع انطلق البحث للإجابة على التساؤلات الآتية:
 ✓ ما مفهوم الخطاب المسجدي؟
 ✓ ما هي آليات تطوير الخطاب المسجدي للنهوض بالمجتمع في ضوء متغيرات الواقع؟
 ✓ ماذا يستوجب من الخطيب المسجدي اليوم لتطوير خطابه؟
 ✓ ما هي أسباب ضعف الخطاب المسجدي؟
 ✓ ما هي الاقتراحات المقدمة لأئمة وخطباء مساجد الوادي لتطوير الخطاب لدرجة التغيير والتأثير؟
 فارتكز البحث على أهم الآليات المساعدة في إنجاح وتطوير الخطاب المسجدي وريادته هي كالآتي:

- آلية فقه الواقع
- آلية فقه النفوس
- آلية الخطاب الإقناعي والتأثيري المسجدي.

المبحث الأول: مفهوم الخطاب المسجدي

المطلب الأول: مفهوم الخطاب

أولاً: لغة

• يعرفه العلامة الرّازي في "معجم مقاييس اللغة" بالقول: (هو من مصدر خاطب يخاطب خطاباً، ومخاطبة وهو يعني الكلام بين اثنين والخُطْبَةُ: الكلامُ المُخْطُوبُ بِهِ. وَيُقَالُ اخْتَطَبَ الْقَوْمُ فَلَانًا، إِذَا دَعَوْهُ إِلَى تَزَوُّجِ صَاحِبَتِهِمْ. وَالْخُطْبُ: الْأَمْرُ يَقَعُ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ التَّخَاطُبِ وَالْمُرَاجَعَةِ¹).

• ويعرفه العلامة ابنُ منظور في "لسان العرب" بالقول: (الخطاب هو مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب²، وهما يتخاطبان وإن كان يدل معنى الخطاب عند العرب أنه الكلام، ولكن من ناحية أخرى الخطابة لها مكانتها باعتبارها لتغيير المواقف والتأثير في الآخرين وقد استمدت مكانتها في العهد الجاهلي

¹ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة خطب (دار الفكر، د، ط2، ج،

1399 / 1979م)، ص 198.

² ابن منظور، لسان العرب، مادة خطب) بيروت: دار إحياء التراث العربي ط1، 1418هـ)، ص182.

من سلطة القبيلة إلا أنه مع مجيء الإسلام استمدت سلطة التأثير من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، ولهذا تدل أيضا على الخطب، الشأن والأمر¹، وجاءت مادة خطب في عدة مواضع في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص:20].

ثانيا: اصطلاحا

• هو كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها.²

وقد ذكر الفيلسوف أرسطو مكونات الخطاب في ثلاثة عناصر هامة جاءت في قوله: (أما اللاتي ينبغي القول فيهن على مجرى الصناعة فتلاث إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ والثالثة كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول)³.

ومن هذا القول يستخلص عناصر الخطاب مبنية على المبادئ الآتية:

- عنصر الإقناع
- الأسلوب أو التنظيم
- ترتيب أجزاء القول.

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب المسجدي

حسب ما توصل إليه الباحثون والدعاة المعاصرون لم يظهر في تاريخ الدعوة وفي ثقافة المسلمين قديما مصطلح الخطاب المسجدي بهذا التركيب، فأشار إليه البعض كونه مصطلحا جديدا ذاع في العصر الحديث عند شيوع الثورة الفكرية الإسلامية وانتشارها، بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل

¹ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير، (الإصدار 15، القاهرة، دار المعارف، 2008م)، ص 1194.

² أحمد عبد الله، تأويل الخطاب المسجدي في الفكر الحدائي الجديد، (القاهرة: مجلة كلية أصول الدين، مج 22، 2005 م)، ص 2، وجمال محمد بواطنه، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، بحث مقدم في المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فلسطين، د، ت، ص.3.

³ أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، رسالة ماجستير الخطاب في قصة إبراهيم، 1983م، ص 181.

الجهاد والخلافة والديار والخراج... الخ، وأنما هو مصطلح جديد، اصطلاح عليه أهل هذا العصر، فحصره البعض بما فهم الدعاة المعاصرون:

• في أساليب وآليات الإتصال والإقناع في مخاطبة المتلقي أو السامع كالـدكتور عبد الحليم محمود في " كتابه فقه الدعوة " بالقول: (بأنه لون من ألوان القول يحشد به الخطيب من الأسباب ما يمكنه التأثير على سامعيه وجذبهم بما يسوق من الحجج والبراهين المقنعة)¹.

• وهو كل إنتاج ذهني منطوق أو مكتوب يقوله الفرد أو جماعة حقيقية أو اعتبارية كالمؤسسات مثلاً، ومن ثم قد يكون الخطاب سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو دينياً.²

• كما يُعدُّ الخطاب المسجدي إنتاجاً سيثيوثقافياً يصاغ في سياقات اجتماعية وثقافية وأعراف استقر عليها المجتمع الذي تحدث فيه عملية التواصل، فيكون الإمام الخطيب أداة التوسط المثلى وصوت رسالة التوحيد قناة للتواصل بين العبد وربّه فالسلطة الدينية – الإمامة – تخوله ليحمل الأبعاد الدينيّة والاجتماعية والأيدولوجية والسياسية لها هدفها الديني بالدرجة الأولى.³

ولا يمكن حصر الخطاب المسجدي في خطبة الجمعة وحدها فهو يعبر عن كل ما يقدّمه المسجد من أعمال علمية تتم صياغتها لغوياً من خطبة الجمعة إلى درس الجمعة إلى الدروس المختلفة المتعلقة بالمناسبات وغيرها، مما يهدف إلى إحداث نوع من التأثير في رواد المسجد ويحدث نوعاً من التغيير في محيط المسجد باعتبار المسجد هو المؤسسة التي تنتج هذا الخطاب.⁴

وللإضافة فإن للخطاب المسجدي أسس يقوم عليها، بينها ارتباط وثيق ينبغي لخطباء المساجد أن تكون لهم دراية تامة عنها كونها تعدّ من أهم مصادر الخطاب، بها ينتج الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية وأقوى سلاح في انتصار رسالة الخطيب وهي:

¹ علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله (دار الوفاء للنشر والتوزيع، د، ط، د، ت) ص 169.

² محمد حافظ دياب، سيد قطب الخطاب والأيدولوجيا، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، 1988 م)، ص 15. رزقي أمين، مصادر وقنوات الخطاب المسجدي، د، ت، بصيغة pdf.

³ خديجة إبراهيمي، الأبعاد التداولية للخطاب المسجدي – خطب الجمعة أنموذجاً -، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج8، العدد 5، 2019م، ص 593.

⁴ المرجع نفسه، ص 1.

- الوحي والمتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة.
- وما أرشد إليه من إجماع الصحابة: وهو اتفاق المجتهدين من أمة النبي ﷺ في عصر من العصور بعد وفاته على حكم شرعي، وفي أمر من الأمور العملية.
- القياس: هو بيان حكم أمر غير منصوص على حكمه بإلحاقه بأمر معلوم حكمه بالنص عليه في الكتاب والسنة.¹
- واللغة العربية وهي وعاء أفكاره ومعارفه وهي جزء جوهري في إعجاز القرآن: ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [الزخرف:3] فكان من الواجب أن تكون اللغة العربية هي التي يقوم الخطاب المسجدي ويجب مزجه باللغة العربية لأنه بخصائصها المشتركة تتولد طاقة عظيمة كفيلة بإنهاض المسلمين.²

المبحث الثاني: آليات لتطوير الخطاب المسجدي

- إنَّ دراسة المجتمعات وفهم واقعها وتاريخها وثقافتها ومعادلاتها الاجتماعية هو الذي يوضح آليات التعامل معها ومواصفات خطابها، وهذا ما ينبري على الخطاب المسجدي من خلال وظائفه التعبيرية إلى اتخاذ آليات لتحقيق أهدافه وغاياته المنشودة، وقبل الولوج في تقديم آليات هذا النوع من الخطاب أشير إطلالة إلى واقع الخطاب المسجدي اليوم وهو يعيش أزمة سببها عجزه عن تحقيق ثلاث مهمّات أساسية وهي:
- عدم قدرته في القضاء على الاختلافات المذهبية والطائفية السائدة والتي تسببت في إجرام الآخر وتكفيره فيزعم كلُّ واحدٍ أنَّه يملك صواب خطابه وسداده.
 - عدم الأخذ بأيدي المجتمعات الإسلامية وحمايتها من جميع الآفات التي أودت بها إلى انحراف اجتماعي وتدهور ثقافي ومسح أخلاقي شائع.
 - عدم قدرته على تحصين المجتمعات الإسلامية من الأمراض الدَّخيلة في شتَّى جوانبها كاللَّطَرف والتَّعصب وآثار الفكر المتعنف والطائفي، والانحراف الخلقي والآفات الاجتماعية.. وقد أثرت هذه الأمور على واقع الخطاب المسجدي اليوم فانعكست سلباً

¹ شيخ عمر الهواري، تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية، جامعة وهران، السانبا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014/2015، ص4.

² تواتية الطاهر، دور الخطاب المسجدي في إرساء أبعاد التنمية المستدامة دراسة استطلاعية على عينة من بعض المصلين في ولاية تبسة، مجلة البحوث الاقتصادية والمالية، مج 7، العدد1، 2020، ص146.

عليه بنشوء إخفاقات وسلبيات أثّرت على دافعيته وكماله فكانت نتيجتها مجموعة مظاهر وأسباب نذكر بعضها:

✓ الضّعف العام على مستوى المضمون، تظهر في هشاشة المحتوى وفي الفهم المغلوط للقضايا والأمور التي يتوجّب معالجتها من المنظور الإسلامي.

✓ الإرتجال والعفوية بسبب غياب التّخطيط وعدم الأخذ بالأسلوب العلمي في إخضاع الموضوعات والقضايا والمواقف المعروفة والحالات القائمة والمبادرات الفردية والنأي عن التعاون وتنسيق الجهود وتضافرها والعزوف عن المواجهة الجماعية المترابطة والمتراصة والمتضامنة.¹

✓ النّزعة الاتهامية السّائدة في الخطاب الديني السياسي وهو لوم الآخر واتهامه² كان نتيجتها الاختلافات المذهبيّة والفكرية والثّقافية وتصاعد وتيرة الصّراعات السّياسية المحليّة كانت أو الإقليميّة أو الدّولية، ممّا انعكست سلبيّاً على الخطاب المسجدي فجعلت منه خطاباً مشتّتاً متعارضاً متعدّد الرّؤى مفقود الوحدة والتّرابط والانسجام.

✓ ضيق الأفق ومحدودية الرّؤية، والتّركيز على اللّحظة الحاليّة، وحصص الإهتمام بها دون التّطلّع على المستقبل وتحرك كثير من أنماط الخطاب الديني والمسجدي على السواء داخل دائرة ردّ الفعل وعدم إتخاذ المبادرة في حالات نادرة.³

✓ النّزعة الماضوية التي لازمت الخطاب المسجدي وجعلته أسيراً للماضي ينحصر في إعادة إنتاج مقولات الفقهاء القدامى في بحث في الماضي عن حلول لمشكلاته الحاضرة، واقتصره بتمجيد التّاريخ والتّغنيّ بالانتصارات والأمجاد والأبطال مع تجاهل المظالم ومظاهر الفساد بجميع أشكاله ومظاهره والإستبداد والإنقسات والحروب ضدّ الشّعوب الأخرى بالتّنديد لهذه المظالم عن طريق الخطاب العالمي.

✓ الإستمرار في الإعتماد على الطريقتة التّقليدية في مخاطبة النّاس بالدعوة إلى الإستفادة من الوسائل الحديثة التي تمتاز بقوة التّأثير وسهولة الوصول إلى الجماهير سواء الفضائيات والإذاعة والأنترنت ومواقع الإللكترونية...

¹ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الخطاب الاسلامي بين الاصلية والمعاصرة (الرباط: الإيسيسكو، ط1، 1424 هـ، 2003م، ومنشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة للإيسيسكو، ط2، 1424هـ/ 2003م)، ص 20.

² جمال محمد بواطنه، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، المرجع السابق، ص، 6، 7.

³ عبد العزيز بن عثمان التويجري، الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، المرجع السابق، ص 21.

✓ عدم الإهتمام بتطوير وسائل الخطاب التقليدي والضعف الشديد لدى العديد من الخطباء في إستغلال خطب الجمعة والمنابر في المحتوى.

✓ عدم الإهتمام بتطوير طريقة الخطاب والإبقاء على الطريقة التقليدية من حيث المضمون والأسلوب، فضرورة تطويره من حيث الآليات والطرق.

✓ إهمال مصالح الناس وحاجاتهم العملية وهمومهم اليومية والتركيز على القضايا النظرية.

✓ إهمال الخطاب المسجدي للقضايا المعاصرة التي تشغل الرأي العام مثل: الحريات وحقوق الإنسان، وتنمية البعد الإنساني في التشريع الإسلامي، حقوق الأقليات في الإسلام وفي المقابل الإستغراق في الخطاب الوعظي والبياني الذي يستعرض المقدمات اللغوية حتى يصبح كسجع الأعراب.¹

فبات من الضروري النهوض بدور الخطاب المسجدي في بناء الأمة وحماية المجتمعات وتنميتها عن طريق تطوير وسائله وآلياته الخطابية حتى يلحق بركب التطور والتقدم الحضاري، والدور هنا يقع على عاتق خطباء المساجد بعدم استغراقهم في الخطاب الوعظي والبياني وتحول هذا الخطاب إلى خطاب شمولي يعالج كل القضايا والمشكلات التي تمس الفرد والمجتمع، ولنا في صدر الإسلام الخطاب النبوي أنموذجا تاريخيا من حيث التكامل والشمول والدقة.

وانطلاقا مما سبق بعد عرض لمختلف الإشكالات والنقائص التي ظهرت في ملامح الخطاب المسجدي المعاصر والتي لامس أثرها على المجتمعات بالسلب، كان لابد لهذا الخطاب من آليات وأساليب وأدوات لكي يستطيع مواجهة مختلف العقبات التي تحول بينه وبين تحقيق أهدافه وتحجبه عن التأثير والأقناع، ومن ثمّ التغيير والإصلاح، ومن أهم الآليات المساهمة في تطوير الخطاب المسجدي المعاصر هي كالاتي:

المطلب الأوّل: آلية فقه الواقع وقضاياها المستجدة

أوّلا: فقه الواقع

فقه الواقع من المصطلحات التي تدعو إلى فهم القرآن الكريم والسنة النبوية وفق منظور العصر الحالي، بل ما هو أبعد من ذلك، لما فيه نفع للعباد وتيسير شؤونهم، وهو

¹ جمال محمد بواطنه، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، المرجع السابق، ص 3.

مصطلح زاد استخدامه في الفترة الأخيرة بشكل كبير، خاصة بعد ظهور الكثير من التحديات الراهنة أصابت الأمة في كيانها وجميع مجالاتها الحياتية، وفي هذا الوقت نادى العديد من العلماء بضرورة تطوير الخطاب المسجدي ومواكبته لهذا العصر وإنزال فقه الواقع على قضاياها المستحدثة، وهذا ما سنعالجه في هذه الجزئية في علاقة فقه الواقع بالخطاب المسجدي.

وقبلولوج في هذا العنصر أقدم إطلالة على مفهوم فقه الواقع للغموض الذي يشوبه ولعدم التعرض إلى دلالاته إلا القليل رغم كثرة تداوله في الآونة الأخيرة.

أ - لغة: وقع، يقع ووقعا أي سقط، وقع عليه القول أي وجب، والواقع أي الحاصل يقال أمر واقع، والواقعة القيامة أو النازلة من ظروف الدهر.¹

ب- اصطلاحاً: يتمثل فقه الواقع بدراسة: (كل ما يقع للناس من حوادث ومستجدات ووقائع في حياتهم اليومية ولم تكن مدونة في التشريع الإسلامي وتحتاج إلى أحكام وبيان سواء في مجال العبادات والمعاملات وأحوال الأسرة وكل ما يتعلق بحياة الناس).²

وعرفه الدكتور عبد المجيد النجار فقال: « نعني بالواقع ما تجري عليه حياة الناس، في مجالاتها المختلفة، من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث».³

ويعرفه الأستاذ عمر عبيد حسنه بالقول: « فالنزول إلى الميدان وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تنزل عليهم في واقعهم، في مرحلة معينة، وما يؤجل من التكاليف لتوفير الاستطاعة، إنما هو فقه الواقع، وفهم الواقع، إلى جانب فقه النص».⁴

وفي تعريف آخر هو: (النزول على الميدان وإبصار الواقع الذي عليه الناس، ومعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم واستطاعتهم وما يعرض لهم، وما هي النصوص التي تنزل على واقعهم في مرحلة معينة وما يؤجل من التكاليف التي توفر الاستطاعة).⁵

¹ ابن منظور، لسان العرب، المرجع سابق، ج 8، ص 403.

² مدخل إلى فقه النوازل، موقع وزارة الشؤون الدينية، <https://www.marw.dz/media/sm6.doc>

³ أحمد أبو عود، فقه الواقع ضوابط وصول، (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مج 1، 2006)، ص 20.

⁴ المرجع نفسه، ص 20.

⁵ عبد المجيد السوسوسة الشرفي، الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، مجلة الأمة، العدد 62، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر، 205، ص 32.

ويرى الشيخ القرضاوي أنَّ الواقعية في الإسلام تعني: «مراعاة واقع الكون من حيث هو حقيقة واقعة، ووجود شاهد، ولكنه يدل على حقيقة أكبر منه ووجود أسبق من وجوده، وهو وجود الواجب لذاته، وهو وجود الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً»¹. فتأتي أهمية فقه الواقع في بيان أحكام القضايا والنوازل والمستجدات التي تواجه الناس، النهوض بالمجتمع وتوعيته وتنميته ورقيه، وتحقيق مصالح العباد ومراعاة حاجاتهم.

ثانياً: حاجة الخطاب المسجدي إلى آلية فقه الواقع

إنَّ العلاقة بين الخطاب المسجدي والواقع علاقة ارتباطية، بيد أن دورهما لا تكتمل إلا إذا توفَّر عنصر ثالث يلعب دور المترجم وهو الخطيب (الإمام)، وهذا الأخير يجب عليه أن يفقه محتوى مشكلات الواقع ويسعى أن يكون واسطة بين الواقع والخطاب ويترجم ذلك إلى الناس، والملاحظ أنَّ الخطيب المسجدي يُستفَرَّ من قبل متغيرات الواقع، إذ نرى خطيب المسجد لازال بصبغته التقليدية لا يستهوي جمهور المصلين في ظلَّ التحديات والصراعات والقضايا التي تواجههم² كالبطالة، والعنوسة، وتأثيرات وسائل التواصل الاجتماعي، وانتشار المخدرات، وانحطاط القيم... تحتاج جميعها إلى توجيه وبيان في التعامل معها وسبل مواجهتها، فمطلوب من خطباء المساجد وأئمتها أن يغوصوا في أعماق هذه المشكلات المرضية لدى المجتمعات ويخرجون بحلول عاجلة لها قائمة على دراسات قويَّة، بعدم إبقائه في إطار تعميمات ثقافية إسلامية عامة وإهتمامه بالدراسات الفرعية دون الأصولية، والتوجه للتعرف على طبيعة العصر أو الواقع وثقافته وتجدد الفكر والحياة فيه، كأن يكون خبيراً بظروفها ومستجدَّاتها، فالذي يريد أن يجيّد لهذه الأمة أمرَ دينها عليه أن يكون خبيراً بواقعها غير متجاهل لأمرها، حاضراً عارفاً بعلمها ومحيطاً بالأحوال العالمية من حوله تلك التي لها علاقة بأمتة فإنه لا يتحرك في فراغ³.

كما يجدر به أن يحمل لواء المسؤولية في قيادته وتوجيهه لنشاطات الأمة موجِّهاً لسلوكها متَّصفاً بالقرآنية والهداية، يجعل من إقامة العدل هدفاً أساساً له، وهذه العدالة صفة

¹ أحمد أبو عود، فقه الواقع ضوابط وأصول، المرجع السابق، ص 20.

² بلال بوسنة، دور الخطاب الديني في معالجة أزمت الواقع – الخطاب المسجدي أنموذجاً - مجلة العلوم الإسلامية، مج 1، العدد 1، 2019م، ص 136.

³ محمد بن شاکر الشریف في كتابه تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، المرجع السابق، ص 19.

تحمل على ملازمة التَّقوى والمروءة تتحقق باجتناّب الكبائر وعدم الإصرار على الصَّغائر وكل ما يقدح بالمروءة في عرف النَّاس، متمسِّكاً بالدين اعتقاداً وقولاً وعملاً لا يظهر منه أيّ تهاون بالشَّريعة فضلاً عن الخروج عليها أو التَّساهل والتَّفريط فيما دلَّت عليه.¹ كما يجب أن يكون خطابه مواكبا العصرنه، فالنَّاس أو المصلون يحتاجون إلى خطاب يحاكي مشكلاتهم وتحدياتهم وواقعهم وفكرهم انطلاقاً من فكر ديني يجعل النقل والعقل وسيلة لتحصيل الإيمان الصحيح دون أن يتعارض مع التقدم العلمي والتكنولوجي، فالمجتمعات بحاجة إلى نهضة فكرية علمية دينية اجتماعية وثقافية واستثمار ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية تعيد لها أمجادها الماضية قدما في الإسهام الفعال في بناء الحضارة العالمية، وإنَّ التحلي بأدوات العلم والمعرفة وبالإيمان القويم هما السلاحان الأقوى لمواجهة التحديات المعاصرة، إذ يستطيع الخطاب المسجدي بتأثيراته المختلفة على الناس أن يكون وسيلة متجددة من وسائل التنمية بكل أشكالها.²

وهذا ما نسميه بآليات الخطاب المسجدي التي ينشدها الواقع من حيث المواضيع التي تلازمه، وتشخيص أحداثه، يعالجها بما يتوافق مع أحكام الشرع وبما يخدم الإنسانية، لأنَّ جمهور الناس اليوم يؤسوا من الخطب القديمة المتكررة والخطب التلقينية المعتادة التي ألفها المصلون وصارت لا تحرِّك فيه ساكنا.

المطلب الثاني: آلية فقه النفوس

إنَّ الإنسان هو المحور الذي عليه يدور الواقع، منه يبدأ وإليه ينتهي، ولا يمكن أن نتكلم عن واقع بدون إنسان أو إنسان بدون واقع، وذلك لعلاقة التحكم بين الطرفين ومن كليهما، فيتكيف الإنسان معه أو يكيّفه طبقاً لحاجياته ومقتضيات التشريع بما وهبه الله عز وجل من استعدادات فطرية تختلف من إنسان إلى آخر، كل حسب طبعه ومزاجه وخصائصه النفسية، لكن رغم هذا، هناك نوازع تحمل في النفس الميل إلى الخير أو الشر كما أشار إليها الإمام الشاطبي عليه رحمة الله قائلا: (والقلوب جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) والخطاب المسجدي جزء من هذا الواقع، دوره منوط في تعزيز ما جبلت عليه النفوس التي تميل إلى الخير وتنبت الشر وهذه طبيعة إنسانية فطرية.

¹ المرجع السابق، ص 18.

² عبد اللطيف حني، آليات الخطاب الديني المعاصر أمام تحديات العولمة، المعهد الآداب، قسم اللغة العربية وأدائها، المركز الجامعي بالطارف، د، ت، ص 5.

أولاً: مفهوم فقه النفوس

✓ فقه النَّفس الذي هو: الميزان الذي يرجع إليه في إجازة فتوى المفتي وعدمها يقول النَّبِيُّ ﷺ: « رَبِّ حَامِل فقه ليس بفقيه ».

✓ ويقول إِبْنُ صَلاح في شروط المفتي: (ويكون فقيه النَّفس، سليم الدِّهن، رصين الفكر، صحيح التَّصَرُّف والاستنباط متيقِّظاً).¹

✓ ويقول الإمام الشَّاطبي رحمه الله: (إنَّما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتَّصف بوصفين، أحدهما فهم مقاصد الشَّريعة على كمالها، والثاني التَّمكُّن من الاستنباط بناء على فهمه فيها).²

✓ وذكر الغزالي في كتابه: "المنحول" على أنَّ: (فقه النفس لا بد منه، وهو غريزة تتعلق بالاكْتِسَاب) وذلك أن فقه النفس سَجِيَّةٌ راسخة في النفس تُمَكِّنُ صاحبها من شدَّة الفهم لمقاصد الشَّارع، وتعليق الأحكام بمداركها، والتَّصَرُّف في موارد الشَّرع لدروب من التقريب والمناسبة، ولذلك اعتدَّ به في شرائط الاجتهاد، وعُدَّ من أنفس صفات علماء الشَّريعة، ومن ثمَّ تعيَّن على المُعرَفِ التَّقيد بالمجال الفقهي والاجتهادي، وإلا فالملكات والاستعدادات الفطرية مطلوبة في الفنون جميعاً.

✓ وذكر جلال الدين المَحَلِّي من أن: (فقيه النفس هو شديد الفهم بالطبع لمقاصد الكلام).

ثانياً: حاجة خطباء المساجد إلى فقه النفوس

من أهم الأولويات التي على الخطيب مراعاتها هو فقه النفوس، ولتحليل خصائص جمهور الناس أو المصلين المتعلقة بهم يجب أن:

✓ يضع نفسه مكان الجمهور، حتى يخاطبه بلغته آخذاً بعين الاعتبار رغباته وثقافته وحاجاته وأذواقه... وكل ما هو متعلقاً بهم لذلك يجب دراسته من جميع

¹ ابن صلاح الشهرو زوري، أدب المفتي والمستفتي (عالم الكتب، مكتبة العلوم والحكم، ط 1، 1407 هـ، 1986 م)، ص 12.

² إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان (دار بن عفان، د، ط، ج 4، د، ت)، ص 105.

✓ عندما يلقي خطاباً فإن عليه أن يأخذ اهتمام المستمعين بعين الاعتبار، إذ لا يطرق موضوعاً لا يناسب ظروفهم وثقافتهم ولا ميولهم وأحوالهم، لأنَّ الحديث إلى عموم الناس يختلف فالمتقف ليس كالعامي والجاهل والغافل ليس كالواعي... فيتزل في العبارة مع العامة على قدر عقولهم ويتوسط مع الأوساط ويتأنق مع الخاصة فيكون مع جميع الطبقات حكيماً.²

✓ مراعاة حالهم وفي أيّ ظرف كان، فيوجز في موضع الإيجاز ويسهب في موضع الإسهاب ويتكلم فيما يهم الناس ويمس واقعهم ويترك ما لا يتعلق به عمل ولا تترتب عليه فائدة شرعية أو دنيوية.

✓ مراعاة مقتضى الحال تقتضي مراعاة الزمان والمكان والمخاطبين وعاداتهم وأعرافهم وحاجاتهم وضروراتهم فكل خطاب لم يراع هذه الأمور لا يلقي قبولا عندهم في الغالب، فتبليغ الشريعة مثلاً: يجب أن تتناسب مع فهم الخاصة والعامة في موضع يتمثله الجميع وليس المعنى هنا تطويع الشريعة وإنَّما يجب وضعها في الاعتبار عند مخاطبة بالحكم الشرعي وعند النظر في الدلالة الشرعية وعند الإجهاد في انطباقها على المخاطبين أو عدم انطباقها.³

✓ الإحاطة بمقاصد الشريعة فظهوره بصفة الخطيب المجتهد أو المفتي الذي يدعم خطابه بأحكام الشريعة ومقاصدها ومداومة النظر وبذل الجهد لبلوغ المرحلة القصوى في التحقيق والاجتهاد عند إحاطته بمقاصد الشريعة، وفقه النفس هو الميزان الذي يرجع إليه في إجازة فتوى المفتي وعدمها يقول النبي ﷺ: «رَبَّ حَامِل فقهه ليس بفقيه» ويقول ابنُ صلاح في شروط المفتي: (ويكون فقيه النفس، سليم الذهن، رصين الفكر، صحيح التصرف والإستنباط متيقظاً)⁴ ويقول الشاطبي رحمه الله: (إنَّما تحصل درجة الإجهاد لمن اتَّصف بوصفين أحدهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها والثاني التمكن من الإستنباط

¹ إبراهيم أبو يعقوب المجدلاوي، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الإيجابي، للنشر والتوزيع، 1993 م، ص 152.

² شيخ عمر الهواري، تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية، المرجع السابق، ص 94.

³ المرجع نفسه، ص، ص 32، 35.

⁴ ابن صلاح الشهرو زوري، أدب المفتي والمستفتي، المرجع السابق، ص 12.

بناء على فهمه فيها).¹

وعليه فإنَّه لابدَّ على الخطيب المسجدي أن يراعي أحوال جمهور النَّاس من المصلين في كل مجتمع من المجتمعات وبما لا يخالف أصول الدين و ثوابته، وإن إعراض الناس عن الخطاب المسجدي في السنوات الأخيرة كون الخطاب بعيد كل البعد عن واقعهم بينما يفترض على الخطيب أن يغوص في واقع المجتمع وأن يعايش أهله وأن ينشغل بهمومهم ورغباتهم لكي يصل إلى علاج هذه الهموم والتي تختلف كثيرا عن هموم الناس في العصر السابق وغيره، فيكون عقب هذا الأثر نفعه عاما ومشهورا بين أعلام الأمة، لكون منهجه لا ينحصر على فئة معينة وإنما لإصلاح واقع الأمة تحت راية الإسلام فلا يدخل في المجددين من إنحصر أثره في طائفة أو قلة من أهل زمانه لانخرام شرط الإمامة في الأمة².

ولا بدَّ أن يستفيد من أسلوب علم النفس في التعامل مع الآخرين، فالأسلوب مهم جداً لجعل الناس يستقظهم الخطاب، مما يجعل أمر الحوار معهم ممكناً وسهلاً، ومن أساليب التأثير في النفوس:

✓ أن يذكر إيجابياتهم قبل السلبات.

✓ مخاطبة الناس على قدر عقولهم.

✓ تقويم طريقة التفكير الخاطئة.

✓ تهيئة الجو المناسب للمقصودين بسماع الخطاب، والنبى ﷺ لم تكن طريقته الدخول في الموعظة مباشرة، بل كان يمهد لها بغيرها، وأحياناً يبدأ بالسؤال عن معلومة ما، فاستخدم ﷺ في تنويع أسلوب الخطاب بتهيئة المستمع وإثارة شغفه وذهنه وتشويقه كقوله: «ألا أدلكم على كنز من كنوز الجنة» لو تتبعنا حديثه ﷺ وطريقته المثل في الخطاب لرأينا كيف أنه سابق الزمن وبلغ بخطابه كافة الأمصار والقبائل والعشائر والأمم.

✓ طبيعة النفوس تتفاوت فكل إنسان له ميوله واتجاهاته وعلاماته البارزة التي تميزه عن غيره، فيمكن للخطيب تحديد طبيعة الجمهور من خلال التعايش معهم، وأن يكون خطابه حسب طبيعة من يريد إقناعهم، فمن أساليب النَّبِيِّ ﷺ في تحديد شخصية المدعو

¹ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، الموافقات، المرجع السابق، ص 105.

² ربهام عاطف، الخطاب الديني والحاجة إلى التجديد، علماء يحددون خصائص الخطاب المعاصر، المرجع السابق، ص 23.

عندما جاءه أحد الصحابة يقول: أوصني يا رسول الله، قوله ﷺ: «لا تغضب» قال: أوصني، قال: «لا تغضب»، قال: أوصني، قال: «لا تغضب» حتى يعرف أن هذه صفة بارزة عنده. ويأتي آخر ليقول: يا رسول الله أوصني، فأوصاه بذكر الله، فتبين أن الموعظة - أو الخطاب - ليس مجرد كلام وإنما هو وضع النقاط على الحروف أو القول المناسب في المكان المناسب.

✓ اعتماد علم النفس الدعوي والخطابي، فقد بينت دراسات حديثة بأن الطب النفسي يستخدم أحياناً كأسلوب للعلاج الجماعي، وذلك لعدد معين من الناس، فيشعر الطبيب بأن هناك تجانساً في حالتهم، - هذا الأمر وارد في موضوع الدعوة والخطاب - إذ يصبح هذا الالتفاف وهذا التعايش أمراً عظيماً ومؤثراً في تغيير السلوك، وإذ يشعر كل فرد في المجموعة أنه أمام قضية مهمة، لأنها تخص عدداً كبيراً من الناس، إلى جانب المحاكاة، حيث يحاول كل منهم ألا يكون شاذاً عن الجماعة، ففي هذا الالتفاف تشجيع لهم¹.

ثالثاً: آلية الخطاب الإقناعي والتأثيري لدى الخطيب المسجدي

يعد الإقناع والتأثير جوهر العملية التواصلية والخطابية، وتحقيقهما مرهون بكفاءة الخطيب وقدراته الإقناعية والتأثيرية، فلا تواصل بدون تأثير ولا تأثير بدون إقناع، وكلاهما لا يتجسداً في الخطاب إلا بواسطة آليات وطرق، باعتبار أن الوظائف الأساسية للتواصل الخطابي هو التبليغ والتعبير والتوجيه والنصح والإرشاد،

وقبل توضيح الآليات الإقناعية والتأثيرية في الخطاب المسجدي يسعفنا أن نقدم إطلاقة لمفهوم الإقناع والتأثير اللغوي والاصطلاحي.

أ- مفهوم الإقناع

أشار العديد من الباحثين والمفكرين وأهل الاختصاص في أبحاثهم ودراساتهم لمصطلح الإقناع والذي يروونه كما عرفه بعضهم بأنه:

✓ بمثابة الخطة العملية الخطابية التي يهدف من خلالها الخطيب المسجدي إلى تسخير جمهور المصلين لفعل سلوك معين أو تركه بتوجيه مقنع مستند إلى أدلة كافية وحجج مقبولة ولا شك أن استراتيجية الإقناع قيمة مهمة، يحتاجها كل الذين يخاطبون

¹ بتصرف: عبد الله الخاطر، الطب النفسي والدعوة إلى الله/ <https://almoslim.net/node/83119>، 1440هـ، تمت مشاهدته 2023/02/13م، على الساعة 17:00 مساءً.

عقول الناس وأفكارهم بما فيهم خطباء المساجد، فيرتجون جذب انتباههم تجاه تعديل سلوكهم نحو الهدف المرجو.

✓ وعرفه الدكتور أحمد خلف الله بأنه: (السبيل الذي سلكه القرآن الكريم في استقطاب الناس نحو دين الحق الذي جاء به فاستقطاب الناس نحو الدعوة الإسلامية أو نحو الأعمال الصالحة يأخذ مظهرين:

• استقطابهم حول الجديد من الآراء والمعتقدات التي تشتمل عليها الدعوة الإسلامية.

• استقطاب الناس نحو الرفض للموارث الثقافية التي تتعارض مع الإسلام والتي أعلن عنها القرآن الكريم بأنها غير صالحة للحياة لما فيها ضرر بالناس.¹

✓ وقد ربط الدكتور عامر مصباح مفهوم الإقناع بالتأثير، وربط بمفهوم الإقناع بمفهوم آخر وهو التأثير، ويكاد هذا المفهوم أن يكون متلازمان، فالتأثير هو إرادة وفعل لتغيير الاتجاهات والاعتقادات أو الآراء أو ترسيخ قيم وأفكار جديدة أما التأثير فهو النتيجة المحققة من خلال عملية التأثير وبهذا الشكل يكون التأثير مرادفاً للإقناع والتأثير مرادفاً للاقتناع.²

ب- مفهوم التأثير

من خلال البحث في مصادر عدة تبين مفهوم التأثير على النحو الآتي:
في اللغة: التأثير أعمُّ من الإقناع إذ هو في اللغة إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً.³

اصطلاحاً: هو عبارة عن توجيه نشاطات المنظمة أو الأفراد بالاتجاه الصحيح عبر استخدام النشاطات الإدارية الأساسية، القيادة، التنظيم، الإشراف والتواصل.⁴

¹ بوضاح فايزة، الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام مقارنة تداولية، مذكرة ماجستير في اللسانيات، جامعة وهران، السانبا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010/2009، نص 13

² عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2005)، ص، ص، ص، 17، 18.

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة أثر، ج2، المرجع سابق، ص 122.

⁴ ديمة الشاعر، التأثير بالآخرين والعلاقات العامة، دبلوم العلاقات العامة، الأكاديمية السورية الدولية، 2009، ص 7.

والتأثير هو نتيجة تفاعل اجتماعي بين عاملين وهما المؤثر والمتأثر بحيث يخلق لدى المؤثر عليه رد فعل معين.¹

وهو قوة يملكها القائد أو سيطرة معينة يمتلكها وعلى أساسها يستطيع أن يؤثر في سلوك الآخرين.²

التأثير هو إضافة حالة نفسية تم إنتاجها عن طريق إضافة أفكار جديدة لدى المتلقين، تقوم بجعلهم عند تحركهم مدفوعين بهذه الحالة النفسية، وبمجموعة من الأفكار والمعلومات التي لديهم، ولهذه الحالة النفسية أدوار كبيرة جداً، فهي أساسية في تغيير سلوكيات الفرد أو مجموعة من الأفراد لمدة محددة في اتجاه معين.³

والتأثير يكون بسبب نتيجة التفاعلات الاجتماعية بين سببين، وهما المؤثر والمتأثر، بحيث يقوم بإنتاج ردة فعل معين عند المؤثر، فالعديد من الباحثين أعطوا التأثير مكانة مركزية في عملية الاتصال، وقاموا بالادعاء أن التأثير عبارة عن مركب ضروري ومهم في كل عملية تواصل.⁴

والتأثير هنا يستهدف التأثير الديني كتغيير السلوك نحو العادات مثل الإعلام بمناسك الحج وأنواع العبادات من صيام وصلاة... وتأثيراً دنيوياً كتغيير السلوك العام نحو مختلف القضايا والشؤون الدينية التي تخدم المجتمعات الإسلامية من منظور ديني حيث تبذر بذور الصدق والوفاء والأمانة والإخلاص واحترام...⁵

ثالثاً: دور الإقناع والتأثير في فعالية الخطاب المسجدي

الخطاب المسجدي عملية عقلية تقوم على إقناع جمهور الناس لما يطرحه الخطيب المسجدي ويدعو إليه سواء ما تعلق بالجانب العقدي أو المعاملاتي، فيتبنى في خطابه الطابع الحكائي أو القصصي متخذاً من الطابع السردى شكلاً لها ولما يضمن لها عنصر الانسياق والتشويق لشد انتباهه حيث يتخللها سرد مجموعة من الأخبار والوقائع

¹ المرجع السابق، ص 7

² المرجع نفسه، ص 7.

³ آية الطبر، تعريف التأثير لغة واصطلاحاً، <https://mawdoo3.com> بتاريخ 20 أكتوبر 2022، تمت مشاهدته بتاريخ 2023/02/12، على الساعة 22:00 ليلاً.

⁴ ديمة الشاعر، التأثير بالآخرين والعلاقات العامة، المرجع السابق، ص 7.

⁵ إيناس ذويب، الخطاب الديني عبر المدونات المرئية العربية، دراسة تحليلية، لمدونة عمر آل عوضه، جامعة العربي بن مهيدي، قسم العلوم الإنسانية، أم البواقي، 2019/2018، ص 34.

تكون بمثابة حجج منطقية يحاول من خلالها إقناع السامعين،¹ ويولي اهتماما بالغا بالخطاب الحجاجي كونه الأداة الأقوى لإقناع حشود الناس والانتصار لأفكاره والتحفيز لمشاريعه وإكسابها المصداقية فيجند لذلك كافة التقنيات والآليات اللغوية لإقناع الجماهير، وهذا هو المطلوب من خطباء المساجد وأئمتها.

فيأتي دور الخطاب المسجدي كونه خطاب مؤثر لأنه يخاطب فطرة الإنسان يحرك مشاعره وعواطفه في اللحظة التي يستثير فيها عقله، وهو الشيء الذي جعل الطفيل بن عمرو الدوسي يقول لما سمع خطاب القرآن من النبي ﷺ فقال: (فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه)² وهو الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلين قلبه بمجرد أن قرأ آيات من سورة طه فقال: (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه)³ فكذا الخطاب المسجدي يجب أن يمدّ جمهور المصلين بالطاقة الروحية التي تجعل من الضعيف قويا، والغافل واعيا....

ولتحقيق الفعالية الإقناعية والتأثيرية في الخطاب المسجدي يشترط الالتزام ببعض الآليات الخطابية الآتية:

أ- الصياغة الواضحة لرسالته

إنّ الخطاب الإقناعي يتناسب تناسبا طردياً مع وضوح الرسالة أو الهدف، فكّما زادت نضاعة الخطاب ووضوحها زاد اقتناع الناس بها، وكّما اتّصفت بالغموض والتشويش انفضّ الناس من حولها ورفضتها قلوبهم وعقولهم.

فيجب على الخطيب المسجدي تحديد الهدف من رسالته وإدراكه عمّا يريد جمهور الناس أو المصلون الإفصاح عنه، يراعي قابليتهم للاستماع، فإذا أريد بهذا الخطاب أن يقع موقعه ويؤثر الأثر المنشود فيه فلا بدّ له من الاهتمام بمضامين الخطاب فهي روحه، فكّم من خطيب بليغ متوقد العاطفة يتكلم بضروب من الكلام لا يستفاد منها لأنّه لم يعتن بموضوعها،⁴ وخطباء المساجد عادة ما يربطون خطابهم أو خطبهم بما يتزامن معها

¹ خديجة الإبراهيمي، التداولية في الخطاب المسجدي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج8، العدد 5، 2019، ص 598.

² ابن هشام، السيرة النبوية، دار الفكر للتراث، ط1، ج1، ص 24.

³ المرجع نفسه، ص 221.

⁴ عبد الرحمن بن معلّى اللويحي، موضوعات خطبة الجمعة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419 هـ، ص 34.

من المناسبات الدينية كرمضان والأعياد والحج...أو ما يتعلق بالأحداث التاريخية والسياسية كالحديث عن نعمة الأمن والاستقرار ووحدة الأمة الإسلامية، والتغافل لدى البعض بالقضايا والمشكلات الاجتماعية التي أصابت الأمة في قعر دارها، وهي تعيش واقعا مريرا بقضاياها المريعة وتحدياته العويصة من فساد ديني وأخلاقي واجتماعي وسياسي..والذي يستدعي منهم اختيار مضامين تنشد التغيير والإصلاح .

والخطيب الناجح- كعنصر فاعل في عملية التغيير والتطوير- ينظر إلى واقع النَّاس ليتحدث عنه، فليس من الحكمة عدم مراعاة واقع الناس، فمثلا: إذا ما حصلت حادثة وفاة فليس من المناسب أن يذهب الخطيب فيتحدث عن الزواج، إذ المناسب التحدث عن الموت من حيث كونه حقاً لا مفر منه ومن حيث أخذ العبرة منه، ودعوة النَّاس إلى الاستعداد له، وبيان أن الإنسان لا يدري متى يأتيه الأجل وهكذا، كذلك ليس من المنطق أن يذهب الخطيب إلى التكرار في مضامين الخطاب أو التركيز في أمور العقيدة والمعاملات بينما الواقع يعيش حالات فساد خطيرة على الأسر والمجتمعات اليوم.

ب- التفاعل مع جمهور الناس والمصلين

إنَّ الخطاب المسجدي لا يمكن أن تنبعث فيه عناصر القوة وتحقق الإفادة والتأثير إلاَّ إذا تمثَّله خطيب فصيح تتوفَّر فيه مقومات الخطيب الناجح، الذي يأسر القلوب بفصاحته ويستميل النفوس بقوة تأثيره، فقد نرى خطابا مناسبا ومادة علمية جيدة وموضوعا مهماً يحتاج إليه جمهور الناس يقوم بعرضه خطيب هزيل المستوى ضعيف الأسلوب ورديء الإلقاء فتنصرف عنه أذهان النَّاس عن الاستماع والمتابعة وينعدم الإقناع والتأثير فيضيع معه هدف الخطاب، ومن ناحية ثانية نرى نقصا في بعض مواصفات الخطيب من حيث اختياره لموضوع الخطاب وترتيب عناصره إلا أن الخطيب ذو مستوى علمي راق وأداء جيد وعرض حسن وإلقاء مؤثر فينجبر النقص وتعم الفائدة ولا يشعر الناس مللا ولا تشرد أذهانهم.¹

ولإحداث التفاعل مع جمهور الناس يجب أن يكون الخطيب وثيق الصلة بهم، حيث يحدث تقارباً بينه وبينهم، يشاركونهم في وضع الحلول لمشكلاتهم، وكلما اقترب منهم ووقف

¹ إسماعيل علي محمد، دور الخطيب وأهميته في المقام الخطابي

<https://www.alukah.net/sharia/0/106096> بتاريخ 2013/7/31م، تمت مشاهدته بتاريخ 2023/02/12م

على الساعة 19:23 ليلاً.

بجانهم في أزماتهم كلما كان ذلك أدعى إلى التفاهم حوله، والقرب منه والعكس أن على الخطيب أن يتوجه إليهم مطالباً إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه وفي هذه المطالبة يكمن البعد الاجتماعي للحوارية، ممّا يزيد هذا البعد الاجتماعي رسوخاً هو محاولة تجاوز الخلافات في الرأي¹، لا أن يكون مركزاً حول ذاته ويعتقد أن ما هو بديهي وواضح بالنسبة له هو كذلك بالنسبة للطرف الآخر – جمهور المصلين – فكّماً ارتبطت مضمون رسالة الخطيب المسجدي بأمور تمسّ مصالح النَّاس وقضاياهم وتعبّر عن حاجاتهم أو رغباتهم أو مشكلاتهم الاجتماعية والأخلاقية والنفسية كلما لاقى الاهتمام والقبول.

ت- المنطقية والموضوعية

تتمثل في اتجاه الخطيب المسجدي، وذلك أن يبدي عدم التحيز أو الأحكام المسبقة المنبعثة من التحيزات القبلية العشائرية، أو المذهبية، أو الإقليمية أو العرقية والعقائدية أو المصلحية إضافة إلى التحيزات الانفعالية،² إضافة إلى التجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة، والتمسك بالحق بعيداً عن الأهواء والمزاعم الفاسدة، كالكبُر والمذهبية والتقليد وغيرها، وذلك يتم من خلال ثلاث خطوات وهي:

- استهداف الحقيقة: فالموضوعية تتطلب البحث عن الصَّواب والحق، يقول العلامة أبو حامد الغزالي عليه رحمة الله: (ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الضَّالَّة لا يُفَرِّق بين أن تظهر على يده أو غيره)³.
- الانطلاق من الحق: الذي يجعل الخطيب يسعى في خطابه على أساسه، ويزن الأمور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الشخصية.
- الأخذ بالحق دون المراوغة فيه: أو اكتفاء بما يوافق الهوى منه، أو الوقوف عند حدِّ الاعتراف النظري به.⁴

¹ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 37. بوصلاح فايضة، الإقناع في قصة ابراهيم عليه السلام مقاربة تداولية، ص 23.

² بتصرف: عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، المرجع السابق، ص 22.

³ بتصرف: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد <https://studies.aljazeera.net/en/node/1952> بتاريخ 20 ماي 2015.

⁴ بتصرف: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد <https://studies.aljazeera.net/en/node/1952> بتاريخ 20 ماي 2015، تمت مشاهدته بتاريخ: 2023/02/11، على الساعة 22:54 ليلاً.

ث- الانتباه لاستجابة الناس وقدرتهم على الفهم

على الخطيب المسجدي مراعاة أحوال مستمعيه من حيث الأثر وقدرتهم على الفهم، لأنَّ النَّاسَ تتباين عقولهم وتختلف فهمهم، فهم على درجات في الفهم لئلا يصير قوله أو خطابه فتنة لهم، مثلاً: تكليم الناس في أصعب المسائل وأدقها والتي لا تصل إلى أفهامهم ولا تدركها عقولهم، كمن يحدث عوام الناس بدقائق المسائل في القضاء والقدر وهي مسائل لا يصلح ذكرها لعوام النَّاس إلا لخواصهم، وقد عدها الإمام الشاطبي عليه رحمة الله من باب البدعة الإضافية¹ فقال: (ومن ذلك التحدث مع العوام بما لا تفهمه وتعقل مغزاه فإنه من باب وضع الحكمة في غير موضعها).²

وبحسب الموضوع يكون أثر الخطاب، مثلاً: في حالة استغراق الخطيب المسجدي في أفكار خاصة دون الانتباه لاستجابة الناس وردة فعلهم يتحول التأثير والتواصل الإقناعي إلى حوار فردي لا تفاعل فيه، والناس يتجاهلون أي فكرة أو رسالة مالم تعرف تأثيرها على رغباتهم وآمالهم الشخصية ومطالبهم الضرورية، فعليه أن يحرص على ما ينتفع به النَّاس ويلتزم حاجاتهم وقضاياهم، من خلال اختيار مضامين رفيعة وهادفة ومؤثرة وعبارات فصيحة، ولا يتعرض لما لا أهمية له مستعينا بمجموعة من الأدلة وقصص الأقوام وأنبيائهم وقصص التاريخ الإسلامي.. وذكر بعض الوقائع والأحداث لتكون وظيفتها الأساسية شد الانتباه والضغط عليهم والتأثير فيهم، فيلجأ إلى كل هذه الآليات ليعظم خطابه للتأثير في السامعين ودعوتهم للاستجابة لما يدعوه له.

الخاتمة

في ختام هذه الورقة البحثية يمكن القول بأن:

- ✓ الخطاب المسجدي أحد روافد التغيير في المجتمعات، والانتقاص من دوره ليس بالرأي الصائب، فذكره في القرآن الكريم وتأسيسه على مدار العصور دلالة على أهميته.
- ✓ ثمة قصور دور الخطاب المسجدي في تغيير واقع المجتمعات، سببه خلو هذا الخطاب من آليات وأساليب تسهم بشكل كبير في تحسين أدائه.
- ✓ ثمة أساليب إقناعية وتأثيرية ينهض عليها الخطاب المسجدي كالحجج والبراهين، ومهارات التواصل، ودراسة الواقع وقضاياها، وفقه النفوس، والتفاعل....

¹ خديجة الإبراهيمي، التداولية في الخطاب المسجدي، المرجع السابق، ص 594.

² المرجع نفسه، ص 594.

✓ هناك علاقة ارتباطية وثيقة بين الخطاب المسجدي والخطيب والرسالة، ففعالية الخطاب مرهون في شخص الخطيب وأهليته وما يلقيه من رسائل ومضامين تحمل في طياتها أبعاد دينية وأخلاقية واجتماعية ونفسية وسياسية.. كفيلة بالتأثير.

✓ الخطاب المسجدي قوامه الخطيب (الإمام) بأن لا يكون هدفه تقديم رسالة مفادها إصغاء جمهور المصلين إليه فقط، بل يجتهد في تعديل سلوكهم وتبصيرهم للحق.

✓ فاعلية الخطاب المسجدي ونجاحه مرهون بكفاءة الخطيب وتوفره على مقومات الخطيب الناجح.

✓ ثمة إشكالات تواجه الخطاب المسجدي على مستوى الأداء والمضامين والأسلوب.

✓ ضرورة إعادة الاعتبار للخطاب المسجدي وتطويره.

التوصيات:

- عدم اعتماد الخطابات الالكترونية الجاهزة دون النظرة التحليلية للواقع، فمع توفر هذا النوع من الخطاب يسهل على الخطيب مشقة الإعداد ولكن لا يفيد في الواقع في شيء.
- على الدعاة والخطباء اعتماد الأدلة والبراهين العقلية من واقع الحياة وتجاربها، بجانب الأدلة النقلية في خطابهم المسجدي، فإن ذلك أدعى للإقناع والقبول.
- ضرورة الاهتمام بقضايا الخطاب المسجدي والعمل على تطويره، وإجراء العديد من الدراسات والبحوث حوله.
- أن تتناول مقررات التدريس بالمعاهد الإسلامية موضوع الخطاب المسجدي.
- إقامة الندوات والملتقيات والمؤتمرات لبيان أهمية تطوير الخطاب المسجدي وأثره في تحقيق مصالح الفرد والمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، د، ط2، ج، 1399 / 1979م).
2. ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار إحياء التراث العربي ط1، 1418هـ).
3. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير، الإصدار 15، القاهرة، دار المعارف، 2008م
4. ابن صلاح الشروزوري، أدب المفتي والمستفتي (عالم الكتب، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1407هـ، 1986م).
5. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، الموافقات، تحقيق مشهور بن حسن

- آل سلمان (دار بن عفان، د، ط، ج4، د، ت).
6. إبراهيم أبو يعقوب المجدلاوي، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الإيجابي، للنشر والتوزيع، 1993 م.
7. أحمد عبد الله، تأويل الخطاب المسجدي في الفكر الحداثي الجديد، (القاهرة: مجلة كلية أصول الدين، مج 22، 2005 م).
8. أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، رسالة ماجستير الخطاب في قصة إبراهيم عليه السلام، 1983 م.
9. أحمد أبو عود، فقه الواقع ضوابط وصول، (دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مج 1، 2006).
10. إيناس ذويب، الخطاب الديني عبر المدونات المرئية العربية، دراسة تحليلية، لمدونة عمر آل عوضه، جامعة العربي بن مهيدي، قسم العلوم الإنسانية، أم البواقي، 2019/2018.
11. ابن هشام، السيرة النبوية، دار الفكر للتراث، ط1، ج1.
12. بلال بوسنة، دور الخطاب الديني في معالجة أزمت الواقع - الخطاب المسجدي أنموذجا - مجلة العلوم الإسلامية، مج1، العدد1، 2019 م.
13. بوصلاح فايزة، الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام مقارنة تداولية، مذكرة ماجستير في اللسانيات، جامعة وهران، السانبا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2010/2009.
14. توايتية الطاهر، دور الخطاب المسجدي في إرساء أبعاد التنمية المستدامة دراسة استطلاعية على عينة من بعض المصلين في ولاية تبسة، مجلة البحوث الاقتصادية والمالية، مج 7، العدد1، 2020 م.
15. جمال محمد بواطنه، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، بحث مقدم في المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فلسطين، د، ت.
16. خديجة الإبراهيمي، التداولية في الخطاب المسجدي، مجلة إشكالات في اللغة والآداب، مج8، العدد5، 2019.
17. ديمة الشاعر، التأثير بالآخرين والعلاقات العامة، دبلوم العلاقات العامة، الأكاديمية السورية الدولية، 2009.
18. رزقي أمين، مصادر وقنوات الخطاب المسجدي، د، ت، بصيغة pdf.
19. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 37. بوصلاح فايزة، الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام مقارنة تداولية.
20. علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله (دار الوفاء للنشر والتوزيع، د، ط، د، ت).
21. محمد حافظ دياب، سيد قطب الخطاب والأيديولوجيا، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، 1988 م).
22. خديجة إبراهيمي، الأبعاد التداولية للخطاب المسجدي - خطب الجمعة أنموذجا -، مجلة

- إشكالات في اللغة والأدب، مج8، العدد 5، 2019م.
23. شيخ عمر الهوارية، تقنيات الإقناع في الخطاب الديني وآلياته التداولية، جامعة وهران، السانبا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2015/2014.
24. عمر عبید حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة (بيروت: المكتب الإسلامي، ط3، 1419هـ، 1998م).
25. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الخطاب الاسلامي بين الاصالة والمعاصرة (الرباط: الإيسيسكو، ط1، 1424 هـ، 2003م).
26. عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي خلفيته النظرية وآلياته العملية، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2005).
27. عبد المجيد السوسوة الشرفي، الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، سلسلة الأمة، العدد 62، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر.
28. عبد الرحمن بن معلى اللويحق، موضوعات خطبة الجمعة، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419 هـ.
29. عبد اللطيف حني، آليات الخطاب الديني المعاصر أمام تحديات العولمة، المعهد الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، مركز الجامعي الطارف، د، ت.
30. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة للإيسيسكو، ط2، 1424هـ/2003م)،
31. عبد الله الخاطر، الطب النفسي والدعوة إلى الله/ <https://almoslim.net/node/83119>،
- 1440هـ، تمت مشاهدته 2023/02/13م، على الساعة 17:00 مساء.
32. آية الطبر، تعريف التأثير لغة واصطلاحاً، <https://mawdoo3.com> بتاريخ 20 أكتوبر 2022، تمت مشاهدته بتاريخ 2023/02/12، على الساعة 22:00 ليلاً.
33. [إسماعيل علي محمد](https://www.alukah.net/sharia/0/106096)، دور الخطيب وأهميته في المقام الخطابي <https://www.alukah.net/sharia/0/106096> بتاريخ 2013/7/31م، تمت مشاهدته بتاريخ 2023/02/12م على الساعة 19:23 ليلاً.
- الخطاب الديني بين التجديد والتبديد <https://studies.aljazeera.net/en/node/195> بتاريخ 20 ماي 2015، بتاريخ: 2023/02/11، على الساعة 22:54 ليلاً.

الخطاب المسجدي وآليات تطويره:

مساهمة مسجد الإمام الغزالي بالوادي في تطوير الخطاب المسجدي

-بلغوا عني ولو آية نموذجاً-

د/ محمد السعيد فرحات

كلية التكنولوجيا - جامعة الوادي (الجزائر)

ferhat-mohammedsaid@univ-eloued.dz



ملخص

المسجد هو المدرسة التي يتلقّى فيها المسلمون معارفهم الدّينية، وهو المرجعية التي يستمدّ منها المسلم قوّته، وله وظائف عدّة: كالّدعوة، والتّعليم... وبالنّظر إلى هذه المكانة كان للخطاب الذي يُلقى فيه أهمّية بالغة. وفي ظلّ تنوع وكثرة التحديات، بات الأمر أكثر جدية لمحاولة ابتكار أساليب وآليات جديدة تقوم بدورها الإيجابي في تطوير الخطاب المسجدي، ومواكبته للمتغيرات السريعة الحاصلة في المجتمع، وكذا تفعيل دور المسجد الحقيقي في حياة المسلمين، وفي هذا المقال نذكر مساهمة مسجد الإمام الغزالي بالوادي في تطوير الخطاب المسجدي، ونقدم حلقة بلغوا عني ولو آية كنموذج للدراسة والتحليل.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ المسجد؛ الآليات؛ التطوير.

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد لعبت المساجد عبر التاريخ الاسلامي دوراً هاماً في التعليم والارشاد، في التربية والتركيب، في الدعوة والافتاء، في التناصح والاصلاح وفي شحذ الهمم والدفاع عن المقدسات. وبالنظر إلى هذه المكانة الرفيعة للمساجد التي عبّر عنها القرآن في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتِ أَذُنُ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ النور: 36، كان للخطاب الذي يُلقى فيها أهمّية بالغة، مردّها إلى كونه يُمثّل في نظر المتلقين رسالة الاسلام. وفي ظلّ التحديات الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والاعلامية التي نشهدها، بات من الأكيد الاهتمام بهذا الخطاب وتقييم رسالته تقييماً يهدف إلى تطويره، وتتمحور اشكالية البحث في بيان مفهوم الخطاب المسجدي، وابرار أهم الآليات في

تطويره، وبيان مساهمة مسجد الإمام محمد الغزالي في تطوير وإثراء هذا الخطاب، مقدمين عينة لأحد هذه الآليات كنموذج، ممثلة في حلقة بلغوا عني ولو آية¹.

وما دفعني للكتابة في هذا الموضوع -إضافة إلى رغبتني في المشاركة في هذا الملتقى- هو إحساسي بالمشكلة وقربي من الواقع الذي يعيشه الخطاب المسجدي واهتمامي الشخصي بالحلقات والأنشطة المسجدية، ضعف مساهمة الخطاب المسجدي للتطورات المتسارعة، سيطرة البعد التقليدي لهذا الخطاب وغياب روح التجديد، الحرص على بيان أهم وسائل تطوير الخطاب المسجدي، والتعريف بحلقة بلغوا عني المسجدية بمسجد الإمام الغزالي بالوادي، وابرار مختلف أنشطتها.

منهج البحث: يعتمد البحث على جملة من المناهج، ومنها المنهج الاستنباطي لمجموعة من الآليات المساهمة في تطوير الخطاب المسجدي، مروراً بالمنهج الاستقرائي في تجميع النصوص وتتبع أهمية الخطاب المسجدي، وانتقالاً إلى المنهج التحليلي لتوضيح قيمة هذه الآليات، وصولاً إلى المنهج الوصفي الذي وصفنا من خلاله نموذج حلقة بلغوا عني ولو آية المسجدية.

الدراسات السابقة: تناول موضوع الخطاب المسجدي مجموعة من الباحثين نذكر منهم:

✓ أهمية توجيه الخطاب المسجدي للمساهمة في الوقاية من الغش التجاري والتدليس، د. عبد القادر مهاوات، الملتقى الوطني التاسع لحماية المستهلك، 17 مارس 2013.

✓ أهمية الخطاب المسجدي بين الذاكرة التاريخية والتحديات المعاصرة، د. عزوز بوساحة، معهد زانة لتكوين الأئمة باتنة، 17 أكتوبر 2022.

✓ تجديد الخطاب المسجدي على ضوء قواعد المنهج النبوي في تعزيز الوسطية، أ. عبد الرحمان بلعالم، جامعة باتنة 1 الجزائر، 20 جانفي 2020.

الخطة: تناول هذا البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، وهي مفصلة كالآتي:

- مفهوم الخطاب المسجدي وبيان أهميته.
- مسجد الإمام الغزالي ونشاطه
- نموذج حلقة بلغوا عني ولو آية

¹ حلقة مسجدية بالجامع العتيق محمد الغزالي حي المنظر الجميل بالوادي.

2. • مفهوم الخطاب المسجدي وبيان أهميته.

يتضمن هذا المحور تعريف الخطاب عامة، ومفهوم الخطاب المسجدي، وبيان أهميته.

2-1- مفهوم الخطاب:

الخطاب لغة مصدر للجذر (خ ط ب) وهو بمعنى الكلام والحديث في القوم، والخُطبة: الكلامُ المخطوبُ به، والخطب: الأمر يَقَعُ، وجاء في لسان العرب: الخطاب هو مراجعة الكلام، والخطاب كما ورد في كتاب الكلّيات¹ هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، وفي معجم ألفاظ القرآن، خاطبه مخاطبة وخطابا: تكلم معه، والخطب: الشأن الذي تقع فيه المخاطبة². وتعدّد لفظ الخطب في القرآن تسع مرات، وورد بصيغة خطاب ثلاث مرات، منها قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابَ﴾ ص: 20، وورد بصيغة الفعل، منها قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ هود: 37. ونلاحظ في سياق المواضع الثلاث التي ذكرت لفظ (الخطاب)، أن مفهومه يتوسع من كونه كلاما يُقصد به الإفهام، إلى مكانة شديدة اللصوق بمعاني سامية تتفاوت بين العزة "وعزّي في الخطاب"، والحكمة "وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب"، والعظمة الربانية "رب السماوات والارض وما بينهما الرحمان لا يملكون منه خطابا".

أما اصطلاحا، فقد وردت عدة تعاريف لمفهوم الخطاب نذكر منها:

-تعريف علي عبد الحليم محمود (الخطاب هو لون من ألوان القول، يحشد به الخطيب من الأسباب ما يمكنه من التأثير على سامعيه وجذبهم بما يسوق من الحجج والبراهين المقنعة)³.

-تعريف سعيد إسماعيل علي (الخطاب رسالة ذات هدف ودلالة، وهو الكلام المنطوق أو المكتوب الذي يُمثّل وجهة نظر محددة من الجهة التي توجّه الخطاب، ويفترض فيه التأثير في السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والملابسات التي صيغ

¹ أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص 419

² مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1996، المجلد 2.

³ علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، دار الوفاء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 169.

ففيها الخطاب بدلالة الزمان والمكان).¹

-تعريف محمود شمال حسن (الخطاب عبارة عن لغة يتم من خلالها الاتصال بالآخر، وقد يتخذ الاتصال اللغوي الصيغة التحريرية، أو الشفوية. وقد يكون الاتصال غير لغوي ويعتمد بالأساس على الصورة أو الإيماءة أو الإشارة أو الحركة... يهدف من ورائها المرسل إلى إخبار أو تبليغ المستقبل بشيء ما، أو بحدث ما، أو بخبر ما وكذلك إقناعه بوجهة نظر معينة).²

-تعريف أحمد عيساوي (الخطاب عبارة عن البناء المعرفي المعقد والمتشابك والدقيق، المحكوم المضبوط بجملة من الأنساق: الفكرية والثقافية والأدبية اللغوية والتاريخية، يصدر من جهة أو هيئة أو مؤسسة أو فرد نحو جهة مستقبلية مقصودة، عبر وسائل ورموز متنوعة، لتحقيق غايات تريدها الجهة المرسله من المستقبلين، تتفق ومقاصدها الخفية أو المعلنة، مستغلة الفضاءات الزمنية والمكانية والكيانية والإمكانية).³

وهذا يتبين أنّ الخطاب هو: كل كلام نافع يحمل وجهة نظر محدّدة، يسوقه المُخاطَبُ بالحجج والبراهين، عبر وسيلة ممكنة منطوقة كانت أو مكتوبة أو صمّاء، إلى المُستقبل قصد إفهامه والتأثير فيه تأثيراً يحمله على الالتزام به، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تمّ فيها.

2-2- تعريف المسجد:

المسجد في اللغة اسم مكان السجود، مشتق من فعل سَجَدَ بمعنى الذل والخضوع، والسجود رمز اخضاع رمزية الأنف لقوه أعلى، والأنف عنصر بيولوجي يأخذ عمقه الشعبي والاسطوري ضمن الفضاء المفاهيمي للشرف والكبر والأصل، وكل ما يرتبط بالاستعلائية الاجتماعية والذاتية عند الفرد والجماعات، ومنه يتضح أن المعنى اللغوي للمسجد يستمد قوته من العمق الاجتماعي لفعل السجود. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ قيل هي مواضع السجود من الانسان الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان. وقال البعض أن المسجد هو موضع السجود نفسه.

¹ سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي، مركز البحوث والمعلومات، الدوحة، قطر، ط 01، د ت، ص 09.

² محمود شمال حسن، خطاب الأزمة ومحنة الآخر، دار الأفق العربي، ط 1، 2006م، ص 7.

³ أحمد عيساوي، تعثر الخطاب الإسلامي المعاصر في عصر الوسيلة، 419

أما اصطلاحاً، فكل موضع يُتَعَبَّدُ فيه فهو مسجد¹، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً "، ولَمَّا كَانَ السُّجُودُ أَشْرَفُ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ لِقَرَبِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدَّعَاءَ " أَشْتَقُّ اسْمَ الْمَكَانِ مِنْهُ، فَقِيلَ مَسْجِدٌ وَلَمْ يَقُولُوا مَرْكَعٌ، وَعُرِفَ الْمَسْجِدُ فِي الْمَادَّةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ لِلْمَرْسُومِ التَّنْفِيزِيِّ رَقْمَ 13-377 بِأَنَّهُ مُؤَسَّسَةٌ دِينِيَّةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ تُوَدِّي خِدْمَةَ عُمُومِيَّةٍ هَدَفُهَا تَرْقِيهِ قِيَمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَعَلَيْهِ فَالْمَسْجِدُ هُوَ الْمَبْنَى الْمَوْقُوفُ لِلَّهِ تَعَالَى الْمَخْصَصُ لِلْعِبَادَةِ، وَهُوَ أَيْضاً بَيْتُ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ؛ فَهُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَمْلِكُهُ الشَّعْبُ عَلَى الْمَشَاعِ، سِوَاهُ كَانَ عَلَى نَفَقَةِ الدَّوْلَةِ، أَوْ بِتَبَرَعَاتِ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَلَقَدْ وَرَدَتْ نصوص كثيرة تبين أهمية المسجد وفضله، منها قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذُنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ...﴾، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَفْلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل، خَيْرَ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثَ خَيْرَ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعَ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ).

ولم يكن المسجد في تاريخ المسلمين مقراً لإقامة الصلوات فحسب، بل كان معهداً للتربية والتعليم، ومنارة للدعوة الإسلامية، ومنتدى لتناول الشؤون العامة، ومركزاً للعلاج والخدمات الاجتماعية، وداراً للغريب وابن السبيل ومنتدى للشورى والقضاء والتخطيط للحروب واستقبال الوفود والسفراء... أي أنه كان مكاناً يجمع بين جميع المسلمين لتدبير أمور دينهم ودنياهم.

2-3- ماهية الخطاب المسجدي:

أشار الأستاذ عبد القادر فضيل إلى تعريف الخطاب المسجدي بقوله: هو التوجيه العلمي والديني والأخلاقي، الذي تتبناه المؤسسة الدينية، ومن ورائها المجتمع والجهاز المشرف على نشاط هذه المؤسسة، في مجال الدعوة إلى الله، وتقوية الإيمان به، والتربية للفرد، والإصلاح للمجتمع، وهو مجال رحب يسعى المجتمع من خلاله إلى استثمار فرص التلاقي بين المسلمين كما يتم من خلال هذا الفضاء العمل على تحقيق مقاصد الخطاب الدعوي وجعل سلوكيات الآخر منسجمة مع ما يرضيه الشرع². أما الأستاذ الدسوقي محمد، فقد وصف الخطاب المسجدي بكونه يمتاز بالتجديد، في إطار أسس العقيدة الإسلامية، وترتبط مضامينه بحاجات المسلمين وفق احتياجاتها ووفق أولوياتها، وتتصل

¹ ابن منظور، لسان العرب، بيروت، طبعة دار الجيل ودار لسان العرب، 1988م، ج3، ص205

² عبد القادر فضيل، منهجية بناء الخطاب المسجدي، رسالة المسجد، الجزائر، ع 02، سبتمبر 2003م، ص 27

مقاصده لمعالجة التحديات التي تواجهها الأمة¹. ممّا سبق ذكره ومن خلال تعريف الخطاب والمسجد في الفقرتين الأولى والثانية، يمكن أن نعرف الخطاب المسجدي بما يأتي: الخطاب المسجدي هو الرسالة الدينية والعلمية والأخلاقية التي يريد الداعية أو الإمام أو اللجنة المشرفة على النشاط المسجدي، توجيهها إلى جمهور المصلين عبر وسيلة ممكنة منطوقة كانت أو مكتوبة أو صمّاء من خلال مؤسّسة المسجد، وترتبط مضامينه بحاجات المسلمين، وتتصل مقاصده لمعالجة التحديات.

وبهذا فالخطاب المسجدي يتّصف بكونه خطاباً علمياً دينياً، فلا يقتصر على الوعظ والإرشاد، وإنما ينصرف إلى التعليم والتربية كما يشمل مجال الفتوى والاستشارات الفقهية والأعمال الاجتماعية الخارجية كإصلاح ذات البين والمشاركة في أوجه النشاط الاجتماعي، كما يتميز بكونه تبليغ بالقول (الدروس والمحاضرات والمناقشات والندوات...) وبالسيرة والفعل، ويستهدف فئات اجتماعية مختلفة وأعماراً غير متجانسة ومستويات متباينة، وهذا الشمول المتزن هو ما يقرره القانون الأساسي للمسجد وهو المرسوم التنفيذي رقم 13-377.

4-2- أهمية الخطاب المسجدي:

تكمن أهمية الخطاب المسجدي في محورية المسجد في حياة الأمة، إذ هو أول ناد جماهيري في الإسلام، له وظائف عديدة منها الدعوية والعلمية والإصلاحية والتوجيهية، بما في ذلك مجال الفتوى والاستشارات الفقهية للنوازل والقضايا المستجدة في حياة الفرد والمجتمع، فهو المرجعية والوصاية في حياة المسلم التي يستمد منها قوته، ونظراً لهذه المركزية التي عبّر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يُسَبِّحُ له فيها بالغدو والآصال)، فإن الخطاب المسجدي ذو أهمية بالغة لتكوين فرد صالح متوازن الشخصية، سليم العقيدة، صحيح العبادة، متين الخلق، حريصاً على وقته، نافعاً لغيره، قويّ البدن، قادراً على الكسب، منظماً في شؤونه، مثقف الفكر، مجاهداً لنفسه. ومن أجل أن يحقق الخطاب هذه الأهداف، وجب أن يتميز بمجموعة من الضوابط، أهمها: الوضوح، الواقعية في الطرح، الشرح، احتواؤه على العبارات السهلة والمناسبة، احتواؤه على الأدلة والبراهين والحجج، الابتعاد عن المجادلة².

¹ الدسوقي محمد، تجديد الخطاب الإسلامي، مجلة منار الاسلام الإماراتية، 2001، ص 57

² بشير مصطفى والعربي طوالب، تأثير أساليب الاتصال الإقناعي في الخطاب المسجدي على سلوكيات الأفراد، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، 2020، ص 80.

3. مسجد الإمام الغزالي ونشاطه

مسجد الإمام الغزالي هو أحد المساجد النشطة ببلدية الوادي، وفي هذا المبحث سنتطرق إلى التعريف بالمسجد وأهم نشاطاته، وأشهر خطبائه.

3-1- نبذة تعريفية عن مسجد الإمام الغزالي:

يقع المسجد العتيق محمد الغزالي في حي المنظر الجميل بولاية الوادي، جنوب الطريق الوطني رقم 16، كان بناؤه الأول قبل الاستقلال سنة 1902م، جُدد سنة 1985م، ثم سنة 2016م. تمت توسعته سنة 2018م من الناحية الأمامية حيث أصبحت مساحته الكلية 1200م². كما يحتوي المسجد على مكتبة ومصلّى علوي وبيتين للأئمة، وغرفة للضيافة يستقبل فيها الإمام الضيوف، ومدرسة قرآنية تابعة له. كما تولى الأذان بهذا المسجد مجموعة من أهل العي نذكر منهم: لخضر فرحات، لمين بروبّة، محمد الصالح باهي، محمد باهي، عز الدين فوحمة، عبد الحميد عيدان، ومحمد شتحونة.

3-2- الخطب المنبرية بمسجد الإمام الغزالي:

لقد كان للمسجد العتيق محمد الغزالي دور كبير في توعية وتعليم وثقيف المجتمع وذلك عن طريق الخطب المنبرية التي يلقيها الخطيب على الناس يوم الجمعة، فالخطبة وسيلة تربوية من وسائل المسجد لتربية النشء، وفرصة رائعة للدعاة والمصلحين في التأثير في العامة باستخدام الوسائل والسبل التي تعينهم على الارتقاء بها مضمونا وشكلا وتضمن لهم الارتقاء والتأثير والاستجابة من جمهور المصلين، حيث إنها تسلط الضوء على مشاكل المجتمع وتعليم الأفراد أمور دينهم على ضوء كتاب الله وسنة نبيه.

لذا كان جديراً بخطيب المسجد أن يضمن خطبته الآيات القرآنية التي تزين خطبته، وتجلي حجته، وتجعله ينطق بالحق، فإن الاستشهاد بالآية، وتلاوتها في الوقت المناسب والموضع المناسب، إقامة للحجة، وبيان وبرهان يأخذ بمجامع القلوب، ويشنف الأسماع، ويقرع العقول.

وتتميز خطبة الجمعة إلى جانب ذلك بتنوع الحاضرين إليها، وباختلاف مستوياتهم وطبقاتهم العلمية والاجتماعية، فإن الخطيب في خطبة الجمعة يخاطب جميع فئات المجتمع، ولا يختص بحضور على فئة دون أخرى، وهذا التنوع يعني تذليل العقبات التي تحول دون تنفيذ طرائق الإصلاح الاجتماعي، فإن العامل وصاحب العمل، والطالب والمعلم، والموظف، والرئيس كلهم يخاطبون في آن واحد، ويوضعون أمام مسؤولياتهم، فلا تخاطب فئة في غياب الفئة الأخرى، ولا تحمل المسؤولية على فئة منهم دون الأخرى.

والدور التربوي والاجتماعي للخطبة هو لون من ألوان التعليم والثقيف، يركز فيها الخطيب على التهذيب والتزكية، وترقيق المشاعر في ضوء الضوابط الشرعية الحاكمة لها، وفي الوقت ذاته يتناول موضوعات اجتماعية ملموسة، داعيا إلى الاهتمام بها وفق ما أمر الاسلام به، ومن حاجتنا في الحياة إليها، فيمكن أن تحث على الزهد وأثره في الإنسان، ويتناول أثر النوافل والطاعات في الارتقاء بالإنسان ليصبح محبوبا إلى الله، ويحث على كفالة اليتيم، والعمل على توفير الأمن والاستقرار للمجتمع.

كما أن الجو الذي تتم فيه الخطبة روحاني، فهي تتم في بيت من بيوت الله تعممه السكينة، وتغشاه الرحمة، ويغمره الخشوع، وتحفه الملائكة الأطهار، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده.

كما خطب بمسجدنا - المسجد العتيق محمد الغزالي - عديد من الخطباء الفصحاء في الخطابة، كان لهم أثر عظيم في تعديل السلوك وتغيير المنهج وإصلاح النفوس ونذكر أسماءهم بالترتيب: (عبد القادر بيه، عبد الكريم عدائكة الملقب بـ (لُّو)، عبد الله باهي، بله باسي الطيب، التجاني ببوخة، السعيد ديدي، كمال قدة، محمد بن مالك من تمراست، عبد الستار قزي من المغير، ومحمد مرابط. ومن بين الأئمة المتطوعين في الخطابة والتدريس به الأستاذ السعيد رزوق والأستاذ جمال مريقة والدكتور ياسين باهي) فهؤلاء هم المصابيح التي تضيء عقول المجتمع الغارق في شهوات الدنيا، ولقد ساهموا في إصلاح الشباب وذلك من خلال إصلاح معتقداتهم وعدم الجنوح بهم عن الطريق السوي إلى طريق الغواية والظلال، والتأكيد على صون عبادتهم من البدع والسير بهم على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال الاهتمام بأخلاقهم التي كثرت مفسدها لمحاولة سلخ شباب المجتمع من أخلاقه وهويته.

3-2- الدروس والدورات العلمية بمسجد الإمام الغزالي:

تُعتبر الدروس والدورات العلمية هي الطريقة التربوية الأفضل في نشر الدين وتعليم الناس، وإرشادهم، فيها يتعلم الناس أصول دينهم وفروعه ومتطلباته في العقيدة والأحكام والتفسير والحديث النبوي واللغة العربية وسائر العلوم الشرعية وما يلحق بها. ومنها تصحَّح المفاهيم، وتستنير العقول، وتُهَدَّب النفوس، ويرتفع منسوب الإيمان، ويُجاب على الإشكاليات المطروحة الدينية أو الدنيوية الاجتماعية منها والنفسية والاقتصادية وغيرها.

وفي العموم فإن الدروس هي التي تربي طلاب العلم، لأن الدروس تتسم بالاستمرارية، ويجب على الطلاب ملازمة الشيخ وتلقي العلم الشرعي عنه مشافهة للاقتداء به في علمه وأدبه. ولقد عرف مسجدا جملة من الدروس والدورات العلمية في التفسير والفقه والسيرة وأحكام التلاوة على يد مجموعة من الأساتذة والمشايق نذكر منهم:

أ- الأستاذ الشيخ جمال مريقة (رحمة الله عليه):

لقد كانت مسيرة الأستاذ جمال مريقة (24 ديسمبر 1963 - 28 جويلية 2021) حافلة بالإنجاز والعطاء، والتضحية في سبيل نشر العلم، فمنذ بداية دراسته الجامعية بكلية الشريعة بالجزائر سنة 1984، سخر جهده وفكره في توعية الناس بأمور دينهم وخاصة فيما يتعلق بالأخلاق، المعاملات، فأقام دورات متتالية في المواريث، البيوع، السيرة النبوة. وبعد تخرجه واستقراره بالوادي مدرسا في مختلف ثانوياتها، كان الشيخ يغتنم أيام العطلة وغيرها من أيام الأسبوع ويلقي يوميا بعد صلاة المغرب محاضرات مركزة في فقه الطهارة والصلاة والصوم والزكاة،... إلخ، ويترك وقتا للحاضرين في آخر الدرس للسؤال عن أمور دينهم ويجيب عليهم، كما كان يلقي دروسا في تفسير القرآن الكريم ويشرحه شرحا مبسطا للحاضرين، وقضى مدة كبيرة يشرح موطأ الإمام مالك، كما كان يغتنم المواسم الدينية كمولد خير البرية ويلقي فيها دروسا في سيرة المصطفى وكان الحاضرون يتعلمون منها أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة.

وكان لهذه الدروس المركزة الأثر الكبير في حياة المسلمين في تعلم أمور دينهم والتورع من المعاملات المالية المحرمة كالربا والغش والسرقة، كما كانت له دروسا في العلاقات الأسرية وكان لهاته الدروس دور في إصلاح ذات البين بن الزوج وزوجته والأخ وإخوته وجمع الأقارب وصلة أرحامهم.

ب- الأستاذ الشيخ الدكتور باهي ياسين:

هو أحد الشباب النشطين في حقل الدعوة إلى الله، فعند ذهاب الشيخ جمال مريقة إلى حي آخر، أخذ الأستاذ ياسين كرسي الفقه وتربع فيه في مسجدا هذا، وقد كان له عدة أنشطة في هذا المسجد تتمثل في دروس فقهية على مذهب الإمام مالك في الصوم والصلاة والزكاة، كما تميز الأستاذ ياسين ببساطة أسلوبه الذي يجعل المصلين يلتفتون لدروسه ويأتونه من كل حدب وصوب، كما يعتمد الأستاذ في إلقاء دروسه على الجهاز الضوئي لمكبر الصور، وهذا ما يلفت المصلين ويجعلهم يحبون دروسه العلمية، ولقد ترك بصمة في هذا المسجد وفي كثير من مساجد المنطقة.

ج- الأستاذ الشيخ الأستاذ السعيد رزوق:

يعد الأستاذ السعيد رزوق أحد أعمدة الحلقات التربوية والوعظية في مسجدنا، فمنذ بداية الثمانينات سخر نفسه للدعوة والإرشاد وفعل الخير، لا يكلُّ ولا يملُّ في توعية الناس وتثقيفهم وإعطائهم الصورة الصحيحة للدين والحياة، من خلال دروسه ومحاضراته وهو أحد أعضاء اللجنة الدينية بالمسجد، وفي غياب أحد الخطباء ينوب الأستاذ السعيد الإمامَ في خطبته، كما ينوب أيضاً إمام الصلوات الخمس كما له حلقة قرآنية بالمسجد ويعتبر من مؤسسي الحلقات القرآنية والإيمانية بالمسجد كما له دور كبير في تربية أبناء الحي تربية إسلامية تبعدهم عن الانحراف ، كما له دروس أسبوعية قبل خطبة الجمعة يذكر فيها المسلمين بفقهِ المعاملات والصلاة والبعد عن الربا ودعم إخواننا في فلسطين وكل ما يخص المسلمين من الأمور الشرعية في أمور دينهم ودنياهم وهو من يجمع تبرعات المحسنين من صدقات وزكاة ويوزعها على فقراء الحي فهو بذلك يلعب دوراً هاماً في مسجدنا من ناحية التكفل بالمعوزين والفقراء واليتامى وهو بذلك يعتبر الخطيب والإمام والمصلح والداعية والمؤدب لأولاد الحي ، كما كانت له دروس يومية يلقيها في شهر رمضان بعد أذان العشاء لتوعية الصائمين بالضروري من أحكام دينهم وتحفيزهم لمساعدة الفقراء والمساكين .

4. نموذج حلقة بلغوا عني ولو آية

في ظل تراجع الدور المسجدي، خاصة بعد نهاية العشرية السوداء، اجتهدت حلقة بلغوا عني ولو آية بمسجد الامام الغزالي حي المنظر الجميل بالوادي، في تقديم آليات جديدة في الخطاب المسجدي وفيما يلي التعريف بالحلقة وفقراتها وأهم نشاطاتها.

4-1. فكرة الحلقة ونشأتها:

منذ تخرجي من الجامعة سنة 1990م، أشرفت على حلقة أسبوعية لأحكام التلاوة، تُقام أسبوعياً بعد صلاة الجمعة بمسجد الغزالي، لا تتجاوز مدتها العشر دقائق، نقرأ فيها آية أو آيتين من سورة الكهف، مع تفسير مبسّط وتوضيح لبعض أحكام التلاوة، وواصلنا بنفس الطريقة لسور جزء عمّ، إلى أن تبلورت فكرة تطوير هذه الحلقة وتغييرها زماناً ومواضيع، خاصة بعد كثرة الوافدين إليها، منهم الطلبة الدائمون بمدرسة أحمد العبيدي لجمعية البيان لتحفيظ القرآن الكريم، فعقدنا رفقة المهتمين بالشأن الوعظي والتربوي عدة لقاءات أسفرت عن ميلاد حلقة بلغوا عني ولو آية وذلك يوم الجمعة 19 ذو الحجة 1431هـ الموافق لـ 26 نوفمبر 2010 بالمسجد، من المغرب إلى العشاء، تحت إشرافي

وبالتنسيق مع إمام المسجد محمد قزي ومديرية الشؤون الدينية.

ومن بين الأهداف المرجوة:

- ✓ إعادة الروح للمسجد بإعادة بعث النشاطات المسجدية.
- ✓ محاولة التجديد في الخطاب المسجدي.
- ✓ الابتعاد عن النمطية في إلقاء الدروس المسجدية.
- ✓ البحث عن آليات جديدة لجلب الشباب وإقناعهم بالخطاب المسجدي.
- ✓ استثمار الطاقات (الغائبة أو المُغَيَّبَة) وإدماجها في قائمة المتصدرين للخطاب المسجدي.
- ✓ إشراك أكبر عدد ممكن من الفاعلين النشطين في المجال الخطابي (مثل: الشعراء، الفنانون، المنشدون، الرياضيون، أصحاب المواهب...).

2-4. فقرات الحلقة:

من باب التنوع في مواضيع الحلقة، وابتعاداً عن الطريقة التقليدية في إلقاء الدروس، ومحاولة منا لجلب جمهور للحلقة، قسّمنا الحلقة وفق المحطّات التالية:

- ✓ الافتتاح بالقرآن الكريم: وفي هذه الفقرة التي لا تتعدّى كحدّ أقصى العشر دقائق، نستجلب أحسن المقرئين على المستوى المحلي بلديًا وولائيًا، وحتى استدعاء قراء على المستوى الوطني والدولي، ومن الشيوخ الذين استضيفناهم: د.كمال قدة، علي التومي، عبد الوهاب موساوي، عبد القادر بله باسي، عادل باهي، رضا باهي، عبد المالك باهي، النذير بن موسى، خالد غريسي، عبد الفتاح حميداتو، إسماعيل حميداتو (من الرّباح)، عمر خادم الله (من قمار)، عباس كمرشو (من ميه ونسه)، رياض الجزائري، إلياس شهرة (من الشلف)، إسماعيل عبيدش (من تيسمسيلت)، زكريا عباد (من تبسة) عبد المجيد بايش (من بشار)، محمد أمين آيت أفروخ (من الجزائر)، شيخ المقارئ السورية كريم راجح.
- ✓ أحكام التلاوة: وهذه الفقرة كذلك، لا تتعدّى العشر دقائق، يؤطرها الدكتور كمال قدة والأستاذ عبد الدايم بن بوذينة (من بوسعادة والذي استقر حينها في حيننا للتدريس بمدرسة البيان)، يقرأ فيها الشيخ المقطّع المختار قراءةً نموذجيةً، ويشير إلى بعض الأحكام، ويُصحّح أخطاء تلاوات المتدخلين.

- ✓ الموضوع الرئيسي: وهذه الفقرة لا تتعدّى النصف ساعة، ندرس فيها إشكالية تربوية أو اجتماعية أو نفسية، نهدف من خلالها إلى تصحيح مفهوم، أو غرس قيمة، أو شحذ همة، أو تذكيرًا بواجب. ومن أهم المواضيع التي ركّزنا عليها: قيمة العلم والعلماء في

حياة الفرد والمجتمع، العودة إلى القرآن حفظاً فهماً وتديراً وسلوكاً، الفهم الصحيح للسنة الشريفة، الشباب والفضيلة، الوقت هو الحياة، الانترنت ما لها وما عليها، التفوق الدراسي، اعرف عدوك، شخصيات صنعت أمجادنا، فلسطين قضيتنا، الإعلامي الرسالي، ...

وممن استضيفناهم نذكر: د. عبد الغني حوبة، الأستاذ نور الدين ذهبي، د. علي غنابزية، د. عبد القادر مهاوات، د. يوسف عبداللاوي، د. بوبكر منصور، د. جمال زواري، المفتش حسين نيتش، د. فاتح باهي، د. السعيد بويصري (تيزي وزو)، د. محمد هندو (الجزائر)، د. عبد الرزاق قسوم (الجزائر)، الأستاذ فليسي محمد (الجزائر)، الأستاذ محمد الهادي الحسني (الجزائر)، المقرئ المسند عمار رقبة الشرفي (الجزائر)، د. حسن الحسيني (البحرين)، الأستاذ محمد الصغير بقاص، الأستاذ أحمد عثمان، الإمام السعيد ميسة، الشيخ مبروك اعواج، الإمام عبد الرؤوف بن علي، الأستاذ صالح فالج، الأستاذ صالح عبيدي، الأستاذ محمد جبالي، الأستاذ ونيسي رضا، المحامي خالد فوحمة، الطبيب ونيسي فوزي، الأستاذ نجيب بله باسي، ...

✓ فواصل وخواطر: وهذه الفقرة مُدَّتْها عشر دقائق، نقدم فيها حكماً أو أشعاراً، أو نبرز فيها نوابع تميزت في مجالاتها، ونذكر ممن استضيفناهم معنا في هذه الفقرة: عميد شعراء الشعر الشعبي علي عناد، شاعر الفصحى وشاعر الجزائر وفلسطين أبو بكر مراد، منشد العرب كمال رزوق، المنشد يحي عياش (بوسعادة)، المنشدون: علي خلوط، عادل التومي، نور الإسلام درويش، عبد اللطيف رزوق، جابر أصيل، فرحات خليفة، محمد فرج، الفنان إدريس التومي، المدربان في رياضة الايكيدو توفيق دبوب وعماد قعار، مصطفى قماري وإسماعيل فوحمة ممثلان عن فريق التضامن السوفي لكرة القدم، ...

✓ سؤال وجواب: وهذه الفقرة مدتها خمس دقائق، نطرح فيها أسئلة تتعلق بما قُدم في فقرات الحلقة، وتُتبع بجوائز للفائزين، وهدفها شد انتباه الحاضرين لكل الفقرات المقدمة.

ولعلنا نشير إلى حلقة مميزة وفريدة من نوعها، كان ذلك يوم الجمعة 6 فيفري 2015، حيث امتلأ المسجد بالحضور، وامتزج فيها التهليل والتكبير والبكاء، ونحن نشهد نطق شاب أمريكي بالشهادتين، شاء الله أن يهدي قلبه، ويزيدنا ثباتاً ويقيناً بأن النصر لهذا الدين.

3-4. من أنشطة الحلقة خارج المسجد:

لم تكتف الحلقة بنشاطها داخل المسجد، بل سَطَّرت بالتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية أنشطة خارجية نذكر منها:

✓ دورة لفائدة الأولياء حول تربية الأبناء في ظل الانترنت والمعلوماتية (مارس 2013)

بالمركز الترفيهي بالشط الوادي، نشطها الدكتوران بوبكر منصور والسعيد غندير.

✓ الحملة التحسيسية للسلامة المرورية (فيفري 2014) حيث نزلنا إلى سائقي السيارات مباشرة لتوعيتهم، بالتنسيق مع الكشافة الإسلامية، أقمنا حصصا توعوية إذاعية بالتنسيق مع الإذاعة المحلية بالوادي، ونزلنا إلى أغلب ثانويات عاصمة الولاية لتوعية التلاميذ، تحت شعار: تلميذ اليوم سائق الغد، ونسقنا في ذلك مع مديرية التربية، الحماية المدنية، وأقمنا مسابقة كبرى للسلامة المرورية أعدناها بالتنسيق مع الدرك الوطني، واختتمت الحملة بحلقة مميزة بالمسجد وزعت فيها جوائز معتبرة على الفائزين، وكان لهذه الحملة الأثر الطيب لدى المواطنين.

✓ دورة التحضير النفسي لامتحان شهادة البكالوريا (جوان 2022) بالتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية ومديرية التربية أقمنا هذه الدورة لفائدة تلاميذ ثانوية بوصبيع صالح عبد المجيد الوادي، تحت إشراف الأستاذ عبد الرؤوف عتوسي.

4. خاتمة

يلعب الخطاب المسجدي دوراً مهماً في التوجيه والإرشاد، وتصحيح المفاهيم، والتعريف بالحقوق والواجبات، والابتعاد عن التسيب والانحلال وعن التطرف والغلو، لذا وجب على القائمين والمهتمين بهذا الخطاب تجديد آلياته وتطويره، وتحسين أدائه، خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه التحديات وطغت فيه الماديات.

وما يمكن التوصل إليه في ختام هذا البحث جملة من النتائج من أبرزها:

- تطوير الخطاب المسجدي واجب ديني، وضرورة عقلية.
- ضرورة مساهمة الخطاب المسجدي للمتغيرات المتسارعة في هذا العصر، وفق مبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها.
- ضرورة العمل كفريق بقيادة الإمام داخل كل مسجد، قصد تحسين الأداء الخطابي.
- ضرورة فتح المجال لكل من يريد المساهمة في التوجيه من مثقفين، ومبدعين وأطباء ومختصين وفنانين.

وعليه وفي ضوء ما أسفر عنه البحث، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- إقامة دورات للمشرفين على الخطاب المسجدي، قصد تأهيلهم وتطوير أدائهم.
- ضرورة التخطيط الجيد والمسبق للأنشطة المسجدية، والابتعاد عن النمطية والارتجال.
- ضرورة تطوير الأداء الاعلامي للخطاب المسجدي، باستغلال وسائل التواصل المختلفة.

- عدم حصر النشاط المسجدي داخل المسجد، فيمكن بالتنسيق مع الهيئات المعنية، التواصل مع فضاءات أخرى واسعة وتوجيهها بهذا الخطاب.
- توسيع دائرة المساهمين في الخطاب المسجدي، من أطباء وخبراء ومحامين، واقتصاديين، وفنانين، ومبدعين.
- وأرجو أن يكون هذا البحث قد قدّم نموذجاً عملياً عن الخطاب المسجدي بالوادي، ممثلاً في حلقة بلغوا عني ولو آية بالجامع العتيق محمد الغزالي حي المنظر الجميل بالوادي، وهو نموذج قابل للنقد والتقييم من طرف الأئمة والأساتذة والباحثين.

5. قائمة المراجع

- مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، المجلد 2، 1996.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، طبعة دار الجيل ودار لسان العرب، 1988م.
- علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله، دار الوفاء، القاهرة، مصر، 1991.
- محمود شمال حسن، خطاب الأزمة ومحنة الآخر، دار الآفاق العربي، ط 1، 2006م.
- د. عبد القادر مهاوات، أهمية توجيه الخطاب المسجدي للمساهمة في الوقاية من الغش التجاري والتدليس، الملتقى الوطني التاسع لحماية المستهلك، 17 مارس 2013.
- د. عزوز بوساحة، أهمية الخطاب المسجدي بين الذاكرة التاريخية والتحديات المعاصرة، معهد زانة لتكوين الأئمة باتنة، 17 أكتوبر 2022.
- أ. عبد الرحمن بلعالم، تجديد الخطاب المسجدي على ضوء قواعد المنهج النبوي في تعزيز الوسطية، جامعة باتنة 1 الجزائر، 20 جانفي 2020.
- عبد القادر فضيل، منهجية بناء الخطاب المسجدي، رسالة المسجد، الجزائر، ع 02، سبتمبر 2003م.
- الدسوقي محمد، تجديد الخطاب الإسلامي، مجلة منار الاسلام، الإمارات ع م، 2001، ص 57
- محي الدين عباسي، آليات تطوير الخطاب الديني المسجدي، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، م 04، ع 02، 2022.
- بشير مصيطفى، والعربي طوالب، تأثير أساليب الاتصال الإقناعي في الخطاب المسجدي على سلوكيات الأفراد، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، 2020.

وسائل الارتقاء بالخطاب المسجدي في وادي سوف

-خطبة الجمعة أنموذجا-

د/ عبد الغني حوبة

مخبر الدراسات الفقهية والقضائية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

houba-abdelgheni@univ-eloued.dz



مقدمة

إن المساجد هي بيوت الله، يجتمع فيها المسلمون للعبادة والعلم والذكر، وتعد فيها مجالس متنوعة، وإن خطب الجمعة الأسبوعية وخطب العيدين السنوية من أبرز اللقاءات التي يؤدي من خلالها المسجد كمؤسسة دينية وظائفه الروحية والتربوية والتعليمية والثقافية.

وإن الخطاب المسجدي الناجح ينبغي أن يكون مؤسسا على التأصيل والتسهيل والتنزيل، فهو يحوي الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار والقصص والأخبار، مع مراعاة حال المخاطبين، ووضع الشيء في موضعه، مع تبسيط الأفكار العميقة في شكلها ومضمونها، دون أن نهمل الإسقاط على الواقع، فالانتقال من الوحي إلى الواقع أو من الواقع إلى الوحي، والهدف دوما هو التربية والإصلاح.

من أشهر أنواع الخطاب المسجدي: خطب الجمعة، وذلك باعتبارها شعيرة من شعائر الإسلام، ومجلسا تذكيريا أسبوعيا من مجالسه العظام، لذا فمهمة الخطيب كبيرة في إصلاح العقائد من الشرك والخرافة، وإصلاح العبادة من الممارسات الخاطئة، وإصلاح النفس بتزكيتها وتدريبها على الأخلاق الحسنة، وإصلاح حياة الناس كلها من خلال أفضل تشريع عرفته البشرية.

أولا- التعريف بالموضوع وبيان أهميته:

تكتسي هذه الدراسة أهمية نظرية وتطبيقية بالغة كونها تتعلق بوسائل الارتقاء بالخطاب المسجدي عموما، وخطبة الجمعة على وجه الخصوص، والتي هي شعيرة من شعائر الإسلام، بخطبتها وركعتها، إضافة إلى تكيفها مع تحديات العصر الذي نعيشه.

لذا فقد أوجب الله تعالى أن يقدم خطاب للمسلم يذكره إذا نسي، وينبه إذا غفل، وقومه إذا أخطأ، فالخطاب المسجدي له أبعاد روحية ونفسية واجتماعية.. وهذا كله يدعم وظائف المسجد الإيمانية والتربوية في تخريج أفراد صالحين ومصلحين للمجتمع، يعمرون الأرض، ويقدمون القيمة المضافة، ويساهمون في بناء الحضارة.

إننا نعيش في عصر التقنية الحديثة والاتصالات المتنامية، فأصبح من الميسور في لحظة واحدة الاستماع إلى أربع الخطباء المتكلمين والمدرسين المؤثرين ومشاهديهم، فيقارن المتلقي بين من يستمع إليه حضورياً ومن يستمع إليه إلكترونياً، فيجد بونا شاسعاً في الكفاءة والأداء، وهذا يحتم على خطباء العصر أن يستفيدوا من الكفاءات ويحافظوا على المرجعيات والخصوصيات، وذلك من خلال وسائل الارتقاء بالخطبة وتهيئة أنفسهم كخطباء، وهذا ما ستناقشه هذه المداخلة الخاصة بالملتقى الوطني التاسع للخطاب المسجدي بوادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022، بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.

ثانيا- الدراسات السابقة:

1- دور خطب الجمعة والعديد في تعزيز الأمن الفكري: بحث أعده الدكتور سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، وهو مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري، جامعة الملك سعود، السعودية، وذلك في الفترة الممتدة من 22 إلى 23 جمادى الأولى 1430هـ حيث أبرز الباحث وفق -منهج استقرائي تحليلي- دور الخطيب في تعزيز الأمن الفكري، من خلال خطب الحرمين الشريفين، وخطب أشهر العلماء المطبوعة، مع دراسة لأشهر خطباء جوامع مدينة الرياض، في عملية رصد وتقويم مع تقديم الآليات والمقترحات التي تعين الخطباء على القيام بدورهم الريادي، وقد كانت الدراسة مقتصرة على حيز مكاني وزماني معين، مما يعطيها شيئاً من الخصوصية، ويفتح المجال لدراسات أخرى تعالج واقعا آخر بتفعيل آليات أخرى.

2- الخطاب المسجدي وسبل النهوض به: هو دراسة ميدانية في ولاية المسيلة، وأصله أطروحة دكتوراه مقدمه من طرف الباحثة فهيمة بن عثمان لجامعة الأمير عبد القادر قسنطينة في الموسم الجامعي 2014/2015، إذ تعالج الدراسة إشكالية سبل النهوض بالخطاب المسجدي، وذلك من خلال الانطلاق من واقع الخطابة في ولاية المسيلة، والذي

يتسم في مجمله بضعف الخطب والخطباء والعجز المسجل لهما في مسيرة العصر وتقديم حلول لمشكلات الواقع والارتقاء بالفكر، لقد استخدمت الباحثة أدوات ميدانية وهي الملاحظة والاستبيان والمقابلة وتحليل المحتوى من أجل إفادة الخطباء والوزارة الوصية، وقد توصلت الدراسة إلى ضرورة تكوين الخطباء تكويناً نوعياً، بما يمدّهم بالمعارف والأساليب الناجعة من أجل نجاح العملية التواصلية بين الملقى والمتلقي، وبينت الدراسة أهمية إبعاد المسجد عن العشوائية بالتخطيط والتقويم والمراجعة، ومما يؤخذ على الدراسة أنها لم تبين بوضوح أخطاء الخطباء ولا عيوب الخطبة، وهذا ما سيتم تناوله في هذه المداخلة.

3- الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع: كتاب للدكتور محمد صافي المستغاني، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، بيروت، 2017، تناولت الدراسة الموضوع في فصلين: عالج الفصل الأول منه مقومات الفن الخطابي بتعريف فن الخطابة وأنواعها، وكيفية إعداد الخطب، وخصائص الأسلوب الخطابي، وموصفات الخطيب الناجح فعوامل نجاح الخطبة، ثم مصادر ثقافة الخطيب مع هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- في خطبه، وتناول الفصل الثاني مجموعة من روائع الخطب في العصر الجاهلي، ثم العصر الإسلامي الراشدي فالعباسي والأندلسي، وأردفها بخطب من العصر الحديث غير أنه لم يكتب خاتمة تجمع نتائج واقتراحات.

ثالثاً- الإشكالية:

إن معرفة الخطاب المسجدي الحالي وتحديد الأخطاء والثغرات الواقعة فيه ثم البحث في الأسباب الكامنة وراء ذلك كله، ومحاولة البحث عن الوسائل والأساليب التي تعزز نهوضه والارتقاء به فالخطاب المقدم في المساجد اليوم يتسم بالسطحية والعمومية وتنقصه الاحترافية والموضوعية، ويغلب على أداء بعض الخطباء في هذا الزمن الجمود وغياب التجديد في الموضوعات من حيث عناصرها وطرق معالجتها، لذا تطرح المداخلة الإشكالية الآتية:

كيف يمكن الارتقاء بخطب الجمعة في وادي سوف حتى تؤدي دورها القيادي وواجبها الريادي في ضوء تحديات العصر؟

وترد على هذه الإشكالية الأساسية عدة تساؤلات فرعية يمكن أن نجملها فيما يلي:

ما مفهوم الارتقاء بالخطاب المسجدي؟

ما هي منطقة وادي سوف؟

ما هي عيوب الخطبة وأخطاء الخطباء وكيف يتم معالجتها؟

ما هي أهم وسائل الارتقاء بخطبة الجمعة وتهيئة الخطيب الناجح؟

رابعا- منهجية البحث وطريقة التقسيم:

قسمت الدراسة إلى مبحثين اثنين، في كل مبحث مطلبين: فأما المبحث الأول فقد تناول نظريا الإطار المفاهيمي للارتقاء بالخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها- خطبة الجمعة أنموذجا- حيث بينت فيه مفهوم الارتقاء بالخطاب المسجدي وعرفت بوادي سوف وموقعها في مطلب أول، ثم تطرقت للتطور التاريخي للخطابة عند العرب والمسلمين في مطلب ثان، وأما المبحث الثاني فقد عالج تطبيقيا وسائل الارتقاء بخطبة الجمعة في وادي سوف وما جاورها من حيث ناقش المطلب الأول عيوب الخطبة وأخطاء الخطباء وطرق معالجتها واحدة واحدة، وبين المطلب الثاني وسائل الارتقاء بخطبة الجمعة وتهيئة الخطيب الناجح بتحديد وسائل الارتقاء بالخطبة وتفعيل دورها الحضاري، وإعادة تهيئة الخطيب الناجح بصفاته ومواصفاته.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للارتقاء بالخطاب المسجدي في وادي سوف

وما جاورها- خطبة الجمعة أنموذجا-

إن الخطاب الذي يخرج من المسجد من الأهمية بمكان، لأنه تابع للمسجد باعتباره مؤسسة دينية تضطلع بمهام تعبدية وإيمانية وتربوية، وخطبة الجمعة واحدة من أنواع هذا الخطاب المتعددة، وتمتاز هذه الأخيرة بأركانها وشروطها وأحكامها الخاصة بها، فمن خلال ما تقدم ذكره وقبل إبراز الدور المنشود لخطبة الجمعة من اتصال وتواصل وتوصيل فإنه يجدر بنا أن نبدأ بتعريف مصطلحات الدراسة الأساسية أولا قبل التوسع في مضامينها لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، لذا فسيتم تناول مفهوم الارتقاء بالخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها في مطلب أول، ثم التطور التاريخي للخطابة عند العرب والمسلمين في مطلب ثان.

المطلب الأول: مفهوم الارتقاء بالخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها

إن ضبط مفهوم الارتقاء بالخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها يتطلب معرفة

معنى كل من الارتقاء، والخطاب المسجدي، وخطبة الجمعة، والتعرف على منطقة وادي سوف ومساجدها.

الفرع الأول: المقصود بالارتقاء

الارتقاء، مصطلح يشمل بمعناه العام كل النمو والتقدم من الولادة حتى النضج. جميع التغيرات التقدمية الدائمة التي تحدث للكائن الحي في الشكل والتنظيم وأنماط السلوك، بداية من أصله حتى نضجه أو وفاته. مراحل التطور الجفازي (الكرونولوجي) هي: الطفولة المبكرة (0 إلى 3 سنوات)، الطفولة الثانية (من 3 إلى 7 سنوات)، الطفولة الثالثة (من 7 إلى 12 عاماً)، مرحلة ما قبل المراهقة (من 12 إلى 15 عاماً)، المراهقة (من 15 إلى 18 عاماً)، مرحلة البلوغ. يسمى الفرع النفسي الذي يدرس هذا التطور بالانفسياء الارتقائية. غالباً ما يُميز الارتقاء (المفهوم النوعي) عن النمو (المفهوم الكمي)، يُستعمل مصطلح «growth» في اللغة الإنجليزية للدلالة على معنى الارتقاء والاتجاه الحالي هو اعتبار النمو أحد جوانب الارتقاء¹. إن الارتقاء هو كلمة تتكون من ثمن أحرف تبدأ بألف (ا) وتنتهي بهمزة (ة) وتحتوي على ألف (ا) ولام (ل) وألف (ا) وراء (ر) وتاء (ت) وقاف (ق) وألف (ا) وهمزة²، وهكذا نستنتج أن دلالة الارتقاء هي الانتقال من الحسن إلى الأحسن، وكل ارتقاء حقيقته التحسين والتجويد والتطوير في كل مجالات الحياة.

الفرع الثاني: المقصود بالخطاب المسجدي

قبل أن نعرض لمفهوم الخطابة في الاصطلاح يحسن أن نتعرف سريعاً على المعنى اللغوي:

إن كلمة خطبة مأخوذة من مادة خطب أي خاطبه مخاطبة وخطاباً، وهو الكلام بين متكلم وسماع، ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء³.

الخطبة هي كلام منثور يمتاز بوقدة العاطفة، ورجاحة الفكر، وسمو المعاني، وحسن السبك، وروعة البيان، وصدق اللمحة، وجمال النطق، وعمق التأثير، وقوة الحجة،

¹ - ينظر: ديوان العرب، <https://www.diwanalarabia.com>، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023/02/16.

² - تعريف كلمة ارتقى من موقع كلمات: <https://kalimmat.com/define>، تم الاطلاع عليها بتاريخ: 2023/02/03.

³ - أحمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مجلد 1، مكتبة لبنان، 1987، ص 66.

يتوجه به المتكلم إلى الجمهور المستمع له، قاصدا إقناعه بقوله واستمالته إليه¹.

من أقدم من عرف الخطابة أرسطو حيث بين أنها: "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"². وإن الخطابة لا تختص بجانب معين تنحصر فيه، أو موضوع محدد تقتصر عليه، وإنما تتطرق إلى كل الموضوعات، وتتناول كل شيء³.

إن الخطابة هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته، فلا بد من مشافهة، وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا، ولا بد من جمهور يستمع وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، ولا بد من الإقناع وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيده بالبراهين، ليعتقدوه كما اعتقده، ولا بد من استمالة التي يهيج بها الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها، ويقبض على زمام عاطفتهم يتصرف فيها كما يشاء، ولذا فإن أسس الخطابة: مشافهة، وجمهور وإقناع واستمالة⁴.

إن دلالة الخطابة ليست مطابقة لدلالة الخطاب، فالخطابة ما هي إلا شكل من أشكال الخطاب الكثيرة التي منها المقالة والكتاب والمحاضرة والحوار والحديث الإذاعي والمسرحية والحديث الوعظي والقصة والرواية، فالخطاب هو في الجملة ما يحمل رسالة للمتلقي، وكل ما يشكل أداة اتصال وتفاهم⁵.

وأورد ابن منظور تعريف المسجد فقال:

المسجد، بالفتح: جهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود. وقوله تعالى: (وإن المساجد لله)، قيل: هي مواضع السجود من الإنسان: الجهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان.

وقال الليث في قوله: (وإن المساجد لله)، قال: السجود مواضعه من الجسد والأرض مساجد، وأحدها مسجد، قال: والمسجد اسم جامع حيث سجد عليه، وفيه حديث

1 - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، ط6، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2010، ص55.

2 - أرسطو طاليس، الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1989، ص9.

3 - إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، ط5، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص18.

4 - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ط2، دارنهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998 القاهرة، ص5.

5 - عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، القاهرة، ص11.

لا يسجد بعد أن يكون اتخذ لذلك، فأما المسجد من الأرض فموضع السجود نفسه، وقيل في قوله: (وإن المساجد لله)، أراد أن السجود لله¹.

أما مصطلح الجمعة فهو مصدر من مادة جمع: أي جمع المتفرق جمعاً: ضم بعضه إلى بعض². والجمعة يوم العروبة، هكذا كان يسمى قديماً، سمي بذلك لاجتماع الناس فيه، ويجمع على جمعات وجمع³، والجمعة بسكون الميم اسم لأيام الأسبوع وأولها يوم السبت⁴.

والخطاب المسجدي كمركب إضافي هو المترجم التوجيهي العلمي والديني والأخلاقي الذي تتبناه المؤسسة الدينية، ومن ورائها المجتمع والجهاز المشرف على هذه المؤسسة في مجال الدعوة إلى الله، وهو من جهة أخرى مجال رحب يسعى المجتمع من خلاله إلى استثمار فرص التلاقي بين المسلمين في أوقات العبادات، وتوجيههم الوجهة المطلوبة، كما يتم من خلال هذا الفضل العمل على تحقيق مقاصد الخطاب الدعوي وجعل سلوكيات الأفراد منسجمة مع ما يرتضيه الشرع⁵، ويشير التعريف إلى تقييد والتزام الخطاب المسجدي بالمرجعية التي يتبناها المجتمع والجهة المشرفة على المؤسسات الدينية، ويشير كذلك إلى الوظيفة الدعوية والاجتماعية والسلوكية التي يجب أن يسعى إليها الخطاب المسجدي إلى تحقيقها⁶.

والارتقاء بالخطاب المسجدي هو السمو بالتوجيهات والإرشادات التي يكون محلها المكاني المسجد بما يوافق الإسلام: عقيدة وعبادة وسلوكاً ومنهجاً في الحياة، وبما يتوافق مع روح العصر في التعامل مع الزمان والمكان والإنسان.

الفرع الثالث: التعريف بمنطقة وادي سوف وموقعها

يقع إقليم وادي سوف جنوب شرق الجزائر، وينتمي إلى العرق الشرقي الكبير، يحده

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص252.

2 - معجم اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط1، مصر، 1980، ص116.

3 - ابن منظور، لسان العرب، لا، ط، دار المعارف، دت، القاهرة، ص681.

4 - أحمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مج1، ص42.

5 - عبد القادر فضيل، منهجية بناء الخطاب المسجدي، مقال في مجلة رسالة المسجد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد2، السنة الأولى، رجب1424هـ، سبتمبر2003، ص27.

6 - فهيمة بن عثمان، الخطاب المسجدي وسبل النهوض به، دراسة ميدانية في مساجد ولاية المسيلة، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الموسم الجامعي 2014/2015، ص25.

من الشمال بلاد الزاب بسكرة والزرائب، ويمتد حتى جبال الأوراس والناماشة، وإلى منطقة نقرين، ومن الشرق الحدود التونسية نفطة ونفزاوة، مرورا ببير رومان حتى غدامس، ومن الجنوب واحات غدامس، ومن الغرب وادي ريغ تقرت وتماسين وورقلة¹.

تشتهر هذه المدينة بإنتاج أجود أنواع التمور، سكنتها قبيلة الطرود العربية، وكانت من قبائل البدو الرحل، وذلك في عام ألف ومئتين واثنين وتسعين للميلاد. وادي سوف هي عبارة عن ولاية نتجت عن التقسيم الإداري الذي حدث عام 1984م، حيث قسّمت إلى منطقتين منطقة وادي ريغ، ومنطقة وادي سوف، وعاصمة ولاية وادي سوف هي المدينة التي عُرفت بأنها ذات الألف قبة وقبة²، وقد عرفت منطقتنا وادي سوف- عبر فترات مختلفة من الزمن- بطابعها المحافظ في لباسها وتصرفات أهلها، وذلك بتأثير مساجدها النشطة و مدارسها القرآنية وكذا زواياها الروحانية، لذا فقد تنوع خطاب المنطقة المسجدي، فمن المفيد التحدث عن تجارب خطبائها ورواد عملها المسجدي، لنقل التجربة.

المطلب الثاني: التطور التاريخي للخطابة عند العرب والمسلمين

إن الخطابة كفن يمارس، وأسلوب يطبق فهو قديم لم تخل أمة منه، وإن الاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا غنى له عن الإبانة لغيره عما في ضميره، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه³.

الفرع الأول: نشأة الخطابة عند العرب

لم يخل من الخطابة سجل أمة وعى التاريخ ماضيها، فقد حفظها خط أشور المسماري، وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفي، ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي منذ القرن السابع الميلادي، وبها أخضع بوذا الجموع الهندية، وبها أذاع الدين أنبياء بني إسرائيل، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام وفي أسواقهم الأدبية

¹ - علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 إلى 1954، أطروحة دكتوراه مقدمة لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2008/2009، ص18

² - غادة الحلايقة، مدينة وادي سوف، مقال منشور على موقع موضوع بتاريخ: 8 نوفمبر 2021، <https://mawdoo3.com>، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2022/03/08.

³ - علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، القاهرة، ص20.

الخاصة بنوع خاص¹.

لم تكن الخطابة حديثة العهد في حياة العرب، بل كانت أصيلة فيهم كغيرهم من الجماعات الإنسانية التي تلاحت على سكنى الأرض، وانتشرت ربوعها إلا أن الخطابة لم تحتل عند العرب منزلة تساوي الشعر في حياتهم، لهذا لم تصل إلينا نصوص موثوقة تقدم لنا صورة واضحة عن تطور الخطابة العربية قبل الإسلام².

كان العرب في شبه الجزيرة العربية يعيشون في إطار قبائل متفرقة، ولكل قبيلة رئيسها، وسيادتها الخاصة بها، وكانوا يعيشون في صحراء قاحلة، وببداة واسعة، وبيئة صعبة قاسية، وكانت حالة العرب وطبيعتهم وظروفهم مشجعة على الخطابة، ومثيرة لها، إضافة إلى ما يتمتعون به من حرية تعبير عن آرائهم، وما يتحلون به من شجاعة وإقدام، وما كانوا يتصفون به من البلاغة والفصاحة، والتمكن من ناصية اللغة، حيث كانت اللغة طيبة لهم، مثيرة لكلامهم، ومزينة لأدهم³، وكانت خطبهم على ضربين منها الطوال ومنها القصار، وقد وجد أن عدد أن القصار أكثر، لأن رواة العلم إلى حفظها أسرع⁴.

ومن أشهر خطباء العرب في ذلك العصر: قس بن ساعدة الإيادي، وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صيفي التميمي، والحارث بن عباد البكري، وقيس بن زهير العبسي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي⁵.

الفرع الثاني: تطور الخطابة في الإسلام

لما بزغت شمس الإسلام على شبه الجزيرة العربية وما جاورها، تغيرت الخطابة تغيراً جذرياً، وذلك من حيث الشكل والمضمون، ولقد ارتقت الخطابة في ظل الدعوة الإسلامية، وبلغت الغاية في الكمال مظهرًا وجوهراً، أو أداءً ومضموناً، وكان من أكبر عوامل ارتقائها وسموها؛ استمدادها من القرآن الكريم، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتأثر الخطباء ببلاغة وفصاحة القرآن والحديث النبوي الشريف⁶.

1 - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، مرجع سابق، ص 39.

2 - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، المرجع نفسه، ص 15.

3 - إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، مرجع سابق، ص 47.

4 - عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين 2، ص 7.

5 - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص 20.

6 - إسماعيل علي محمد، الخطابة في عصر صدر الإسلام، مقال على موقع الألوكة،

https://www.alukah.net/literature_language، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023/03/04.

لقد فجّر الإسلام الكثير من الطاقات البشريّة الكامنة عند الإنسان العربي حين تجسّد في عقولهم وصدورهم؛ بمعنى أنّ الدين الجديد قدّم لهم الحوافز الفكرية والوجدانية لتظهر فصاحتهم وبلاغتهم الأدبيّة بأجلى مظاهرها في هذا العصر، ثمّ إنّ التبدّل السياسي والاجتماعي والاقتصادي في حياة الناس جاء ليشخّذ أذهانهم ويكثر من دواعي القول عندهم، وذلك حين أصبحت الخطابة لسان الدعوة الإسلاميّة وأداتها الأولى التي تدعو العرب إلى نبذ العقائد الجاهليّة، وتحثّهم على الدخول في الإسلام واعتناقه الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور؛ كما كان من الواجب على الرسول وخطبائه أن يردّوا على وفود القبائل العربيّة وخطبائهم للكشف عن أكاذيبهم وإظهار مفاصلهم التي يقيمون عليها وشرح محاسن العقيدة الإسلاميّة التي تضمن لهم العزوف عن الدنّيا والسعادة في الآخرة، ولها دورها الخاص في الحياة اليومية للمسلمين لتقريب تعاليمها إليهم وتعميق فهمهم لديهم الجديد وتبين أحكامه في الحلال والحرام وتنظيم علاقاتهم ومصالحهم، وحلّ مشاكلهم في ضوء مبادئه وأحكامه¹.

المبحث الثاني

الإطار التطبيقي لوسائل الارتقاء بخطبة الجمعة في وادي سوف وما جاورها

إن من مقتضيات الالتزام بأمر الله تعالى النهوض لتبليغ رسالة الإسلام بأحسن بيان وأنصع حجة، وخطبة الجمعة من أهم أنواع الخطاب المسجدي التي تعزز القيم التربوية والإيمانية والحضارية، فالخطابة وسيلة أساسية من وسائل الدعوة، ومن أهم فنون القول وأخطرها تأثيراً. والخطبة البليغة المؤثرة لها أثرها في نفوس السامعين وقلوبهم وعقولهم، ووادي سوف منطقة كثيرة مساجدها، متنوعة أنشطتها، وبحكم ممارستي للخطابة في مساجد مختلفة في الولاية، ومشاركتي في دورات تكوين الأئمة الأساتذة والمرشدين الدينيين، وحضوري لخطباء المنطقة في خطب الجمعة، فقد قمت بكتابة ملاحظات ومؤاخذات على الخطاب المسجدي عموماً، وخطب الجمعة خصوصاً، لذا سيتم في هذا الإطار التعرف على واقع الأخطاء مع تصويبها ثم فتح آفاق التطوير من خلال وسائل عملية، وقد قسمت المبحث إلى مطلبين: عيوب الخطبة وأخطاء الخطباء وطرق معالجتها في مطلب أول، ووسائل الارتقاء بخطبة الجمعة وتهيئة الخطيب الناجح في

¹ - عبد الكريم البوغيش، تطور الخطابة الإسلامية، موقع ديوان العرب، <https://www.diwanalarab.com>،

وقد تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023/02/10.

مطلب ثان.

المطلب الأول: عيوب الخطبة وأخطاء الخطباء وطرق معالجتها

إن المتأمل في واقع الخطاب المسجدي من حيث الخطب والخطباء ليجد عيوباً ينبغي تصويبها وأخطاء يستلزم تصحيحها.

الفرع الأول: عيوب الخطبة وأخطاء الخطباء

إن للخطبة عيوباً عديدة لا ينتبه إليها بعض الخطباء، فيقعون في الأخطاء، وذلك يضعف من فعالية الخطبة في تحقيق دورها الريادي، وينقص من قيمة الخطيب في الاضطلاع بمهته القيادية، مما يصرف الجماهير عنهما، ويتسبب في عدم جدوى الخطاب المسجدي وإليك أمثلة عن أخطر العيوب والأخطاء:

اللحن في اللغة:

اللحن في اللغة هو داء الأدوية ومعضلة المعضلات، وهو عيب مستثنى لأنه يحيل المعاني ويغير المفاهيم، واللحن هو خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصحة في بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه؛ بفعل الاستعمال الذي يشيع أولاً بين العامة من الناس ويتسرب بعد ذلك إلى لغة الخاصة¹، ومن بين تلك العيوب ما يلي:

غياب الوحدة الموضوعية وعدم تركيز الخطيب على موضوع معين:

بعض الخطباء يحشد في الخطبة الواحدة عدداً من الموضوعات، ويلفت الأنظار إلى العديد من الأشياء، يسرد فضائل ويحذر من رذائل، لكن لا يشعر السامعون بوحدة الموضوع، وإذا سألت كثيرين ممن حضروا لم يستطيعوا تحديد عنوان للخطبة التي سمعوها، وهذا يجعل السامع يؤطر ما يتوقع سماعه منذ البداية في إطار فضفاض من الموعظة الحسنة، فيسمح لنفسه بالنوم والشروود والنظر المستمر إلى ساعته².

وقد تحدث الشيخ محمد أبو زهرة مبيئاً ما ينبغي للخطيب أن يقوم به من البعد عن الخطب المجملة، والزج بأكثر من موضوع في الخطبة الواحدة فقال: يجعل الخطبة

¹ - محمد محمود السيد، اللحن في اللغة العربية، مقال منشور بتاريخ 2018/1/29 على مجلة الفلق الإلكترونية، وقد اطلعت عليه بتاريخ: 2023/2/26، وهذا رابطته: <https://www.alfalq.com/?p=9931>

² - عبد الكريم بكار، المتحدث الجيد؛ مفاهيم وآليات، ط1، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع، 2012، القاهرة، ص11.

متصدية لعب واحد لا تعدوه، لأنه لو تعرّض لعدة عيوب لضعف التأثير، وما استطاع أن يصل إلى مرماه. ولذا يؤخذ على بعض خطباء المساجد أنهم في كل خطبة من خطبهم ينهون عن المعاصي جملة واحدة، أو يحصونها إحصاء، ويكررون ذلك في كل جمعة - والعاصي في غيه يعمه، وهو عنهم وعن وعظهم لاهٍ- ولو خصصوا خطبهم بدل أن يعمموا لأجدى كلامهم، ولأفاد وعظهم، ولو صلوا إلى بعض ما يريدون، أو نصبوا إليه¹.

التصحيف:

وأكثر ما يقع لمن يقرأ من كتاب، فيصحف نظره بسبب رداءة الخط أو ضعف البصر أو عدم استيعاب ما يقرأ أو عدم التركيز فيه أو غير ذلك من الأسباب، وقد حصل لبعض الفضلاء أن قال في خطبته وهو يقرأ من ورقة: ومن ترك واجباً من واجبات الحج متممداً يَأْتُم وَيُكْفَر، بتخفيف الفاء، فنّه بعض الناس بعد قضاء صلاته، فبادر إلى تصحيح خطئه، وقال: الصواب: يَأْتُم وَيُكْفَر، أي: من الكفارة².

الخطبة المكتوبة:

ومن العيوب التي ينبغي التنبيه إليها في هذا المقام- وإن كانت هي ليست من التصحيف- انتقال البصر من سطر إلى سطر آخر، أو من فقرة إلى فقرة أخرى، أو أن تنقصه ورقة، أو يختل ترتيب أوراقه، ولا يتنبّه لشيء من ذلك، وهذه بعض مساوئ الخطبة المكتوبة، وهي عيوبٌ حادثةٌ لم يذكرها المتقدمون؛ لأن الخطبة عندهم لا تكون بالقراءة من كتاب، فهذه قراءة وتلك خطابة، فهما فنّان مستقلان متباينان³.

عدم التفاعل مع الخطبة:

لا يخفى أن الخطبة قد تشتمل على فنون شتى متغايرة؛ فقد تشتمل على الترغيب والترهيب، وعلى التحذير والتبشير، وقد تشتمل على ما يقتضي الحزن أو الفرح، أو الغضب أو الخوف، والخطيب الموفق يعطي كل مقام حقه من الانفعال والتغيّر. وسبب هذا العيب في الغالب هو خروج الكلام من اللسان دون القلب، ومتى حصل ذلك لم تؤت الخطبة ثمارها. قال عامر بن عبد قيس: "الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب،

¹ - محمد أبو زهرة، الخطابة، دار الفكر العربي، ص 207.

² - إدارة موقع تيار الإصلاح، <https://www.noslih.com/article>، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023/03/02.

³ - ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، مرجع سابق، مج 2، ص 216.

وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان"¹.

عدم مناسبة الزمان والمكان:

إن هناك نوعاً من الخطب يسمى خطب المناسبات، فيحسن بالخطيب في رمضان أن يتحدث عن فضائله وأعماله، لا عن الحج وشعائره بحكم المناسبة، ويجمل بالمتحدث إلى قوم أن يتنبه إلى طبيعة منطقتهم، فإن كانوا مزارعين ضرب لهم الأمثلة بالأرض والبذر والزرع وهكذا حتى يستوعبوا الطرح من جهة ويندمجوا معه من جهة أخرى.

الفرع الثاني: أساليب معالجة عيوب الخطب وتصويب أخطاء الخطباء

إن أهم مرتكز في معالجة العيوب والأخطاء هو معرفة علم الخطابة وفن الإلقاء والتعرف على الممارسات الصحيحة وتمييزها عن الرداءة والأخطاء، وبالاستماع المستمر للخطباء الفصحاء والأدباء من جهة، وبالتدرب المتواصل على تحسين الخطابة شكلاً ومضموناً، تغيب كثير من الأخطاء، وهذا من حيث الإجمال.

وأما التفصيل مرتباً على حسب ما سبق فإليك بيانه واحداً بعد واحد: ففي اللحن يحتاج الخطيب إلى إتقان اللغة العربية وعلومها خاصة علم النحو، وأمام عدم التركيز على موضوع معين يحتاج الخطيب إلى أن يضبط نفسه في موضوعه فحسب، وفي التصحيف يلزم الخطيب أن يتعرف على سببه ويعالجه، وأما مشكلة القفز على الأسطر فحلها سهل وهو أن يكبر الخطيب الخط ويلونه وأن يرقم الصفحات وأن يراجع خطبته كثيراً قبل مجيئه ثم يركز أثناء الأداء، وبخصوص عدم تفاعل الخطيب مع خطبته ينبغي زيادة دافعية الخطيب من خلال إبراز مكانة الخطيب بدوره الريادي في تربية الأفراد والأمم والمساهمة في رفع همهم نحو المعالي، وأما بخصوص خطب المناسبات فعلى الخطيب أن يجتهد في وضع رزنامة خطب تذكره بالمناسبات الدينية والوطنية والعالمية، مع اجتهاده في متابعة الأخبار المحلية والوطنية والعالمية².

¹ - إدارة موقع المنبر، صفات الخطيب وآدابه <http://www.alminbar.net/alkhateeb/characteristics>، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023/03/04.

² - معالجة عيوب الخطبة وتصويب أخطاء الخطباء كتبت هذه الحلول مرتبة على ما سبقها من وحي تجربتي على المنبر.

المطلب الثاني: وسائل الارتقاء بخطبة الجمعة وتهيئة الخطيب الناجح

إن الارتقاء بخطبة الجمعة وتفعيل دورها الحضاري يتطلب الاعتناء بالخطبة والخطيب، فأما الفرع الأول فسيتناول وسائل الارتقاء بالخطبة وتفعيل دورها الحضاري، والفرع الثاني يعالج تهيئة الخطيب الناجح بصفاته ومواصفاته.

الفرع الأول: وسائل الارتقاء بخطبة الجمعة وتفعيل دورها الحضاري

إنَّ من أهمِّ المقاصد العظيمة التي شرعت الخطبة لها تذكير النَّاسِ برَبِّهم، وتعليمهم أمر دينهم، وإبراز دور المسلم في الحياة، والتحذير من السلبيات التي قد يقع فيها نتيجة الجهل أو الخطأ، وعلاج مشكلات الأمة وتقويم مسيرتها، وإنَّ تأمل بعض هذه المقاصد العظيمة، والخصائص المنيفة لشعيرة الجمعة كفيل بأن يجعلنا ندرك تلك المكانة التي تبوأتها من بين سائر العبادات حتى شرع التبكير لها، والإعلاء من شأنها، والتأكيد على الإنصات فيها، والوعيد الشديد في حقِّ من تخلف عنها. ومن جهة أخرى فإنَّنا حين نلمس هذا الاهتمام الكبير بشأن الجمعة في نصوص الوحيين، ندرك أنَّ من أعظم العوامل التي أثَّرت في حال أمتنا المؤلم، والمتمثِّل في كثرة الجهل، ووجود البدع، وضعف التدين، وكثرة المنكرات، إنَّما هو التقصير في استثمار دور المسجد عبر رسالة الجمعة المتجدِّدة للنَّاسِ كافيَّة على اختلاف مراتبهم ما يربو على خمسين مرة في كل عام، مما يجعلنا مقتنعين بأنَّ الحديث عن خطبة الجمعة وتحقيق أهدافها وتطوير أدائها مهم جداً، وينبغي أن يكون على رأس الأولويات الدعوية، كيف لا وهي تهدي النَّفوس الثائرة، وتثير حماسة النَّفوس الفاترة، وهي ترفع الحقَّ، وتخفف الباطل، وتقيم العدل، وتردِّ المظالم، وهي صوت المظلومين، وهي لسان الهداية... ولا يمكن أن ينتصر صاحب دعاية، ومناد بفكرة، وصاحب إصلاح إلا بالخطابة¹.

ومما يميز رسالة المسجد التربوية والتعليمية في المجتمع المسلم أنه يعطي التربية الإسلامية هويَّةً خاصة، تميزها عن غيرها، فهو مكانٌ للتعليم والتوعية الشاملة، التي يستفيد منها جميع أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم، وأعمارهم، وثقافتهم، وأجناسهم؛ إضافةً إلى فضل التعلم في المسجد، وما يترتب على ذلك من عظيم الأجر

¹ - الدور المفقود للخطبة والخطيب، إدارة موقع الخطباء، وهذا رابطته: <https://khutabaa.com/ar/article>، وقد تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2023/03/02.

وجزيل الثواب¹.

هناك عوامل كثيرة تساعد على نجاح الخطبة والارتقاء بها وتفعيل دورها الحضاري، والتي ينبغي على من يتصدر للخطابة مراعاتها، أهمها ما يلي²:

أولاً- تجنب خوض الخطيب فيما لا يعلم، فهو يتحمل المسؤولية كاملة عن ألفاظه وعباراته ونصائحه وإرشاداته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾³.

ثانياً- مخاطبة الناس بما يفهمون، فلا داعي للتفاصيل في الدقائق والتعمق في الحقائق، فإن ذلك ينفر فئة العوام من الجمهور.

ثالثاً- مراعاة مقتضى الحال، وهذا من حكمة الخطيب أن يحسن طرق أبواب العقول وأن يتحين فرص فتح القلوب، وأن يفتحها بما يناسبها من المفاتيح، فاختيارات الخطيب ينبغي أن تكون مناسبة، ذلك لأن لكل مقام مقالا، ولكل شريحة اجتماعية لسان تتحدث به، وألفاظ تتداولها.

رابعاً- التنوع في الأساليب الخطابية كأسلوب الاستدراج وأسلوب القصة وغيرهما.

خامساً- الالتزام بخصائص الأسلوب الخطابي من وضوح عبارات وجمل قصيرة وتنوع أساليب وإيجاز وغيرها.

الفرع الثاني: تهيئة الخطيب الناجح ومواصفاته

إن الخطيب هو ذلك الشخص الذي يقتدر على التصرف في فنون القول حينما يخاطب جمهوراً، يحاول استمالتهم وإقناعهم، للتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، وهذا راجع لما يمتاز به الخطيب المصقّ الناجح من سمات، وما يتميز به من خصائص تؤهله لاعتلاء المنابر وخوض غمار فن الخطابة، وهذه الصفات منها ما هو متعلق بذاته،

¹ - سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، دور خطب الجمعة والعبيدين في تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني للأمن الفكري، المفاهيم والتحديات، من 22 إلى 25 جمادى الأولى، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز للأمن الفكري بجامعة الملك سعود، ص 8.

² - ينظر: محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، مرجع سابق، ص 93، 94، 95.

³ - سورة الإسراء، ص 36.

ومنها ما هو متعلق بمظهره.

أولاً: الصفات التي تتعلق بذات الخطيب

إن الصفات المتعلقة بذات الخطيب قد تكون قبل الخطبة، وقد تكون أثناء تأديتها، وهي على الإجمال كثيرة متنوعة أذكر منها ما يلي:

(أ) الاستعداد الفطري:

إن نجاح الخطبة وروعها وقوة تأثيرها يتوقف على الاستعداد الفطري عند الخطيب، وهذا لا ينقص من شأن الدربة، فهي تغني بعض الشيء فيمن لا يملك الاستعداد الفطري للخطابة، ولكن لا ترقى به إلا مصاف الخطباء المبدعين الذين يشار إليهم بالبنان، ويتمتعون بقوة الخطبة وطلاقة اللسان، إلا أنه لا يستغنى عنها في دعم الاستعداد الفطري وتنميته¹.

المواهب أرزاق مقسومة، فبعض الناس يولد مفطوراً على حب الخطابة أو فن الشعر أو التجويد أو ما إلى ذلك من أنواع العلوم والفنون والمهارات، وهذا يوفر على المتعلم جهداً كبيراً في حصوله على كمال هذه الصفة والارتقاء إلى قممها السامقة. ومع ذلك فالمطلوب من هؤلاء الذين يتمتعون بحب فطري لعلم أو فن ما، أن يعملوا على صقل مواهبهم، وتزويد مخزونهم الفكري والعلمي والثقافي بما يزيد من تفجير طاقاتهم الإبداعية، والخطيب الحق هو الذي يتمتع باستعداد فطري وبجيئته الكلام عفوَ الخاطر، وتزيده الدربة والمراس ارتقاء وتفنناً في ميدان الخطابة الفسيح، أما عامة المتعلمين فلا بد لهم من علوم وفنون وأدوات يتعلمونها ويتقنونها ويمارسونها حتى يصبح ذلك العلم ملكة لهم وسجية فيهم².

(ب) طلاقة اللسان:

إن قوة البيان وفصاحة اللسان تعتبران من الصفات البارزة في الخطيب، ومن أسباب نجاحه في ميدان الخطابة، إذ أن الخطيب المصقع هو الذي صقلت العربية لسانه، فطاعت له الكلمات، واطمأنت عنده العبارات، فهو يسوقها إلى ما يشاء من المعاني، ويبني بها ما يريد من الأفكار، فمثل هذا الخطيب قادر على أن يستحوذ على القلوب، ويستولي

¹ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 244

² - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، مرجع سابق، ص 69.

على العقول، ويؤثر في النفوس، ويلهب المشاعر؛ لأن روعة بيانه وفصاحة لسانه كفيلتان بجذب الأذهان إليه وجمع القلوب عليه¹.

إن اللسان هو أداة الخطيب الأولى، وسلاحه الضروري والأقوى الذي يمكنه من الانضواء في سلك الخطباء. فالخطيب الناجح هو الذي يتمتع بلسان سليم، تام، كامل الخلقة، بريء من كل أمراض الفأفة والتمتمة واللجلجة، واللثغة وغيرها. وليس هذا فقط، بل على الخطيب أن يكون ذرّب اللسان، فصيحاً بليغاً، قادراً على التعبير، ذا ملكة قوية في الإنشاء والتصرف في فن القول. وهذا ما يتطلب منه إتقان كثير من العلوم، وعلى رأسها علوم اللغة والفصاحة والبيان حتى يتسنى له أن يتربع على عرش الخطابة الذي كتب عليه: ما هز المنابر مثل الفصحاء المصاقع، والبلغاء الفطاحل².

لذا ينبغي على الخطيب أن يكون فصيحاً ذرّب اللسان، بليلاً الرقيق، قديراً على التعبير، لأن منطقته هو ثروته وعدته، وهو بمنطقه يقنع، وبمنطقه يستميل، وما هز المنابر في القديم والحديث، ولا تزعم الأمم وقاد الجماهير إلا اللسان الفصحاء³.

(ج) الزاد العلمي:

إذا أراد الخطيب أن يبلغ رسالته بكل سهولة وطلاقة فما عليه إلا أن يكون على قدر من العلوم والمعارف، وأما إذا كان محدود العلم، قليل الزاد، ضئيل المعرفة، ضيق الثقافة، فسوف يضطرب سير خطبته، ويكبو جواد مقالته عندما تفرغ جعبته، وينتهي مخزون معرفته، فيضطر إلى تكرار العبارات وإعادة المعاني والأفكار ليملاً ما تبقى من وقت خطبته، فينشأ عن ذلك تفشي السامة في نفوس المستمعين إليه، وفتور انفعالهم وبرود عواطفهم وشروء أذهانهم، فينصرفون غير آسفين، ويتمنون انتهاء خطبته بفارغ الصبر، فيؤدي به ذلك إلى الإسراع في إنهاء كلمته بأي طريقة، ليخرج نفسه من حرج موقفه⁴.

¹ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 244

² - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، ط 1، دار ابن كثير، بيروت، 2017، ص 70.

³ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، مرجع سابق، ص 11.

⁴ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 245

(د) رباطة الجأش:

تعتبر الجرأة ورباطة الجأش من العوامل المؤثرة في نجاح الخطيب، لأنهما تمكنانه من الهيمنة على الموقف والقدرة على إلقاء خطبته بقوة وثبات، بينما يكون الخوف سببا في اضطرابه واهتزاز موقفه، فيفقد بذلك السيطرة على الموقف والقدرة على الكلام ورفع الصوت وشدة الحماسة، وتنحبس الكلمات في حلقه، وتنقطع بانقطاع نفسه لخفة واضطراب قلبه، وينهار أمام هيبة الموقف، فيسعى جهده لإنهاء الخطبة بأسرع وقت، ليتفادى خطر الوقوع فريسة الخوف والضعف، ويتخلص من أشواك الحرج التي ضررها على نفسه بسبب خوره¹.

لذا فصفة سكون النفس وهدوء البال من أُلزم مستلزمات الخطيب الناجح؛ لأنه إذا كان ساكن النفس ثابت الجنان فلا تنتابه الحيرة أثناء الحديث، ولا تعثره الدهشة، ازداد كلامه قوة، وحسن وقعه في نفوس السامعين، وسلم من الحُبْسَةِ والحَصَر. وعلامة سكون نفس الخطيب ورباطة جأشه هدوء في كلامه، وتمله في منطقه. ويروي لنا التاريخ أن كثيرا من الخطباء الفصحاء أُرتِجَ عليهم الكلام لما أصابتهم الحيرة وانتابتهم الدهشة²، وإليك نماذج لخطباء ارتج عليهم فوق المنابر:

"صعد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- المنبر فَأُرتِجَ عليه، فقال: إن اللذين كانا قبلي كانا يعدان لهذا المقام مقالا، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل، وستأتاكم الخطبة على وجهها ثم نزل"³.

وصعد بعض العرب منبرا بخراسان، فَأُرتِجَ عليه، فقال حين نزل: لئن لم أكن فيكم خطيبا فإنني بسيفي إذا جدَّ الوغى لخطيب.

(هـ) الإخلاص:

إن الإخلاص هو قوة فعالة في توجيه النفس البشرية وقيادة القلب الإنساني، والخطيب الذي يتحلّى بالإخلاص هو أقدر على التأثير في نفوس جمهوره وتوجيه قلوبهم

¹ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 267.

² - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، ط 1، دار ابن كثير، بيروت، 2017، ص 70.

³ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998، ص 22.

وأذهانهم؛ لأن كلامه ينبع من أعماقه وينطلق من صفاء نفسه¹. إن خطاب المخلص يتسرب إلى قلوب السامعين بدون استئذان، فما خرج من القلب دخل إلى القلب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الأذان.

والخطيب المُخْلِصُ يُجري الله الحكمة على لسانه، ويستطيع بفضل الله تعالى، ثم بفضل إخلاصه، أن يُرَقِّقَ أقى القلوب ويعود بها إلى بارئها سبحانه وتعالى، والله يكتب القبول لكلام صادر عن قلب مؤمن صادق يبتغي صاحبه وجه الله تعالى، والعكس صحيح، فكلم وجدنا في حياتنا المعاصرة من علماء بلغاء وخطباء مصاقع لا يرتاد مجالسهم أحد؛ لأن القلوب تتوجه إلى حيث ترتاح وتقر².

(و) قوة الملاحظة:

ومن الصفات الملازمة للخطيب: أن يكون قوي الملاحظة، حديد البصر، مستنير البصيرة، يرى بَعْيِيَّ فؤاده ما تسره النفوس وتكنه الصدور، ويكون ذلك بقراءة ملامح الجمهور، والاطلاع على أحوالهم، وحركاتهم وسكناتهم، ومدى تجاوبهم وتفاعلهم مع حديثه إيجاباً أو سلباً. والخطيب الذي يتمتع بقوة الملاحظة يستطيع بسهولة أن يتبين مدى إقبال جمهور الناس على حديثه أو إعراضهم عنه. وفي الحالة الثانية، فإنه يحسن به تغيير أسلوبه أو بعض مضامين خطبته إلى ناحية أخرى تكون أقرب إلى التأثير في قلوبهم، وأدنى إلى إقناع عقولهم، واستمالة نفوسهم³.

(ز) معرفة نفسية السامعين:

هدف الخطيب أن يتغلغل في نفوس سامعيه، فيصرفها كما يشاء، معتمداً على إثارة عواطفهم، وإشغال مشاعرهم، وسبيله إلى ذلك أن يلم بعلم النفس الاجتماعي، ليعرف روح المجتمع وعقليته، ويقف على طبائع النفوس وعواطفها، ويعلم ما يثير هذا المجتمع أو يهدئه وما يرضيه أو يغضبه، وأي الأساليب ملائم له، أهو أسلوب البسط والإطناب؟ أم أسلوب الإيجاز والإشارة والاقتضاب؟ والخطيب الناجح هو من امتزجت بروح السامعين روحه، فكان هو وهم كسلكين كهربيين سالب وموجب، يلتقيان فيشع منهما ضوء وحرارة، والسامعون من طبقات شتى وبيئات عدة، فيهم الكبير والصغير، والمتعلم والأمي، والفقر

¹ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 250

² - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، مرجع سابق، ص 77.

³ - المرجع نفسه، ص 79.

والغنى، والخصم والولي، فعليه أن يمهد الطريق إلى إقناع هذا الجمهور المتباين وإلى التأثير فيه¹.

(ح) صدق اللمحة:

لا بد أن يكون الخطيب مخلصا صادقا حريصا على قول الحق والعمل به، وهذا يتطلب منه أن يكون فقيه النفس، عارفا بأحوال الناس، محنكا بصيرا بالواقع. كما ينبغي ألا يُسرف في مدح ولا ذم ولا ثناء ولا إطراء ولا وعد ولا وعيد، ويتجنب فاحش القول وبذيثه، ولا يلجأ إلى الكناية والتعريض بدل التصريح والإفصاح بما يستهجن من ألفاظ². كما يحسن بالخطيب أن يوافق قوله فعله، وحديثه عمله، حتى يكون محل ثقة جمهوره. فلا يثق الناس عادة بمن يخالف قوله عمله، بل سريعا ما يزول كلامه من القلوب كما تزُل حَبَّاتُ الرَّمْلِ أَصَابِهَا وابلٌ على الصفا الأملس. وعلى العكس من ذلك، على الخطيب أن يتَّسِمَ بالصدق والإخلاص بالقول والعمل.

مُصَغِّيًا بِأَذْنِي قَلْبِهِ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ الْحَكِيمِ:

يَأْتِيهَا الرَّجُلُ الْمَعْلَمُ غَيْرُهُ * هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

تصف الدواء لذي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا * كيما يصيح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانها عن غيها * فإذا انتهت فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

وإذا أحس الناس بصدق خطيبهم، وكرم أرومته، ازدادوا به ثقة واتبعوه واقتفوا أثره.

(ط) التلطف في الحديث والتودد للسامعين:

ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما اتصف أحد بعنف إلا شانه. هذه سنة مُطَرَّدَةٌ في الخلق أجمعين. والخطيب - وهو المعلم والمُرشد - لا بد أن يتحلّى بخلق الرفق ويتزين بخصلة اللين في الحديث والتلطف في المعاملة. وكلما تسلح الخطيب بسلاح الحب وتدرّع بغشاء المودة وحسن المعاملة كان كلامه على القبول أقرب، وممكنه ذلك من زمام القلوب وكسب مودة الجمهور، ومن التلطف في الحديث: الدعاء، كأن يقول الخطيب بين الفينة والأخرى: حفظكم الله، وأدام عليكم نعمه السابغة، ورحمكم الله تعالى، ومن التلطف:

¹ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، مرجع سابق، ص 19.

² - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، مرجع سابق، ص 85.

التودد للسامعين، والتواضع بين أيديهم، وخفض الجناح لهم، وعدم الاستكبار أو التعالي عليهم. فالتكبر صفة بغیضة يمجتها الله تبارك وتعالى، ويعاقب عليها أشنع عقاب، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾¹، وعلى العكس من ذلك، فالتواضع كفيل لكسب مودة الناس أجمعين، وكلما تواضع الخطيب في حديثه ومعاملاته مع الناس، ازدادت الأفئدة تعلقا به وشغفا².

(ي) قوة الشخصية:

تعتبر قوة الشخصية في الخطيب من الصفات الجليلة والعوامل الهامة في نجاح خطبته، لما لها من أثر كبير في تمكين الخطيب من الاستيلاء على قلوب السامعين وامتلاك أحاسيسهم والتأثير في نفوسهم، ومن عوامل قوة الشخصية تجنب الخطيب التبذل بثيابه، وارتكاب رذائل الأقوال والأفعال، والحذر من كثرة المزاح، والتمسك بكریم الأخلاق، والتحلي بأداب الحديث ومحاسن الخطاب، لأن الخطيب الذي يتبذل، وتسوء أخلاقه، وترذل أفعاله وأقواله، ويكثر مزاحه، تهلّل شخصيته، وتزدرى مكانته، وينحط قدره، وتسقط هيئته من نفوس الناس فلا يتأثرون بكلماته، ولا ينتفعون بخطبه، بسبب أنه فقد أهم صفات المربي الناجح والمرشد المؤثر ألا وهي قوة الشخصية³.

ثانيا: الصفات المتعلقة بمظهر الخطيب الخارجي

لا بد للخطيب الناجح من صفات شكلية، وسمت ظاهري يتسم به، ومن هيئة مهیبة يعود أثرها على المستمع تقديرا واحتراما. لذا وجب عليه أن يجتهد في الظهور بالمظهر اللائق المناسب، ومراعاة النقاط التالية:

أ- وقار لبسه وجمال مظهره:

إن حسن المظهر وجماله حبّده الإسلام، وحضّ عليه، وبخاصة في مواطن العبادة. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁴، قال الإمام أبو السعود: "ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته

¹ - سورة القصص: الآية 83.

² - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، مرجع سابق، ص 87.

³ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 246.

⁴ - سورة الأعراف: الآية 31.

للصلاة، وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة¹.

وقد وجه رسول الله ﷺ المسلمين إلى وقار المظهر وأداب الملبس. قال ﷺ: "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رجالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس"². وقال ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"³. وقال ﷺ: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه"⁴.

ومن المستحسن أن يلبس الخطيب من الثياب ما يُتَوَهَّ بمكانته، ويشير إلى منزلته كواعِظٍ ومُرشِدٍ ومعلم، ومن ذلك لبس البياض من الثياب، والعباءة، وأما إذا اضطرب لباس الخطيب، وامتنعت ثيابه، واختلط هندامه، كان ذلك سببا في نفور الناس منه وإعراضهم عن سماعه واستهانتهم به، فمن أراد أن يقف موقف الواعظ المرشد فعليه أن يظهر للناس بثوب الوقار اللائق به في أهل زمانه بحيث يظهر في لبسه وسمته أثر جلال مقام الإرشاد والدعوة إلى الله⁵.

ب- وقفة الخطيب حال أداء الخطبة:

إن لوقفة الخطيب حال إلقاء الخطبة أثرا في نفوس السامعين، كما لها أثر في نفسه، لذا ينبغي أن يهتم ينبغي أن يهتم الخطيب بكيفية وقوفه وهيئته فوق منبر رسول الله ﷺ⁶، ومن هنا فضل العلماء أن يقف الخطيب على مكان مرتفع حتى يتمكن الجمهور من رؤيته، ويمكن هو من رؤية الجمهور ومخاطبته، وبالتالي تُسهِّم الرؤية المتبادلة بين الخطيب والجمهور في عملية التأثير والتأثر، وتستعد حاستا السمع والبصر لدى المستمعين في استقبال أفكار الخطيب وتثبيتها في أعماق القلب⁷.

ووقفة الخطيب المعتدلة المتزنة تضيف عليه مهابة وجلالا، وتعطيه ارتياحا نفسيا يتمكن من خلاله أن يُلقِيَ خطبته على أحسن وجه وأكمل حال، ولهذا يحسن أن يقف الخطيب على مكان مرتفع، ولا ينبغي له أن يتجاهل الجمهور، بحيث لا ينظر إليهم، بل

¹ - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 2، ص 489.

² - ابن حجر العسقلاني، الأمالي المطلقة، حديث حسن، ص 35.

³ - رواه مسلم (147).

⁴ - رواه الترمذي (2820) بإسناد حسن.

⁵ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 271.

⁶ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 273.

⁷ - محمد صافي المستغاني، مواصفات الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، ص 90.

ينظر فيهم، ويحاول أن يستنطق أفكارهم، ولا يثبّت نظره في جهة واحدة، كأن ينظر إلى أعلى دائماً، أو إلى الأرض دائماً، ولا يستحب أن يتكلف هيئة واحدة يثبت عليها طوال خطابه، مثل جعل اليدين على الصدر، كهيئة المصلى حين قراءة الفاتحة والقرآن في الصلاة¹.

ج- حسن إشارة الخطيب واتزان حركاته:

لا يستطيع المتكلم مهما كان هادئاً أن يستغني عن الإشارة، فهو إذا لم يحرك يده، حرك رأسه، وإذا لم يحرك رأسه، حرك منكبه، وإذا لم يحرك منكبه، وإذا لم يحرك منكبه، بدت الحركة في تغيير ملامح وجهه ونظرات عينيه، كأن يقطب جبينه، أو يحول عينيه، أو تتفرج أساريره - إذا - جزء من بيان المتكلم، وأداة من أدواته، وهي ذات فعالية كبيرة وأثر واضح في تنبيه السامع وإيضاح المعنى ونقله إلى الأذهان، لذلك قالوا: استخدام الإشارة يزيد في إيضاح العبارة².

الإشارة وسيلة هامة من وسائل الاتصال بين الناس، ومهما كان الخطيب ناجحاً ومتمكناً من مادته العلمية، وفصيحا في حديثه فإنه لا يستغني عن الإشارة بيديه أو حركة رأسه، أو ملامح وجهه أو نظرات عينيه أو تقطيب جبينه وغيرها من الأعضاء التي يُمكن الإشارة والإفهام بها، والسبب يعود إلى أن الإشارة تشرح الكثير من المعاني التي لا يعبر عنها باللسان، ولها فاعلية كبيرة، وأثر واضح في تنبيه السامع وإيضاح عبارات المتحدث، وينبغي أن تكون الإشارة ملائمة للمعنى المراد التعبير عنه، وقُبِلَ القول ممهدة لعبارات الخطيب، ومتزنة ومتناسقة تعطي مدلولها بوضوح ورشاقة ولطف، بعيدة عن العنف والشدة³. لذا يجب على الخطيب -إذا أراد ترك الأثر في المستمعين- أن يراعي ما يلي:

أولاً- يجب على كل خطيب تجنب التقريع وفظاظة القول، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)⁴.

¹ - إسماعيل علي محمد، الخطيب وحسن المظهر، مقال في شبكة الألوكة،

² - نذير محمد مكيتي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 275.

³ - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، مرجع سابق، ص 91.

⁴ - سورة النحل، الآية 125.

ثانيا- إذا استنكر الخطيب أمرا فليحذر توبيخهم بأسلوب يستفز مشاعرهم، ويؤدي كرامتهم، فيقول: كفوا عن العصيان أيها المسلمون، إلى متى وأنتم تأكلون الربا وترتكبون الموبقات، هل استمرأتم أيها الناس حياة الفسق والفجور، وطاب لكم فضح الأعراض وارتكاب الفواحش ومحاربة الديان، أيها الجاهلون الغافلون¹.

وينبغي بدل هذا كله أن يجتهد الخطيب في بث الأمل في نفوس المذنبين وطرح اليأس عن قلوب العصاة المفرطين، وأن يركز على البشر والتبشير لعل الله تعالى أن يحيي القلوب وينير العقول فتثوب إلى رشدها وتصحو من غفلتها.

ثالثا- على الخطيب التدرج في مطالبة الناس بتطبيق أحكام الشريعة الغراء، فحمل الناس على الحق جملة قد يجعلهم يتركوه جملة.

رابعا- اجتهد أيها الخطيب في الإعداد للخطبة بما يناسب الحال والمقال، فإن الله تعالى قد ائتمنك على هذا المنبر، فهي مسؤولية جليلة، فأعطها قيمتها مهما مرت عليك السنوات وأنت تمارسها، ولا تستهين بجمهورك البتة.

خامسا- ينبغي على الخطيب أن يجتنب التهجم على أقرانه الخطباء وأن يتحاشى الاستخفاف بآراء العلماء، فالحكمة أن يناقش الخطيب الرأي بكامل الهدوء والاعتزان ومطلق الأدب والاحتشام.

سادسا- يجب على الخطيب أن يهجر الإطالة والإطناب في الكلام، لأن ثمرة الخطبة تتحقق في قلة الكلام وقصر المدة، بحيث تتمكن أذهان عموم المستمعين إليه من إدراك معظم أفكار خطبته².

سابعا- تجديد الخطاب المسجدي ضرورة شرعية، وهو لا يعني المساس بالعقيدة أو بثوابت الإسلام أو بحكم شرعي مجمع عليه، وإنما يقع على الجانب المتغير، فالثابت يحيي المتغير من الفوضى والانفلات، والمتغير يعطي عنصر المرونة والحركة، ويحميه من الجمود³.

ثامنا- ولذا واجب على خطيب الجمعة والعديد من توعية الناس بمقومات الأمن التي

¹ - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 303.

² - نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، مرجع سابق، ص 309.

³ - أحمد محمد هليل، نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر، ط1، دار الفرقان، عمان، 2007، ص 12-13.

قررتها الشريعة الإسلامية لحفظ المجتمع من الجريمة، ووقايته من الانحراف، ومحاربة التطرف والغلو، والتصرفات الشاذة التي تسعى إلى الخروج على النظام العام وعلى ولاية الأمور، والإخلال بالأمن، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وتدمير الممتلكات، وإثارة الفتن، وتفريق جماعة المسلمين، والعبث بأمن المجتمع واستقراره، وإن كل مخالفة لما جاء في أحكام الشريعة الإسلامية، يعتبر تعدياً، وانتهاكاً لحدود الله، يستوجب صاحبها العقوبة، حتى تستأصل من المجتمع دواعي الإجرام، ومسببات الفتنة، وبواعث القلق، ويعيش الجميع في ظلال الإسلام، في أمن وأمان، واستقراره وراحة واطمئنان¹.

خاتمة:

وبناء على ما تقدم ذكره، فقد توصلت الدراسة إلى نتائج وتوصيات أهمها:

أولاً- النتائج:

1- الخطاب المسجدي الحالي فيه نقائص وعيوب تحتاج إلى تصويب ومعالجة، وعلى جميع المستويات، وذلك من أجل أن يؤدي هذا الخطاب دوره القيادي ووظيفته الريادية في الإقناع والاستمالة والتربية والتعليم.

2- إن مستويات الخطباء متباينة، والأخطاء التي يقعون فيها متكررة ومتشابهة، ومن أولى برامج تهيئتهم والارتقاء بهم: إبراز أخطائهم وتزويدهم بطرق تصحيحها على المدى القريب والمتوسط، والبعيد من أجل المساهمة في تبليغ دعوة الإسلام ببيان قاطع وبرهان ساطع.

3- لنجاح الخطبة عوامل أهمها: تفعيل التأصيل الشرعي والتسهيل اللغوي والتنزيل الواقعي، والاهتمام بحسن الاستشهاد بالكتاب والسنة وأقوال السلف واختيار ما يناسب من صحيح القصص والأخبار، والتوشيح بالحكم والأمثال وروائع الأشعار، مع مراعاة مقتضى الحال والمشاركة الوجدانية والتنوع في الأساليب الخطابية.

4- الالتزام بخصائص الأسلوب الخطابي من وضوح عبارات وجمل قصيرة وتنوع أساليب وإيجاز وغيرها.

5- ينبغي على الخطباء أن يكونوا أصحاب رسالة ربانية، وأن يدركوا المسؤولية العظيمة التي حملهم الله- عز وجل- إياها.

6- يمكن الارتقاء بخطب الجمعة في وادي سوف حتى تؤدي دورها القيادي وواجبها

¹ - سهل بن رفاع بن سهيل العتيبي، دور خطب الجمعة والعبيدين في تعزيز الأمن الفكري، مرجع سابق، ص 14.

الريادي في ضوء تحديات العصر من خلال تهيئة الخطيب عقليا ونفسيا وجسديا واجتماعيا، وتكوينه وتدريبه.

ثانيا- التوصيات:

- 1- إقامة الدورات التأهيلية للخطباء في فنون الإلقاء وأساليب التأثير وطرق الإقناع.
- 2- إجراء المسابقات والفعاليات بين خطباء المساجد حول الخطبة المسجدية النموذجية للشهر، فيتنافس الأئمة والدعاة في رفع مستواهم العلمي والثقافي.
- 3- غرس الاهتمام بالخطابة والإلقاء في نفوس النشء من خلال تكوينهم وإعدادهم.
- 4- إدراج مقياس الخطابة والحوار والإقناع في المعاهد والكليات الشرعية.
- 5- تفعيل لجان الرقابة على الخطباء بعد سنوات من تنصيبهم واختبار مدى التزامهم بالمرجعية الدينية والوطنية.
- 6- إنشاء مواقع إلكترونية منبرية متخصصة ترافق الخطباء الجدد، وتبين لهم طرائق إعداد الخطب وتشجع الخطباء القدامى من الاستمرار في كتابة الخطب النموذجية ونشرها على أوسع نطاق، ومعالجة مشكلات العصر من أجل استمرارية مسيرة الخطاب المسجدي لروح العصر ومتطلباته.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- القرآن الكريم

ثانيا- الكتب

- 1- أحمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مجلد1، مكتبة لبنان، 1987.
- 2- نذير محمد مكتبي، خصائص الخطبة والخطيب، ط6، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2010.
- 3- أرسطو طاليس، الخطابة، تحقيق وتعليق عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1989.
- 4- إسماعيل علي محمد، فن الخطابة ومهارات الخطيب، ط5، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- 5- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ط2، دارنهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998 القاهرة.
- 6- عبد الكريم بكار، تجديد الخطاب الإسلامي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، القاهرة.
- 7- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

- ⁸ - معجم اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط1، مصر، 1980.
- ⁹ - علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، القاهرة.
- ¹⁰ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار صعب، بيروت.
- ¹¹ - أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ¹² - عبد الكريم بكار، المتحدث الجيد: مفاهيم وآليات، ط1، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع، 2012، القاهرة.
- ¹³ - محمد أبو زهرة، الخطابة، دون تاريخ طبع، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ¹⁴ - محمد صافي المستغاني، الخطيب الناجح بين عوامل الإقناع ووسائل الإمتاع، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 2017.
- ¹⁵ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998..
- ¹⁶ - أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.
- ¹⁷ - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988.
- ¹⁸ - صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1990.
- ¹⁹ - الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ²⁰ - أحمد محمد هليل، نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر، ط1، دار الفرقان، عمان، 2007، ص12-13.

ثانيا: الرسائل والمقالات العلمية

- ¹ - فهيمة بن عثمان، الخطاب المسجدي وسبل النهوض به، دراسة ميدانية في مساجد ولاية المسيلة، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الموسم الجامعي 2014/2015.
- ² - علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882 إلى 1954، أطروحة دكتوراه مقدمة لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2008/2009.
- ³ - عبد القادر فضيل، منهجية بناء الخطاب المسجدي، مقال في مجلة رسالة المسجد، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 2، السنة الأولى، رجب 1424هـ، سبتمبر 2003.
- ⁴ - سهيل بن رفاع بن سهيل العتيبي، دور خطب الجمعة والعידين في تعزيز الأمن الفكري، بحث مقدم للمؤتمر الوطني للأمن الفكري، المفاهيم والتحديات، من 22 إلى 25 جمادى الأولى،

كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز للأمن الفكري بجامعة الملك سعود.
ثالثاً- المواقع الإلكترونية:

- ¹ - موقع ديوان العرب، <https://www.diwanalarabia.com>.
- ² - موقع كلمات: <https://kalimmat.com/define>.
- ³ - غادة الحلايقة، مدينة وادي سوف، مقال منشور على م موقع موضوع بتاريخ: 8 نوفمبر 2021، <https://mawdoo3.com>.
- ⁴ - إسماعيل علي محمد، الخطابة في عصر صدر الإسلام، مقال على موقع الألوكة، https://www.alukah.net/literature_language.
- ⁵ - عبد الكريم البوغيش، تطور الخطابة الإسلامية، موقع ديوان العرب، <https://www.diwanalarab.com>.
- ⁶ - محمد محمود السيد، اللحن في اللغة العربية، مقال منشور بتاريخ 2018/1/29 على مجلة الفلق الإلكترونية، وهذا رابطته: <https://www.alfalq.com>.
- ⁷ - إدارة موقع تيار الإصلاح، <https://www.noslih.com/article>.
- ⁸ - إدارة موقع المنبر، صفات الخطيب وآدابه <http://www.alminbar.net/alkhateeb/characteristics>.
- ⁹ - الدور المفقود للخطبة والخطيب، إدارة موقع الخطباء، وهذا رابطته: <https://khutabaa.com/ar/article>.
- ¹⁰ - إسماعيل علي محمد، الخطيب وحسن المظهر، مقال في شبكة الألوكة، <https://www.alukah.net/sharia>.

الخطابُ المُسجديّ في وادي سُوف

- مُعيقات التأثير وسُبل التطوير -

د / إلياس بن صالح تامّاه

دكتوراه في الفقه وأصوله من قسم الشريعة
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

tamma-ilyas@univ-eloued.dz



مقدمة

تُعَدّ الدعوة إلى الله من أفضل أعمال البرّ، كيف لا وهي وظيفة الأنبياء، وقد حرص العلماء وحملة العلم الشرعي على أداء هذه المهمة العظيمة وحمل هذه الأمانة الشريفة والحرص على تبليغها لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ولقد حرصوا على توجيه الناس وتعليمهم في كل مكان وفي أي مقام أينما حلُّوا وارتحلوا، وإن من أهم الأماكن التي تقود المجتمعات المساجد فقد كان لها الدور البارز في بيان وتبليغ الخطاب الشرعي إلى عموم المسلمين... ولما لهذا الخطاب من أهمية في حياة المسلم، وفي ظل تراجع المساجد عن أداء هذا الدور في الجزائر عموما وفي منطقة وادي سوف خصوصا، ومع الإعلان عن هذا الملتقى بعنوان: "الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها" رأيت أن أساهم فيه من جهة بيان أهم المعوقات التي كانت وراء ضعف تأثير هذا النوع من الخطاب انطلاقا مما نشاهده في منطقتنا، وللوقوف على أهم الوسائل التي يمكن أن تساهم في إعادة بعثه وإرجاعه إلى سابق عهده، ولذا جاءت المساهمة بعنوان "الخطابُ المُسجديّ في وادي سُوف -مُعيقات التّأثير وسُبل التّطوير-" ونسأل الله التوفيق والسداد.

أهمية الموضوع: تتجلى أهمية هذا الموضوع من جوانب عديدة: فمنها ما يتعلق بالمكان ومنها ما يتعلق بنوع الخطاب ومنها ما يتعلق بغير ذلك، وفيما يلي البيان:

- ✓ أن المسجد يعتبر من أهم الأماكن التي يفد إليها المسلم وتتبوأ مكانة خاصة في قلبه.
- ✓ تراجع المسجد عن القيام بدوره الريادي في إصلاح المجتمع والتأثير في أفراد.
- ✓ خصوصية الخطاب في المساجد لتعلقه ببيان الأحكام الشرعية وتقديم الحلول المناسبة لكل ما يعرض للمجتمع من مشكلات وعوائق.

✓ تأثير الخطاب المسجدي في نفوس المسلمين على اختلاف مستوياتهم ودرجاتهم العلمية.

✓ اهتمام المجتمع السّوّفي بالخطاب المسجدي وعلاقته الخاصة به.

الإشكالية: ما المقصود بالخطاب المسجدي؟ وما هي أهم خصائصه؟ وما هي المعوقات التي تمنع تأثيره؟ وما هي وسائل تطويره؟

الدراسات السابقة:

ولأهمية الخطاب المسجدي فقد تسابقت الأقلام إلى الكتابة فيه وتحت مسميات مختلفة ولقد وقفت على بعضها، فمنها ما أدرج تحت مسمى "الخطاب الديني"، ومنها ما تم إدراجه تحت "فن الخطابة وطرق إعداد الخطيب"، إلا أنه ما تتميز به هذه الدراسة أن منطلقها في بيان معيقات الخطاب المسجدي هو الواقع الذي نشهده ونعايشه في منطقتنا، والذي يتّسم ببعض الخصائص.

منهجية المعالجة والتقسيم: وللإجابة على ما تم ذكره من تساؤلات في الإشكالية، فقد نظمت ما ذكرته من معارف فيما يلي:

مقدمة وقد أشرت فيها إلى أهمية الموضوع، والإشكالية التي جاء البحث للإجابة عليها.

وأما المطالب الأربعة فخصصت المطلب الأول منها لبيان مفهوم الخطاب المسجدي انطلاقاً من بيان المصطلحات المركبة له، وأما المطلب الثاني فقد ذكرت فيه أهم خصائص الخطاب المسجدي ووسائله، وأما المطلب الثالث ففيه بيّنت أهم معيقات تأثير الخطاب المسجدي، وفي المطلب الرابع والأخير ذكرت بعض وسائل تطوير الخطاب المسجدي.

وفي خاتمة هذا البحث ذكرت أهم النتائج المتوصل إليها وبعض التوصيات.

المطلب الأول: تعريف الخطاب المسجدي.

الفرع الأول: تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً.

تعريف الخِطَاب لغة: ترجع كلمة الخِطَاب إلى خَطَبَ، ومعنى خَطَبَ في اللُّغة يؤول إلى أصلين كما ذكر ذلك ابن فارس في مقاييسه: فأما أحدهما: الْكَلَامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وأما الثاني: فَاخْتِلَافُ لَوْثَيْنِ.

والذي يُهْمَنَا في هذا هو الأصل الأول، فخطب يخطب واختطب وهي الخطبة، خطب

خطابة وَرَجُلٌ خَطِيبٌ حَسَنُ الْخُطْبَةِ وَالْجَمْعُ خُطَبَاءٌ، وخطب الرجل خطبة فهُوَ خطيب، ويُقال: خطبَ على المنبرِ خطبةً بالضم، وخطب المرأة خطبةً بالكسر، واختطب أيضاً فيهما.¹ وَالْخُطْبَةُ: هِيَ الْكَلَامُ الْمُخْطُوبُ بِهِ، وَالْخُطْبَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْكَلَامُ الْمُنْتَوَرُ الْمُسَجَّعُ وَنَحْوُهُ، وَخُطِبَ، بِالضَّمِّ، خُطَابَةً، بِالْفَتْحِ: صَارَ خُطِيباً² وَالْخِطَابُ كُلُّ كَلَامٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آخَرٍ³، وَالْمُخَاطَبَةُ: مُرَاجَعَةُ الْكَلَامِ، وَخَاطَبَهُ بِالْكَلامِ مُخَاطَبَةً وَخِطَاباً⁴.

وَالْخُطْبُ: الْأَمْرُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْمُخَاطَبَةُ وَالْمُرَاجَعَةُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: جَلَّ الْخُطْبُ أَيَّ عَظَمِ الْأَمْرِ وَالشَّانِ⁵

وعموماً يقصد من الخطاب هو الكلام الذي يوجه من طرف إلى آخر بقصد بيان شيء وتوضيحه وإصلاح أحوال المخاطبين، وذلك راجع لأهميته في نظر المخاطب.

وإن كان الخطاب يقصد منه معنى الحوار ومراجعة الكلام، إلا أنه مخصوص في الجمعة بأن يقابل بالإِنْصَات لما ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»⁶ تعريف الخطاب في الاصطلاح: الخطاب هو الكلام الموجه إلى الغير بقصد الإِفْهَام⁷، ومن خصائص هذا الكلام أنه يكون واضحاً ومُلَخَّصاً حتى يتنبَّه له من يُخَاطَبُ به ولا يلتبس عليه⁸.

وأما الْخُطَابَةُ كما عرفها الجرجاني بأنها قياس مركَّب من مقدمات مقبولة أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم

¹- ينظر: المخصص (208/1)، جمهرة اللغة (291/1)، المحكم والمحيط الأعظم (122/5)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (121/1).

²- ينظر: مقاييس اللغة (198/2)، معجم ديوان الأدب (99/2)، لسان العرب (361/1).

³- مجمل اللغة، ابن فارس، ص 295.

⁴- ينظر: العين (223-222/4)، أساس البلاغة (255/1)، المحيط في اللغة (293/4).

⁵- لسان العرب (360/1).

⁶- صحيح مسلم (8/3).

⁷- الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنكي (ت: 926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط 1، 1411هـ، ص 68.

⁸- ينظر: التعريفات، الجرجاني، ص 165.

ومعادهم¹.

وقد عرفت كذلك بأنها: توجيه الكلام للآخرين للإفهام، سواء أكان الإفهام في الحال أم في المستقبل².

والذي يظهر بأنّ الخطابة هي الوعاء الذي يحمل الخطاب، فالخطاب هو الكلام الذي يلقيه الخطيب، وأما الخطابة فهي أقرب إلى معنى الطريقة والوسيلة التي يستعملها الخطيب في إلقاء الكلام وأدائه حتى يحصل به النفع والإقناع.

ولذا جاء في تعريف الخطابة بأنها: فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة³.

وعرفت كذلك بأنها: علمٌ معرفة طرق أداء الكلام ونقل الأفكار إلى عقول السامعين وأحاسيسهم بصورة مخصوصة وصفات معينة مع قصد التأثير والإقناع⁴.

وتستعمل الخطابة لأغراض كثيرة كلها تدعوا في مجملها إلى ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، وسواء تعلق ذلك ببيان أمرٍ قد التبس على الناس أو بيان أمر حصل لهم خلل في فهمه وإدراكه، أو إقناع السامعين بفعل أمر ما، أو التحذير من خطر شيء ما.

ومن المواقف التي قام فيها النبي ﷺ خطيباً في الناس حينما سعت قريش في إسقاط حدّ السرقة عن المرأة المخزومية فقال النبي ﷺ: -في بيان خطر الشفاعة في الحدود بعد بلوغها السلطان- «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وإيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»⁵.

¹- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ-1983، ص99.

²- معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، طه أحمد الزبيدي، الأردن، دار النفائس، ط1، 1430هـ-2010م، ص116.

³- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلي، القاهرة، دار الشرق، ط3، 1407هـ-1987م، ص13.

⁴- خصائص الخطبة والخطيب، نذير محمد مكتبي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط4، 1426هـ-2005م، ص54.

⁵- صحيح البخاري (3/ 1282).

الفرع الثاني: تعريف المسجدي.

وكما هو ظاهر بأن كلمة " المسجدي " هي نسبة إلى المسجد، والمسجد، يَفْتَحُ الْجِيمُ، مِخْرَابُ الْيُتُوبِ؛ والمسجد، بِكسْرِ الْجِيمِ مُصَلًى الْجَمَاعَاتِ، وَالْمَسَاجِدُ جَمْعُهَا، ... والمسجد والمسجد: الَّذِي يُسَجَّدُ فِيهِ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ يُتَعَبَّدُ فِيهِ فَهُوَ مَسْجِدٌ [مسجد]، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا¹... وَقِيلَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ: هِيَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ مِنَ الْإِنْسَانِ: الْجَبْهَةُ وَالْأَنْفُ وَالْيَدَانِ وَالرُّكْبَتَانِ وَالرِّجْلَانِ... وَأَمَّا الْمَسْجِدُ مِنَ الْأَرْضِ فَمَوْضِعُ السُّجُودِ نَفْسِهِ².

وترجع كل المعاني (سَجَدَ) السَّيْنُ وَالْجِيمُ وَالِدَالُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَطَامُنٍ وَذَلٍّ، يُقَالُ سَجَدَ، إِذَا تَطَامَنَ، وَكُلُّ مَا ذَلَّ فَقَدْ سَجَدَ³.

الفرع الثالث: تعريف الخطاب المسجدي.

ومن خلال ما ذكرناه في بيان معنى الخطاب وكذلك المسجدي، يتبين لنا معنى الخطاب المسجدي، ويمكن أن نضع له تعريفا وهو:

الخطاب المسجدي هو الكلام الموجّه من القائمين على المساجد إلى غيرهم من جماهير المسلمين في بيان ما ينفعهم في الدارين عبر وسائل مختلفة، بقصد إصلاح أحوال أفراد الأمة في سائر مجالات الحياة.

المطلب الثاني: مزاي الخطاب المسجدي ووسائله.

الفرع الأول: مزاي الخطاب المسجدي وخصائصه.

* أَنَّ مَصْدَرَهُ رَبَّانِي: فالخطاب المسجدي يستمدّ روحه وقوته من كونه رَبَّانِي المصنوع فكل ما فيه من التوجيهات قد دلت عليها أحد مصادره التي يرجع إليها (القرآن الكريم والسنة النبوية)، وهذا ما يجعله بعيدا عن الوقوع في التناقضات، ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]

فالخطاب المسجدي وإن كان قد يعتريه الخلل ويتخلله الضعف في بعض الحالات إلا

¹- ينظر: المخصص (66/4)، لسان العرب (204/3).

²- ينظر: جوهرة اللغة (447/1)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (485/2)، لسان العرب، (205/3).

³- مقاييس اللغة (133/3).

أن هذا النقص لا يدخله إلا من جهة وسائله وطرقه، لأن أصله ومصدره معصوم، ومع ذلك فقد لا يؤثر عليه في مقابل القوة التي يركز عليها بكون مصدر الخطاب ربّاني.

ومن مصادر قوة هذا الخطاب هو أن قصده ليس تحقيق أغراض شخصية ترجع على الخطيب، وإنما الهدف منه هو تحقيق العبودية لله ونيل رضوانه.

* **الشمولية:** فمن مزايا الخطاب المسجدي أنه يشمل كل مجالات الحياة المختلفة وليس خاصا بمجال دون آخر، فكما أنه يهتم بإصلاح الفرد وتزكيته فإنه يسعى إلى إصلاح الأسرة والمجتمع، والاقتصاد والسياسة... وغيرها، ويرجع شمول هذا الخطاب إلى شمولية مصدره وهو الشريعة الإسلامية، ويظهر هذا الشمول كذلك من جوانب أخرى، وفيما يلي بيان أبرزها:

✓ أن الخطاب المسجدي قد مزج بين تحريك الرُّوح بالدعوة إلى الإيمان بالله والخضوع له وإقناع العقل بالحجج والبراهين المختلفة، ومنه انقياد القلب ودفع الجوارح إلى فعل الطاعات واجتناب المعاصي والمنكرات.

✓ أن الخطاب المسجدي دعوته ليست خاصة بالجانب السلوكي والأخلاقي فقط، وإنما يشمل حتى الجانب الاعتقادي، فهو يسعى لبناء الفرد من جهته ما يجب أن يعتقده في الله، وما يجب أن يتخلق به مع الناس.

✓ أن الخطاب المسجدي لا تقتصر دعوته على بيان علاقة العبد بربه، وإنما تشمل بيان علاقة العبد بالعبد.

* **أنه يجمع بين الرغبة والإلزام:** فأما الرغبة والباعث الأول الذي يدعوا الإنسان إلى التأثر بالخطاب المسجدي هو حاجته الشديدة إلى التدين ومعرفة أحكام دينه، وهذه الحاجة في مرتبة الضروري وقد تفوق حاجته إلى الطعام والشراب.

وأما باعث الإلزام، فيظهر في فرضية شهود الجمعة والترغيب الشديد في الاستماع إلى الخطبة والحث على التبكير إليها، والنهي عن كل ما يُشغل الناس عن الالتحاق بها أو التّخلف عنها، والتشديد في الأحكام المتعلقة بها، وكذلك وجوب شهود الصلوات المفروضة وإقامتها في المساجد... وغيرها.

* **أنه يستهدف كل فئات المجتمع:** فالخطاب المسجدي مُوجّه لكل أفراد المجتمع صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم متعلمهم وجاهلهم، وهذا ما يجعل منه أحد أهم الوسائل التي تحقق الإصلاح في المجتمع وذلك راجع إلى كونها تَبْلُغ كل الأفراد على اختلاف

مستواهم الثقافي والاجتماعي.

* أنه يكون في مكان مُقدّس وحرمته شديدة: وهذا ما يجعل الخطاب المسجدي أكثر تأثيراً، لكون المستمع يتلقاه في مكان مقدس، فيكون حينها مطمئن القلب، ساكن الجوارح، في أعلى درجات الاستعداد والخشوع.

* الدورية والاستمرارية: فالشيء إذا استمر ودام زاد نفعه، وكان أبعد عن إلحاق الملل، ولذا وجّه النبي ﷺ إلى الاقتصاد في العمل حتى يكون ذلك سبيلاً إلى المداومة عليه والاستمرار فيه وعدم الانقطاع عنه فقال عليه الصلاة والسلام «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»¹.

إنَّ من خصائص الإنسان وطبائعه أنَّ إرادته تضعف إذا لم يحصل لها التذكير وقد أمر الله تعالى نبيه بالتذكير والموعظة لأنها أحد الوسائل التي ينتفع بها المؤمن، قال تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55] لأنَّ التذكير والموعظة تنتفع به القلوب المؤمنة وتزداد بها إيماناً وبصيرة.²

فالخطاب المسجدي وإن كان فيه تذكيرٌ بالله، إلا أنَّه ليس بشكل يومي لكيلا يورث الملل في نفوس السامعين، ولا يكون كذلك في فترات متباعدة؛ لأنَّ ذلك يورث الجفوة والقسوة في القلب، فكما أنَّ كثرة المواعظ وترددها يورث السآمة في النفوس، فإنَّ البعد عنها يورث القسوة في القلوب، ومن مزايا الخطاب المسجدي أنه وسط بينهما فلا هو بالكثير الممل ولا هو بالبعيد المُخل.

ولذا كان من هديه ﷺ أنه يتعاهد الصحابة بالموعظة مراعيًا في ذلك أوقات نشاطهم، لكيلا يدخلهم الملل وتغلبهم السآمة فلا يتحقق النفع منها، فعن ابن مسعود قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ؛ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»³.

الفرع الثاني: وسائل الخطاب المسجدي.

يستعمل الخطاب المسجدي عدة وسائل، وقد تطورت عبر العصور ومن أهمها في زمننا اليوم ما يلي:

¹- صحيح مسلم (1/ 541).

²- ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (5/ 374)، تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (17/ 55)، تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (5/ 151)، تفسير ابن كثير (7/ 396).

³- صحيح البخاري (1/ 38).

✓ **الخطبة:** وهي ما يُلقيه الخطيب من الكلام المتوالي المتضمن للوعظ والتذكير بهدف ترغيب الناس أو ترهيبهم وإصلاح شؤونهم المختلفة¹

أو هي ذلك الكلام المنتثر الذي يمتاز بوقدة العاطفة، ورجاحة الفكر، وسمو المعاني، وحسن السبك، وروعة البيان، وصدق اللهجة، وجمال المنطق، وعمق التأثير، وقوة الحجّة، يتوجه به المتكلم إلى الجمهور المستمع له قاصدا إقناعه بقوله واستمالته إليه² وهي على أنواع: أهمها خطبة الجمعة وتعتبر من أهم الوسائل التي يركز عليها الخطاب المسجدي، وذلك نظرا لتكررها، وكذلك خطبة الاستسقاء والعديد عند الحاجة...

✓ **الدروس:** هي موعظة قصيرة تُلقى أمام جمعٍ قليل من النَّاس، تختلفُ عن الخطبة والمحاضرة من ناحية الحضور ومن ناحية الأسلوب، فلا يُشترط فيه رفع الصوت، ولا براعة استهلال³.

أو هي: هو دعوة إلى الله بالكلمة عن طريق حلقة تُعقد مع عدد من الناس حضروا إلى من يدرّس قصدا، وهو وسيلة من وسائل تفتيقه الناس في أمور دينهم ودنياهم⁴

✓ **المحاضرات:** فهي ما يتم فيها تناول موضوع معين إعدادا علميا موثق، لتحقيق هدف أو أهداف معينة ومحددة بأسلوب علمي عقلي بعيد عن العاطفة، تحتشد فيه الأدلة والبراهين والمناقشات والنتائج⁵.

المطلب الثالث: مُعيقات التأثير في الخطاب المسجدي.

الفرع الأول: ما يتعلق بالمخاطب (الإمام).

وسنورد أهم ما يكون وراء ضعف التأثير من وراء الخطاب المسجدي، والذي يكون متعلقا بأهم ركن من أركان الخطاب وهو الإمام الذي يخاطب المجتمع من داخل المسجد.

* **انعزاله عن الناس وتحاشي مخالطتهم:** فانقطاع الإمام عن الناس والنفور من

¹- استفدت هذا المعنى من <https://sotor.com> ، بتاريخ 2023/03/20م، على الساعة: 19:20

²- خصائص الخطبة والخطيب، نذير محمد مكتبي، ص55.

³- ينظر: <https://www.alukah.net> تم الاطلاع عليه يوم 2023/03/20 على الساعة 22:10.

⁴- فقه الدعوة إلى الله، على عبد الحليم محمود، مصر، دار الوفاء، ط2، 1411هـ-1990م، (1/176).

⁵- الخطاب الدعوي المعاصر وموانع الاستجابة السلوكية عند الفرد المسلم-دراسة نظرية ميدانية-، فيروز صوالحي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، دعوة إسلامية، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص49.

مخالطتهم وعدم السؤال عن أحوالهم وإعانة محتاجهم ومواساة حزينهم وزيارة مريضهم...، قد يؤدي إلى النفور منه وعدم قبول كلامه أو وعظه وتوجيهه، بل إن ذلك قد يؤدي إلى جهله بأحوال المجتمع الذي يسعى في إصلاحه والتأثير في أفرادهِ.

* جهل الإمام وعدم اطلاعه على كثير من أعراف المخاطبين: فالذي يسعى للإصلاح لا بد أن يكون على علمٍ بأعراف من يوجه لهم الخطاب، فإذا كان في هذه الأعراف خروجاً عن الشرع حرص على تقويمها بالحكمة والموعظة الحسنة وإرجاعهم إلى جادة الصواب، وإن كان في أعرافهم ما لا يتعارض مع الشرع فإنه يحرص على الالتزام بها ومراعاتها والحث على التمسك بها.

وينبغي للخطيب أن يحيط علماً بهذه الأعراف سواء ما كان منها قولياً أو فعلياً فإن لذلك أثراً بالغاً في حسن التأثير واستمالة السامعين، وذلك لشعورهم بأن الذي يخاطبهم هو واحد منهم، يشعر بما يشعرون ويواجهه ما يواجهون، هذا إضافة إلى أن العرف يعد أحد الأصول الشرعية التي تُؤسس عليها الأحكام ولا يليق بالخطيب أن يجهلها، وقد أسند لها الشارع الحكيم بعض الأمور وخاصة ما يتعلق منها بالجانب الأسري والاجتماعي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعِظْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 06].

* العمل بخلاف القول: أن تجد الإمام بعيداً عن تحقيق التقوى والعمل بما يليق به على الناس في خطابه، فإذا خالف فعله قوله فإن ذلك سيضعف التأثير في نفوس المخاطبين.

ولذلك عاب الله وعيّر على بني إسرائيل صنيعهم في مخالفة فعلهم لقولهم، فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 44]، لأنهم كانوا يأمرُونَ الناس بالصوم والصلاة، ويدعون العمل بما يأمرُونَ به الناس... فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة¹ حتى ينقاد له الناس، ولذا فإن مخالفة الداعي لما يدعوا إليه يعتبر أحد المعوقات التي تمنع المُخاطَب من الاستجابة لما يدعوه إليه المُلقِي.

¹- تفسير الطبري جامع البيان (8/1).

* فعل المحرمات أو عدم التورع عن الوقوع في الشبهات: فإذا كان الإمام غير متورّع عن الشبهات ومنهمك فيها وغير مجانب لها، فهذا يفضي إلى سقوطه من أعين الناس وعدم الوثوق فيما يقوله ولو كان صواباً؛ لأن تأثير الفعل أبلغ من تأثير القول والإمام هو القدوة والأسوة الحسنة بينهم.

* أن يكون في الإمام خفة في العقل أو بعض الطّيش: فالإمام هو أحد أفراد المجتمع وقد توجد فيه بعض الصفات التي تكون في الناس فليس هو بالمعصوم المبرّء عن كل عيب ونقص، فإذا وجد فيه بعض الصفات التي تؤثر في قبول خطابه عند الناس فعليه أن يجتهد في تقويمها، وإن لم يكن ذلك جاز عزله.

لأن مثل هذه الصفات لا تليق بمقام الإمام وقد تضعف تأثير خطابه في نفوس المخاطبين.

* ضعف التكوين والتّمكّن العلمي: فقلّة الزّاد وعدم الحرص على تطوير المهارات وتعلمها من خلال البحث المستمر والمتواصل عن آليات الإقناع ووسائله وسبله المؤدية إليه. وكذلك النقص البين الذي يظهر على القائمين بالخطاب المسجدي في بعض التخصصات الشرعية كالعقيدة والسيرة النبوية أو الفقه وأصوله وعلم الحديث... وغيرها.

* غلبة الوظيفة على الرسالة: وهذا ما يغيّب في الإمام روح الإصلاح وحمل همّ الدعوة إلى الله، ولذا يجب أن يكون مقصود الداعية إلى الله هو محاولة إصلاح أحوال من يخاطبهم فيما يعتقدونه فيصح ما وجد فهم من عقائد منحرفة وباطلة ويدعوهم إلى توحيد الله وتحقيق العبودية له، وفي سلوكهم فيصح ما وجد فهم من مساوئ الأخلاق والعادات وذلك بدعوتهم إلى الأخلاق الحميدة، وفي كل شؤونهم حتى يستقيم لهم العيش وتطيب لهم الحياة.

وهذا الهمّ الإصلاحي هو الذي كان يحمله الأنبياء والمرسلون، ومن ذلك قول نبي الله شعيب لقومه كما قال تعالى ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88] فَكَانَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُمْ إِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ مِنْ حَالِي أَنِّي لَا أَسْعَى إِلَّا فِي الْإِصْلَاحِ وَإِزَالَةِ الْفَسَادِ وَالْخُصُومَةِ، فَلَمَّا أَمَرْتُكُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَتَرْكِ إِيدَاءِ النَّاسِ، فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ دِينُ حَقٍّ وَأَنَّهُ لَيْسَ غَرَضِي مِنْهُ إِيقَاعُ الْخُصُومَةِ وَإِثَارَةُ الْفِتْنَةِ، فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ أَنِّي أَبْغَضُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ وَلَا أَدُورُ إِلَّا عَلَى مَا يُوجِبُ الصُّلْحَ وَالصَّلَاحَ بِقَدْرِ طَاقَتِي، وَذَلِكَ هُوَ

* السعي في إرضاء وكسب كل أطيفاف المجتمع: وإن كان الهدف الذي يرجو أن يحققه كل داعية إلى الله سبحانه وتعالى هو أن تحصل الاستجابة لما يدعو الناس إليه في جميع الجوانب الاعتقادية أو السلوكية، ولكن أن يجعل كل همّه هو نيل رضا الناس، فهذا من أهم أسباب فشل الخطاب؛ لأن الناس لن يجتمعوا على أمر ما وإن كان ظاهراً، وذلك راجع إلى اختلاف عقولهم ومداركهم العقلية، واختلاف ميولاتهم وأهوائهم النفسية، وهذا الاختلاف في الناس سنة كونية جارية في قدر الله كما قال سبحانه ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]

وقد بين الله تعالى لنبيه أن عليه أن يدرك هذا الأمر في دعوته إلى الله وأنه أحد الأمور التي تواجهه في تبليغه للرسالة فلا يحزن ولا يجزع لذلك إذا وجده، فقال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]

الفرع الثاني: ما يتعلق بالمخاطب (أفراد المجتمع)

* انشغال المتلقي: ولذلك فإنه يجب على المخاطب (الإمام) أن يراعي جيداً حال السامعين فإنه قد يوجد فيهم من ذهنه منشغل وغير متنبه ويحرص على استعمال أسلوب لفت الانتباه، وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في أحيان كثيرة منها وصيته لابن عباس رضي الله عنهما في ترسيخ أصول الإيمان بقوله «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»²

أو يكون بإبراز بعض الإشكاليات، أو الإجابة عن بعض ما يعتريه الغموض، أو التوفيق بين ما يظهر تعارضه وتناقضه في أذهان السامعين.

* غلبة الحياة المادية على الإيمانية: فالغفلة عن حقيقة الحياة الأخروية والتعلق

¹- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (18/389).

²- سنن الترمذي (4/667).

بالحياة الدنيوية والانعماس في ملذاتها، يعد من أهم الأسباب التي قد تضعف التأثير في المتلقي، ولو كان هذا الخطاب في أعلى مراتب التأثير يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]

* اتباع الأهواء وتمكنها من القلوب: ولذا فإنه قد يستوفي الإمام والخطاب الذي يليقه كل شروط التأثير، ولكن لتمكن الأهواء في قلوب بعض المخاطبين قد لا يؤدي الخطاب دوره ولا ينتج عنه أثره وذلك ليس بسبب قصور في الخطاب، وإنما بسبب عدم قبول المحل لهذا الخطاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥ خَسَرَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 6-7]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَزَّتْ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: 136].

* وجود البدائل المعرفية الموازية: وفي ظل ما يتلقاه المخاطب من الخطابات الكثيرة والمتنوعة عبر الوسائط المعرفية المختلفة للانترنت، والذي قد يجد فيها ما يتناسب معه وما يعتقده، فإن ذلك قد يؤدي إلى غياب اهتمام المتلقي بالخطاب المسجدي الذي يسمعه، وخاصة إذا اقترن ذلك بضعف في هذا الخطاب.

الفرع الثالث: ما يتعلق بالخطاب.

* ضعف الخطاب: وذلك راجع إلى:

✓ اللغة المستعملة في الخطاب معقدة ومن طبقة عالية أو قد يكثر فيها استعمال اللهجة العامية.

✓ التكرار وعدم الشمولية في التطرق للمواضيع.

✓ تغليب الاعتماد على نوع واحد من الحجج، وعدم المنج بينها، فالقرآن الكريم مع أنه حجة شرعية ولكنه مع ذلك استعمل العديد من الحجج العقلية لمناقشة العقائد الباطلة وخاصة فيما يتعلق بأصول العقائد.

* النمطية وعدم التنوع: إن التزام الخطيب لأسلوب واحد في كل ما يتطرق له من مواضيع على اختلافها، أو اعتماده في خطابه على الترهيب فقط، أو الترغيب فقط، قد يلحق به الملل، ويغرس السآمة في نفوس المخاطبين، ولذلك يجب على الخطيب أن يمزج

بين الأساليب وينوع فيها بحسب ما تقتضيه الأحوال والمناسبات.

وقد كان القرآن الكريم يعدد الوسائل في دعوته، فتارة يرغب في فعل الشيء على اعتبار أنه سبيل المؤمنين وأن الله يرضى على فاعله، وتارة يرهب من فعل الشيء على اعتبار أنه من أفعال الكافرين وأن الله يسخط على فاعله، وتارة يناقش بالدليل العقلي وتارة يثير العاطفة في النفوس...

* الغموض وعدم الوضوح: وقد يأتي هذا الغموض من جانبين:

من جهة الموضوع: إذ أن الخطيب يدخل في بيان تفاصيل الموضوع دون أن يبين معناه، فهذا من شأنه أن يولد تصورا خاطئا عن الموضوع في أذهان السامعين مما يترتب عليه أحكاما خاطئة، ولذلك كان أسلوب القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية هو إخراج المعاني الخاطئة من أذهان السامعين ثم يتلوها ببيان المعنى الصحيح ومن ذلك قوله تعالى في بيان المعنى الحقيقي للبر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْإِنْسَانَ السَّيْلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَبِعِنِ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة 177]

وكذلك قوله ﷺ في شأن بيان حقيقة الفلَس «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»¹.

وقد يدخل الخلل من جهة أن الموضوع أعلى من فهم السامعين أو أغلبيهم، وعلى هذا فإن المخاطب قد يسيء من حيث إرادة الإحسان فيشوش على المخاطبين ولا يحصل له ما أراد تحقيقه من النفع أو التوجيه، ولذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتَجِبُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»²

من جهة وصوله إلى المخاطب: فضعف صوت الخطيب، أو وجود لكنة في لسانه أو

¹- صحيح مسلم (8/18).

²- صحيح البخاري (1/59).

خللا بيّنا في نطقه للحروف، أو ضعف زاده اللغوي ووقوعه في الأخطاء التركيبية أو الإعرابية، قد يكون سببا في ضعف تأثيره، وعلى هذا فإن موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله أن يرسل معه هارون لأنه أفصح منه لسانا قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص:34].

لأن الإلقاء هو فن يحتاج صاحبه حتى بلوغ درجة الإتقان إلى دُرية ورياضة، وفيه يجمع المُخاطب بين حسن اختيار الموضوع والبلاغة في العبارة والتنوع في طرق النطق بالكلمات والجمل بحسب ما يتناسب مع المعاني التي تحملها، ومصاحبة الإشارة لها. فالإشارة تصاحب اللفظ في بيان ما يلقيه الخطيب من المعاني بل قد تُغني عن اللفظ أحيانا، ولا ينبغي له الإكثار منها لكيلا تخرج الخطبة عن مقصودها.

* غياب الدافع الذاتي أو المجتمعي: وذلك لأن الخطاب الذي لا تدفعه الإرادة والإخلاص، كالجسد بلا روح، فتلك المعاني التي تحملها الألفاظ لا يتحقق نفع المخاطب بها إلا أن يشعر بأن الخطيب يحمل همّ ما يتكلم فيه من المواضيع، «وهذا مُشعر بأن الواعظ حقّه أن يكون منه في وعظه بحسب الفصل الذي يتكلم فيه ما يطابقه، حتى لا يأتي بالشيء وضده ظاهر عليه»¹.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ. حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ. وَيَقُولُ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرَأُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى...»²

وكذلك فإن الخطيب إذا تكلم في مواضيع لا تهمّ المجتمع أو لا تشتد الحاجة للكلام فيها لعدم وجود دواعيه، فإن ذلك يكون من أهم أسباب عدم تأثير الخطاب في المُتَلَقِّينَ، إذ أنّ النفوس جُبِلت على الإصغاء لما يُهمُّهم من الكلام والتغافل عما لا يهمُّهم، فليس من الحكمة أن تنتشر في المجتمع جريمة السرقة أو الزنا أو يتأهب الناس لدخول شهر رمضان والخطيب يتكلم في بيان أحكام الحج أو خطر الظلم....

وقد كان من هديه ﷺ مراعاة المناسبات في بيانه لأحكام ما يطرأ على حياة الناس ويقع لهم حوادث، فلَمَّا مَاتَ إبراهيم، قَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا

¹- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (2/ 506).

²- صحيح مسلم (11/3).

رأيتهم فصلوا وادعوا الله»¹.

* طول الخطاب أو قصره: فيجب على الخطيب أن يبتعد عن إطالة الكلام والإطناب فيه، بل يكتفي بقليل الكلام عن كثيره، حتى يتمكن المستمع من إدراك ما يلقي عليه منه ويسهل عليه فهم معانيه، إضافة إلى أن الاسترسال في الموعظة إلحاق التعب بالخطيب والسماع على حدّ سواء، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا فقال: إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقَصَرَ خُطْبَتِهِ، مَبْنِيَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ. فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ. وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا².

وكذلك لا ينبغي للخطيب أن يوجز في خطبته إلى حدّ يعجز فيه المستمع عن الفهم، أو يمتنع فيها عن التطرق لبعض المواضيع التي تهّم مجتمعه، فأمر طول الخطبة وقصره لا يستند إلى حدّ معين أو مقيد بزمن محدد وإنما يرجع إلى اعتبارات منها نوع الموضوع، والمخاطبين، والمناسبة، وقدرة الخطيب...

الفرع الرابع: معوقات خارجة عن الخطاب.

* القيام بممارسات توجيهية أثناء إجراء عملية التوظيف: الغاية منها هو تحقيق الولاء للجهة الموظفة وليست الغاية هي الحرص على أداء الخطاب المسجدي دوره والنظر إلى مصلحة أهل المسجد، وكم من طلبية للعلم قد بلغوا فيه مبلغا معتبرا ولهم من التقوى والسّمت الحسن والأخلاق الفاضلة ما يؤهلهم إلى القيام بالإمامة ولكن حُرّموا بسبب هذه الممارسات، وبالوجه المقابل قد تأهّل للإمامة من لا علم له ولا سمت، وما نراه في واقعنا وفي مساجدنا شاهد على ذلك.. وهذا الأمر يؤدي إلى ضعف تأثير الخطاب المسجدي وذلك نظرا لضعف من يقوم به.

المطلب الرابع: وسائل تطويره.

فمنها ما يتعلق بالاختبار والتأهّل لأداء هذه الرسالة العظيمة، ومنها ما يتعلق ببعض الإجراءات الإدارية والتي يظهر فيها معنى التعسف والاستعلاء

✓ أن يعتقد الإمام بأن الإمامة رسالة وليست وظيفة يتقوّت منها؛ وذلك بأن يستحضر الداعية إلى الله بأنه كالنبي في قومه غير أنه لا يوحى إليه، فعليه أن يتخلق بالصبر على الأذى، وأن يخلص لله في دعوته حتى يتحقق النفع، وعليه أن يحرص على أداء ما يحمله من رسالة، ولعظم شأن أداء هذه الرسالة فإن الله لم يعذر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

¹- صحيح البخاري (1/354).

²- صحيح مسلم (3/12).

وَسَلَّمَ في ترك تبليغ الرسالة إليهم، وإن خاف على نفسه الهلاك، ... ولم يبح له ترك تبليغ الرسالة وإن خشي على نفسه الهلاك؛ ذلك - والله أعلم - أن تبليغ الرسالة تتعلق باللسان دون القلب، والإيمان تعلقه بالقلب دون اللسان؛ فإذا أكره على الكفر أبيح له التكلم به بعد أن يكون القلب على حاله مطمئناً بالإيمان. وأما الرسالة: فلا سبيل له أن يبلغها إلا باللسان؛ لذلك لم يبح له تركها وإن خاف الهلاك»¹.

✓ مراعاة التقارب بين الإمام والمخاطبين: في البعد الاجتماعي (الأعراف، المسافة، اللهجة، البيئة...)، فكما أن المفتي يجب عليه مراعاة أعراف المستفتين القولية منها وخاصة ما يتعلق منها بالأيمان والزواج والطلاق... والفعلية وخاصة ما يتعلق منها بالمعاملات المالية...، وكلما كان أكثر إحاطة بها كانت فتواه أدق وأقرب إلى الصواب، فكذلك الإمام عليه أن يخاطب المستمعين بما يفهمون وإن من أهم ما يحصل به الفهم الصحيح هو أن يكون ويقع الخطاب بلسانهم، وفي أحيان بلهجتهم، ولبيان أهمية هذا الأمر ومكانته وأثره البالغ في نفوس المخاطبين فقد بين الله تعالى بأنه ما من نبي أرسله إلا كان منطقته بلسان قومته الذي يقع به الفهم ويتحقق به البيان الذي تقوم به الحجة عليهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيَتَّبِعَ لَهْمُ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 04]

ولأنه إذا كان بلسانهم يكون ألف وأقرب إلى القبول؛ من غير لسانهم؛ إذ كل ذي نوع وجنس يكون بجنسه ونوعه ألف من غير نوعه وجوهره؛ وهو كقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: 09]، إذ ليس في وسع البشر رؤية الملك والنظر إليه على ما هو عليه، فعلى ذلك: كل ذي لسان يكون بلسانه أفهم وأقرب للقبول وألف من غيره²

✓ السعي في تكوين الأئمة: ويجب أن يكون هذا التكوين مستمرا وغير منقطع، حتى يضمن لنا قرب الإمام من المجريات التي تدور حوله والوقائع التي تتسارع في هذا العالم، فلا يكاد يخلوا هذا العالم من حصول التغيرات في جميع الميادين، والإمام المطلع على كل ما يستجد من أمور وحوادث يكون أبصر بحقائقها، ورؤيته للمواضيع تكون أكثر دقة وأبعد نظرا، إضافة إلى قدرته على الترغيب فيها أو التحذير منها، وهذا ما يقوّي تأثير

¹- تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (3/ 557).

²- المرجع نفسه (6/ 362).

خطابه في قلوب المخاطبين.

✓ مراعاة الكفاءة العلمية.

✓ منح الإمام فرصة أوسع وصلاحيات أكبر: وذلك من خلال عدم رهنه وقصر عمله على أداء الصلوات داخل المسجد فقط، وإنما له أن يشارك في قضايا التي تهم مجتمعه ويكون ذلك تحت غطاء قانوني كأن يلزم في تقديم مسائل المنازعات وخاصة من يتعلق منها بجانب الأسرة إلى التحكيم، والذي يرأسه إمام المنطقة التي يسكنها المدعي أو المدعى عليه، وهذا الأمر هو نوع من التشهير الخفي، والذي يستعمل كأحد الوسائل العقابية لحصول الردع قصة الصحابي الذي أشار عليه النبي ﷺ بأن يخرج متاعه من المنزل ويُعلم الناس بإيذاء جاره له.

وكم من مشكلات أسرية دامت طويلاً وأصحابها يترددون على المحاكم ولم يجدوا منها مخرجاً، وعندما تدخل الإمام في حلّها وعقد الصلح بين أطرافها تمّ ذلك في مجلس أو مجلسين.

ويرجع هذا التأثير للإمام من جهة مكانته في نفوس المخاطبين، ولذلك لا بد من السعي والحرص على الارتقاء بمنصب الإمامة في المساجد وجعله لا يقل أهمية عن القضاة في المحاكم، بل هو أرقى وأعظم في نفوس الناس، ولولا أنّ المحاكم يقاد لها الناس جبراً وتحت قوة القانون لما استدار إليها أحد.

ولما غاب دور الخطاب المسجدي عن أداء دوره المنوط به، وفي غياب السلطة الأخلاقية التي يحتكم إليها أفراد المجتمع وفقدان الأسوة، لجأ الناس إلى نقل ما يوجد من مشكلات صغیرها وكبیرها إلى المحاكم مما أثقل الأمر أكثر على القضاة وتسبب في التمكين لأهل الشر والفساد على حساب أهل الخير والإصلاح.

الخاتمة

وبعد أن ذكرنا في هذا البحث أهم ما يتعلق بالخطاب المسجدي من ذكرٍ للخصائص والمعيقات وسبل التطوير، نخلص في الأخير إلى ذكر أهم النتائج فيما يلي:

1. يعتبر الخطاب المسجدي من أهم وأصعب أنواع الخطاب وأخطره في آن واحد: فأما أهميته: فتظهر من خلال أنه يستهدف خطابه كل فئات المجتمع على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم الفكرية وقدراتهم العقلية وتوجهاتهم الاعتقادية.

وأما خطره: فيتمثل في أنه من أسرع أنواع الخطاب تأثيراً وأقدها على التغيير في المجتمع، ولذلك فكل خلل يقع في هذا الخطاب قد ينتج عنه أثر بالغ.

2. أن الذي يتولى الخطاب المسجدي يجب أن يكون على قدر عال من العلم والتقوى وحسن المعاملة والأخلاق.

3. أن تأثير الخطاب المسجدي مرتبط أساساً بمن يقوم به.

4. يرجع ضعف تأثير الخطاب المسجدي إلى ضعف دور المساجد حيث انكمشت وظيفتها واقتصرت على أداء الصلاة فقط.

5. نجاح وتأثير الخطاب المسجدي مرهون بنجاح أركانه الثلاثة: إمام كفاء، وخطاب فعال ومتّزن، ومستمع واع.

6. أن عدم حصول الاستجابة للخطاب المسجدي ليس بالضرورة يرجع إلى ضعف في المُخاطب أو نوع الخطاب، بل قد يكون بسبب المُخاطَب.

7. أنه من أهم معوقات تأثير الخطاب المسجدي هو تعدد مصادر تلقي المعارف والقيم وعدم انحصارها في المسجد، وكذلك امتزاج النفوس بالأهواء.

التوصيات:

إن أهم ما يوصى به في هذا المقام من أجل تطوير الخطاب المسجدي لتحقيق المقصود منه ما يلي:

1. إعادة النَّظَر في شروط تَوَلَّى منصب الإمامة من حيث الصفات المؤهِّلة وكذا الكفاءة العلميَّة.

2. ضرورة إنشاء معاهد للقيام على التكوين الدوري والمستمر للأئمة، وذلك في كل ولاية وإن أمكن في كل دائرة.

3. السعي في إعداد من يتصدر للخطابة والوعظ والإرشاد، وذلك من خلال إجراء تدريب عملي عليها في الكليات المعنية - أصول الدين، الشريعة، ... وغيرها - طوال فترة الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت:538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط:1، 1419هـ-1998م.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1403هـ-1983.
- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تفسير ابن كثير - ط العلمية.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، لام، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:1، 1422هـ-2001م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت:333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1426هـ-2005م.
- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، لاط، دت.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط:2، 1384هـ-1964م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط:1، 1987م.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت:926هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط:1، 1411هـ.
- خصائص الخطبة والخطيب، نذير محمد مكتبي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط:4، 1426هـ-2005م.
- الخطاب الدعوي المعاصر وموانع الاستجابة السلوكية عند الفرد المسلم-دراسة نظرية ميدانية-، فيروز صوالحي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، دعوة إسلامية، 1430-1431هـ/2009-2010م.
- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلي، القاهرة، دار الشرق، ط:3، 1407هـ-1987م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت:279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط:2، 1395هـ-1975م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط:4، 1407هـ-1987م.

- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة، ط:5، 1414هـ-1993م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان وآخرون، تركيا، دار الطباعة العامرة، لاط، 1334هـ.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، لام، دار ومكتبة الهلال، لاط، دت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (ت: 711هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، بيروت، دار صادر، ط:3، 1414هـ.
- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1406هـ-1986م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:1، 1417هـ-1996م.
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: 350هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، القاهرة، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، لاط، 1424هـ-2003م.
- معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي، طه أحمد الزيدي، الأردن، دار النفائس، ط:1، 1430هـ-2010م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، لام، دار الفكر، لاط، 1399هـ-1979م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:3، 1420هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت: 656هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، ط:1، 1417هـ-1996م.
- <https://www.alukah.net> تم الاطلاع عليه يوم 2023/03/20 على الساعة 22:10.
- <https://sotor.com> ، بتاريخ 2023/03/20م، على الساعة: 19:20
- فقه الدعوة إلى الله، على عبد الحليم محمود، مصر، دار الوفاء، ط:2، 1411هـ-1990م.

المسجد في الإسلام

رسالته الحضارية، وأثرها في رسم معالم فقه الاستنهاض

د/زيان سعدي

مخير الدراسات الفقهية والقضائية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)
saidi-ziane@univ-eloued.dz



مقدمة

كان المسجد ولا يزال المؤسسة الأولى والفضاء الواسع الذي ينتظم أدوارا كثيرة ويضطلع بوظائف متعددة. فهو المكان القدس الذي تؤدي فيه أعظم شعيرة تصل العبد بربه تعالى، وهو الجامعة التي تعقد فيها مجالس العلم ودروس الوعظ والإرشاد، وهو الملتقى لأهل الرأي وأصحاب القرار-أهل الحل والعقد- والتشاور في شؤون الجماعة وحفظ النظام فيها، وهو الموئل لأصحاب الحاجات والمفزع لهم لسد خللهم وقضاء حاجاتهم...

وفي الجملة، فإن المسجد في الإسلام يعتبر محور الحياة في المجتمعات الإسلامية بجميع تشعباتها، الدينية والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعسكرية... الخ.

وقد ارتبطت هذه الوظائف في تاريخ الأمة الإسلامية على اختلافها بالمسجد ارتباطا الصلابة به. فكما أنه لا مسجد بلا صلاة كما يقول شيخنا ابن باديس رحمه الله تعالى، كذلك لا مسجد بلا تربية، وبلا تعليم، وبلا رعاية ولا تخطيط ولا تنظيم في سائر الميادين.

وهذه الصلة المتلازمة بين المسجد ومختلف أبعاد الوظائف والأدوار التي اضطلع بها المسجد، هي التي مكنت من إيجاد أمة قوية شاهدة على غيرها بحضورها الإنساني، حيث قدمت للبشرية دلائل صدق واقعية على هذا الشهود الحضاري. فالأبطال وأصحاب المآثر وذوو الأيادي البيضاء على الإنسانية من أطباء، وعلماء، ومخترعين، ودعاة وقادة، وحكام، ومصلحين ومربين، نشأوا في المساجد، وارتبطت سيرتهم ومسيرتهم بالمسجد ارتباطا الروح بالجسم.

وإنما ضيعت الأمة شهودها الحضاري وتخلفت عن ركب الأمم لما ضيعت طريقها إلى المسجد الذي كان ولا يزال سرج أفكارها ومصباح أنظارتها. ولا يمكن لأمة لن تنهض وهي

غارقة في ظلمات الغفلة عن الفكر وغيابات إهمال النظر.

ولذلك كان أول الأعمال مبادرة إليها في قاموس الإصلاح والانتصار، بعث رسالة المسجد وإحيائها. فأول بناء بناه النبي ﷺ بعد هجرته المسجد، بناه قبل أن يبني بيته، وأول مكان يتفقده ويزوره بعد سفره وغيبته هو المسجد، وهذا الهدى النبوي يحمل معه رمزيات كثيرة، هي دلائل واضحة على قيمة المسجد ومركزيته في الانبعاث الحضاري للأمة الإسلامية وشهودها على غيرها.

وبالمقابل، كل محاولة للبحث بهذا الدور في البناء الحضاري للمسجد ولو كان عن طريق المسجد أيضا وبواسطة حمل اسم المسجد، فحكمه الهدم والنقض كما فعل النبي ﷺ مع مسجد الضرار.

ولهذا، فإن هذا البحث يحاول تلمس مظاهر التأثير للمسجد باعتباره محور الحياة في ميادينها المختلفة للأمة الإسلامية ومرتكزا لبناء فقه ينهض بالأمة ويعيد إليها ما ضيعته أو بالأحرى ما سلب منها. فكان عنوان البحث:

" المسجد في الإسلام؛ رسالته الحضارية وأثرها في رسم معالم فقه الاستنهاض."

وهو عبارة عن مداخل للمشاركة في الملتقى الوطني التاسع: "الخطاب المسجدي في واي سوف وما جاورها من: 1962م إلى 2022م" الذي تنظمه كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي- بالتعاون مع مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية.

إشكالية البحث: يمكن صياغة إشكالية البحث عبر التساؤل التالي:

أي دور يضطلع به المسجد من خلال رسالته في المجتمع الإسلامي في إعادة بعث الأمة حضاريا، وتشكيل نسقها الحضاري؟

ويلحق هذا التساؤل: البحث عن مرتكزات البناء الحضاري للأمة الإسلامية وموقع المسجد منها، وطرق تفعيل رسالة المسجد للاضطلاع بهذا الدور في ظل الحرب المعلنة على المسجد ورسالته.

أهمية الموضوع: يمكن أن نحدد جوانب أهمية الموضوع في النقاط التالية:

1- محورية المسجد في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية وعمقه الكبير في تاريخ الأمة الإسلامية الطويل.

2- أهمية المسجد ودوره الريادي قديما وحديثا في الحفاظ على الهوية الإسلامية للأمة وانبعاثها الحضاري.

3- موقع المسجد وأثره في إرساء معالم فقه تحيا به الأمة حضاريا وتؤدي شهادتها على غيرها.

منهج البحث: اتبعت في دراسة محاور هذا البحث، المنهج الوصفي التحليلي، لأن الموضوع له صلة كبيرة بالواقع الاجتماعي والنسق التاريخي للأمة الإسلامية، وحتى نصل إلى عمق الفجوة بين ماضي الأمة وحاضرها لا بد من وصف ومسح شامل لوضعها وحالتها في القديم والراهن وتحليل أسباب الارتقاء والانسحاق الحضاري، ودراسة موقع المسجد ضمن هذه المعادلة، لذلك كان المنهج الوصفي التحليلي أنسب في هذه الدراسة من غيره.

خطة البحث: سوف أتناول هذا الموضوع محاولا الإجابة عن تساؤلات البحث بدراسة المحاور التالية:

المحور الأول: المسجد، الأهمية والرسالة

المحور الثاني: معالم فقه الاستنهاض، وموقع المسجد ورسالته منها

المحور الثالث: بعث رسالة المسجد وتفعيلها: الآفاق والتحديات

المحور الأول: المسجد، الأهمية والرسالة.

1- أهمية المسجد ومكانته في الإسلام: يحتل المسجد في الإسلام مكانة سامية، ترجمتها نصوص شرعية كثيرة، وهي تلتقي كلها حول تحديد المفهوم العام للمسجد في الإسلام، والذي يبرز هذه المكانة والأهمية الكبيرة للمسجد.

فالمسجد في المفهوم العام، هو مقر إعلان العبودية الخالصة لله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] وكل ما خصص للصلاة، فهو مسجد عرفا، وهو ما يبين سر هذه الإضافة التشريفية والتكريمية مع الإشعار باختصاصها بالله تعالى، أي بعبادته وذكره.¹

وهذا المعنى هو الذي يؤكد قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: 36]. فالصلة بالله تعالى وتوثيق العلاقة به سبحانه، مما اختصت به المساجد على هذا المعنى والمفهوم السابق. ولهذا فإن كل ما

¹ الشنقيطي. أضواء البيان 321/8

يشوب هذا الاختصاص ويعكّر صفوه، مرفوض وممنوع شرعا، فالمساجد ليست مجالا لتداول السلع وبيعها واتخاذها مكانا للتجارة، وفي الحديث: «إذا رأيتم من يبيع، أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أبيع الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا رد الله عليك»¹ والمقصود من الدعاء عليه الزجر عن ذلك لترك تعظيم المسجد². لأن المساجد كما بين الرسول الكريم لم تبّن لهذا، كما جاء في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، وإنما هي لذكر الله تعالى وقراءة القرآن والصلاة.

وقد اعتبر النبي ﷺ المشي إلى المساجد للصلاة والمكث فيها انتظارا لأداء الصلاة بمثابة الصلاة نفسها. وهذا ما يعزز هذا المفهوم العام الذي اختص به المسجد. ففي الحديث: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا»³. قال في الإكمال: "الحديث: أمر بأخذ الوقار والسكينة في السير إلى الصلاة؛ لأن الماشي إليها عامل بعض ما يتوصل إليها به، فهو في عملها وطاعتها وانتظار عملها فهو كمن هو في صلاة، كما جاء في الحديث: "فإن أحدكم في صلاة ما كان يعتمد إلى الصلاة"⁴.

وفي صحيح البخاري: "ولا يزال أحدكم في صلاة"⁵ وفي رواية عن أنس: "أما إنكم في صلاة ما انتظرتموها"⁶

ولهذا كان من هديه ﷺ تأخير العتمة وهي العشاء ليقل حظ النوم وتطول مدة انتظار الصلاة فيكثر الأجر. قاله الخطابي⁷.

بل نجد هذا الاختصاص بالصلاة وارتباطها بالمسجد على معنى التوسعة في معنى المسجد ومفهومه والذي يتجاوز حدود البناء ومعالمه الجغرافية طولا وعرضا إلى كل الأرض إلا ما استثنى منها، كالمقبرة، والحمام، ومعاطن الإبل، وقارعة الطريق وغيرها.

فالأرض إذا حضرت الصلاة كلها مسجد، بل هي بمثابة المسجد الكبير الذي يحوي

¹ رواه النسائي والترمذي وحسنه والشاطر الأخير منه أخرجه مسلم في صحيحه. ج 1 ص 397 انظر. مقبل بن هادي الوادعي. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين 411/2

² ابن ملك. شرح المصابيح 1/ 445

³ متفق عليه من حديث أبي هريرة. انظر. ابن الأثير. جامع الأصول في أحاديث الرسول 637/5

⁴ عياض. إكمال المعلم بفوائد مسلم 553/2

⁵ البخاري 232/1 برقم 620

⁶ البخاري 2203/5 برقم 5531

⁷ معالم السنن 1/ 29

سائر المساجد المتخذة للصلاة. ففي الحديث الذي ورد في بيان خصائصه عليه الصلاة والسلام: «فُضِّلَتْ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»¹. أي موضعا للسجود لا يختص بموضع دون غيره. ويحتمل أن يراد بالمسجد مسجد النبي للصلاة فيكون الكلام تشبيها بليغا.²

ويمكن ان نستجلي معنى آخر من قوله عليه الصلاة والسلام: "وجعلت لي الأرض مسجدا" الرمزية على العناية بأهم فريضة وصلة بين العبد وربّه تعالى، والرمزية أيضا على ارتباط هذه الأمة بالمسجد وحضوره في وجدانها ومشاعرها. وهذا الذي يظهر من تسمية الأرض باسم المسجد.

وليست هذه المكانة التي بوأها المسجد قاصرة على هذه الأمة ورسالتها الخالدة الخاتمة التي بعث بها النبي محمد ﷺ، بل نجد هذه المكانة حاضرة في الرسالات السابقة من خلال موقع المسجد ومركزيته في حياة جميع الرسل وأتباعهم عليهم الصلاة والسلام.

فنجد أن التكليف بإقامة المساجد وعمارتها، خطاب شامل توجه به الله تعالى لجميع الأنبياء والمرسلين" ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125] ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: 26]. وهذا في شأن المسجد الحرام بمكة المكرمة. وفي المسجد الأقصى ما جاء في الأثر: أن الله تعالى أوحى إلى نبيه داود أن ابن لي بيتا. قال: وأين تريدني أبنيه لك يا رب؟ قال: حيث ترى الفارس المعلم شاهرا سيفه. فراه في مكانه الآن، وكان حوشا لرجل من بني إسرائيل³

وقد كان بين المسجدين أربعين سنة كما في حديث عائشة في البخاري.⁴ والمراد تجديد بنائه قاله صاحب الأضواء.⁵

¹ البخاري 128/1 برقم 328

² الحسين بن محمد المغربي. البدر التمام شرح بلوغ المرام 140/2

³ أضواء البيان 324/8

⁴ صحيح البخاري 1231/3

⁵ المرجع نفسه

والرابط بين المسجدين أن تحديدهما كان بوحى أو شبه وحي كما سق. ويشاركهما في هذا الاختصاص مسجد النبي، حيث كان بناؤه كما روي في السيرة في المكان الذي بركت فيه ناقته. وقد كان أمامه مريد لأيتام ومقبرة لليهود، فاشترى المكان ونبش القبور بين المساجد.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 87]. وقد تأول بعض المفسرين البيوت بالمساجد. وفسروا القبلة بأنها قبلة الصلاة أي جهة الكعبة. وقد جاء عن الحسن وان عباس وغيرهما أن الكعبة كانت قبلة موسى وكل الأنبياء.¹

ومن الشواهد الظاهرة على مكانة المسجد وأهميته في ضبط حياة الناس وترسيخ أصول النظام الذي تستقيم به مصالحهم، تصدُر بنائه وتشييده قبل أي بناء وتأسيس آخر. قبل أن يبني النبي ﷺ المهاجر التارك لوطنه ودياره بيتا يؤويه هو وأسرته، بنى بيتا لله تعالى لذكره والصلاة فيه ولإدارة شؤون المسلمين.

وماذا يفرق لو أن النبي ﷺ ابتدأ بناء بيت يأوي إليه ويستتر فيه أهله ويتفرغ بعدُ إلى بناء المسجد. ولكن رمزية هذا الفعل منه ﷺ هي التي عناها هذه الأسبقية والتقديم في بناء المسجد على غيره. فكانه يشير عليه الصلاة والسلام إلى أن البيت الحقيقي لكل مسلم هو المسجد بيت الله تعالى. أما بيته الذي يسكنه والذي هو في ملكه وتحت تصرفه، فهو بيته الثاني. المسجد بيته الأول الذي يتعلق به قلبه وهي عبادة توجب لصاحبها الاستئصال تحت ظل الله تعالى "سبعة يظلهم الله... وذكر منهم ورجل قلبه معلق بالمساجد."²

بل إننا نجد هذه الرمزية في تسبيق المسجد على كل بناء وتشديد، سنته في رجوعه من السفر. فأول ما يبتدئ به أن يذهب إلى المسجد فيصلّي ركعتين. يقول جابر بن عبد الله: "كنت مع النبي ﷺ في سفر، فلما قدمنا المدينة قال لي: ادخل المسجد فصل ركعتين."³ وفي حديث كعب في قصة توبته أن رسول الله كان لا يقدم من سفر إلا نهرا في الضحى، فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين ثم جلس فيه. وقد روي البخاري الصلاة في المسجد

¹ ابن عاشور. التحرير والتنوير 11/266

² صحيح مسلم 3/93

³ صحيح البخاري 3/1112

عند البداية من القدوم في نحو عشرين موضعا.¹

ويوضح الشيخ ابن باديس الحكمة من البداية بالمسجد عند القدوم من سفر فيقول تحت عنوان ماذا كنت أقوم به في كل بلدة: "كنت أزور في الأكثر قبل كل شيء المسجد لأن البداية به هي السنة ولألفت نظر الأمة إلى حرمة المسجد وفضله وأنه هو الأحق بأن يقصد..²"

إن سنته وهديه عليه الصلاة والسلام مملوءة بالشواهد التي تدل على ارتباط المسلم بالمسجد وتعلقه بهذا البناء المقدس الذي أذن الله أن يرفع. فمن ذلك أن النبي ﷺ كان يقعد في مصلاه حتى تطلع الشمس ثم يركع ركعتين، وقد قال ﷺ: "من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الفجر لا يقول إلا خيرا غفر له خطايا"³. وكان من سنته التي يلتزمها كل سبت إتيانه مسجد قباء ماشيا وراكبا فيصلي فيه ركعتين".⁴

ورتب على الغدوة والروحة إلى المسجد الأجر العظيم والثواب الجزيل: "من غدا إلى المسجد، أو راح، أعد الله له في الجنة نزلا، كلما غدا، أو راح".⁵

وجعل الخطوة إلى المسجد حسنة تكتب وسيئة تمحى ودرجة ترفع: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط..⁶"

ورغب في صيانة المساجد وتطهيرها، تقول عائشة: أمر رسول الله ببناء المساجد وأن تنظف وتطيب.⁷ وفي الحديث: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي، فلم أر ذنبا أعظم من آية أو سورة أوتيتها رجل ثم

¹ التنوير شرح الجامع الصغير 436/8

² آثار ابن باديس 317/4

³ سنن أبي داود 461/2 وإسناده ضعيف كما قال الأرنؤوط

⁴ صحيح البخاري 2671/6

⁵ صحيح مسلم 132/2

⁶ صحيح مسلم 150/1

⁷ سنن ابن ماجه 488/1 قال محققه الأرنؤوط: صحيح.

نسبها»¹.

ومن إجلاله لهذا العمل سؤاله عن المرأة التي كانت تقمّ المسجد وحرصه على الصلاة عليها ثم صلاته على قبرها.²

فالمسجد إذن في حياة كل مسلم بيته الأول ومرفقه المفضل الذي يأوي إليه، فهو بيت كل تقي كما جاء في حديث أبي الدرداء.³ فيه يذكر ربه تعالى ويسبح بحمده بالغدو والأصال، ولا أقل من خمس مرات في اليوم والليلة يعذر فيها المسلم - إلا إذا كان من أصحاب الأعذار - إلا أن يأتي المساجد ويقصد بيوته سبحانه للصلاة وذكره.

2- رسالة المسجد في الإسلام:

من السذاجة أن نتصور أن المسجد الذي أشرنا آنفاً إلى مكانته وأهميته، أن يكون مجرد هيكل مادي بشكل هندسي معين، بل المسجد في الإسلام مدرسة ورسالة، جامعة وتوجيه، تربية وتعليم، مصدر إشعاع وهداية. وإذا فرغ المسجد من هذه الوظائف لم يكن هو المسجد المعهود في الإسلام، بل لا يعدو أن يكون مجرد بناء وجدران وإن أنفقت عليه الملايين والمليارات. والمسجد الذي يؤدي دوره ووظيفته في المجتمع هو المسجد المقصود الذي يحتل تلك المكانة في المجتمع الإسلامي. ولعل هذا السر في النهي عن زخرفة المساجد والإسراف على تزيينها. روى أبو داود في سننه عن ابن عباس: "لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى."⁴ وروى البخاري عن عمر أنه أمر ببناء المساجد وقال: أكنّ الناس من المطر وإياك أن تحمّر أو تصفّر.⁵

وهذه السنن المروية عن الصحابة⁶ تأكيد على أن المسجد برسالته ووظائفه وليس بشكله وحجمه وجماله.

والأمم السالفة التي نهينا عن التشبه بها في زخرفتهم لدور عباداتهم، كلهم اعتاضوا عن جمال العقيدة بجمال جدران المعابد، وعن نور الإيمان بأنوار الهياكل حتى جعلوا

¹ سنن أبي داود 346/1 قال محققه الأرناؤوط: ضعيف.

² صحيح البخاري 176/1

³ البيهقي. شعب الإيمان 83/3

⁴ سنن أبي داود 336/1 وهو مخرج في صحيح البخاري أيضا 171/1

⁵ صحيح البخاري 171/1

⁶ أثر ابن عباس موقوف صحيح له حكم الرفع قاله الألباني.

شعائر الدين أشبه باحتفالات الولائم وأقرب لاجتماعات المآدب لشدة ما تلتهم الأذهان بالنقوش والزخارف.¹

ومعنا شاهد صدق على هذا، فإن الذي ربي ملائكة البشر ومؤدبي الجبابرة وملوك الدار الآخرة كما قال الغزالي²، هو هذا البناء الساذج المتواضع، مسجد النبي ﷺ الذي تمّ في أعلى حدود البساطة، فراشه الرمل والحصباء، وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع، بلا أبواب ولا نوافذ، تغدو الكلاب منه وتروح. ولو أنه كان يشبه في بنائه وتشيدته البيوت لما اتخذها الأعرابي مبالا له، ولكنه رأى فيه من البساطة ما أوحى إلى نفسه أنه والفضاء واللا بنیان سواء.

إن المسجد الذي صرف النبي الكريم ﷺ إليه همته في أول عمل قام به بعد الهجرة، يؤسس من خلاله لأركان دولته التي امتدت أنوارها لشرق الأرض وغربها، لم يكن هو البناء المادي، وإنما البناء الروحي الذي شيد فيه النفوس القوية التي استطاعت أن تحمل الرسالة وتتحمل أعباء الدعوة إليها. وفرق كبير أن تبني مساجد ضخمة سامقة لكنها تضم مصليين أقزاما، وبين أن تبني مساجد متواضعة تضم مصليين كبارا عمالقة مثلاً صحيحة للإسلام.

إن مسجد الضرار الذي حاد بُناته عن الدور الأصيل للمسجد في الإسلام، وانحرفوا عن رسالته الجامعة والموحدة، لم يكن له حرمة في الإسلام وزال عنه بحكم الهدم الذي حكم به النبي ﷺ اسم المسجد واستحقاقه. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: 107]

واختصاص المسجد بالصلاة ليس احتكارا لدور المسجد وقصره له على أداء العبادات والشعائر، بل رمزية على عناية الإسلام واهتمامه بأجلّ عبادة وأعظم فريضة يوصل فيها العباد برب العالمين. لأنه لا معنى لأي حضارة تغفل عن الله تعالى وتذهل عن عبادته وتخلط المعروف بالمنكر. ولذلك كان من مقومات الحضارة في الإسلام، البعد الديني -عقائد وشرائع وأخلاق-. يقول الغزالي: "والحضارة الي جاء بها الإسلام تذكّر بالله تعالى وبلقائه وتمسك بالمعروف وتبض في المنكر وتقف على حدود الله تعالى".³

¹ محمد جمال الدين القاسمي. إصلاح المساجد. ص 95

² فقه السيرة. ص 168

³ فقه السيرة. ص 189

ويلخص لنا شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة المسجد فيقول: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك على التقوى: ففيه الصلاة والقراءة والذكر؛ وتعليم العلم والخطب. وفيه السياسة وعقد الأولوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء. وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم."¹

ويمكن أن نحدد في ضوء هذا الكلام لابن تيمية رسالة المسجد إجمالاً في ثلاث رسائل:

- الرسالة الدينية: ربط الناس بخالقهم وصلتهم بالله تعالى. وقد جاء ما يؤكد هذه الرسالة للمسجد في قوله عليه السلام توجيهها وتعليمها للأعرابي الذي بال في المسجد: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا القدر، إنما هي لذكر الله تعالى والصلاة وقراءة القرآن."² وضمن هذا ورد قوله تعالى: "في بيوت أذن الله أن ترفع." "وان المساجد لله." وكل هذه النصوص تؤكد الرسالة الدينية للمسجد باعتبارها الأصل في رسالة المسجد.

- الرسالة التعليمية والتربوية: إن هذا التراث الضخم من العلوم المختلفة التي ورثها الأسلاف الكبار والذي لا يزال يقتات علمها—شرفاً وحقاً—الأخلاف والأجيال من بعدهم، لم يكن سوى نتاج ومخرجات مسجدية. ففي رحاب المساجد وأروقتها تعلّم العلماء الكبار، والمجتهدون الحذاق، والفقهاء المحققون. ولم يكن المسجد يوماً يفتح أبوابه لمن يؤمّه من المصلين بضع دقائق لأداء الصلوات ثم تغلق أبوابه. بل كانت أوقات الصلوات مواعيد لبداية دروس العلم والتوجيه والإرشاد ونهايتها.

إن ارتباط التعليم بالمسجد، ارتباط المسجد بالصلاة. فكما أنه لا مسجد بلا صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم. وقد أبدع ابن باديس رحمه الله تعالى في تصوير هذا التلازم بين المسجد ورسالته التعليمية، فيقول: "المسجد والتعليم في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فما بنى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم استقر في دار الإسلام، بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون تعليم، ولهذه الحاجة مضى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على عمارة المسجد بهما، فما انقطع عمره كله عن الصلاة، وعن

¹ مجموع الفتاوى 39/35

² المسند لأبي نعيم 344/1

التعليم في مسجده، حتى في مرضه الذي توفي فيه.¹

ثم يشير رحمه الله تعالى إلى أن تعدد موضوعات العلوم التي تتلقى أصولها في المساجد، ليست قاصرة على الدينية والشرعية منها، بل تتسع لتشمل سائر العلوم باعتبار أن القرآن كتاب الإنسان من جميع نواحي الإنسان وكتاب الأكوان بما فيها من نعم وعبر وكتاب العمران بما يحتاج إليه العمران مما يصلح أحوال البشر وما يتصل بالبشر، وكتاب السعادتين الدنيوية والأخروية، كانت العلوم التي تخدم ذلك كله من علوم الإسلام ومن علوم المساجد.²

ويوازي رحمه الله تعالى بين الحاجة إلى التعليم الديني والحاجة إلى الإسلام، وأن الإعراض عن أحدهما إعراض عن الآخر وتجاهل له، فيقول: "الإسلام دين الله الذي يجمع بين السعادتين وإنما يسعهما به من اعتقد عقائده وتأدب بأدابه وارتبط بأحكامه في الظاهر والباطن من أعماله، ولا بد لهذا كله من التعليم الديني الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل إلى شيء من هذا كله فصارت حاجة المسلمين إليه حاجتهم إلى الإسلام وصار إعراضهم عنه، هو إعراض عن الإسلام وهجر له، ما انتهى المسلمون اليوم إلى ما انتهوا إليه إلا بذلك الهجر، وذلك الإعراض، ولن يرجى لهم شيء من السعادة الإسلامية إلا إذا أقبلوا على التعليم الديني فأقاموه في مساجدهم كما يقيمون الصلاة وكما كان النبي - ﷺ - يفعل من إقامتهما بمسجده كما تقدم.³

ولما كانت هذه الرسالة التعليمية من صلب النشاط المسجدي وأحد دعائم قيام رسالته وأداء وظيفته والتي اضطلعت بها الأمة وسخرت لها جهودها وأموالها، كان أحد مصارف الأحباس المسجدية، التعليم في المساجد. وقد ذكر ابن باديس أن كثيرا من عقود الأحباس المسجدية كانت موجهة للتعليم المسجدي، باعتباره محورا فعالا في أداء المسجد لرسالته.⁴

-الرسالة الاجتماعية: إن المسجد في الإسلام بناء تشع بين جنباته أسارير الحياة. فكل من يحتاج إلى الحياة يجد سبيلا لها في المسجد. فحياة القلب والنفس بتزكيتها وتطهيرها وعمارتها بالإيمان والتقوى في مجالس العلم والإرشاد، وحياة الأبدان ومقوماته بتوفير

¹ آثار ابن باديس 225/3

² آثار ابن باديس 225/3

³ آثار ابن باديس 226/3

⁴ آثار ابن باديس 228/3

الحاجات وسد الخلات من الأدوار التي كان يضطلع بها المسجد.

فلا يزال المسجد موئلا للفقراء وأصحاب الحاجات، والعزاب من الصحابة لم يكن لهم مأوى قبل الزواج إلا المسجد، والصفة التي كانت في المسجد، كانت تأوي نحو من ثلاثمائة من الفقراء يعيشون على الصدقات التي كان يؤتي بها إلى المسجد. وعلى مستوى إحياء روابط المحبة وتعزيز أواصر الأخوة التي هي مظهر من مظاهر نظام الإسلام، أهم موارد تعزيزها المسجد، الصفوف كانت مشاعة حقا لجميع المصلين بلا تمييز ولا تفاضل، لا فرق بين ضعيف وقوي، أو غني وفقير، أو حاكم ومحكوم. الكل عباد الله تعالى وأكرمهم وأتقاهم أقربهم إلى الله تعالى.

وفض النزاعات والقضاء في الخصومات كان المسجد مسرحا لها، وقد كان النبي ﷺ والخلفاء بعده يقضون بين الناس في المسجد.

بل كان المسجد مكانا شاهدا على أفراح الناس وعقود أنكحتهم، كما في حديث عائشة عند الترمذي: "أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد".¹

وحتى الجنائز كان لها في المسجد نصيب، والصحيح الذي دلت عليه السنة النبوية الثابتة، مشروعية الصلاة على الجنائز داخل المسجد، وإن كان الأفضل تخصيص مصلى للجنائز خاص كما كان هديه عليه السلام. وقد جاء في صحيح مسلم عن عائشة قالت: "والله ما صلى رسول الله على ابني بيضاء إلا في المسجد سهيل وأخيه".²

وهكذا نجد المسجد حاضرا في حياة المسلمين في مختلف ميادينها. فالمسجد كما أنه بيت الله تعالى هو بيت الجماعة، وهو بيت كل فرد في الأمة وإن لم يبذل في بنائه وتشييده مثقال ذرة. فالمسجد ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية دينيا وتعليميا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا... وهو من أعمدة البناء القوية وركائز الإصلاح والنهوض في هذه الأمة.

المحور الثاني: معالم فقه الاستنهاض، وموقع المسجد منها:

إن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة لإعادة قراءة التاريخ ودراسة عوامل نجاحها في فترات طويلة من تاريخها في قيادة الإنسانية وبناء حضارة قدمت الكثير والكثير جدا للبشرية.

¹ سنن الترمذي 3/ 390

² صحيح مسلم 63/3

ويزداد هذا الاستقراء والاستدرار أهمية خصوصاً مع حالة النكوص الحضاري الذي تتخبط الأمة في برائنه لأكثر من قرن مضى من الزمن.

والأمة أكثر من أي وقت مضى مثقلة بتبعية البحث عن الطرق والمنافذ والمصادر التي تساعد على الخروج من منسحقها الحضاري. وهذا الذي نعبر عنه بفقه الاستنهاض أو النهوض.

ويمثل هذا النوع من الفقه، القضية الفقهية المركزية التي يطرحها واقع الأمة على كل فرد فيها.

إن إقامة أسس للاجتهاد في مجال اليقظة والتعمير والنهضة والبناء، هو الذي نغنيه بمعالم فقه الاستنهاض. فهو فقه يعنى بأهم فريضة غائبة، وهي فريضة البناء الحضاري للأمة الإسلامية وإخراجها من وهبتها.

والذي يكاد يجمع عليه المفكرون والباحثون والمؤرخون¹ أن أهم معلم من معالم نهضة الأمة الإسلامية والذي شكّل الأساس المرجعي لقيامها ووجودها واستمرارها طيلة قرون هو ارتباطها بالوحي.²

وهذا المصير الذي آل إليه أمرها ناطق بهذه الحقيقة، انحرافها عن خط الوحي وحيدتها عن منهج الالتزام به.

وإذ ثبتت هذه الحقيقة التي لها شواهد ودلائل كثيرة، يمكن استخلاصها من واقع الدول المتعاقبة على الحكم في هذه الأمة، كانتشار الظلم الاجتماعي، وتسلب الحكام أو ما يسمى بالاستبداد السياسي، والترف والتكاثر، وطغيان القبلية والعصبية...، وكل هذا أورث انحساراً كبيراً في الفضائل واتساعاً في دائرة الرذائل والمساوئ.³ ومن شواهد النصوص في ذلك: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمَرْغَبُهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16]، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

¹ على سبيل المثال: عبد المجيد النجار. معالم المنهج الحضاري في الإسلام. ص 149

² يقول ابن باديس: "نهضنا نهضة (بنينا على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشرية) لا يخشاها- والله- النصراني لنصرانيته ولا اليهودي لهوديته بل ولا المجوسي لمجوسيته ولكن يجب- والله- أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته. العروبة والإسلام، والعلم والفضيلة، هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي هي منبعث حياتنا ورمز نهضتنا." أثار ابن باديس 3/557

³ يقرر ابن خلدون في تاريخه أن الفضائل إذا أخذت في الذهاب عند قوم فارتقب زوال الملك منهم. 144/1

رَزَقَهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذْأَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ [النحل: 112].

فما هو موقع المسجد ضمن هذه المعادلة التلازمية بين النهضة والالتزام بالوحي. إن المفهوم الشامل الذي قررناه للمسجد والذي يتجاوز اختصاصه بالصلاة ومكانا لأداء العبادة إلى رسالة شاملة للحياة، تمثل محور الحياة الدينية، والاجتماعية والسياسية لهذه الأمة الإسلامية، يجلي لنا بوضوح أهمية رسالة المسجد في تثبيت دعائم النهضة التي تقوم على قاعدة التمسك بالوحي والالتزام بمنهاج هذه الشريعة.

ولما صاغ المسلمون الأوّل حياتهم بالإسلام في زمن النبوة والخلافة الراشدة، حققوا نهضتهم المثالية والمثلى، وحققوا خيرية القرون في هذه الأمة: "خير الناس قرني." ¹ ولم يكن وقتئذ من فضاء لتثبيت دعائم هذه الصبغة الإسلامية إلا المسجد بيت الله تعالى فأحسنوا من خلال التوجيه الديني والتعليم الصحيح الذي فهمومه في المساجد، فهم الإسلام فهما نقيا صافيا لا تشوبه شائبة، ففقهوا الدين والدنيا على سواء. ²

وفقه الدين والدنيا خلاصة فقه القرآن وفهمه الفهم الصحيح، لأن القرآن الكريم كما سبق، كتاب الإنسان وكتاب الكون وكتاب العمران، أودع فيه منزله أسرار صلاح أحوال البشر وما يتصل بهم. والتربية على القرآن وربط الناس به من أجلي وظائف المسجد وأدواره التي تناط به.

وهذا إمامنا ابن باديس الذي يعتبر رائد النهضة في هذه البلاد الطيبة التي كانت مرذولة ومبتذلة في سني استعمارها واستضعفها من قبل عدوها، قد حدد طريقته في البناء الإنساني لأبناء وطنه بقوله: "إذا لم يكن لي في حياتي العلمية من لافِت للقرآن إلا تلك الكلمة التي سمعتها من الشيخ النخلي، وقد فعلت فعلها في نفسي وأوصلتني في فهمي إلى الدرجة التي تحمدونها اليوم فإننا- والحمد لله- نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم

¹ البخاري 938/2

² لأن واحدا من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية سوء الموقف من الدنيا وعلومها. الغزالي. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي. ص 64

تلتقي جهودنا وجهودها.¹ ثم يفصح عن غرض هذه التربية القرآنية في القانون الأساسي للجمعية، فيقول: "إن غرضها من الوجهة التربوية هو تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم، ولغتهم، وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية تثقيف أفكارهم بالعلم، وتعليمهم الصنائع."²

ولم يكن له من نشاط تربوي ودعوي وتوجيهي إلا المساجد. يقول البشير الإبراهيمي رحمه الله تعالى: "وإن كل ما يؤديه المسجد- في حكمته الإسلامية- هو إقامة لدولة القرآن، وتشديد لمدرسة القرآن، ورفع لمنازة القرآن، وكل مختلف إلى المسجد مقيم لحقه وحق الله فيه، فهو "خرّيج" مدرسة القرآن، "وخريج" هذه المدرسة هم الذين قوّموا عوج الكون، وعدّلوا ميل الزمان، وكانوا في هذه الدنيا نورًا ورحمة. وإن المسجد لا يؤدي وظيفته، ولا يكون مدرسةً للقرآن، إلا إذا شاهده أهل القرآن، وعمره على مناهج القرآن، وذاودا عنه كل عادية، وما جعل القرآن المساجد لله إلا لتكون منبعًا لهدايته، وما وصف الذين يعمرّون مساجد الله بأنهم لا يخشون إلا الله، إلا ليقيم الحجة على ضعفاء الإيمان ويعزلهم عن هذه المرتبة."³

وللرسالة التعليمية التي يضطلع بها المسجد أثر في تحقيق النهضة المنشودة، لأنه لا يمكن أن نتصور نهضة بدون حركة علمية. ولم يقتصر الإسلام في الدعوة إلى العلم على علوم محددة، بل شمل كل ما يحتاجه المسلم مما يميز المساجد قبل تشكّل الجامعات والمعاهد والمدارس. وحتى مع وجود مؤسسات تعليمية متخصصة، فإن هذه الرسالة التعليمية للمسجد تبقى أهميتها قائمة والحاجة إليها موجودة، لأن الغرض من رسالة التعليم في تكوين المتخصصين البارعين في كل مجال، بل يتعدى ذلك إلى تكوين ما يسمى بمصطلح العامة المتعلمة، وهي من المفاهيم والمصطلحات التي ذكرها ابن باديس بصدد بيانه لأهمية الرسالة التعليمية المسجدية. يقول رحمه الله تعالى: "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة بصيرة بالدين فتكمل هي في نفوسها ولا تهمل- وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته- تعليم أبنائها. وهكذا ينتشر العلم في الأمة ويكثر

¹ آثار ابن باديس 142/2

² آثار ابن باديس 252/4

³ آثار البشير الإبراهيمي 191/3

طلابه من أبنائها وتنفق سوقه فيها. أما أنا خلت المساجد من الدروس كما هو حالنا اليوم - في الغالب- فإن الأمة تعفى عن العلم والدين وتنقطع علاقتها به، وتبرد حرارة شوقها إليه، فتجسو نفسها وأبنائها وتمسي والدين فيها غريب. وقد عرف أسلافنا - رحمهم الله تعالى- هذه الحقيقة فحبسوا لأحباس الطائفة على التدريس في المساجد، التدريس الديني الجامع بين العلم والتهديب ولو دام ما أسسوه لكانت حالة عامتنا على غير ما نراها عليه اليوم.¹ وهذا من شأنه أت يرفع مستوى الوعي لدى الأمة، وهو عامل رئيس من عوامل النهضة وشروطها. وقد ذكر ابن باديس رحمه الله تعالى خبر أبي الفضل المراغي تأكيداً لهذه النتيجة الطيبة.²

وللرسالة الاجتماعية للمسجد هي الأخرى حضور في تحقيق النهضة المنشودة، فإن الوحدة المبنية على رباط متين من الأخوة الإيمانية والتلاقي على الخير، عامل مهم من عوامل قيام الحضارة وسبب من أسباب النهضة.³

ولهذا نجد مصطلح الأمة الذي يتكرر كثيرا في القرآن: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92] فالوصف لها بالوحدة دليل على أن تماسكها وبقائها مرهون بوحدةها. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143] والوسطية في التصور والاعتقاد، لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي، وسطية في التفكير والشعور لا تجمد على ما تعلمته ولا تنفتح على كل ما يصل إليها من غيرها، وهو بعد-الوسطية- من شأنه تحقيق الوحدة

¹ آثار ابن باديس 1/107

² كان أبو الفضل المراغي يقرأ بمدينة السلام فكانت الكتب تأتي إليه من بلده فيضعها في صندوق ولا يقرأ منها واحداً مخافة أن يطلع فيها على ما يزعجه ويقطع به عن طلبه فلما كان بعد خمسة أعوام وقضى غرضاً من الطلب وعزم على الرحيل شد رحله وأبرز كتبه وأخرج تلك الرسائل وقرأ منها ما لو أن واحدة منها يقرأها في وقت وصولها ما تكن بعدها من تحصيل حرف من العلم فحمد الله تعالى، ورحل على دابته قماشه وخرج إلى باب الحلبة طريق خراسان وتقدمه الكرى بالدابة وأقام هو على عامي يبتاع منه سفرته فيبينما هو يحاول ذلك معه إذ سمعه يقول لعامي آخر أي قل، أما سمعت العالم يقول يعني الواعظ أن ابن عباس يجوز الاستثناء ولو بعد سنة لقد اشتغل بالي بذلك منه منذ سمعته يقول، وظللت فيه متفكراً، ولو كان ذلك صحيحاً لما قال الله تعالى لأيوب: ﴿وَحُذِّ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ وما الذي كان يمنعه من أن يقول حينئذ قل إن شاء الله سمعته يقول ذلك قلت بلد يكون العاميون به من العلم في هذه المرتبة أخرج عنه إلى المراغة لا أفعله أبداً واقتفى أثر الكرى وحلله من الكراء وصرف رحله وأقام بها حتى مات رحمه الله.

³ محمد عمر شاهين. أسباب تدهور الحضارة الإسلامية وسبل تقدمها. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية. مج 07 عدد 03 سنة 2012 ص 07

بين المسلمين. ودور المسجد في تكريس مظاهر الوحدة والتآخي بين أبناء الأمة الإسلامية
ظاهر الأثر كما أُشير سابقا.

المحور الثالث: بعث رسالة المسجد: الآفاق والتحديات

يحتم علينا الحديث عن رسالة المسجد وأثرها في تحقيق نهضة الأمة، أن نسلط
الضوء على ما يواجه رسالة المسجد من عقبات وما يحول دون تحقيقها لأهدافها على
مستوى النهوض والانبعاث الحضاري، ثم البحث عن آفاق جديدة لبعث رسالة المسجد
من جديد.

1- الغارة على المسجد: شكّل المسجد من خلال أهميته ومكانته وجليل رسالته التي
يؤديها في الأمة الإسلامية، هدفا من أهداف الحرب المعلنة على الإسلام وغرضا للهجوم
على أهله. وليست هذه الغارة على المسجد بجديدة، بل ترجع بداياتها الأولى إلى عصر النبوة
في تشييد مسجد الضرار. فكان هذا البناء أولى الحملات وجذورها التي شنها أعداء الإسلام
وفي مقدمتهم المنافقون على رسالة المسجد. فلما أنشأ النبي ﷺ مسجد قباء ثم مسجده
عليه السلام وجعله مركزا للدعوة وأساسا أرسى عليه دعائم دولته من خلال العمل على
توطيد أواصر الإخاء ونبذ النزاعات والخصومات التي كانت بين الأوس والخزرج وجعل
المهاجرين والأنصار يدا واحدة، الأمر الذي دفع بالمنافقين ومن شايعهم على الانحراف
برسالة المسجد، فبدل أن يكون المسجد جامعا أنشئ له مسجد أريد له أن يكون مفرقا،
وهذا من أعجب ما تفتقت عنه حيل المنافقين أن يبنوا مسجدا يلتقون فيه وحدهم
ويمكرون بالإسلام تحت ستار التجمع عل العبادة.¹

ولأن الخطر محقق والشر داهم كُشف الستار عن هذه الحيلة والخديعة. فلما رجع
النبي ﷺ من تبوك بعد نزول الآيات ﴿الذين اتخذوا مسجدا ضرابا﴾ أرسل في هدمه
وحرقه، وهذا بعد أن اعتذر لهم بانشغاله بالخروج إلى تبوك ووعدهم خيرا.

ولك أن تتأمل في شدة مكر المنافقين، مسجد من حيث الظاهر، ودار حرب من
الباطن. وفي تعليلهم بناء المسجد قالوا: يا رسول الله، قد بنينا مسجدا لذوي العلة
والحاجة والليلة المطيرة وإننا نحب أن تأتينا وتصلّي فيه لنا.²

¹ الغزالي. فقه السيرة. ص 412

² انظر تفصيل القصة في تفسير ابن كثير 3/ 451

إنه لا يشترط للقضاء على رسالة المسجد أن يهدم المسجد وتنقض أركانه، لأن المسجد في الإسلام برسالته وليس ببنائه ولا بزخرفته. ويوم أن ينجح العدو في الانحراف بالمسجد عن المسار الصحيح لرسالته يكون قد نجح في هدم المسجد وإن كان قائما مشيد البنيان. إن تفرغ المسجد من رسالته ومن محتواه الحقيقي باعتباره منارا للهداية والتوجيه والتعليم والبناء الروحي، هو الهدم الحقيقي للإسلام. ورحم الله ابن باديس في قوله: "فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة".¹

إن قطع الشرايين المادية لاستمرار المسجد في أداء رسالته، كان أحد المخططات في الحرب على الإسلام وعلى رسالة المسجد، لأن المتتبع لتاريخ أمتنا، يدرك هذه الأهمية الرسالية للمسجد. ولذا نجد كما يقرر ابن باديس في عقود كثير من الأعباس أحباسا حبست على المساجد لضمان استمرار المسجد في أداء رسالته التعليمية والتربوية والاجتماعية. وهذا ما فطن له للأسف أعداء الإسلام، فكان أول عمل قامت به الإدارة الفرنسية بعد احتلال الجزائر، قطع هذا الشريان. فعمدت إلى الاستيلاء على الأوقاف وسائر الأملاك والأموال الوقفية، وخصّص معظمها لحملات التنصير، هذا بالإضافة إلى تحويل عديد المساجد الجامعة والمهمة إلى كنائس وكنكات.

ومن مظاهر الغارة على المساجد إماتة رسالة المسجد عن طريق التشجيع على بناء المساجد على القبور، وأذاً لوظيفة المسجد وإماتة لرسالته. ولذا ورد الوعيد الشديد في بناء المساجد على القبور. ففي الصحيحين من حديث عائشة: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".² وقد ذكر ابن القيم أن هذه المساجد المبنية على القبور، يجب هدمها حتى تسوى بالأرض، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار الذي هدمه النبي ﷺ.³ وهنا رمزية كبيرة في هذا النهي عن بناء المساجد على القبور، فالمساجد مواطن الأحياء ومواضع الحياة، حياة القلوب والنفوس والعقول، والقبور مواطن الموتى ومدافن الهلكى. ولهذا جعل النبي ﷺ البيت الذي لا يذكر فيه الله تعالى ولا يصلى فيه كالقبر. وأرشد إلى أداء صلاة النافلة في البيوت وعدم اتخاذها قبورا.

¹ آثار ابن باديس 225/3

² اللؤلؤ والمرجان 107/1

³ إغاثة اللهفان 210/1

2-آفاق بعث رسالة المسجد من جديد: إن تعميم رسالة المسجد على جميع المؤسسات وتفعيل روح المسجد بين جنباتها على اختلاف هذه المؤسسات (تربوية وتعليمية، اجتماعية، اقتصادية، سياسية، عسكرية (الجامعات المدارس، النوادي، المصانع، الثكنات...) هي الخطوة الأولى المهمة لتفعيل رسالة المسجد وإعادة بعثها من جديد. ولست أعني مجرد بناء المسجد ووجوب وجوده الحسي في كل مؤسسة من هذه المؤسسات، بل فتح المجال ليؤدي المسجد في كل مؤسسة دوره ورسالته، تعليمًا، وتوجيهًا، وتربية وإرشادًا...الخ

لا يكفي أن نفتح المسجد لإقامة الصلوات فحسب، بل بعث النشاط فيه ليشمل الدروس الدينية والعلمية والمحاضرات التي تنمي الروح الإسلامية والوطنية في كل الأفراد، حينها نضمن تخرج دفعات من الأبطال وأصحاب المآثر المرتبطين بالمسجد، أطباء، ومهندسين، وعسكريين، ومخترعين وعلماء... كما كان حال الأمة في عصر ازدهارها وشهوها الحضاري على غيرها.

الخاتمة

أبرز النتائج:

- ثمة صلة تلازمه بين المسجد ورسالته في الأمة الإسلامية، فكما أنه لا مسجد بلا صلاة كذلك لا مسجد بلا رسالة، وأصحاب المآثر والبطولات الذي تركوا بصماتهم في التاريخ كانوا من مخرجات رسالة المسجد.
- كل محاولة للعبث برسالة المسجد والانحراف بها عن مسارها الصحيح، سياقها التاريخي مسجد الضرار الذي حكم النبي ﷺ بهدمه وحرقه.
- إن الذي ربى ملائكة البشر وملوك الدار الآخرة الذين أذلوا الجبابرة، هو المسجد في أبعاد رسالته الشاملة، لأن المسجد برسالته وليس ببناؤه وتشيدته.
- العامّة المتعلّمة خلاصة رسالة المسجد لنشر الوعي بحجم المسؤولية وثقل الواجب على أفراد الأمة.
- الغارة على المسجد قديمة متجددة هدفها الأول تفرّغ المسجد من محتواه وتقزيم رسالته.

ومن التوصيات: العمل على تفعيل روح المسجد وبعث رسالته بحسن تأطير المساجد والاستعانة بالكوادر من الأكاديميين المتخصصين عن طريق وضع برنامج واضح يحدد

خارطة طريق لجميع المساجد في المجالات المتعددة وبالأخص المجال التعليمي على نحو مما كان العمل به جاريا في العصور المتقدمة، باعتماد كتب معينة في كل تخصص.

-إلحاق المرافق المختلفة بالمسجد، مدرسة، مستشفى، دارا للإيواء، مكتبة، ساحة رياضية، قاعات متعددة النشاطات وغيرها، توسيعا لنشاط المسجد وإحياء لرسالته.

وأخردعو انا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

- أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة. (1416هـ). مجموع الفتاوى. المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- عبد الحمید محمد بن بادیس. (1338هـ). آثار ابن بادیس. الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية
- محمد الأمين الشنقيطي. (1415هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر
- محمد الطاهر بن عاشور. (1984هـ). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية
- محمد الغزالي. (ط1: 1427هـ). فقه السيرة. دمشق: دار القلم
- محمد بن إسماعيل البخاري. (ط3: 1407هـ). صحيح البخاري. اليمامة - بيروت: دار ابن كثير
- محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي. (ط1: 1997). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. بيروت: دار الغرب الإسلامي
- محمد جمال الدين القاسمي. (ط5: 1403هـ). إصلاح المساجد من البدع والعوائد. بيروت: المكتب الإسلامي
- محمد عمر شاهين. (مج07 عدد03 سنة2012). أسباب تدهور الحضارة الإسلامية وسبل تقدمها. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية
- مسلم بن الحجاج النيسابوري. (1334هـ). المسند الصحيح. بيروت: دار الجيل

الفكر العقدي

ودوره في تطوير الخطاب المسجدي المعاصر

د/ محمد عمارة

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

amara-mohammed@univ-eloued.dz



مقدمة

يعتبر الخطاب المسجدي من أهم الوسائل المباشرة لتبليغ رسالة الإسلام، وتعاليمه، ومعتقداته إلى المجتمع وعلى صاحب الخطاب التكيف مع الزمان والمكان، والأحداث المتجددة، والتطور التكنولوجي في الوسائل، والتطور الإيديولوجي في الأفكار، والمذاهب المعاصرة، وهذا الخطاب مستمر عبر الزمان، والمكان إلى قيامه الساعة، وتعدد مستوياته من حيث الزمان أسبوعيا (خطبة الجمعة)، كذا من حيث المكان محليا (الجمعة والعيد)، وعالميا (خطبة عرفة)، وهي جامعة عالمية لجميع الأجناس، واللغات فالمخاطب يختار لتبليغ رسالته ما يناسب مع المجتمع، والعالم وفق الواقع الذي يعيشه، ومن هنا يمكننا أن نطرح السؤال الآتي:

ما دور الفكر العقدي في تطوير الخطاب المسجدي المعاصر؟

يمكننا الإجابة عن هذا السؤال وفق عرض العناصر الآتية بالتحليل والتدليل، مستخدمين المنهج الوصفي:

أولا: مفهوم الفكر العقدي، والخطاب المسجدي

ثانيا: الفكر العقدي، وتحديات العصر

ثالثا: عوامل تطوير الخطاب المعاصر

وفي الأخير نخلص إلى نتائج الموضوع وتوصياته.

أولا: مفهوم الفكر العقدي والخطاب المسجدي

نستعرض في هذا العنصر التعريف بالمصطلحين الفكر العقدي، والخطاب المسجدي، وذلك للتمهيد للدخول للموضوع الذي سنتطرق إليه.

أ- الفكر العقدي:

تعتبر العقيدة الإسلامية العنصر الأساسي لربط الفرد المؤمن بربه؛ حتى يقبل كل ما يصدر عن الله تعالى، كذلك تعتبر العقيدة هي المحفز على القيام بتنفيذ الخطاب القرآني، ومحل هذه العقيدة هو القلب، ففيه تستقر العقيدة، ويعتبر هو المحرك الأساسي للجوارح كما جاء في الحديث «...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب»¹، وجاء في الخبر قول القائل «المرء بأصغريه قلبه ولسانه»²، والذي يعضد القلب هو العقل وهو مناط التكليف في الشرع به يفهم الانسان ماله وما عليه، وهذان العنصران (القلب، العقل) يمثلان قيمة الانسان كما قال الشاعر:

لسان الفتى صنف ونصف فؤاده*** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم³.

ولقد كرم الله الإنسان بالقلب والعقل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ الْوُحُوشِ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝﴾ الإسراء:70، ولقد لام الانسان نفسه عندما انحرف عن الفطرة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝﴾ الملك:10، ولقد جمع الله بين العقل والقلب قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝﴾ الحج:46.

فهناك روابط بين العقل والقلب فالقلب مستقر العقيدة، والعقل يفهمها بالتحليل، والاستدلال، ويعطي أوامره للجوارح للقيام بأحكام الدين، وأركانه، وشعائره، ولذا فمصطلح الفكر العقدي هو ارتباط بين العقل الذي يمثل الفكر، والقلب الذي يحوي العقيدة، ومن هنا يمكننا تفكيك المصطلح المركب، والتعريف بمفرداته لغة واصطلاحاً، فالفكر لغة هو إعمال العقل بالتأمل والتدبر بطلب المعاني⁴، واصطلاحاً هو ترتيب أمور

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه تحت رقم 52، ومسلم في صحيحه تحت رقم 1599، الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية، بإشراف علوي بن عبد القادر السقاف.

² - مقولة للغلام الصغير الذي قدمه قومه لمقابلة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، موقع ملتقى أهل الحديث.

³ - زهير بن أبي سلمى.

⁴ - الفروق اللغوية للعسكري، مكتبة ابن سينا، ط1، 2013، القاهرة، ص52.

معلومة تؤدي إلى مجهول¹، أو هو حركة الإدراك العقلي²، وأما العقيدة لغة من عقد أي ربط ووثق³، واصطلاحاً هي التصديق الجازم بأصول الإيمان⁴.

نلاحظ من خلال التعاريف السابقة هناك علاقة فيما بينها سوى في الجانب اللغوي أو الاصطلاحي، فالفكر من الناحية اللغوية يعني قيام العقل بعملية التدبر، والتأمل في الأشياء المادية والمعنوية، وذلك بتحليلها ثم تركيبها للوصول إلى نتيجة، وهو ما يعبر عنها بالعلم، والمعرفة، ثم يقوم بحفظها في الذاكرة، وأما الفكر من الناحية الاصطلاحية فهو قيام العقل بترتيب أمور معلومة كالقضايا المنطقية، والمقدمات العلمية، والنصوص الاستدلالية ثم الربط بينهما بعناصر مشتركة للوصول إلى النتيجة، وهي الحكم على الشيء، فيكون العقل هنا قام بحركة إدراكية للأشياء التي حوله، من هنا نستنتج العلاقة بين التعريفين اللغوي، والاصطلاحي للفظ الفكر وهي أنه كل منهما جعل العقل عنصر أساسي للفهم، والتحليل، والاستنتاج، وكل منهما كذلك يؤكد على حركية العقل وإعماله، وذلك بالإدراك، والترتيب، والتدبر، والتأمل.

وأما العلاقة بين التعريفين للفظ العقيدة، فنجد أن العقيدة من جهة اللغة تعني الربط، والتوثيق، فهما عنصران أساسيان في التأكيد على المحتوى، وأما من جهة الاصطلاح فتعني التصديق بالأصول، فتكون العلاقة بين التعريفين هو ربط القلب بما يحتويه من أصول الإيمان لتأكيد التصديق بها وتوثيقها حتى تستقر في القلب وتصبح عنصراً أساسياً منه، فلا تزعزع أبداً مهما هبت عليها رياح التغيير، فتكون أوامرها حسب وظيفة كل جارحة من جوارح الفرد المسلم، ومنه يمكننا تعريف المصطلح المركب بعد تفكيكه.

فالفكر العقدي مصطلح يعني به إعمال العقل في تفسير، وتأويل النصوص الخاصة بالعقيدة في أطر شرعية، ولغوية غير مصادمة للأصول العامة⁵، كذلك عرف بأنه هو

¹ - التعريفات، للجرجاني، دار الطلائع، ط1، 2013، القاهرة، ص169.

² - فلسفة اللغة والفكر، حفصي محمد بن عبد الرحمن، ط1، 2017، مطبعة الرمال، الوادي، ص89، معجم الفلسفة، محمود يعقوبي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1979م، ص175.

³ - الفروق اللغوية، ص67، مرجع سابق.

⁴ - العقيدة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط11، 2002، ص80، العقيدة الإسلامية، إبراهيم التهامي، دار قرطبة للنشر الجزائر، ط1، 2012، ص10.

⁵ - مطبوعة الفكر العقدي في الجزائر، محمد عمارة، موجهة إلى السنة الثانية ماستر، تخصص عقيدة، 2020/2019، قسم أصول الدين، جامعة الوادي، ص01، مدخل إلى الفكر العقدي السني، جمال علال بختي، موقع الرائد، منصة علمية الكترونية، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ص4.

التفاعل بين عقل المسلم، وأحكام الدين الخالدة مع التكييف بنوع وكمية المعارف العقلية، والتجارب التي يحصلها في كل زمان بمعية الوحي¹.

نلاحظ من خلال هذا التعريف المركب احتوائه على مجمل عناصر التعاريف الفردية السابقة لغة واصطلاحاً فبالنسبة للفكر شمل قيام العقل بحركة الإدراك، وعملية التحليل للنصوص، وبالنسبة للعقيدة ركز على النصوص الخاصة بالعقيدة من الآيات والأحاديث التي تحوي أصول الإيمان وبيانها، زيادة على ذلك تقييد العقل في تفسيراته، وتأويلاته بشروط شرعية، ولغوية، كذلك ما جاء في التعريف الثاني زيادة مصاحبة المعارف العقلية، والتجارب الزمانية والمكانية مقيدة بالوحي حتى لا ينحرف العقل عن الثوابت الشرعية.

ب- الخطاب المسجدي:

يمكننا تفكيك المصطلح المركب لتعريف كل لفظ على حدة لغة واصطلاحاً

الخطاب لغة هو المواجهة بالكلام²

والخطاب اصطلاحاً هو إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام المباشر³.

والعلاقة بين التعريفين نجد أن الخطاب من الناحية اللغوية يركز على الكلام المباشر، وذلك عن طريق المواجهة، وأما من الناحية الاصطلاحية فإنه يتميز بعنصر الإيصال، والتبليغ للسامع مباشرة في حينه والعلاقة بينهما علاقة تكامل فالأول ركز على عنصر المخاطب، والكلام المباشر، والثاني ركز على عنصر المتلقي وإيصال المعنى إليه بطريقة مباشرة بواسطة الصوت المسموع فكل منهما يشترك في الكلام المباشر.

وأما تعريف المسجد لغة من سجد يسجد وهو موضع السجود⁴.

وفي الاصطلاح: هو اسم للمكان الذي يسجد فيه المصلون ويسمى كذلك بالجامع وبيت الله، وهو تسمية الشيء بجزء منه، وهو عبارة عن مبنى متكامل به قاعة الصلاة، ومكان الوضوء، وملحقاته كغرفة الإمام والمكتبة والمدرسة القرآنية، وبه فناء خاص

1 - تجديد الفكر الإسلامي، حسن الترابي، دار البحث، قسنطينة، ط1، 1990، ص09.

2 - أساس البلاغة للزمخشري، دار بيروت للطباعة، لبنان، 1984، ص167.

3 - الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال، (مجموعة مؤلفين)، مطبعة مزوار - الوادي-2010، ص42.

4 - أساس البلاغة ص285، مرجع سابق.

بفصل الصيف وهذه خاصية بالجنوب، وخاصة منطقة سوف.

وتكمن العلاقة بين التعريفين أن التعريف اللغوي محتوى في التعريف الاصطلاحي؛ لأنه جزء منه فمن خلال عرضنا للتعريف السابقة، والعلاقة الجزئية بينهما يمكن ربط مصطلح الفكر العقدي بمصطلح الخطاب المسجدي، وذلك بأن الخطاب، والمسجد عام، وأما الفكر العقدي خاص وهو ما يحدد ويخصص نوع الخطاب، فالخطاب هنا يكون محتواه النصوص التي تتحدث عن العقيدة وعناصرها ومحتوياتها بالتحليل يختار الخطاب حسب الزمان والمكان، والمجتمع تماشياً مع القواعد العامة للدعوة كالمقولة المعروفة بـ «خاطبوا الناس على حسب عقولهم»، والقاعدة الفقهية القائلة: «تتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والشخص»، والقاعدة الأصولية التي مفادها «يدور الحكم مع العلة وجوداً وعدماً» وهذا ما سنفصل فيه في العنصرين القادمين.

ثانياً: الفكر العقدي وتحديات العصر

تتطور المجتمعات عبر الزمان والمكان، وذلك باستحداث أفكار جديدة، وتطبيقها في الواقع نظراً للتطور المستمر في العالم، والاكتشافات الجديدة، والبحوث المعاصرة فالكون في تغير مستمر، وهذه سنة الله في خلقه، وما تقتضيه السنن الكونية، ففي الجانب الأيديولوجي ظهرت مذاهب، ومدارس، وفرق، ونظريات جديدة في القرن العشرين وما بعده، كالاستشراق، والحداثة، والعلمانية، كذلك المذاهب الفلسفية الجديدة كالوجودية، ومن جهة الديانات كالديانة الإبراهيمية في القرن الواحد والعشرين، وقد صاحب هذا التطور الفكري تطور مادي تكنولوجي، وذلك على مستوى الوسائل التي تخدم المجتمعات، والأفراد، والمؤسسات، كوسائل التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، تيك توك، يوتيوب، البريد الإلكتروني)، كذلك وسائل الاتصال (الهاتف الذكي، الحاسوب، الإنترنت) وما يتبعها من اللواحق والبرمجيات، كذلك وسائل التسلية والترفيه العلمي، والتي تستعمل طريقة ثلاثية الأبعاد (3D) كالبلاي ستيشن و (X.BOX)، وما تحتويه من ألعاب موجهة للأطفال والمراهقين والشباب منها الألعاب السلبية مثل (لعبة الحوت الأزرق) والتي راح ضحيتها عدد من الأطفال عن طريق الجذب للوصول إلى النهاية فكانت وسيلة للانتحار ونهاية الطفل الضحية، كذلك وسائل البحث عبر مواقع الإنترنت سلباً وإيجاباً، كذلك وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك الفضائيات المنتشرة عبر البيوت وما تحويه القنوات من أفكار هدامة كالقنوات المتخصصة في الديانات، والمذاهب (قنوات

مسيحية شيعية أحمدية...الخ) وغيرها من القنوات الموجهة للأطفال (رسوم متحركة كرتونية)، والتي تبث أفكار هدامة معادية لعقائد الدين من الشبهات والتشكيكات.

وفي هذا العصر بدأت الدول، والمجتمعات تنتقل إلى عالم الرقمنة، والتي تعتبر تحدي جديد وخاصة عند ظهور جائحة كورونا في القرن الواحد والعشرين، وكان من أثارها التباعد الاجتماعي، غلق المساجد، تعطيل الخطب المنبرية، إيقاف حركة المرور، وغلق الحدود، توقيف أهم شعيرة عالمية في الاسلام "الحج" والخطبة العالمية بعرفة لمدة سنتين 2020/2021، كذلك التعليم بصفة عامة فالتجأت الجامعات للرقمنة بإحداث (دورس على الخط)، وفتح قناة المعرفة للتعليم العام في أطواره الثلاثة، وإحداث مواقع للأنترنيت للتعليم والتكوين عن بعد، وذلك للتواصل مع الطلاب والتلاميذ والمتكويين لإتمام دراساتهم، ولأول مرة تؤجل البكالوريا من جوان إلى سبتمبر، وقد كتبت بعض المجالات عن الرقمنة¹.

فهذه المذاهب الجديدة تستغل هذه الوسائل الالكترونية لبث أفكارها، والتشكيك في مصادر الدين والعقيدة وذلك للتأثير على أفراد المجتمع عن طريق بث الشبهات، وتحليل، وتفسير، والتأويل السيء لنصوص القرآن والسنة وأحكامهما، مما يؤثر على الفرد المسلم، وعلى عقيدته من أجل إبعاده عن دينه وإضعاف تمسكه به حتى ينحرف، ويضعف إيمانه، وتحصل له الحيرة في أمره بالتساؤلات التي يتلقاها عبر هذه الوسائل الحديثة بواسطة الدروس، والمحاضرات، والحوارات الدينية، وخاصة العقائدية منها كمناقشة مسائل الغيب كالقضاء والقدر والحياة البرزخية، وأحداث يوم القيامة، والجنة، والنار، وذلك باعتبار هذه الأمور غير واقعية، ولا نشاهدها في حياتنا بل هي من عالم الخيال، والأساطير مثلها مثل أفلام الخيال و ألعاب الخيال العلمي للتسلية والترفيه وذلك لتشكيك الفرد المسلم في عقيدته، وخاصة جانب الغيب منه، وقد وصف الملحدون في الماضي هذه الأمور بالأساطير قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنعام:25، ولا يعرفون إلا حياة واحدة هي الدنيا فقط باعتبارها واقع معيش وعبر القرآن على لسانهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ الجاثية:24، فهؤلاء شياطين الأنس يتفقون مع شياطين الجن

¹ - مبادرات جديدة لتعزيز اعتماد الرقمنة، مقال للباحثة المصرية، هدى بكر، مجلة كوثریات، ع80، مارس 2021، ص07، نشرة تصدر عن مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، كوثر، مملكة البحرين.

لبث الشكوك والشبهات في نفس المؤمن لكي ينحرف عن دينه ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾﴾ الناس: 5-6، فالتعاون بين شياطين الأنس والجن منذ أمد بعيد ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾﴾ الأنعام: 112، واتخذ الشيطان أولياء من الإنس لتبليغ رسالته إليه؛ لكي يبثها في نفوس المؤمنين للتشكيك في عقيدتهم ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحِيَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾﴾ الأنعام: 121.

فمن هنا يأتي دور الفكر العقدي للتصدي لهذه الأفكار الهدامة، والرد على الشبهات، وذلك عن طريق وسيلتين الأولى: وسيلة البناء وذلك عن طريق غرس العقيدة للناشئة حتى يشب عليها، لكي يواجه بها تحديات عصره مهما كانت، والوسيلة الثانية عن طريق الهدم، وذلك بإبطال قول الآخر عن الإسلام وعقيدته وأحكامه وتعاليمه، وذلك عن طريق الفكر العقدي بأسلوب ووسائل جديدة تتوافق مع تطور العصر، وذلك إما عن طريق المناظرات المباشرة كما فعل أحمد ديدات في ثمنينات القرن الماضي، وما يفعله الآن تلميذه (ذاكر نايك) في القرن الواحد والعشرين، وقد أسلم على يديه الملايين، وما قامت به دولة قطر في كأس العالم 2022م عند استضافتها له لتقديم دروس للتعريف بالإسلام لجميع الجنسيات، وكان من نتائج ذلك اسلام كثير من الجنسيات على يديه¹.

ومن طرق التصدي للتحديات المعاصرة قيام علماء المسلمين، ومفكرهم بالردود على الشبهات عن طريق الكتابات أو وسائل التواصل الاجتماعي أو وسائل الاعلام كالقنوات في حصص مباشرة وجهًا لوجه مثل حصة (الاتجاه والاتجاه المعاكس)²، وذلك لبيان للعالم مبادئ الدين الصحيح وحماية المجتمعات المسلمة من هذه الأفكار الهدامة.

فالفكر العقدي يتمشى مع تطور الأفكار ووسائلها، وذلك بإحداث وسائل، وأساليب اقناع جديدة، وهذا ما يمثله علم الكلام الجديد³، كذلك استعمال التكامل المعرفي للعلوم، وذلك بدراسة العلوم الحديثة؛ لاستعمالها في الرد، والاقناع مثل الإعجاز العلمي

¹ - منهم الممثل الأمريكي مورغان فريمان.

² - حصة على قناة الجزيرة يقدمها الاعلامي السوري فيصل القاضي

³ - ينظر: كتاب (الإيمان بالله وأثره في الحياة)، (فقه التخصر الاسلامي)، عبد المجيد النجار

في القرآن والسنة؛ لأن علماء الغرب يعترفون بالعلم والتجربة العلمية، ولقد سلك كثير من علماء المسلمين هذا المسلك¹، وقد أثمر هذا المسلك الجديد حيث أسلم بسببه علماء كثيرون²، كذلك استخدام العلوم الحديثة في البرهنة على مصدريّة القرآن والسنة، وصحة أحكام الدين الاسلامي وعقيدته عن طريق الاعجاز العلمي في القرآن والسنة مما يبعد عنهما الافتراءات والأكاذيب والشبهات والزيادة في قوة عقيدة المسلم، وتمسكه بدينه. وقد كانت هذه الوسائل الحديثة في خدمة هذه الردود وبث الدروس، والمحاضرات، والملتقيات والمؤتمرات الخادمة للدين الاسلامي وعقيدته³، وادراج مثل هذه المواضيع في المقررات⁴.

ثالثاً: عوامل تطوير الخطاب المسجدي المعاصر

كما أن المجتمعات، والوسائل، والأفكار والإنسان في تطوير مستمر، والخطاب المسجدي وسيلة من وسائل التبليغ، وحتى يتماشى مع تطورات العصر وتحدياته الواقعية فلا بد من

-
- 1 - منهم: حنفي أحمد في كتابه (التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن)، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1980م - محمد علي البار في كتابه (خلق الانسان بين الطب والقرآن) الدار السعودية، ط8، 1991م.
 - ومن أشهر العلماء في هذا المجال، زغلول النجار، مختص في علم الأرض وله كتاب (المفهوم العلمي للجبال في القرآن)، ط1، مكتبة الشوق الدولية، القاهرة، 200م، وله حصص في بعض القنوات العربية.
 - فاروق الباز، عالم مختص في الجيولوجيا، وهو عضو في محطة النازا الفضائية في أمريكا، وله أشرطة سمعية في الاعجاز العلمي في القرآن.
 - محمد علي البار، متخصص في علم الأجنة له كتاب (خلق الانسان بين الطب والقرآن)، ومشارك في عدة مؤتمرات علمية في الإعجاز القرآني.
 - عبد العليم عبد الرحمان خضر، مختص في الجغرافيا، له كتاب (الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن).
 - 2 - منهم: عميد كلية الطب في تيلاند وهو استاذ في علم الأجنة وذلك في المؤتمر الطبي السعودي الثامن المنعقد بالرياض في: 29/30/1983م، كتاب البار، ص6، مرجع سابق.
 - كذلك الجراح الفرنسي الشهير (موريس بوكاي) والذي ألف كتابه (التوراة، والانجيل والقرآن والعلم)
 - البروفيسور أليسون بالمر في ختام مؤتمر الإعجاز الطبي للقرآن بالقاهرة سنة 1985م، ينظر: كتاب (خلق الانسان بين الطب والقرآن)، للبار ص6.
 - 3 - منها: - مؤتمر الاعجاز الطبي للقرآن الكريم بالقاهرة سنة 1985م
 - المؤتمر الطبي السعودي الثامن بالرياض سنة 1983م
 - 4 - يقول محمد علي البار: "وبدأت كليات الطب في العالم الاسلامي تهتم بهذا الموضوع وتدرسه لكي يصبح جزءاً من مقرراتها في منهج علم الأجنة " خلق الانسان بين الطب والقرآن، ص6، مرجع سابق.
 - وقد أدرجت بعض التخصصات في العلوم الاسلامية في الجامعات الجزائرية وغيرها في الدول العربية والاسلامية (مادة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم).

تجديده؛ لكي يساير متغيرات الزمان، والمكان، ويتكيف مع مستويات الإنسان، وما يحمله من أفكار، وعلوم؛ لأنه هو المقصود بالخطاب، فما يتجدد من إيجابيات العصر فيحث على الأخذ بها، وما يحدث من آفاته فيحذر منها؛ لأن الإنسان ابن بيئته يتعايش مع عناصر التغيير المتجددة فيحتاج إلى خطاب متجدد يتماشى مع واقعه، ومتطلبات حياته الجديدة.

فالمخاطب الذي يستمع للخطيب أسبوعيا في خطبة الجمعة، وسنويا لخطبتي العيدين، والخطبة العالمية الجامعة لجميع الجنسيات بعرفة، فبين هذه الخطب أيام يلجأ الإنسان فيها إلى التفاعل مع حياته الخاصة، ويتعامل مع الوسائل الحديثة التي يتلقى منها خطابات متنوعة تؤثر فيه إيجابا وسلبا، ومن حين إلى آخر يستمع إلى الخطاب المسجدي المباشر.

ولكي يكون هذا الخطاب فعالا يؤثر في السامع مباشرة فلا بد من تجديده وفق مخرجات العصر ومتطلبات الانسان المعاصر، وحتى يكون كذلك فعلى الخطيب أن يوفر عوامل تطوير خطابه؛ لكي يكون خطابا ناجحا، وناجعا، ومتماشيا مع العصر الحديث، ومتطلبات الفرد، والمجتمع، والبلد، وذلك وفق التحديات الجديدة والمتجددة، وهذه جملة من العوامل المساعدة على تطوير الخطاب المسجدي المعاصر، فمن أبرز العوامل المساعدة على تطوير الخطاب المسجدي نذكر منها الآتي:

- فهم الواقع، وفق عناصر تغييره.
- تتبع أحداث العالم عامة، وأحداث بلده خاصة
- التعرف على المذاهب، والأفكار الجديدة.
- حسن استخدام الوسائل التكنولوجية الجديدة، وممارستها، ومعرفة محتوياتها للتنويه بما ينفع منها، والتحذير بما يضر؛ لأن المجتمع يستخدمها في السلب والإيجاب.
- معرفة القنوات التلفزيونية الفضائية، واليوتيوبية الهدامة منها الموجهة للكبار (التبشيرية، الشيعية...) والموجه للصغار (الرسوم الكرتونية)، للتحذير منها كذلك بالنسبة للجيد منها (قرآنية، إخبارية، دينية...) للحث على مشاهدتها، ومتابعتها لما تحمله من محتويات نظيفة، ومشروعة.
- استعمال الوسائل الحديثة في بث الخطاب المسجدي المباشر كوسائل التواصل الاجتماعي (الفايسبوك، التيك توك)، وغيرها من القنوات (اليوتيوب)، والمواقع الالكترونية عبر الأنترنت.

- استمالة السامع، وذلك باستعمال وسائل جديدة للإقناع، وأساليب جذابة كسرد القصص الواقعية، وإيراد أحداث حديثة محلية، وعالمية.
- إحصاء الحوادث الأسبوعية التي تدور في بلدته أو العالم، والتعليق عليهما سلبا وإيجابا لأخذ العبر منها وذلك في خطب الجمعة.
- سرد ملخص تاريخي لوقائع ماضية من نفس السنة لعرضها في الخطب الموسمية كالعيدين لأخذ العبر منها، كذلك في خطبة عرفة السنوية؛ الموجودة في عرفة؛ لتذكير الجميع بإيجابياتها وسلبياتها، والتحذير من عواقبها.
- تكوين الخطيب علميا للرفع من مستواه العلمي وفق متطلبات عصره، إما بدافع ذاتي من تلقاء نفسه بواسطة دراسته عصاميا أو عن طريق مؤسسات التعليم كالجامعة، أو عن طريق مديرية الشؤون الدينية بواسطة الرسكلة المستمرة عن طريق الندوات، والملتقيات، والأيام التكوينية، والدراسية.
- التعاون بين وزارة الشؤون الدينية ووزارة التعليم العالي في الداخل والخارج لتأطير الخطباء في مستوى عالي كمواصلة الدراسة في المعاهد والجامعات المتخصصة بالنسبة للخطيب، والحصول على شهادات عليا على مستوى الجزائر، كذلك ربط علاقات مع مؤسسات التعليم بالخارج وذلك عن طريق البعثات العلمية مثل جامعة الزيتونة، وجامعة الأزهر، وقد حصل ذلك في السابق (بعثات للأزهر 2005- نماذج من خطباء الوادي- إبراهيم قعري، وغيره على المستوى الجزائري).
- التكوين في اللغات الأجنبية، والبرامج الحديثة كبرنامج التدريب على القراءة السريعة، والحفظ ومهارة التعبير والإلقاء الشفوي المباشر، وذلك من أجل رفع مستوى الخطيب، والخطابة المعاصرة، ويكون ذلك عن طريق المؤسسات، والمدارس، والدورات الخاصة كالبرمجة اللغوية العصبية والتي كان رائداها المدرب العالمي (إبراهيم الفقي رحمه الله) أو عن طريق المواقع الالكترونية في الانترنت أو اليوتيوب¹.

¹ - للمزيد من الاطلاع في إثراء هذه العوامل ينظر المراجع الآتية:

- الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال، مجموعة من المؤلفين، مرجع سابق.

- اسلامية المعرفة، طه جابر العلواني، ط1، 2001، دار الهادي للطباعة، بيروت.

- محمود باي في ذكرى وفاته، مجموعة من المؤلفين. مطبعة سامي، الوادي، ط1، 2021، موضوع (محمود باي فارس المناير وباعث فن الخطابة في سوف)، الأستاذ نورالدين مهري، ص 49، ولنفس الكاتب كتاب (محمود باي كما عرفته)، مطبعة الرمال، ط1، 2017، ص46-59.

الخاتمة

بعد التعرف على مفهوم الفكر العقدي، والخطاب المسجدي، وعلاقتهما فيما بينهما، وفي جانب تطوير الخطاب المسجدي، وعرض للعوامل المساعدة على ذلك، نخلص إلى النتائج الآتية:

- يعتبر الخطاب المسجدي وسيلة لتجديد الدين وإحيائه على مدار السنة إلى قيام الساعة.

- على الخطيب التفاعل مع واقعه، وقراءة الأحداث المتجددة، وتلخيصها، وعرضها في خطبته للسامع؛ لأخذ العبر منها.

- مراعاة التطور المستمر على كل المستويات الإيديولوجية منها، والتكنولوجية، واستثمارها في تطوير الخطاب المسجدي، فيثني على إيجابياتها، ويحذر من سلبياتها.

- مواصلة تكوين الخطيب ذاتيا أو مؤسسيا، وذلك لتحسين خطابه، وعصرنته؛ لإقناع السامع به.

-التوصيات:

بعد حصيلة النتائج السابقة يمكن تعزيزها بتوصيات في هذا الإطار وهي كالآتي:

- تبليغ عناصر هذا الملتقى إلى الخطباء الأحرار، والموظفين.

- التعاون، والتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية، والمركز الثقافي الاسلامي، والمؤسسات المماثلة كدار الثقافة والاذاعة والمركز الترفيهي العلمي ودور الشباب، والجمعيات الفاعلة والمكتبات العمومية، والمؤسسات كمكتبة الجامعة، والكليات ومكتبة دار الثقافة، والمكتبة العمومية بالرقم في مثل هذه المواضيع.

- إخراج مواضيع الملتقى في كتاب، وتوزيعه على المؤسسات آنفة الذكر، ومكتباتها ونشره في المراكز الالكترونية.

- إدراج مواضيع الملتقى في مذكرات الليسانس والماستر ومشاريع الدكتوراه مستقبلا.

قائمة المصادر والمراجع

- مصحف المدينة الالكترونية.

1- أحمد حنفي، التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1980م.

2- إبراهيم التهامي، العقيدة الإسلامية.

3- الجرجاني، التعريفات، دار الطلائع، ط1، 2013، القاهرة.

4- عبد الرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية، دار القلم، دمشق، ط11، 2002.

5 - حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار البحث، قسنطينة، ط1، 1990.

6 - حفصي محمد بن عبد الرحمن، فلسفة اللغة والفكر، ط1، 2017، مطبعة الرمال،

الوادي.

7- رابطة المحمدية للعلماء، موقع الرائد، منصة علمية الكترونية، المملكة المغربية.

8- زغلول النجار، المفهوم العلمي للجبال في القرآن.

9- الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة، لبنان، 1984.

10- طه جابر العلواني، اسلامية المعرفة.

11- عبد العليم عبد الرحمان خضر، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن.

12- عبد المجيد النجار، الايمان بالله وأثاره في الحياة.

13 - العسكري، الفروق اللغوية، مكتبة ابن سينا، ط1، 2013، القاهرة.

14- علوي بن عبد القادر السقاف، الموسوعة الحديثية، موقع الدرر السنية.

15 -مجموعة من المؤلفين، موقع ملتقى أهل الحديث.

16 - مجموعة مؤلفين، الخطاب الديني بين الغلو والاعتدال، مطبعة مزوار -الوادي-2010.

17- مجموعة من المؤلفين، محمود باي في ذكرى وفاته.

18- محمد على البار، خلق الانسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية، ط8، 1991م.

19- محمد عمارة، مطبوعة الفكر العقدي في الجزائر، موجهة إلى السنة الثانية ماستر،

تخصص عقيدة، 2019/2020، قسم أصول الدين، جامعة الوادي.

20- محمود يعقوبي، معجم الفلسفة.

21- نور الدين مهري، محمود باي كما عرفته.

22- هدى بكر، مبادرات جديدة لتعزيز اعتماد الرقمنة، مقال للباحثة المصرية، مجلة

كوثریات، ع80، مارس 2021، نشرة تصدر عن مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، كوثر، مملكة البحرين.

الشيخ محمد شادو وجهوده في الخطاب المسجدي والتعليم القرآني بوادي سوف

ط.د / نورة بنين

nourbayane15@gmail.com

د / العيد بلالي

bellali-laid@univ-eloued.dz

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)



ملخص

الشيخ محمد شادو -رحمه الله- هو أحد أعلام الخطابة والتعليم القرآني بوادي سوف، ذاع صيته ونال شهرته من خلال خطابه المسجدي التربوي الإصلاحي، وحلقات تعليمه للقرآن العظيم بمسجد النّصر، حيّ الصّحن الأوّل، بولاية الوادي في الفترة (1989م - 2012م)، إذ كان مسجده مقصدا وقبلة للمصلّين والمستمعين لخطبه من كلّ أنحاء الولاية، وفي هذه الورقة العلميّة نتناول التعريف بشخصيّة الشيخ محمد شادو ودور خطابه المسجديّ في تربية الفرد والمجتمع، وكيفية معالجته لقضايا الأمة، وكذلك نشاطه في التّعليم القرآنيّ، وما اتّصف به من الصّفات والخصائص الدّعوية والخطابيّة التي جعلته يتفوّق على كثير من أئمة وخطباء منطقته بوادي سوف، حتّى لُقّب بفارس المنابر آنذاك.

الكلمات المفتاحيّة: الشيخ محمد شادو؛ الخطاب المسجديّ؛ التّعليم القرآنيّ؛ وادي سوف.

مقدمة

يعتبر الشيخ محمد شادو (رحمه الله) أحد خطباء المساجد البارزين في الإصلاح التربويّ والإجتماعيّ وفارس المنابر بمدينة الوادي وما جاورها في الفترة الممتدّة ما بين (1989م - 2012م)، إذ كان لخطبه المسجديّة دور واضح في إحياء رسالة المسجد وإصلاح المجتمع السّوفي في سنوات الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، وبداية الألفية من القرن الجديد، فقد وجه الشيخ (رحمه الله) جهوده الإصلاحية والتربويّة لمعالجة المجتمع بالدعوة

إلى الرجوع للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وذلك من خلال خطبه الجمعية التي كان يلقيها في مسجد النصر بحي الصّحْن الأوّل، بولاية الوادي، فضلا عن حلقاته القرآنية اليومية في تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره لرواد المسجد القادمين من كل أنحاء الولاية.

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالشيخ محمّد شادو (رحمه الله)، وإبراز جهوده في مجال التربية والتعليم والإصلاح من خلال خطبه المسجديّة التي ذاع صيتها بحيّه وكذا جميع أحياء ولاية الوادي. إنّ المتفحّص لسيرة الشيخ (رحمه الله) يعلم علم اليقين قيمة الرّجل ومدى حرصه على تعليم النّاس وخدمة دين الله وكتابه.

ومن هذا المنطلق يمكننا طرح الإشكال الآتي: ما مدى مساهمة الشيخ محمّد شادو في الخطاب المسجدي والتعليم القرآني بولاية الوادي؟ وماهي أبرز صفات الشيخ الخطابيّة؟ وفيما تتمثّل معالم وملامح خطبه ودروسه اليومية والأسبوعية؟ ولما الحاجة تلك الإشكالية سعينا جاهدين في التّنقيب عن سيرته قصد التعريف به وإبراز جهوده المتعلّقة بالخطاب المسجدي والتعليم القرآني في ورقة بحثية بعنوان:

الشيخ محمّد شادو وجهوده في الخطاب المسجدي والتعليم القرآني بوادي سوف

اتّبعنا في بحثنا هذا المنهج التّاريخي وذلك أثناء ترجمة الشيخ محمّد شادو (رحمه الله)، والمنهج الوصفي لدراسة جهود الشيخ في الخطاب المسجدي والتعليم القرآني وفق الخطّة الآتية:

قسّمنا البحث إلى مقدّمة وأربعة مباحث؛ فالمبحث التّمهيديّ خصّصناه للمحة تاريخيّة موجزة عن منطقة وادي سوف. أمّا الأوّل فقد جعلناه للتعريف بالشيخ محمّد شادو (رحمه الله)، والمبحث الثّاني أفردناه لدراسة جهود الشيخ محمّد شادو في الخطاب المسجدي، وأمّا المبحث الثّالث تطرّقنا فيه لجهود الشيخ محمّد شادو في التعليم القرآني. بالنّسبة للدراسات السّابقة فقد تعرّضت الباحثة هنيئة عبادي لشخصيّة الشيخ محمّد شادو (رحمه الله) بالدراسة والبحث، وقد استأنسنا ببحثها فيما يتعلّق بجهود الشيخ في التّعليم القرآني.

المبحث التّمهيدي: لمحة تاريخيّة موجزة عن منطقة وادي سوف

ولاية الوادي أو ولاية وادي سوف؛ هي ولاية جزائريّة انبثقت عن التّقسيم الإداري لعام 1984م، وتنقسم إلى منطقتين ذات أصول عرقية مختلفة: منطقة وادي سوف

ومنطقة وادي ربيع، عاصمة الولاية هي مدينة الوادي.

أول من سكن بوادي سوف في منطقة تسمى اللجة سابقا والزقم حالياً، هو الشيخ محمد العدواني (رحمه الله).

المطلب الأول: الموقع الجغرافي لمنطقة وادي سوف

تقع ولاية الوادي شمال شرق الصحراء الجزائرية، تبعد عن عاصمة الوطن بـ 630 كلم، يحدها من الشرق الجمهورية التونسية، ومن الغرب ولايتي المغيّر وتقرت، ومن الشمال ولايات تبسة وخنشلة وبسكرة، ومن الجنوب ولاية ورقلة¹.

المطلب الثاني: سبب التسمية

كانت أرض سوف في القديم تسمى الظاهرة²، ثم صارت تسمى أرض سوف، وقيل أيضاً إنها مأخوذة من لفظة أزوف؛ وهي كلمة بربرية معناها "الوادي"، وبحكم اختلاف تداول الألسنة حُرِفَتْ وصارت سوف. وقيل لأنها كانت محلاً لأهل الصُوف؛ لأنَّ كلَّ عابد من أهل التَّصَوُّف ينقطع للعبادة فيها. وقيل سَمِيَتْ بذلك لأنَّ أهلها الأوّلين كانوا يلبسون الصُّوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم. وقيل كان رجل صاحب حكمة يسمى ذا السُّوف؛ فسَمِيَتْ هذه الأرض به. وقيل أنَّه توجد بأرض سوريا (الشَّام) منطقة تسمى سوف أيضاً، قيل إنَّ بعضاً من أهلها قدموا إلى أرضنا ضمن العرب الذين دخلوا إفريقية فسَمُّوا أرضنا سوف باسم منطقتهم الأصليَّة بسوريا. وقيل سَمِيَتْ بمسوفة فرقة المثلّمين من البرابرة.

وقال القدماء: حين أتى طرود إلى هذه التَّوْاحي قالوا تسكن تلك السُّيوف، والسُّيوف جمع سيف أي كثيب من الرَّمْل فحُذِفَت الياء بكثرة الاستعمال وتداول أوّل ألسنة العامَّة عليها مع عدم محافظتهم على أصول الكلمات فصار الذَّاهب والآتي يقول ذاهب إلى سوف أو كنت في سوف³.

¹ موقع بلدية الوادي، تاريخ الزيارة: 2023/03/16، على السَّاعة: 17:53.

² [/https://apc-eloued.dz/2020/10/24/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AF%D9%8A](https://apc-eloued.dz/2020/10/24/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AF%D9%8A)

³ قال القدماء: إنها سَمِيَتْ بذلك لأنَّها أوّل قطعة من الأرض ظهرت بعد نقطة حين انحصر عنها ماء الطُّوفان، كما أنَّ أرض نفزاوة ظهر منها جانب في ذلك وهو إلى الآن يسمى الظَّاهر. الصُّروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم العوامر، ص: 42.

³ ينظر: الصُّروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم العوامر، ص: 42-43.

المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمد شادو (رحمه الله)

إنَّ تاريخ منطقتنا الوادي تاريخ حافل بالعظماء والعلماء؛ ممَّن بنوا تاريخها العريق، ومجدها التَّليد، ومن هؤلاء: الشَّيخ مُحَمَّد شادو (رحمه الله)، والذي سنحاول أن نترجم له دون اختصار مخلّ ولا تطويل ممل بما يقتضيه حال ورقتنا البحثية.

المطلب الأول: حياته الشخصية:

1. اسمه ونسبه ومولده: هو مُحَمَّد بن عَمَّار بن السَّاسي بن عليّ بن سالم شادو، وأُمُّه الزُّهرة بالخير.

وُلد خلال 1946م، ومسجَّل في الحالة المدنية بتاريخ: الخميس 18 أكتوبر 1945م؛ الموافق لـ 12 ذو القعدة 1364هـ، بتونس، مدينة توزر؛ شارع الرُّبْدَة.

تعود أصول الشَّيخ مُحَمَّد شادو إلى بلدية حاسي خليفة، وينتسبون إلى فرقة الأعشاش¹، وأُمُّه تونسية ذات أصول جزائرية².

2. نشأته: نشأ الشَّيخ مُحَمَّد شادو (رحمه الله) في أسرة بسيطة متواضعة ومحافظة، تتكوَّن من أب وأمٍّ وخمسة إخوة.

كان جدُّه لأُمِّه الأديب إبراهيم بن سالم بالخير³ شاعراً معروفاً، حافظاً لكتاب الله، دارساً لعلومه، له عدَّة دواوين شعرية منها التُّوزريَّات.

تربَّى الشَّيخ يتيماً، توفَّيت أُمُّه وعمره 7 سنوات، وتوفِّي أبوه وهو في 12 من عمره، تاركاً

¹ نسبة إلى العش بن عمر بن سليمان بن مُحَمَّد اليربوعي، الذي يقيم في قرية تدعى تلمين الكبرى في عمالة نفزاوة بالجنوب التونسي، ونتيجة لحدوث مشاكل بين العش وحاكم المنطقة، سافر العش وأهله إلى سوف ونزلوا على فريق أولاد أحمد، فأوَّهم وأكرمهم، وتصاهروا معهم، وانتموا إليهم. ينظر: الصُّروف في تاريخ الصَّحراء وسوف، إبراهيم العوامر، ص: 379-380.

² شهادة ميلاد الشَّيخ مُحَمَّد شادو، رقم: 02517، الصَّادرة عن بلدية البياضة في: 01/06/2022م، أرسلتها إلينا عبر برنامج الواتساب أ. عبلة خضير، الرُّوج المصون للشَّيخ خالد شادو (ابن الشَّيخ مُحَمَّد شادو) بتاريخ: 10/03/2023م، على السَّاعة: 16:13 زوالاً. ولقاء مع السَّيِّد بوبكر حويذق، بمسجد النَّصر، بتاريخ: 15/03/2023م، على السَّاعة: 16:38.

³ وُلد الأديب إبراهيم بن سالم بالخير في حدود 1307هـ/1889م، حفظ القرآن الكريم صغيراً، اشتغل بالإدارة، خلف وراءه العديد من القصائد، يغلب على قصائده مدح النبي ﷺ وأولياء الطَّريقة القادرية حتَّى عُرف بشاعرها، توفِّي في حدود 1357هـ/1938م. ينظر: البحر المديد في شخصيات أهل الجريد، خالد أئينة، ص:

وراءه ولدين وثلاث بنات.

عاش طفولة صعبة، تحمّل المسؤولية وهو صغير، ومع هذا لم تمنعه الظروف من تعلّم القرآن؛ فقد أتّم حفظ الرُّبُع الأخير (ربع يس) وهو في 11 من عمره.

حُكي عن الشَّيخ (رحمه الله) أنّه كان متعلّقاً بأخته ياسمينه تعلّقاً عجباً حتّى أنّها كانت السَّبب في عودته للجزائر، تزوجت أخته بتونس، وعند الاستقلال كان شأنها كشأن الكثير من العائلات الجزائرية اللّاجئة؛ حيث عادت مع عائلة زوجها "الكيلاني ميهي"، وعندها تأثّر الشَّيخ شادو تأثراً كبيراً وأراد اللّحاق بها؛ لكن عمره القانوني لم يسمح له بالسّفر، ولم يجد من يضمّنه من أقاربه، ومع هذا أصّر الشَّيخ على اللّحاق بها بأيّ طريقة كانت؛ فعرض عليه زوج أخته ياسمينه أن يعود به عبر الصّحراء دون العبور عن الحدود، فوافق الشَّيخ وكان ذلك في سنة 1965م؛ حيث بلغ عمره آنذاك 18 عاماً حسب ميلاده بتونس.

التحق الشَّيخ بأخته ياسمينه¹ -رحمها الله- عبر قافلة تجارية مشياً على قدميه، ودامت الرحلة ثلاثة أيّام حتّى تورّمت قدماه، وبعد عناء طويل عاد الشَّيخ إلى أرضه الأم واستقرّ لدى أخته بمنزلها في حيّ أولاد أحمد بالوادي، ثمّ سوّى له عمّه لأمه "بلقاسم مسعي" وضعيته القانونيّة.

تزوّج الشَّيخ من السيّدة تونس تومي بنت إبراهيم يوم 9 ديسمبر 1974م، ورزق منها بـ 8 ذكور و 4 إناث وهم على التّرتيب: عمّار، زهير، سمّية، خالد، عبد الرّحمان، الزّهرة، صفية، محمّد الطّاهر، عبد الله، ميمونة، إبراهيم، ومحمّد الطّيب².

3. أوصاف الشَّيخ محمّد شادو ومحامده:

• تعامله مع ربّه وسنّة نبيّه:

ممّا أفادتنا به زوجته الفاضلة الحاجّة تونس -حفظها الله- أنّ الشَّيخ كان محافظاً على ورده من القرآن الكريم وقيام اللّيل، لم يفصح الشَّيخ محمّد عن مقدار ورده القرآني لأحد بحسب ما روي لنا ليبقى ذلك من بين أسرارهِ مع خالقه، وكان يواظب على صلاة

¹ توقّيت الحاجّة ياسمينه -رحمها الله- يوم الأربعاء 11 جانفي 2023م. مراسلة أ. عبلة خضير بتاريخ: 2023/03/10م، على السّاعة: 13:16 زوالاً.

² لقاء مع حرم الشَّيخ محمّد شادو الماجدة تونس تومي -حفظها الله- بمنزلها في الصّحن الأوّل، بتاريخ: 2023/03/15م، على السّاعة: 17:12. شيوخ التّعليم القرآني بمنطقة وادي سوف، هيئة عبادي، ص: 12-13.

الضُّحَى وأذكار اليوم واللَّيلة، ولا ينام إلاَّ على طهارة.

من مواصفاته حسب رواية الزَّوْجَةِ أَنَّهُ كان يطيل الصَّلَاةَ بالنَّاسِ وخاصَّةً في صلاة التَّراويح بشهر رمضان.

• حسن تعامله مع زوجته وأبنائه:

ومن ذلك ما روته لنا حرمه المصونة الحاجَّة تونس تومي -أمَّها الله بالصَّحَّة والعافية- إذ قالت لنا أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ شَادُو (رحمه الله) كان لها نعم الزَّوْجَ والسَّندَ والمرِّي؛ إذ تزوَّجته في عمر صغيرة لم تتجاوز حينها 13 من عمرها، وكان عمره آنذاك 25 عاماً؛ حيث شهدت للشَّيْخ -وقد مكثت عنده قرابة خمس عقود من الزَّمن- بالطَّيبة والكرم والرَّأفة عليهم، فقد ربَّى أولاده على طاعة الله وتقواه، وغرس فيهم حسن الأخلاق، وقالت أَنَّهُ كان يميَّزُ بقوة صبره (رحمه الله)، حيث ذكرت لنا موقفاً من المواقف العصيبة التي مرَّت بهم وهي محنة وفاة ابنهم عمَّار (رحمه الله) وكان ذلك في شهر رمضان إذ تلقَّى الشَّيْخ الخبر في المسجد بعد صلاة التَّراويح ولم يخبرها بذلك رَأفة منه على حالها، وقالت: أَنَّهُ راجع مقرر حفظه للتَّراويح لِّلَّيلة الموالية مع صديقه الشَّيْخ صالح نُعَّاق على عادته في كلِّ ليلة من رمضان ثُمَّ نام ليوقظني وقت السَّحر لتجهيز السَّحور، تسخَّرنا ثُمَّ بعد صلاة الفجر عاد الشَّيْخ صالح لزوجي، فأثار في نفسي الفضول مع شعوري بأنَّ الشَّيْخ في تلك اللَّيلة على غير حاله، لم يكن من طبعي التَّنصُّت والتَّحسُّس إلاَّ أَنِّي ما رأيته من حاله دفعني لفعل ذلك؛ فسمعتهم يتحدَّثون عن وفاة ابني عمَّار إثر حادث مرور بالكرمة بولاية وهران سنة 1999م عن عمر يناهز 27 سنة، لم أتمالك نفسي وقتها إذ كانت الحرقه والبكاء يملآن قلبي، كان الشَّيْخ متصبراً محتسباً لله سبحانه وما زاد عن قوله لي: "الله الذي أتى به وهو الذي أخذه" إنا لله وإنا إليه راجعون".

• تعامله مع مجتمعه:

روت لنا عقيلته الحاجَّة تونس بأنَّ الشَّيْخ مُحَمَّد لم يكن من تلك الفئات المحبطة القانطة، المكثرة من شكاية صروف الدَّهر وتقلُّباته، بل إنك لا تراه إلا مبتسماً، تعلقو محيَّاه علامات البشر والسُّرور.

لا يتكلم فيما لا يعنيه، محبَّ الخير للجميع، محافظاً على استغلال وقته فيما ينفع ويفيد، جاعلاً شعاره في ذلك أَنَّ الوقت هو الحياة. لم يكن الشَّيْخ مُحَمَّد ينتهي لأيِّ حزب

سياسي ولا لأيّ طريقة؛ حيث ذكرتُ لنا زوجته أنه كان يقول: "حيثما كان القرآن العظيم كنتُ خادماً له". وقد روتُ لنا رفيقة دربه الحاجة تونس أنه كان يزور زاوية أدرار التي يترأسها محمد الكبير وذلك بقصد خدمة كتاب الله تعالى.

• تعامله مع الكتب:

حبّه الشّديد للمطالعة وقراءة الكتب، فلا تراه إلا غالقاً باب غرفته المكتبيّة على نفسه ليختلي مع كتبه، ولا يحبّ من يقاطعه خاصّة في يوم الجمعة وأثناء تحضيره للخطبة، حتّى إذا جاءه زائر في يومها قال اصرفوه¹.

المطلب الثّاني: حياته العلميّة

1. دراسته ووظائفه: بدأ الشّيخ تعلّم القرآن في سنّ مبكّرة وكان هذا في جامع حيّه بتوزر على يد شيخه صالح الضّايغ، وأتمّ معه حفظ ربع ياسين وهو في 11 عشر من عمره. أتمّ الشّيخ حفظ كتاب الله كاملاً على يد الشّيخ علي بوخزة بجامع الفتح (فردية) بجي أولاد أحمد بلدية الوادي، وكذا حفظ بعض المتون؛ كمتن ابن عاشر، ومتن الرّسالة في الفقه، ومتن الأجروميّة، وبعض من الألفيّة في النّحو. درس الشّيخ بالمدارس النّظاميّة بتونس من الابتدائي حتّى الثّانوي، ثمّ عاد للجزائر، وكانت عودته تمثّل نقطة تحوّل في حياته؛ حيث وجد نفسه يسابق مضمار الحياة العمليّة. بعد عودة الشّيخ من تونس اشتغل عاملاً يوميّاً لفترة قصيرة، ثمّ شارك في امتحان تدريب المعلّمين؛ فنجح الشّيخ بامتياز، وبعد مدّة عيّن في ولاية تمناست لمدة سنة كاملة، وذلك عام 1966م، ثمّ نُقل إلى ولاية ورقلة سنة 1967م، وفي سنة 1968م نُقل إلى ولاية الوادي ودرّس بابتدائية نصرات حشاني، وفي سنة 1987م رُقّي إلى رتبة أستاذ بالإكماليّة في متوسّطة محمّد الأمين العمودي؛ فدرّس بها اللّغة العربيّة والتّربية الإسلاميّة. في سنة 1979م بدأ الشّيخ مسيرته في المساجد والدّعوة إلى الله، حيث تطوّع للإمامة في مسجد النّصر المعروف بـ "جامع شادو" بجي الصّحن الأوّل. بدأ تعليم القرآن سنة 1982م بنفس المسجد ودام تعليمه للقرآن ما يقارب ربع قرن. وفي الفاتح من نوفمبر 1989م انتدب للإمامة والخطابة بشكل رسمي، ثمّ أصبح إماماً مدرساً وذلك بتاريخ: 1 جانفي 1990م إلى غاية 31 مارس 2012م².

¹ لقاء مع حرم الشّيخ محمّد شادو الماجدة تونس تومي -حفظها الله- بمنزله، بتاريخ: 15/03/2023م، على الساعة: 17:12.

² شيوخ التّعليم القرآني بمنطقة وادي سوف، هنيّة عبادي، ص: 12-13. مطويّة تعريفية بالسيرة الدّائنية للشّيخ

2. شيوخه: لنبوغ الشيوخ أسباب وعوامل تساعدهم على ذلك، من بينها تتلمذهم على يد مشايخ أجلاء، وهذا ما حصل مع الشيخ محمد شادو (رحمه الله) وسنذكر فيما يأتي أبرز الشيوخ الذين تلقى عنهم الشيخ القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وهم:

أ. الشيخ صالح الضايح التونسي: وُلد بمدينة توزر عام 1331هـ/1912م في عهد البايات (محمد أمين باي)، حفظ القرآن الكريم بالفرع الزيتوني (جامع فركوس) بتوزر في عام 1346هـ/1927م وعمره آنذاك 15 سنة، تولى الإمامة عام 1368هـ/1948م، واشتغل بتحفيظ القرآن للصغار والكبار على رواية ورش عن نافع المدني بمسجد سيدي سالم بتوزر، أخذ عنه الشيخ محمد شادو القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، أفنى عمره (رحمه الله) في طاعة ربه عز وجل وتربية النشئ على حب القرآن والعمل بمقتضاه، وبقي على ذلك إلى أن وافته المنية عام 1414هـ/1993م، عن عمر يناهز 81 عاماً.

من أبرز شيوخه: الطالب خزّاني بن السّاسي، والطالب الطاهر العياشي، الطالب المولدي المسغوني، والطالب صالح أنينة (والد جدتنا من جهة الأب).

ب. الشيخ البشير صفية: وُلد بحاضرة توزر عام 1339هـ الموافق لـ 4 مارس 1920م، قرأ بدءاً بكتاتيب توزر ثم جامع الفركوس بتوزر، نال شهادة الأهلية¹، تاقّت نفسه مواصلة الدراسة بجامع الزيتونة بتونس العاصمة، أُسندت له شهادة التطويع ثم شهادة التحصيل لينال بعدهما شهادة العالمية² في القسم الشرعي، وهي أعلى شهادة

محمد شادو تحصّلنا عليها من عند السيّد بوبكر حويذق، بالتّاريخ والمكان المذكورين أعلاه.

¹ شهادة الأهلية: بمثابة الابتدائي عندنا، وهي أوّل الشهادات التي كانت تؤخذ من الفرع الزيتوني بعد دراسة تدوم أربع سنوات، وفي كلّ مدينة بها فرع زيتوني، ومن شروط الانتساب إليها: حفظ 6 أحزاب من القرآن الكريم، حفظ متن ابن عاشر في الفقه المالكي، حفظ متن الأجرمية في النّحو، مع وجوب الالتزام بالزّي الموحد (الكشطة؛ اللّحفة؛ الجبّة؛ البرنس؛ الكبّس؛ البلغة)، ثمّ ينتقل الطّالب بعدها إلى تونس العاصمة لاستكمال الدّراسة لمدة أربع سنوات أخرى؛ لينال شهادة التطويع أو شهادة التّحصيل؛ هكذا تسعى عندهم في الدّيار التّونسيّة الشّقيقة، وهي بمثابة البكالوريا عندنا في الجزائر. مراسلة الدّكتور خالد أنينة عبر برنامج الواتساب بتاريخ: 20 مارس 2023م على السّاعة: 12:12 منتصف النّهار.

² العالمية: بمثابة الدّكتوراه عندنا، وفي جامع الزيتونة بتونس، كانت العالمية أعلى الشهادات التي يمنحها بعد ثلاث سنوات من التّعليم العالي، وقد وقع إحداثها طبقاً للأمر المؤرّخ في 30 مارس 1933م، لتعويض شهادة التطويع. وكانت تنقسم طبقاً للاختصاص إلى: العالمية في القسم الشرعي، والعالمية في القسم الأدبي؛ العالمية في القراءات. وكانت نتائج امتحانات العالمية تجري في تونس العاصمة، وتنشر على أعمدة الصّحف الوطنيّة. أما عدد الحاصلين عليها فقد كان متواضعاً آنذاك بالمقارنة مع الشّهادتين الأخرتين للجامع الزيتوني أي: الأهلية والتّحصيل.

مدرس من الطبقة الأولى، تصدّر التدريس بمعهد توزر إلى حين تقاعده.

كان الشيخ حافظاً للقرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني، إمام خمس بجامع سيدي عبد الأخضر بتوزر ثم إماماً خطيباً. وفي أواخر حياته استعفى منها؛ نظراً لتقدمه في السنّ، وعلى مدى عمره المبارك باشر تدريس فقه مالك وشرح الحديث النبوي بالجامع المذكور، وذلك كل يوم ما بين صلاتي العصر والمغرب. هو من خيرة الدعاة العاملين للهداية، فقيهاً، أريباً، إمام في أصول الفقة والعربية والحديث، شهرته كافية عن مزيد التعريف.

هو من كبار الأئمة الراسخين في العلم والمعرفة، تفقّه عليه أئمة توزر، وكان صاحب مشورة، من أرباب المناصب الدينيّة بوطن الجريد. رجلاً مقدماً، لطيف الإشارة حسن السمّت، بشوشاً، طلق المحيّا، عرصّة من عرصات البلاد الموسومين بالعقّة والزهد، عالم جليل ونبراس أثيل، له مشاركات حسنة في المجالس العلميّة، ولقد ترك لنا تراثاً فكريّاً هائلاً يتمثّل في محاضرات ودراسات في فنون شتى، وخطب جُمعيّة تجل عن الحصر وكتاب في تاريخ الجريد¹. انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الأحد 4 جويلية 1993م².

ج. الشيخ علي بوخرّة: هو علي بن عماري بن عيسى بوخرّة، من كبار شيوخ التّعليم القرآنيّ بوادي سوف، وُلد الطّالب علي بوخرّة خلال 1935م في قرية تمرنة القديمة، إحدى قرى بلدة جامعة، في أسرة محبّة للقرآن العظيم وأهله، لما بلغ سنّ التّعلّم أرسله والده إلى جدّه لأُمّه الطّالب عبد القادر بالمتنوّر بقرية سيدي سليمان إحدى قرى مدينة تقرّت؛ فتلقّى عنه مبادئ القراءة والكتابة وقصار السّور إلى أن وصل لسورة المعارج، ولما توفّي جدّه عاد إلى مسقط رأسه متفرّغاً لحفظ القرآن الكريم ودراسته إلى أن أتمّه على يد عمّه الطّالب خليل، ثمّ تلقّى بعض المتون من الأجرميّة وقطر النّدى والرّسالة على الشيخ

¹ قال الدكتور خالد أنينة التونسي: ومما سمعته من الطّالب عبد العزيز النّيفر قال: طلب منا شيخنا الشيخ البشير صفيّة (وكنّا ثلاثة أشخاص) نسخ كتابه الذي يتناول موضوعه تاريخ الجريد منذ الفتح الإسلامي إلى استقلال تونس سنة 1376هـ/1956م، جمعها من مطالعته ومما سمعته من الشيوخ الأوائل، جميع النسخ المخطوطة أهداها الشيخ البشير في عيد الجمهورية وذلك عند زيارة الرئيس السابق الحبيب بورقيبة إلى توزر (النسخة الأولى للرئيس؛ والثانية للوالي؛ والثالثة لمعتمد المدينة) ولم يترك نسخة لنفسه، وقد غاب عن ذهني عن اسم الكتاب نظراً لطول المدة. وهو أثر مفقود على ما يبدو. ينظر: الفريد في أعلام بلاد الجريد، خالد أنينة، ص: 185.

² ينظر: الفريد في أعلام بلاد الجريد، خالد أنينة، ص: 185-186.

التَّقرُّتي مُحَمَّد الصَّغِير بِأَمِّ الطَّيُور، وفي سنة 1959م توجَّه إلى الوادي ليستزید من نور العلم وقد ساقته عناية العليم الحکیم ليلتقيَ بالعالمين الجليلين: الشَّيخ الطَّاهر العُبَيْدي وأخيه أحمد -رحمهما الله- فوجد سؤله عندهما، ولقد رأى الشَّيخ الطَّاهر العُبَيْدي في الطَّالِب علي شِدَّة الحماس لطلب العلم؛ فأشار عليه أن يُعَلِّم القرآن الكريم في زاوية سيدي سالم، وكانت آنذاك مقصداً لرؤاد العلم وطلبة القرآن الكريم داخل قطر سوف وخارجِه؛ تخرَّج على يديه طلبة كثير جُلُّهم من خارج منطقة سوف، وهو في هذه الفترة بجانب التَّعليم القرآني ينهل من مختلف فنون العلم على شَيْخَيْهِ الشَّيخ أحمد العبيدي والشَّيخ الطَّاهر، فقرأ متن ابن عاشر ومتن الأَخْضَرِي، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، والألفيَّة لابن مالك؛ كان يحفظها عن ظهر غيب، وقطر النَّدَى وبلِّ الصَّدَى لابن هشام في النَّحو، ورسالة البيان ومتن الجوهر المكنون في البلاغة، والحكم العطائيَّة في التَّوحيد، ولأزال الطَّالِب علي بوخزَّة بزواية سيدي سالم على عهده جدًّا واجتهادًا في تعليم القرآن الكريم إلى سنة 1979م، ثمَّ انتقل إلى مسجد فَرْدِيَّة؛ فدرَّس القرآن فيه عشر سنين وتخرَّج على يديه خيرة الطُّلبة من أبرزهم: الشَّيخ مُحَمَّد شادو والشَّيخ كمال قدَّة، ثمَّ حنَّ إلى مسقط رأسه سنة 1990م، وأنشأ مدرسة قرآنيَّة ودرَّس فيها سنين عديدة إلى أن تقدَّم به العمر؛ فأخذ التَّقَاعِد وعكف على قراءة القرآن الكريم والذِّكْر معرضاً عن الدُّنيا مقبلاً على ما هو خير وأبقى¹.

3. تلاميذه: من بركة علم الشَّيخ مُحَمَّد شادو (رحمه الله) أن تخرَّج على يده تلاميذ كثير حفظوا عليه القرآن الكريم كاملاً، ومن أهمِّهم:

• أولاده: الذُّكور كلُّهم: عَمَّار رحمه الله، خالد، عبد الرَّحْمَان، زهير، مُحَمَّد الطَّاهر، عبد الله، إبراهيم، مُحَمَّد الطَّيِّب. ومن الإناث: عدا ابنته سميَّة.

- عبد الغني عليَّة (رحمه الله).

- خالد خالدي.

- العروسي لعجالي.

- علي هويدي (رحمه الله).

- عمر هويدي.

¹ الصَّادق بوخزَّة (ابن الطَّالِب بوخزَّة)، أستاذ التَّعليم القرآني بمسجد عثمان بن عفَّان ؓ بجي 19 مارس، تمَّ اللقاء به في مسجده بتاريخ: 2023/03/28م، على السَّاعة 21:30 ليلاً.

أما عن تلاميذه الذين أخذوا عنه بعضاً من القرآن الكريم، نذكر منهم على سبيل الإيجاز:

• بناته: الزهرة، صفية، ميمونة.

- البروفسور كمال قدة.

- الأمين رمضاني.

- بوبكر حويدق.

- إسماعيل مصطفى¹.

مكانته العلمية وثناء تلاميذه عليه:

يشهد للشيخ الإمام محمد شادو بأنه رجل فاضل مثقف من معدن أصيل، صاحب همّة عالية، لا تفارق محيّاہ الابتسامة، تميّز بالجديّة والكفاءة؛ بالإضافة إلى الإخلاص والتفاني في العمل.

قال عنه تلميذه البروفسور عبد القادر مهاوات: تعلّمتُ من أستاذي:

1- أحكام التلاوة قبل زهاء 32 سنة، وأنا في عزّ مراهقتي، وبدايات شغفي بعلوم الشريعة عمومًا، وبالقرآن الكريم خصوصًا، فأخذتُ عنه التجويد نظريًا يوم أن لم يكن على السّاحة -فيما أعلم- من يتحدّث عنه، فضلًا على أن يُجيده، وتطبيقًا على سورة آل عمران؛ وذلك من خلال الفوج القرآني الذي كان يُشرف على تأطيره بمسجده (النّصر) بحي الصّحن الأوّل بمدينة الوادي. فكنتُ وأنا الصّغير حينها أتكلّف الذهاب إليه من حيّنا (الطلايبة)، وأنضبط في درسه فيما بين المغرب والعشاء.

2- اللّغة العربيّة غزبةً طريّةً؛ ليس نظريًا -رغم أنّه أستاذها-؛ فقد أخذتُ هذا الجانب عن غيره من مشايخ منطقتنا مدرسيًا ومسجديًا، ولكن عمليًا؛ وذلك من خلال السّماع الدّائم إلى خطبه الجُمعيّة والعِيديّة التي كانت غايةً في الفصاحة؛ إذ إنّ مدّة حضوري إليها بشكلٍ راتبٍ قارب الـ 10 سنوات؛ حتّى إنّني لم أفارقها إلّا عندما أصبحتُ خطيبًا.

3- الفكر النّير والوعي المجتمعيّ والتّفاعل مع قضايا الأُمّة؛ فقد كانت أكثر خطّبه ﷺ تصبّ في هذا السّياق، في وقتٍ لم تكن فيه وسائل الإعلام والاتّصال على النّحو الذي

¹ لقاء مع أ. عمر هويدي، في منزله، بتاريخ: 2023/03/27م، على الساعة: 9:45 صباحاً.

نشهده الآن؛ فكنتُ آخذُ عنه الفكرة أو الحدث من حيث هو معلومةٌ، وكذا من حيث إسقاطها على الواقع، وكيفية التعامل معها على نحوٍ شرعيٍّ وسطيٍّ.

جزي الله شيخنا عنًا خير الجزاء، وجعل ما أسهم به تكوين شخصيتنا العلمية والدعوة في ميزان حسناته، وألحقنا به عليين؛ إنه جواد كريم¹.

وفي هذا المقام ذكر تلميذه البروفسور كمال قدة في مداخلة ألقاها تبين تواضعه وحبّه لشيخه محمد شادو قائلا: "إذا ذكرت القرآن الكريم في وادي سوف فاذكر معه الشيخ محمد شادو، هو مربّي الأجيال، وهو الذي قرأ القرآن غصًا طريًا كما أنزل.. أنا يا سيدي أحد تلامذتك الذين تربّوا على مائدة القرآن التي كنت تشرف عليها، يا سيدي أنا امتداد لك، أنا على الطّوع الذي وضعته، وأنا الثمرة التي نبتت من خلال هذا الزرع الذي سقيته بأحكام التلاوة والتجويد.. أنا تلميذك وأشهد الله أني أحبّك، وأن كلّ خير وصلني وأحاط بي ما هو إلا بعد الله عز وجل جهد من جهودك.. أنا لست دكتورا حينما كنت أقابل الشيخ، أنا تلميذ مؤدّب، الشيخ محمد شادو تسقط دونه كلّ الألقاب"².

4. وفاته: توفي الشيخ محمد شادو (رحمه الله) بعد حياة حافلة بالعباءة ظهيرة يوم الأربعاء 13 ذو القعدة 1442 هـ الموافق لـ: 23 جوان 2021م، ودفن في نفس اليوم بعد صلاة العشاء بمقبرة حمد بوكوشة بالصّحن الأوّل بالوادي³.

فرحم الله الشيخ رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأوفاه.

المبحث الثالث: جهود الشيخ محمد شادو في الخطاب المسجدي

المطلب الأوّل: التعريف بمسجد النصر ونشأته: أنشئ مسجد النّصر عام 1963م أين كان المصلّون وقتها يؤمّون صلاتهم بساحة المسجد قبل بنائه، وأرض المسجد كانت عبارة عن هبة من طرف عبد المالك المدعو (زغودة) رحمه الله وطيب ثراه، ومكان دورة المياه كانت مسكنًا للمُوشية مسعود، اتّخذها الإمام بحري إبراهيم مسكنًا له رحمه الله.

¹ مراسلة البروفيسور عبد القادر مهاوات عبر الإيميل، بتاريخ: 2023/03/08م، على الساعة: 11:53 صباحًا.

² مداخلة البروفيسور كمال قدة في برنامج قهوة الأربعاء باستضافة الشيخ محمد شادو، إذاعة الوادي، 2019/09/16م، تاريخ المشاهدة: 2023/03/20م.

³ لقاء مع السيّد بوبكر حوينق، بمسجد النّصر، بتاريخ: 2023/03/15م، على الساعة: 16:38.

إذ يُترع المسجد على مساحة قدرها 665.19 م². أُعيد بناؤه مرتين، والذين أشرفوا على بنائه هم أعضاء الجمعية الدينية آنذاك؛ وهم: رويحة عبد الرحمان؛ بليلة إبراهيم؛ جابر عبد الحميد؛ شاوش العربي؛ بلعروسي صحراوي؛ ساكر التجاني؛ وغيرهم من نخبة ذلك الزمان الجميل.

الأئمة الذين تداولوا على المسجد: الباهي الصغير؛ سي الهادي؛ بحري إبراهيم؛ خالدي علي؛ تامة الساسي؛ شادو محمد؛ بوخرّة مصطفى؛ قافة عاشور؛ ساكر نور الدين.

المؤذنون: هقي الشابي؛ أحمد الغولي؛ شيخة محمد الهادي؛ شرّاحي محمد؛ بالعروسي صحراوي؛ بن عون محمد المدعو (الدّعي).

خطيب الجمعة الحالي: الشيخ عبد الرحمان جديدي حفظه الله¹.

المطلب الثاني: تعريف الخطاب المسجدي

01- تعريف الخطاب: "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً"، و"الخطب: الشأن والأمر"²، فيدلّ معنى الخطاب عند العرب على الكلام، والخطابة عند العرب لها مكانتها باعتبارها ارتبطت باللغة، والتأثير في الآخرين، وقد استمدّت مكانتها في العهد الجاهلي من سلطة القبيلة، إلا أنه مع مجيء الإسلام استمدّت تأثيرها وقدسيتهما من نصوص القرآن والسنة.

02- تعريف المسجد وبيان أهميته:

أ- المسجد لغة: بالكسر اسم لمكان السجود، والمسجد بالفتح: جهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود³.

ب- المسجد اصطلاحاً: هو كل موضع من الأرض للسجود لقوله ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)⁴.

¹ مطوية تعريفية بمسجد الشيخ محمد شادو تحصّلنا عليها من عند السيّد بوبكر حويذق، بالمكان والتاريخ المذكورين أعلاه.

² لسان العرب، ابن منظور، 1194/15.

³ المرجع نفسه، 204/3.

⁴ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً،

والمسجد من خصائص الأمة الإسلامية، قال القاضي عياض: (لأن من كان قبلنا، كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته)¹. وقال القرطبي: (هذا ما خص الله به نبيه، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس)². قال الإمام الزركشي: ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه ف قيل مسجد، ولم يقولوا مركع. ثم إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطى حكمه³.

ج- أهمية المسجد: تبرز باعتباره أهم مؤسسة دينية في الإسلام تقوم بإنتاج الخطاب الإسلامي المتعدد في المعاني التعبدية والاجتماعية، والتربوية والإصلاحية، مرتكزا على النصوص القرآنية والنبوية، مما يؤثر على مدى تأثير المسجد وفعاليتها، في بناء الهوية الإسلامية، وبناء القيم والمعايير التي يكتسبها الفرد والمجتمع والأمة. وقد كان المسجد في الجزائر يحكم تأثره وتأثيره مسرحاً للتغير الاجتماعي الذي طرأ على الجزائريين خصوصا في سنوات التسعينيات من القرن الماضي، حيث "ظهر المسجد كمؤسسة للتجاذب بين الجزائريين منذ إفراز التعددية الحزبية، وكان ساحة للحملات والاستحقاقات الانتخابية"⁴.

03- تعريف الخطاب المسجدي: يتجسد الخطاب المسجدي في خطب الجمعة، وفي الدروس والمواعظ اليومية والأسبوعية، التي تمثل مركز تفاعل واجتماعي للمسلمين، بالتقاءهم كل مرة في الأسبوع لأداء صلاة الجمعة، والاستماع للخطبة، إضافة لسائر اللقاءات المتكررة في الدروس المسجدية؛ مما يدل على أن الخطاب المسجدي هو "كل ما يقدمه المسجد من أعمال علمية تتم صياغتها لغوياً من خطبة الجمعة ودرسها، إلى الدروس المختلفة المتعلقة بالمناسبات وغيرها، مما يهدف إلى إحداث نوع من التأثير في رواد المسجد، ويُحدث نوعاً من التغيير في محيط المسجد"⁵.

حديث رقم: 438، 95/1.

¹ إعلام الساجد بأحكام المساجد، بدر الدين الزركشي، ص: 27.

² المرجع نفسه، ص: 27.

³ المرجع نفسه، ص: 28.

⁴ ينظر: المؤسسة الدينية والأصولية الجزائرية، بوزيد بومدين، ص: 178.

⁵ راهن الخطاب المسجدي والمرجعية الدينية الوطنية، العمري مرزوق، ص: 12.

المطلب الثالث: صفات الشيخ محمد شادو الخطابية

أولاً: سعة ثقافته في علوم اللغة والأدب: تميز الشيخ محمد شادو بفصاحته، وحسن بيانه في خطبه ودروسه، مما أكسبه قدرة على التأثير في سامعيه، وقبول كلماته، لاتساع ثقافته اللغوية، ومكنته العربية، فكان لسانه سليماً من اللحن والخطأ، صحيحاً فصيحاً. وقد نال الشيخ محمد شادو حظاً وافراً من الثقافة اللغوية والعربية المطلوب توفرها في الخطيب¹، فكان أسلوبه رصيناً يتمتع بقدر من البلاغة تمكنه وتعينه على تبليغ ما يريده لسامعية بفصاحة الكلمة وجلاء الجملة والعبارة، معتمداً على الاقتباس والتمثيل من القرآن الكريم، والحديث النبوي والشعر العربي، والسيرة النبوية وقصص الصالحين وغير ذلك، وقد حصل الشيخ محمد شادو على هذا الرصيد اللغوي والأدبي والبلاغي لصلته الوثيقة بكتب اللغة والأدب والبلاغة، وطبيعة وظيفته التعليمية كأستاذ لمادة اللغة العربية في طور الإكمالي لسنوات، ثم انتدابه للإمامة والخطابة بقطاع الشؤون الدينية والأوقاف². ويشهد لفصاحة وبلاغة الشيخ محمد شادو كل من استمع لخطبه ودروسه أيام الجمع والأعياد، ومن حضر كلماته في مناسبات عقود الزواج، ومواعظه المؤثرة في المقابر والجنائز عند تأبين موتى المسلمين. ويدين له بالقدرة والتمكن في اللغة، والفصاحة والبيان من رافقه من أئمة المساجد الذين استفادوا من كلماته وتوجيهاته في الندوات الشهرية التي تعقد دورياً لفائدة موظفي السلك الديني³. بل كانوا لا يملون من حلو كلامه، ولا يسأمون من طول مجلسه رحمه الله تعالى.

ثانياً: جهارة صوته واستقامة لسانه، واهتمامه بحسن مظهره: عرف الشيخ محمد

¹ قال ابن الجوزي رحمه الله: معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان، وما يحتاج إليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب، وهو أمر لازم، وما عدا ذلك فضلة لا يحتاج إليها، وإنفاق الزمان في تحصيل هذه الفضلة مع كونها ليست بمهمة، ومع ترك المهم غلط، وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن، ولو اتسع العمر لمعرفة الكل لكان حسناً، ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل. تلييس إيليس، ابن الجوزي، ص: 126.

² تم انتداب الشيخ محمد شادو من قطاع التربية إلى قطاع الشؤون الدينية للإمامة والخطابة بتاريخ 01 نوفمبر 1989م

³ عرفتُ الشيخ محمد شادو -رحمه الله- في سن مبكرة منذ ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، وكنت أرتاد مسجده للصلاة خلفه والاستماع لخطبه ودروسه، وحضور حلقات تعليمه للقرآن، وبعد التحاق بقطاع الشؤون الدينية بتاريخ 13 أكتوبر 1993م توثقت صلتني بالشيخ -رحمه الله- كأحد تلامذته، وكزميل معه في العمل ضمن موظفي السلك الديني، وقد عرفت عنه الكثير من الصفات الشخصية والدعوية المتعلقة بنشاطه وخطابه المسجدي ذكرتها في ثنايا هذه الورقة البحثية.

شادو بصوته الجمهوري واستقامة لسانه وحلاوة كلامه، مع مراعاة لاعتدال في نبرة صوته¹، دون إسراع أو بطء في إلقائه مراعيًا حاجة المكان والسماعين، مما منح موضوع خطبته أو درسه وضوح الكلمة، وجلاء الفكرة، ووقوعها محل الاستجابة والقبول عند جمهور المستمعين، وقد رزق الشيخ محمد شادو سعة في صدره وقوة في نفسه فسلم من عيوب بعض الخطباء كالتنحنح في أثناء الخطبة، أو بلع الريق، أو انقطاع النفس، فإنها تشغل المتكلم والسماع معًا، كذلك سلم من بعض عيوب اللسان كاللفأفة، واللثغة، والصفير، والتعته، ونحو ذلك، وتلك العيوب مما يصرف الأسماع عن متابعة الخطيب وتدبر معاني وكلمات الخطبة. فلم يكن الشيخ محمد شادو (رحمه الله) مرتجا متلجلجا خائفا أو قلقا مضطربا، أو يبدو عليه الارتباك والخجل، بل كان سليم اللسان ثابت الجنان مع التَّوكل على الله، وقدرة وثقة بنفسه شاكرًا نعمة الله وفضله. وعرف الشيخ محمد شادو بعنايته بمظهره ولباسه، وجماله وأناقته، فكان يلبس الملابس الحسنة النظيفة من لباس بلده ومنطقته كالقميص والقندورة السوفية، مع تغطية رأسه، خصوصا عند دخوله المسجد لأداء الصلوات المكتوبة².

وفي أيام الجمع والأعياد³ كان يلبس أحسن ثيابه، ويزيد في حسن هيئته. وذلك اعتقادا منه رحمه الله أن حسن الهيئة، وجمال المظهر والسمت الحسن من هدي النبوة⁴، وأن تأثيره على المستمعين ربما كان أنطق، وأهدى إلى العمل من القول المجرد. وقد أدرك رحمه الله أنه لا يحسن بالخطيب الاستهانة بجمال ظاهره، من نظافة ثيابه، وبياض أسنانه، وترجل لحيته، فعلى الخطيب أن يكون شامة في جمال مظهره، وحسن منظره، وأناقته

¹ وضوح الصوت، وعلوه في اعتدال من هدي النبي ﷺ، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين». رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: 867/3، 11/3.

² قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31].

³ ويسن أن يكون للخطيب ثوبا للجمعة سوى ثوب المهنة. ففي الحديث عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما على أحدكم إن وجد، أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته» رواه الإمام مالك في موطنه، كتاب الصلاة، الهيئة وتخطي الرقاب واستقبال الإمام يوم الجمعة، حديث رقم: 366، 153/1.

⁴ وقد «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، فقال: "إن الله جميل يحب الجمال". رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان، حديث رقم: 91، 65/1.

ملبسه، فتأنس العيون به، قبل أن تؤخذ النفوس بمنطقه وحجته، بعيدا عن الكبر والشهرة والتكلف¹.

ثالثا: هيبته ووقاره وصراحته في الصدع بكلمة الحق. من صفات الشيخ محمد شادو التي عرفه الناس بها هيبته ووقاره، وصراحته في قول كلمة الحق من دون مجاملة أو مداهنة. فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في مجتمعه لا يخشى أحدا ولا يبالي ما لحقه من أذى الناس في سبيل تبليغ دعوة ربه. وقد ذكر السيد بوبكر حويذق² أن الشيخ محمد شادو كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر في حيه ومجتمعه، ومن أخلاقه إذا رأى منكرا من أحد سكان الحي ذهب إليه في بيته من أجل نصيحته ونهيه عن منكره، يفعل ذلك العديد من المرات، فإن لم يكف صاحب المنكر وينته، خصص الشيخ محمد شادو موضوع خطبة الجمعة للتحذير من ذلك المنكر والمخالفة الشرعية حتى يتردد من يأتها ويرتكبها في الحي.

ويحرص الشيخ محمد شادو عن اتباع أسلوب التلميح دون التصريح، مقتديا ومهتديا بقول النبي ﷺ: "ما بال أقوام"³، وقد كان الشيخ محمد شادو شديد الإنكار على أصحاب الأعراس الذين يؤذون الجيران بالأغاني المحرمة، ومكبرات الصوت المزعجة، والأصوات الصاخبة إلى وقت متأخر من الليل والناس نيام، ولما ثبت في السنة النبوية الصحيحة من الوعيد في إيذاء الجار⁴.

ومن مواقف الشيخ محمد شادو – كما ذكر السيد بوبكر حويذق- مع أصحاب منكرات الأعراس أن أهل عرس بالحي بقي مكبر صوتهم يؤذي الجيران ويزعجهم ويقض

¹ قال بعض الحكماء: البس من الثياب ما لا يزدريك فيه العظماء، ولا يعيبك عليه الحكماء، وعن عمر رضي الله عنه: «إياكم ولبستين: لبسة مشهورة، ولبسة محقورة» ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص: 450.

² رئيس اللجنة الدينية لمسجد النصر – حي الصحن الأول – ولاية الوادي – مقابلة بتاريخ 15 مارس 2023م بمسجد النصر – الوادي

³ ففي الحديث النبوي الصحيح الذي رواه مسلم عن أنسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: (لَا أَتَزَوَّجُ الْبَسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّخْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَتَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لِكَيْ أَصْلِي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ. وَأَتَزَوَّجُ الْبَسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي)، رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح باب، حديث رقم: 1401، ص: 129.

⁴ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ)، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه يوبقهن يهلكهن موبقا مهلكا، حديث رقم: 6016، 10/8.

مضاجعهم، ويقطع عليهم سكون وهدوء ليلهم، ويحرمهم من نومهم وراحتهم إلى وقت متأخر من الليل، فغضب الشيخ محمد شادو غضبا شديدا من هذا الجهر بالمنكر والتصرف اللاأخلاقي وغير المسؤول من أهل العرس تجاه جيرانهم، فتوجه الشيخ مباشرة إلى عداد الكهربائي ببيت أهل العرس، وقام بفصل وقطع التموين بالتيار الكهربائي عن البيت والعرس نهائيا، في صورة من صور تغيير المنكر باليد¹، وعندئذ سكت مكبر الصوت الصاخب، وعم الهدوء والسكون المكان، وتنفس الجيران الصعداء، ولم يصدر أي رد فعل من أهل العرس ضد الشيخ محمد شادو، لأنه إمام الحي وله هيبة وكلمته المسموعة، ولأنهم أدركوا عظم خطيئهم وتجاوزهم الحد المسموح، وإسرافهم في الفرح بأذيتهم جيرانهم بعرضهم ومكبر صوتهم وجهرهم بمعصيتهم².

رابعا: ابتعاده عن الارتجال وتوسطه بين القصر والطول في الخطبة. كان الشيخ محمد شادو (رحمه الله) يلقي خطبه ويقرأها من الورق المكتوب من دون إرتجال³، بل يكتب كل شيء في أوراق خطبته، التي كانت من الحجم الكبير، فلم يكن رحمه الله يرتجل، بل يكتب على الورق، وتذكر زوجته⁴ أنه عند تحضير خطبته ينعزل في غرفته، ولا يدخل عليه أحد من أفراد أسرته، وفي خطب الأعياد لا ينام ليله ويبقى مشغولا بتحضير وكتابة خطبة العيد. ولم تكن خطب الشيخ رحمته قصيرة ولا طويلة⁵، وإن كانت إلى الطول أقرب، وبالرغم

¹ قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، حديث رقم: 49، 50/1.

² جاء في السنة النبوية الوعيد الشديد عن الجهر بالمعصية، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَاقِقٌ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنْ الْمُجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ). رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم: 5846، 20/8.

³ الارتجال يؤدي بالخطيب إلى تفتيت الأفكار، والخروج عن الموضوع، وقد يدخل موضوعا في آخر، فيبدو للسامعين في حالة من الاضطراب والارتباك، وعدم التركيز، وهذا يترك عندهم انطباعا سيئا عن الخطيب، وعن الخطبة، ولهذا قيل: (إن الارتجال آفة الخطابة، لأنه يلقي المعنى دون أن ينضج بالتفكير، ومن هنا فإن الخطيب إذا لم يكن مؤهلا للارتجال بما يملكه من قدرة لغوية، وقوة شخصية، وسعة الإطلاع، وحضور ذهن، ورباطة جأش، فالخير له أن لا يرتجل الخطبة لأنه ربما حول السامعين إلى متفرجين أو منتقدين). ينظر: فن الخطابة، أحمد الحوفي، ص: 185.

⁴ مقابلة مع زوجة الشيخ محمد شادو في بيته بتاريخ 15 مارس 2023م، على الساعة: 17:12.

⁵ فقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى خصلتين عظيمتين إذا وجدتا في الخطيب تمكن من حسن الخطاب، وقوة التأثير، وهما: الفقه والعلم الشرعي الذي يمكنه من أداء الصلاة على وجهها قراءة، وخشوعا، وأحكاما،

من طول بعض خطبه إلا أن مسجده يمتلىء عن آخره، بل تجد الناس القادمين من كل أنحاء الولاية تؤدي صلاة الجمعة في الرصيف والطريق، تأثراً بخطب الشيخ (رحمه الله)، وحبا في الاستماع إليه، وذلك يعود إلى تأثير خطابه المسجدي في الناس، وحاجة الناس في تلك الفترة إلى الوعظ والإرشاد، وبيان أحكام الدين والشريعة، ونظرا لشهرته في تلك المرحلة الزمنية كخطيب مؤثر ومشهور عند الناس سماه محبوبه بفارس المنابر دون منازع¹، لما اتصف به من قدرة ومكنة في فن الخطابة والإلقاء، جعلت مسجده قبلة ومقصدا لقاطني الولاية، وفاقته شهرته (رحمه الله) العديد من أئمة وخطباء بلده ومنطقته بوادي سوف.

المطلب الرابع: معالم وملامح الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد شادو: اتصف الخطاب المسجدي للشيخ محمد شادو بمجموعة من المعالم والملامح، نذكر منها:

أولاً: الشمولية والواقعية: اتسمت خطب الشيخ محمد شادو بالشمول والواقعية، ومواكبة الأحداث اليومية والأسبوعية، فلم تنحصر خطبه في العقيدة والعبادة فقط، بل امتدت إلى شؤون الأسرة والمجتمع وقضايا الأمة، ومن المعلوم أن مسجده كان يستقطب المصلين والقاصدين خطبه يوم الجمعة من كل أنحاء ولاية الوادي²، فكان خطابه المسجدي -فضلا عن بيان حقائق العقيدة والعبادة في الإسلام- يتناول قضايا الفرد والمجتمع، ويعالج الأمراض والمشكلات الاجتماعية للناس، وأكثرهم من أهل الحي الذين يترددون على المسجد لصلاة الجمعة، فلم يكن رحمه الله دوره كخطيب موظف يبدأ عمله بصعوده المنبر، وينتهي بنزوله عنه، بل كان يتغلغل في معرفة مجتمعه الذي يعيش فيه، ويتعمق في فهم مشكلاته، وأمراضه الاجتماعية وقضايا المحلية، وذلك من خلال متابعة مشكلاتهم الفردية، والجماعية، والسؤال عن أحوالهم، وتلمس ذوي الحاجة من الفقراء

وأداء الخطبة على وجهها، ثم البيان والفصاحة التي تمكنه من جوده الخطاب، ورصانة الأسلوب، وسلامة التعبير، لتقع الخطبة موقعها من النفوس. عن واصل بن حيان قال: قال أبو وائل - وهو شقيق بن سلمة - خطبنا عمار رضي الله عنه فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفست - أي: أطلت - فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مئنة - أي: علامة - من فقهه، فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحرا» رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: 869، 12/3.

¹ مقابلة مع السيد بوبكر حويذق بالمكان والتاريخ المذكورين أعلاه.

² شهادة السيد السعيد سباع عضو اللجنة الدينية بالمسجد، بمسجد النصر، بتاريخ 2023/03/15م على الساعة: 16:38.

والمساكين، وإعانة الأسر الفقيرة المتعففة والأرامل واليتامى، فكان يسعى رحمه بواسطة أهل الخير إلى سد خلتهم، وقضاء حاجتهم، والتخفيف من معاناتهم. وكان خطابه المسجدي الواقعي ترجمه لأفعاله رحمه الله، فتراه يشارك الناس في أفراحهم، وفي عزائهم، وفي تشييع جنائزهم، وفي عيادة مرضاهم، وفي مناسباتهم المختلفة¹، فتعمقت الصلة به، وعظمت الثقة به، فاحترمه الناس، وأحبوه واتسعت له صدورهم قبل مجالسهم.

ثانيا: الالتزام بالمذهبية المالكية والمرجعية والوطنية: التزم الشيخ محمد شادو (رحمه الله) في خطابه المسجدي بالمرجعية المذهبية المالكية والمرجعية الوطنية²، حيث كان رحمه الله شديد الاتباع للمذهب المالكي وملتزما بتوجيهات وتعليمات الإدارة الوصية في خطبه ودروسه ونشاطه المسجدي، ومن صور تمسكه بالمذهب المالكي رحمه الله إسبال يديه في الصلوات المكتوبة، ومواظبته على قنوت الفجر، واعتماده على العصا عند الخطابة فوق المنبر، وإحيائه في خطبه المناسبات الدينية والوطنية، كالمولد النبوي الشريف، وذكرى الثورة والاستقلال، ومما يحفظ للشيخ محمد شادو (رحمه الله) أنه كان حريصا على وحدة جماعة المسلمين، فكان خطابه المسجدي يجمع ولا يفرق، ويقرب ولا يبعد، ولم يكن متحزبا أو منتما لأي حزب أو جماعة خصوصا في سنوات الفتنة التي عاشتها الجزائر أيام التسعينات وفترة التعددية الحزبية³، فيمكن القول أن خطابه المسجدي احتوى تلك الأزمة وحرص على توظيفه في إرساء رسالته المسجد السامية الرامية إلى الأمن والسلام والأخوة بين المسلمين. مما يدل على أن المرجعية الدينية تتلاحم بشدة مع المرجعية الوطنية لتؤسس كياناً واحداً في المسلم المواطن الجزائري، أما فيما يخص العلمانية في الخطاب المسجدي فيظهر في عدم ممارسة الإمام السياسة، وعدم تناول مواضيع سياسية في الخطبة،

¹ قال صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيطُ الْعَاطِسِ»، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، حديث رقم: 1240، 71/2.

² التأكيد على المرجعية الدينية الوطنية، وفي هذا رمزية للجمع بين المرجعتين لكونهما مشتركتين في نقاط أهمها: الوحدة وقبول الاختلاف واليسر وعدم التعصب، لأن المذهب المالكي يتميز عن المذاهب الأخرى، وهذا التميز يتجسد في: "الميل إلى اعتبار البُعد الاجتماعي والمصلحي في أغلب الفتاوى والتوجيهات والأحكام بفضل اعتبار المصالح المُرسلة، والعُرف أصل من أصوله الفقهية، ومصدر من مصادره التشريعية التي بنى عليها فقهه، وأرسى عليها قواعد مذهبه واستمد منها آراءه وأحكامه..." أزمة المؤسسة الفقهية في الجزائر، بغداد محمد، ص: 122.

³ شهادة السيد السعيد سباع عضو اللجنة الدينية بالمسجد، بالمكان والتاريخ المذكورين أعلاه.

والابتعاد عن الأحزاب السياسية، ممّا يعني أنّ المسجد يظلّ محايداً ومتميّزاً بخطابه الذي يدعو إلى الوحدة والأخوة، ولكن في حال عدم تأثيره فهذا متوقف على الأفراد المتأثرين بالمعايير والقيم الاجتماعية الموجودة خارج المسجد¹. ولذلك فإن الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد شادو رحمه هو خطاب له هويّة وطنية في مضمونه ومعانيه المنحصرة في الوحدة والتلاحم بين الأفراد، وبين المرجعية المالكية والمرجعية الوطنية.

ثالثاً: التربية والإصلاح والوعظ بالقرآن. إن من الأدوار الرئيسية التي قام بها الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد شادو دور التربية والإصلاح، فقد عني رحمه الله بتربية الفرد والمجتمع، وإصلاح ما فسد من سلوكات الناس وطباعهم، فقد تصدى في خطبه المسجدية للتحذير من فشو الانحراف وانتشار الآفات والجرائم في المجتمع، وقد سلك الشيخ (رحمه الله) في مهمته الدعوية والخطابية في تأمل القرآن العظيم، والسنة المطهرة في الترغيب والترهيب، والتبشير، والتحذير، والتذكير بنعم الله وآلائه، والتخويف من جزائه وعقابه، وقد كان الشيخ محمد شادو (رحمه الله) يزين خطبته بتلاوة الآيات المتضمنة في الخطبة، وقد آتاه الله صوتاً حسناً وحنجرة ذهبية، فإذا قرأ القرآن العظيم بصوته أطرب الأسماع وهز النفوس والقلوب، وأدمع العيون، فكان (رحمه الله) يزين خطبته بتلاوة آياتها "متغنياً" بها بصوته الحسن، ويختمها بالأدعية المأثورة، وقد أدرك الشيخ (رحمه الله) أن لتلاوة آيات القرآن والتغني بها أثرها في لمس القلوب، وجلاء الصدأ عنها، وإزالة حجب الغفلة، وإيقاظ الفطرة النقية فيها، فاتخذ من تلاوة القرآن في خطبه، وصلواته الجهرية خير وسيلة يعظ بها الناس، وقد كان رسول الله ﷺ ربما جعل معظم خطبته قراءة آيات من القرآن، أو قراءة سورة، أو بعض سورة. وأي وعظ أعظم نفاذاً إلى القلب من الوعظ بالقرآن.

قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾ [ق: 45]. ومما تقدم يتبين لنا عناية الشيخ محمد شادو بالخطاب المسجدي المشتغل بتربية الناس وإصلاح شؤونهم الدنيوية والأخروية، واعتماده على الخطاب المتضمن الموعظة بالقرآن العظيم، خاصة الآيات التي تتضمن التذكير بلقاء الله جل وعلا، والتخويف من عقابه، والترغيب فيما عنده.

¹ موقع مؤمنون، بتاريخ: 2023/03/30، على الساعة: 09:00 صباحاً.

[/https://www.mominoun.com](https://www.mominoun.com)

المبحث الثالث: جهود الشيخ محمد شادو في التعليم القرآني

المطلب الأول: منهج الشيخ محمد شادو في تحفيظ القرآن الكريم

أولاً: التعليم القرآني في مسجد الشيخ محمد شادو (رحمه الله)

باشرت الجمعية الدينية لمسجد النصر المعروف بمسجد الشيخ محمد شادو (رحمه الله) بحج الصحن في تحفيظ كتاب الله ﷻ وبدأت الجمعية في البحث عن معلمين أكفاء؛ حيث كان انطلاق أول فوج لتحفيظ كتاب الله في شهر جوان 2011م، وبدأت العملية تتوسّع من سنة إلى أخرى حتى وصلت اليوم إلى عدد كبير من المعلمين والطلبة والأفواج.

- عدد المعلمين: 09 معلمين.

- عدد الأفواج: 16 فوجاً.

- عدد الطلبة: ما يفوق 400 بين ذكور وإناث، إذ كانوا يدرسون في قاعات داخل المسجد، وأقسام أخرى بمنزل تبرّع به أحد المحسنين جزاه الله خيراً، وكل هذه الأقسام مجهزة بأحدث الوسائل من تكييف وتدفئة وكافة الوسائل البيداغوجية الأخرى؛ كالتأولات والخزائن والسُّبورات ومقاعد للدراسة. ولقد تمّ إحصاء ما يقارب 50 حافظاً لكتاب الله تعالى.

كما فتحت الجمعية لتشجيع الطلبة مسابقات رمضان وأخرى في حفظ القرآن الكريم وقد منحت لهم جوائز قيمة بما فيها النقديّة مع تكريم شيوخ ومعلمي القرآن.

ومن أهم الأعمال التي كانت تهدف إليها الجمعية الدينية هو توسعة المسجد الذي كان يضيق بالمصلين، وفي 26 نوفمبر 2012م تحصّلت الجمعية على رخصة البناء، وقد انطلقت في أشغال التوسعة والبناء للمسجد من الدّخل والخارج حتّى أصبحت في حلّة بهيّة تليق بعظمة وحرمة بيوت الله؛ وقد استغرقت الأشغال من شهر جانفي 2013م إلى غاية شهر ديسمبر 2017م.

بعدها مباشرة انطلقوا في التّحضير لرخصة بناء مدرسة قرآنيّة مستقلة عن المسجد، وتمّ افتتاحها في شهر جوان 2019م تحت مسمّى "المدرسة القرآنيّة محمد شادو" على اسم الشيخ رحمه الله وذلك بحضور السُّلطات المحليّة للولاية ومجموعة من أهل القرآن الكريم وبعض من أعيان المنطقة.

وهذه بطاقة فنيّة مصغّرة عن المدرسة:

- المساحة الإجمالية: 200 م².
- عدد الطوابق: أربعة طوابق.
- عدد القاعات: اثنا عشر قاعة.
- طاقة الاستيعاب: 250 طالباً يدرسون في وقت واحد.

أهداف المدرسة القرآنية للشيخ محمد شادو:

- تعليم ونشر الأخلاق الحميدة بين الطلبة.
- تعليم قواعد اللغة العربية وأحكام التجويد.
- تدريس الفقه الإسلامي على المذهب المالكي.

كلُّ هذا على يدي أئمة وأساتذة مختصين، ويعملون مستقبلاً على إنشاء جناح خاص بهذه المدرسة لدار الإفتاء وإصلاح ذات البين على نهج الشيخ محمد شادو (رحمه الله)¹.

ثانياً: منهج الشيخ محمد شادو في تحفيظ القرآن الكريم

نلخص منهج الشيخ محمد شادو (رحمه الله) في النقاط الآتية ذكرها:

1. أولى الشيخ اهتماماً كبيراً بعلم التجويد ونشره بين المتعلمين للقرآن في تلك الفترة التي كان فيها هذا العلم نسياً منسياً لدى كثير من المعلمين والمتعلمين فهو يعد من السباقين بتعريف شباب وادي سوف بأحكام التلاوة والتجويد.
2. نهج الشيخ منهج التسميع الجماعي مع الكتابة على السبورة حيث كان يكتب الجزء المخصص للحفظ ثم يقرؤه قراءة نموذجية، بعد ذلك يشرح الشيخ في تفسير المقرّر وشرح المفردات وكذا إعراب بعض الألفاظ.
3. ثم بعد أن يفهم طلابه مراد الله ﷻ من ذلك الجزء المخصص للحفظ يكون التلقين الجماعي، وبعده يشرح الجميع في التكرار، وفي أثناء ذلك يقوم الشيخ بالمحو الجزئي للآيات المكتوبة على السبورة، مع ترك الكلمة الأولى من الآية والكلمة الأخيرة ثم المحو التدريجي للكلمات التي بين رأس الآية وآخرها إلى أن تحفظ عن ظهر غيب ثم يحو عقها الآية كاملة لينتقل إلى الآية التي بعدها على نفس الشاكلة.

¹ مطوِّعة تعريفية بالمسجد والمدرسة القرآنية للشيخ محمد شادو مستلمة من السيّد بوبكر حويذق رئيس الجمعية الدينية لمسجد النصر، بتاريخ: 2023/03/15م، 16:38.

4. لم يكن العرض على الشيخ إجباريًا، بل هو على سبيل التّخيير.

5. يحضر الشيخ مبكرًا قبل بدء الحصّة ويكتب مقرر الحفظ على السبّورة قبل مجئ طلابه¹.

المطلب الثاني: طريقة الشيخ محمّد شادو في تحفيظ ومراجعة القرآن الكريم

كانت طريقة الشيخ محمّد في تحفيظ القرآن الكريم على النّحو الآتي:

أولاً: برامجه وطريقته في التّعامل مع طلابه

1. برنامج الفردي والجماعي:

كان له برنامج فردي وآخر جماعي؛ أمّا الفردي فكان للذين يقرؤون عنده فرادى، فكان يلقّهم بعد صلاة الصّبح وأمّا الجماعي فكان لطلبة الحلقة الجماعيّة، وهي حلقة يوميّة بعد صلاة المغرب ما عدا الخميس والجمعة.

2. البرنامج اليومي:

يوم السّبت يستظهِرون نصف الثمن، ويوم الأحد يستظهِرون النّصف الثّاني، أمّا يومي الاثنين والثلاثاء فيقومون بتكرار ذلك الثمن (الحصيلة).

ويوم الأربعاء يقومون بالتكرار من أوّل السّورة إلى موضع توقفهم في الحفظ².

3. برنامجه في مراجعة القرآن الكريم: كان الشيخ (رحمه الله) يستيقظ في الثّلاث الأخير من اللّيل، يصلّي بما تيسّر من قيام اللّيل ثمّ يقرأ القرآن إلى آذان الفجر؛ فيوقظ أولاده ليذهبوا معه إلى المسجد لأداء فريضة الفجر، ثمّ يجتمع بهم لقراءة الحزب الرّاتب، والحزب الثّاني المكملّ للجزء يتركه لهم لما بين المغرب والعشاء. وقد كان للشيخ محمّد برنامج سنويّ مع صديقه أستاذ اللّغة العربيّة الشيخ صالح نغّاق يتدارسان فيما بينهما القرآن الكريم في شهر رمضان بطريقة العرض كلّ يوم بعد صلاة التّراويح في بيت الشيخ محمّد شادو (رحمه الله).

¹ لقاء مع أ. عمر هويدي، في منزله، بتاريخ: 2023/03/27م، على الساعة: 9:45 صباحاً. شيوخ التّعليم القرآني

بمنطقة وادي سوف، هنيّة عبادي، ص: 21.

² ينظر: شيوخ التّعليم القرآني بمنطقة وادي سوف، هنيّة عبادي، ص: 22.

4. برنامج مع أولاده في تحفيظهم للقرآن الكريم: اعتمد الشيخ تقسيم الوقت إلى فترتين؛ الفترة الصباحية: قبل ذهابهم إلى المدرسة يعطي كل واحد منهم لوحه فيكتبونه على الطريقة التقليدية (باستعمال اللوح والدواة)، وفي المساء: بعد عودتهم من المدرسة يحفظون المقرر عليهم بالتسميع عليه صبيحة اليوم الموالي، وفي نهاية الأسبوع يراجع لهم ما تم حفظه من بداية السورة.

قالت زوجته عن حال بيتهم عند التحفيظ في حياة الشيخ (رحمه الله): "كان بيتي كخليّة نحل لا يُسمع فيه إلّا دويهم بالقرآن"¹.

ثانياً: الأدوات المستعملة في التعليم القرآني:

- السُّبُورَة.

- الطّاباشير.

- المصاحف.

- اللّوح والدّواة (لأولاده في البيت).

ثالثاً: طريقته في التعامل مع طلابه:

لم يستعمل الشيخ أسلوب الضرب في التعليم وذلك لأنه درّس التلاميذ الكبار فقط وكانوا من مختلف الفئات الاجتماعية، فمنهم المدير والطبيب والفلاح وغيرها من الفئات، ولكنه كان يلمح ويشير لمن تهاون في الحفظ.

مال الشيخ إلى أسلوب المكافأة والتحفيز بدلا من الضرب والتعنيف، وكان هذا مع تلاميذ الابتدائي والمتوسط، فقد كان ينظم لهم مسابقات في حفظ بعض السور القصار ومن حفظها يكافئه إمّا بأقلام التلوين أو ببعض الحلوى التي لم تكن تفارق جيبه، وغيرها من الهدايا التحفيزية.

رابعاً: المساجد والمدارس التي مارس فيها الشيخ محمد تحفيظ القرآن الكريم: منذ أن بدأ الشيخ شادو تعليم القرآن وهو في مسجد النّصر ولم يفارقه أبداً إلى أن توقّف عن

¹ لقاء مع عقيلة الشيخ محمد شادو المجادة تونس تومي - حفظها الله ورعاها - بمنزلها في الصّحن الأوّل، بتاريخ:

17:12، على الساعة: 2023/03/15م.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث يمكن عرض النتائج المتوصل إليها على النحو الآتي:

1. تزخر وادي سوف بمشايخ فضلاء كرّسوا جهودهم لخدمة الدين الإسلامي وتعاليمه من خلال خطبهم الجمعية ودروسهم المنبرية في المساجد والمدارس القرآنية، ومن بينهم: الشيخ محمد شادو رحمه الله.

2. مساهمة الشيخ محمد شادو في ترقية الخطاب المسجدي وتجديده بما تقتضيه متطلبات عصره.

3. حفاظ الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد شادو على المرجعية الدينية والوطنية الجزائرية، وحرصه على توظيف الخطاب المسجدي في إصلاح مجتمعه، ووحدة كلمته، والنأي به عن دعوات الفرقة والحزبية

4. مساهمة الشيخ محمد شادو في تحفيظ القرآن ونشره من خلال الحلقات القرآنية وطريقته العصرية.

5. عقيدة الشيخ كانت واضحة في تعاملاته مع أهل بيئته؛ مرجعيتها الكتاب والسنة.

6. كان لمهنة التعليم النظامي أثر في طريقة تحفيظ الشيخ للقرآن الكريم؛ فقد أخذه من شيخه علي بوخزة بطريقة اللوح والدواة التقليدية، وعلمه لطلابه بطريقة السبورة والطباشير.

7. المعلومات المتوصل إليها في هذا المقال تم الحصول عليها سماعاً من طرف آل بيته وبعض طلبته، أما الشيخ فلم يوثق شيئاً عن سيرته الذاتية في حياته.

ومن أهم التوصيات:

1. جمع الخطب المنبرية للشيخ محمد شادو في كتاب أو إنشاء موقع إلكتروني تجمع

¹ لقاء مع عقيلة الشيخ محمد شادو الماجدة تونس تومي حفظها الله ورعاها، بتاريخ: 15/03/2023م، على الساعة: 17:12 بمنزلها، الصّحن الأول، بالوادي. ينظر: شيوخ التعليم القرآني بمنطقة وادي سوف، هيئة عبادي، ص: 22.

- فيه أعمال الشيخ المكتوبة والمسموعة حتى تحفظ من الضياع ويسهل الإنتفاع بها.
2. دعوة الباحثين والدّارسين إلى الاهتمام بخطباء وعلماء المنطقة، والعناية بإنجازاتهم وآثارهم، وتشجيع المؤلفين على الكتابة حول خطباء وأعلام وادي سوف.
3. عقد أيام دراسيّة وملتقيات وطنيّة ودوليّة لإبراز رموز وأعلام الجنوب الشرقيّ الجزائريّ والتّعريف بجهودهم الدّعويّة والخطابيّة، ليكونوا قدوة ومنازة لمن بعدهم.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري ومسلم
- إبراهيم محمّد العوامر، الصروف في تاريخ الصّحراء وسوف، منشورات ثاله، الأبيار، الجزائر، د.ط، 2007م.
- ابن منظور جمال الدين (دت)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، دت.
- أحمد الحوفي، فن الخطابة، ط: 4، دار نهضة، مصر، 1972م.
- بدر الدين الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: مصطفى المراغي، ط: 4، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1996م.
- بغداد محمد، أزمة المؤسسة الفقهية في الجزائر، دط، الجزائر، دت.
- بوزيد بومدين، المؤسسة الدينية والأصولية الجزائرية، ط: 3، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، 2011م.
- ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ط: 1، دار الفكر، بيروت، 2001م.
- خالد أنينة، البحر المديد في شخصيّات أهل الجريد، ط: 1، مكتبة الفتح، توزر، تونس، 2020م.
- خالد أنينة، الفريد في أعلام بلاد الجريد، ط: 1، مكتبة الفتح، توزر، تونس، 2020م.
- رسالة المسجد، السنة السادسة، العدد 01، جانفي 2008م.
- ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد - محمد عبد الرزاق حمزة - محمد حامد الفقي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
- علي بن محمد بن حبيب الماوردي أبو الحسن، أدب الدنيا والدين، المحقق: محمد كريم راجح، ط: 4، دار إقرأ، دم، 1985م.

- موطأ مالك، ط: 1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، 2004م.
- هنيّة عبادي، شيوخ التّعليم القرآني بمنطقة وادي سوف، مذكرة ليسانس، إشراف: الصّادق ذهب ومختار قديري، قسم أصول الدّين، كليّة العلوم الإسلاميّة، الوادي، 2022/2021م.

الخطاب المسجدي لأعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- الشيخ محمد الصالح قديري أنموذجا -

د/ مختار قديري

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

Guediri-mokhtar@unv-eloued.dz



الملخص

يتضمن هذا البحث الموسوم بـ "الخطاب المسجدي لأعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - الشيخ محمد الصالح قديري أنموذجا" - كشف اللثام على رجل من رجال الإصلاح في منتصف القرن الماضي، وذلك من خلال التعريف به وبيان أهم معالم خطابه المسجدي وأثره على المجتمع السوفي، والإشكال الرئيس الذي يطرحه الباحث: ما هي أبرز معالم الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري؟

وللإجابة على هذا الإشكال قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة محاور؛ تناولت في المحور الأول التعريف بالشيخ محمد الصالح قديري، وفي المحور الثاني تناولت خطابه المسجدي، والمحور الأخير خصصته لدراسة أهم معالم الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري وأثره على المجتمع السوفي والجزائري.

ومن أهم النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة أن الشيخ محمد الصالح قديري ساهم رفقة المخلصين من رجال جمعية العلماء في نشر العلم والوعي ومحاربة المستعمر ومكافحة الآفات الاجتماعية.

ومن أبرز التوصيات: توجيه مذكرات الليسانس في تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية إلى التعريف بخطباء ودعاة حاضرة وادي سوف وما جاورها.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد لعب الخطاب المسجدي في منطقة وادي سوف دورا كبيرا في نشر العلم ومحاربة

الجهل، ومقاومة المستعمر، وإبطال سياساته الرامية لطمس الهوية، ومن خلال هذا البحث أردت التعريف بأحد عمالقة المنابر في منتصف القرن الماضي، وهو الشيخ محمد الصالح قديري.

وما دفعني للكتابة في هذا الموضوع -إضافة إلى رغبتني في المشاركة في هذا الملتقى- هو جهل الكثيرين من سكان وادي سوف بهذه القامة العلمية، وبجهوده التي بذلها في الخطاب المسجدي، لذا أردنا من خلال هذا البحث طرح الإشكال الرئيس الآتي: من هو الشيخ محمد الصالح قديري؟ وما هي أهم معالم خطابه المسجدي؟

فعمدت العزم على التعريف به وبيان بعض معالم منهجه في الخطاب المسجدي إبان الحقبة الاستعمارية، وغداة الاستقلال، وتكمن أهمية هذا البحث في:

- التعريف بعلم من أعلام المنابر قضى عمره في الجهاد بالكلمة والقلم.
- الخطاب المسجدي المتزن أسهم بشكل كبير في المحافظة على مكونات الهوية، وتحقيق الأمن والانسجام المجتمعي.
- التعرف على أهم معالم منهج رجال الإصلاح في الخطاب المسجدي.

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع فلم أجد -حسب اطلاعي- دراسة غُيّت ببيان معالم الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري، إلاّ مذكرة الليسانس الموسومة بعنون: "الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني" إعداد الطالبة العقون الشيماء، التي سلطت الضوء على جهوده في خدمة القرآن الكريم.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي، وذلك من خلال رصد المحطات المهمة في حياة الشيخ محمد الصالح قديري، والمنهج التحليلي من خلال تحليل أهم معالم الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري وأثره على المجتمع الديبلي والسوفي.

الخطة:

تناول هذا البحث مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة، وهي مفصلة كالآتي:

- محطات من حياة الشيخ محمد الصالح قديري.
- أساليب الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري.
- معالم الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري.

وفي الختام أحمد الله سبحانه الذي منَّ عليَّ بإكماله، وصَلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آلِه وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

أولاً: محطات من حياة الشيخ محمد الصالح قديري

تضمَّن هذا المحور تعريفاً موجزاً لأهم محطات حياة الشيخ محمد الصالح قديري رحمه الله الشَّخصيَّة والعلمية والعملية، من خلال النقاط الآتية:

1. نسبه ومولده:

هو محمد الصالح بن إبراهيم بن علي قديري، الجديدي⁽¹⁾، الدبيلي⁽²⁾، السوفي، الجزائري، وقد كان مشهوراً بلقب: "الرني"، ومما اشتهر في سبب هذه التسمية أنه كان يترنَّم بصوته الجميل في خطبة الجمعة، فسمي بـ: "الرني" لذلك، وقيل لأنه كان يترنَّم بقراءة القرآن⁽³⁾.

ولد الشيخ محمد الصالح خلال سنة إحدى عشر وتسعمائة وألف للميلاد (1911م)، بقرية الجديدة الشرقية بلدية الدبيلة ولاية الوادي⁽⁴⁾.

2. أسرته:

تعود أسرة الشيخ إلى أبناء القديري بن أحمد بن عمار بن سيدي علي بن خزان، وهي أسرة مشهورة من عرش الدبيلية تُنسب للولي الصوفي علي بن خزان الكائن مقامه اليوم في الدبيلة الشرقية.

عاش الشيخ محمد الصالح يتيماً بعد موت والده إبراهيم وهو رضيع لم يتجاوز السنين، فكفله أخواله بعد زواج أمه مسعودة حامدي.

وقد اشتهرت هذه الأسرة الكريمة عائلة حامدي بالعلم والتعليم، وكانت لها مكانة في

(1) نسبة إلى قرية الجديدة بمدينة الدبيلة، تبعد مسافة 22 كلم شرق مقر الولاية.

(2) وهذين النسبتين أشار إليهما الشيخ محمد الصالح قديري في آخر مخطوطة "وسيلة المتوسلين لسيرة سيد المرسلين" التي كتبها بخط يده.

(3) ينظر: مذكرة ليسانس الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني، الشيماء عقون، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2021-2022، ص 13-14.

(4) ينظر: شهادة ميلاد الشيخ رقم: 01804 صادرة عن بلدية الدبيلة يوم: 2022/02/02م.

المجتمع الديبلي، وظهر منها مشايخ كبار؛ كالشيخ محمد الصالح حامدي⁽¹⁾.

3. دراسته:

نشأ الشيخ محمد الصالح في أسرة متدينة ومحافظة، اشتهرت بالتعليم والتعلم، فكان الشيخ يحظى برعاية خاصة من جده الحاج حامد، الذي كان يتوسم في حفيده النجابة والذكاء، فبدأ بتحفيظه القرآن الكريم وهو في سن مبكرة.

فلما بلغ الخامسة من عمره التحق محمد الصالح بحلقات حفظ القرآن الكريم وتلقي الدروس الأولية في اللغة والفقه في جامع ميده، فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بن إبراهيم بن بلقاسم خنوفة الديبلي.

بعد ختمه للقرآن، وبلوغه سن الرشد، أرسله أخواله مع أحد البعثات إلى القطر التونسي وعمره آنذاك لم يتجاوز 14 سنة، فالتحق بزاوية إبراهيم خريف بنفطة التابعة ثم زاوية سيدي إبراهيم، فانهلك الشيخ في إتقان حفظ القرآن وحضور حلقات العلم على خيرة علماء بلاد الجريد.

ربط الشيخ خلال هذه المرحلة علاقات مع أبناء جيله الذين التحقوا بجامع الزيتونة، وكان له معهم مراسلات ومسامرات، استمرت حتى بعد عودته من نفطة سنة 1930م؛ كالعلامة عبد الحميد بن باديس⁽²⁾.

والشيخ كان يود الرحلة إلى جامع الزيتونة لإكمال دراسته، إلا الظروف المعيشية الصعبة، حالة دون إكمال رحلته إلى جامع الزيتونة، كما هي عادة أغلب شباب سوف الذين يجعلون من منطقة الجريد طريقاً إلى الزيتونة⁽³⁾.

4. أعماله ووظائفه:

عاد الشيخ إلى مسقط رأسه الجديدة سنة 1930م، بعد إتمام دراسته في الزاوية التابعة بنفطة، وبدأ حياة الجهاد والعطاء والبذل من أجل النهوض ببلده الجريح، فلم يلبث كثيراً حتى استدعي للتعليم القرآني بقرية الشريعة ولاية تبسة، من طرف الشيخ

(1) ينظر: الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني، ص 14-16.

(2) مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة حامدي بمسكنه ببلدية الديبلة، يوم: 30 مارس 2023 على الساعة:

10:30.

(3) ينظر: مذكرة الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني، ص 14-16.

الحفصي، ففضى هنالك قرابة العامين.

وفي سنة 1932م عاد الشيخ إلى مسقط رأسه الجديدة، ليتولى مهام الإمامة في مسجد عمر بن عبد العزيز إلى غاية وفاته سنة 1974م، كان الشيخ يقوم خلالها بإمامة المصلين في الصلوات الخمس، وخطبة ودرس الجمعة، الدروس الوعظية، دروس محو الأمية، التعليم القرآني، الصلح بين ذات البين، الفتوى.

وفي سنة 1950م فتح الشيخ محمد الصالح مدرسة للتعليم الحر، وهي فرع من مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقرية الجديدة، وكان آنذاك مديرا ورئيسا لها، استدعى فيها الشيخ والعلامة العروسي حويطي⁽¹⁾، الذي أصبح معلما فيها ثم شاعرا، وقد كان لهذه المدرسة الأثر الكبير في شحذ الهمم وتحريض شباب الجديدة للانضمام للثورة والدفاع عن الدين والوطن ومحاربة الاستعمار.

الشيخ محمد الصالح كان من رجال الإصلاح، وكانت تربطه علاقات طيبة برجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كالشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، فساهم الشيخ رفقة المخلصين من أبناء الجمعية في محاربة البدع والخرافات وفي نشر الوعي وطمس الجهل عن طريق الخطب والدروس واستغلال المناسبات الدينية، والكتابة والنشر في جرائد الجمعية كالشهاب والبصائر....

وبعد الاستقلال مباشرة تم توظيف الشيخ محمد الصالح كإمام وخطيب بمسجد عمر بن عبد العزيز بالجديدة ليواصل رحلة البناء والتشييد رفقة المخلصين من أهل هذا الوطن.

5. شيوخه:

بدأ لشيخ حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية بمسقط رأسه على يد

(1) هو العروسي لحويطي بن محمد من مواليد 1912م بالوادي، حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم انتقل إلى الزيتونة مرورا بالزاوية التابعة بنفطة، تخرج من الزيتونة بشهادة التحصيل في العلوم سنة 1941م، ثم شهادة التحصيل في القراءات سنة 1945م، ثم أتم مقررات شهادة العالمية في اللغة العربية سنة 1964م، بعد عودته للوطن عمل في التربية والتعليم، وانضم في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، توفي في 23 فيفري 1978م بمدينة بسكرة (يُنظر: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، مجموعة من الأساتذة، إشراف: رابح خدوسي، منشورات الحضارة، الجزائر، طبعة 2014م، (294/2)، وأعلام من سوف فق الفقه والثقافة والأدب، سعد العمامرة وأحمد منصوري، مطبعة مزوار، الجزائر، 2006م، ص 91).

الشيخ: محمد بن إبراهيم بن بلقاسم بن أحمد خنوفة الديبلي، وأكمل حفظه للقرآن الكريم وإتقان العلوم الدينية الأخرى بالزاوية التابعة على يد الشيخ بن محمد الطيب.

6. تلاميذه:

تفرغ الشيخ محمد الصالح قديري للتعليم القرآني والتدريس بمسجد عمر بن عبد العزيز بالجديدة فتخرج عليه خلق كثير نذكر منهم⁽¹⁾:

- الشهيد أحمد بن علي، (ت: 1955م).
- الشيخ محمد الصالح بن الطيّب حامدي، (ت: 1990م).
- المجاهد الصادق خلايفة، (ت: 2006م).
- الحسين بن صالح قديري.

وما يمكن تسجيله من خلال رصد تلاميذ الشيخ أن أغلبهم إما من الشهداء الأبرار، أو من لمجاهدين الأبطال.

7. آثاره العلمية

لم يشتغل الشيخ محمد الصالح قديري بالتأليف، لكنه نقل عنه أن كان خطاطا، كتب عددا من الكتب، والكتاب التي اطلعت عليه هو كتاب "وسيلة المتوسلين لسيد المرسلين" لسيدي بركات العروسي القسنطيني.

8. وفاته

بعد حياة حافلة بالجهاد العلمي، وبعد معاناة مع مرض الكلى، الذي أثر عليه، فانهارت قوته وضعف بدنه، والتحق بالرفيق الأعلى يوم الاثنين 09 ذي الحجة 1394 هـ الموافق لـ 22 ديسمبر 1974 م على الساعة 21:00 ليلا بمسقط رأسه الجديدة⁽²⁾.

ودُفن مساء يوم العيد بمقبرة الجديدة القديمة في جنازة مهيبة حضرها المئات من تلاميذ الشيخ ومحبيه من رجال العلم والثقافة، وقد أدى صلاة الجنازة عليه الشيخ أحمد

(1) مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة حامدي بمسكنه ببلدية الدبيلة، يوم: 30 مارس 2023 على الساعة: 10:30.

(2) يُنظر: شهادة وفاة الشيخ محمد الصالح قديري الصادرة عن بلدية الدبيلة بتاريخ: 02 جوان 2021.

توبة بن مسعود⁽¹⁾.

وقد خلف الشيخ من الأولاد ثلاثة ومن البنات ثلاثة، وهم على التوالي:

خديجة، عبد السلام، نجيب، عبد الباسط، أمال، وكمال⁽²⁾.

ثانياً: وسائل الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري

تعددت أشكال الخطاب المسجدي الذي كان يُمارسه الشيخ محمد الصالح المعروف بالرني في مسجده الذي كان ينشط فيه طيلة 42 سنة، فاستغل كل الفضاءات المتاحة، للدعوة والإصلاح ومحاربة البدع والخرافات وإفشال مخططات المستعمر الفرنسي.

فقبل الاستقلال كان همّ الشيخ من خلال خطابه المسجدي ينصب حول نشر الوعي في الأمة من أجل محاربة المستعمر وإفشال خططه التي كانت ترمي للقضاء على الهوية الإسلامية والوطنية للشعب الجزائري، وكذا محاربة بعض البدع والخرافات التي كانت منتشرة... وبعد نيل الاستقلال انتقل الخطاب المسجدي إلى مواصلة مسيرة الإصلاح ومكافحة بعض الآفات الاجتماعية التي كانت منتشرة آنذاك.

1. الخطب المسجدية

منذ عودة الشيخ الرني رحمه الله إلى مسقط رأسه قرية الجديدة سنة 1932م وهو يمارس مهامه في الخطابة والتعليم بمسجد عمر بن عبد العزيز بالجديدة، واستمر به إلى غاية وفاته رحمه الله سنة 1974م، وقد كان لخطب الشيخ تأثيراً كبيراً على بلدة الجديدة والقرى المجاورة، ويمكن أن نميز أن الخطاب الدعوي للشيخ مر خلال هذه الفترة بمرحلتين: المرحلة الأولى خلال فترة الاستعمار الفرنسي، والمرحلة الثانية بعد الاستقلال. ففي المرحلة الأولى وطنية الشيخ وكرهه للمستعمر الفرنسي، دفعه إلى توجيه خطابه المسجدي كعادة علماء الجمعية في تلك الفترة إلى نشر الوعي والروح الوطنية في المجتمع خاصة في صفوف الشباب من أجل التصدي لمخططات المستعمر الرامية للقضاء على الهوية الوطنية للشعب الجزائري.

ومما وصل إلينا بالمرويات الشفاهية الخطبة الحماسية التي ألقاها في سنة 1953م بمسجد عمر بن عبد العزيز بالجديدة، التي ألهم فيها حماس الحاضرين وفجر

(1) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد توبة في منزله يوم 29 مارس 2023 على الساعة 12:30.

(2) ينظر: البطاقة العائلية للحالة المدنية الصادرة عن بلدية الدبيلة يوم: 27 مارس 2022م.

مشاعرهم، لضرورة التصدي للغزاة الفرنسيين، مما دفع أهالي بلدة الجديدة إلى التفكير في الهجوم على المركز الفرنسي، لكن الشيخ منعهم من ذلك، ووجههم إلى الوقت لم يحن الآن، وأن المطلوب هو الاستعداد والتهيؤ حتى يأتي يحين العزم⁽¹⁾، وقد كانت هذه الحادثة بمثابة التنبؤ من الشيخ الذي سبق اندلاع الثورة بقرابة العام⁽²⁾.

فمثل هذه الخطاب المسجدي الثوري الذي عرف به علماء جمعية العلماء المسلمين ساهم بدور كبير في التحضير للثورة التحريرية، فعند اندلاع الثورة سارع شباب بلدة الجديدة خاصة تلامذة الشيخ محمد الصالح الرني للمشاركة في الثورة المضفرة.

وقد سجل التاريخ بطولات أهالي الجديدة في المشاركة في الثورة التحريرية، وزفت البلدة عددا كبيرا من الشهداء الأبرار، وعددا كبيرا من المجاهدين الأبطال⁽³⁾.

أما بعد الاستقلال فواصل أسد المنابر الشيخ محمد الصالح الرني جهاده بالكلمة، فكان يعالج القضايا الاجتماعية المختلفة بالخطب المنبرية المسجدية في مسجد عمر بن عبد العزيز إلى توفاه الله.

وكان الشيخ الرني رحمه الله يُحِبُّ أن يكون إلقاء خطبة الجمعة شفاهيا، حتى يكون لها الوقع والتأثير الإيجابي على المستمعين، وهذا ما نقل عليه في إحدى ندوات مديرية الشؤون الدينية لولاية الوادي التي تناولت كيفية تحضير وإلقاء خطب الجمعة، حيث أصر الشيخ على ضرورة إلقاء الخطبة شفويا، حيث يستطيع الخطيب معالجة ما يحدث في بلده وقريته⁽⁴⁾.

2. الدروس المسجدية

بالإضافة إلى خطاب الشيخ محمد الصالح قديري المنبري الموجه عادة لعموم الناس، استغل الشيخ الدروس المسجدية للدعوة والإرشاد أولا، ثم محاولة رفع الجهل ونشر الوعي خاصة في صفوف الشباب عن طريق الدروس العلمية في العقيدة والفقه واللغة...

(1) مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة حامدي بمسكنه ببلدية البديلة، يوم: 30 مارس 2023 على الساعة: 10:30.

(2) هذه الحادثة ذكرها لي الشيخ خليفة حامدي وكذلك الشيخ أحمد توبة؛ إلا أن الشيخ أحمد توبة نسب نص هذه الرسالة للشيخ العروسي لحويتي، وقرأها نيابة عنه الشيخ محمد الصالح قديري، وعلى هذا أمكن الجمع بين من ينسبون هذه الحادثة للشيخ العروسي لحويتي.

(3) قاسمي يعقوب عبر صفحته في الفيسبوك، تاريخ الاطلاع: 28 مارس 2022، على الساعة: 14:35.

(4) ينظر: مذكرة الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني، ص 14-16.

هذا وقد استغل الشيخ فتح المدرسة الحرة في الجديدة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، ليتعاون مع رفيقه دربه الشيخ العروسي بالحويتي في التكوين العلمي الرصين للشباب، ونشر الوعي والروح الوطنية في صفوفه، حتى يساهم في محاربة مخططات الغزاة الفرنسيين الرامية لطمس هوية هذا الشعب، هذا أثنا فترة الاستعمار الفرنسي، أما بعد لاستقلال فقد استغل الشيخ دروسه المسجدية للدعوة والإصلاح ومعالجة الآفات الاجتماعية التي كانت منتشرة؛ كانتشار الموسيقى والرقص، والتبرج والسفور...⁽¹⁾.

3. الخطاب المسجدي في المناسبات

كان الشيخ كعادة علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يستغلون كل المناسبات المختلفة للوعظ والإرشاد، كخطب العزاء ومجالس الصلح...، فكان الناس يقصدونه لحل النزاعات المختلفة؛ كمسائل الطلاق أو الميراث، أو للفتوى في مسائل العبادات (الصلاة، الطهارة، الصوم، الزكاة، ...)، أو المعاملات؛ كاليئوع وغيرها.

وكان الشيخ يستغل المسجد وأحيانا البيت لعقد مثل هذه الجلسات ومعالجة مختلف القضايا التي تعرض عنه، مستثمرا كل جلسة للدعوة والإرشاد والإصلاح⁽²⁾.

4. الخطاب الديني عبر جرائد الجمعية

لم يقتصر خطاب الشيخ محمد الصالح قديري الخطاب المسجدي على مستوى بلدة الجديدة أو وادي سوف، بل تجاوزه إلى الخطاب الإصلاحي عبر جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فمما نُقل عنه رحمه الله أنه كانت له مقالات منشورة في جرائد الجمعية؛ كالمقد والقبس والشهاب والبصائر...⁽³⁾

وقد حاولت البحث في هذه الجرائد على مقالات الشيخ؛ إلا أنني لم أتمكن من ذلك، وقد يكون ذلك راجع إلى استخدام الشيخ لأسماء مستعارة كما هي عادة أغلب رجالات الجمعية الذين كانوا ينشطون في هذه الجرائد بأسماء مستعارة خوفا من متابعات المستعمر الفرنسي، أو أن المقصود من مشاركة الشيخ في هذه الجرائد اشتراكه وحصوله على أعداد منها بصورة دورية...

(1) مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة حامدي بمسكنه ببلدية الدبيلة، يوم: 30 مارس 2023 على الساعة: 10:30.

(2) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد توبة في منزلة بالجديدة بلدية الدبيلة يوم 29 مارس 2023 على الساعة: 12:30.

(3) يُنظر: مذكرة: الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني، ص 21.

ثالثاً: معالم الخطاب الدعوي عند الشيخ محمد الصالح قديري

يمكن من خلال الخطبتين الصوتيتين اللتين حصلت عليهما للشيخ محمد الصالح الرني، وكذا من خلال المقابلات الشفاهية مع بعض تلاميذ الشيخ، يمكن تسجيل بعض معالم الخطاب المسجدي للشيخ محمد الصالح الرني في النقاط الآتية:

1. الواقعية في الخطاب المسجدي:

حاول الشيخ الرني رحمه الله من خلال خطابه المسجدي تناول قضايا مجتمعه بكل واقعية وصدق، فكان ينقل ما يعيشه ويُعاشه، ومن ذلك معالجته لبعض الظواهر الاجتماعية؛ كظاهرة سيطرة المرأة والأولاد على الرجل، وكيف أن كلمة المرأة أصبحت هي العليا وكلمة الرجل هي السفلى، وكيف أن الولد أصبح هو السيد المطاع يأمر وينهى، فأدى ذلك إلى ظهور عدد من الانحرافات؛ كتشبه الرجال بالنساء، وانتشار اللواط والزنا... إلى غير ذلك من مظاهر الانحلال الخلقي والديني.

كما فتح المجال للمرأة فأصبحت تخرج متى شاءت وتتصرف حسبما تريد وتهوي، ثم هي لا تعرف طاعة للرب ولا حق للزوج.

فيظهر من خلال هذا الطرح المتوسع للشيخ في عرض هذه الظاهرة والتمثيل لها أنه ينقل بكل واقعية وصدق ما كان منتشراً على الأقل في بيئته التي يعيش فيها، ومن ثم يبين أثر وخطورة هذه الظاهرة وضرورة التصدي لها حفاظاً على تماسك كيان المجتمع⁽¹⁾.

ومن الأمثلة كذلك على محاولة الشيخ الرني معالجة قضايا أهل عصره، قوله في خطبته التي تكلم فيها عن حقوق المسلمين: "...إننا أيها المسلمون لا نعجب أذ نرى في هذا العصر من المسلمين من يشيع الأراجيز ويبث الأكاذيب ويختلق التهم إداناً للريبة وإشاعة للفاحشة وقذفاً للمحصنات الغافلات وإيقاضاً للفتن...."⁽²⁾.

وقوله أيضاً: "...إن ما عليه المسلمون اليوم من اضطراب في المعاملة وانعدام الثقة، وضياع الأمانة وكذب القول، ونفاق العمل، وأذى اللسان واليد... قد أقعدهم في ذيل الأمم

(1) ينظر: تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان "وجوب الاعتصام بحبل الله والتمسك به" في سبعينيات القرن الماضي.

(2) ينظر: تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان حقوق المسلمين في سبعينيات القرن الماضي

ومن ذلك قوله في الخطبة الثانية التي تحدث فيها عن فضل الاعتصام بحبل الله ووجوب التمسك به، فبعد ذكره بأن الزوجة والأبناء أمانة في عنق الرجل، وأن الله سائله عنهم، حيث قال: "... ولكن أين هم الذين يشعرون بهذه المسؤولية اليوم، فيتعهدون أولادهم بالأدب الصحيح والتربية الحسنة، وبالأخلاق الإسلامية والآداب الدينية، ويمنعون عنهم أسباب الانحراف والشقاء..."⁽²⁾.

2. مصدر الخطاب المسجدي عند الشيخ محمد الصالح قديري

لا يخفى أن كل خطيب لابد أن تكون له مكتبة شخصية يرجع إليها لبناء خطبته وتأسيسها، وقد حاولت البحث عن المكتبة التي خلفها الشيخ محمد الصالح قديري، إلا أنني لم أعثر على شيء يذكر، سوى بعض الكتب المخطوطة، وهي:

- مخطوط لسيدي خليل المالكي في الفقه.
- مخطوط لكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة.
- كتاب الشرك ومظاهره للشيخ مبارك الميلي في العقيدة كذلك⁽³⁾.

وقد ذكر لي الشيخ خليفة حامدي أنه كان للشيخ كتاب في الخطب المنبرية يعتمد عليه في إعداد خطبته⁽⁴⁾، إلا أنه لم يتسن لي الحصول عليه لمقابلته بخطبته الصوتية أما الشيخ أحمد توبه فقد أخبرني بأنه كان يعتمد في خطبته على كتاب "الخطابة الدينية في الدعوة الإسلامية"⁽⁵⁾ للشيخ عيسى عبد الرحمن الحلبي، وهو عبارة عن كتاب يحوي مواضيع خطابية قيمة فيها توجيه ديني ونقد اجتماعي وأدب إسلامي⁽⁶⁾.

(1) ينظر: تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان حقوق المسلمين في سبعينيات القرن الماضي

(2) ينظر: تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان حقوق المسلمين في سبعينيات القرن الماضي

(3) ينظر: مذكرة الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني، ص 14-16.

(4) مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة حامدي بمسكنه ببلدية الدبيلة، يوم: 30 مارس 2023 على الساعة: 10:30.

(5) وهذا الكتاب طبع في مطبعة الأصيل، حلب، سوريا، سنة 1965م.

(6) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد توبه في منزلة يوم 29 مارس 2023 على الساعة 12:30 زوالاً.

وأياً كان الكتاب أو الكتب التي كان يعتمد عليها الشيخ، فإن مضمون خطبه الصوتية توحى بأنه كان يتصرف فيها وينقحها بما يُناسب الموضوع التي يتكلم فيه، ويُدعمه بالأمثلة والشواهد.

3. الشمولية في الخطب المسجدية:

حسب الروايات الشفهية، والتسجيلات الصوتية التي تحصلت عليها فإن الخطاب المسجدي للشيخ محمد الصالح قديري كان يخاطب جميع شرائح المجتمع، باختلاف أعمارهم ومواهبهم ومستوياتهم العلمية والمادية، فكان يخاطب الشباب في النادي والمدرسة الحرة، والشيخ والكهول في المسجد، والأطفال في المدرسة القرآنية، وخاطب الطبقة المثقفة عبر الجرائد ومجلات الجمعية...

أما موضوعاته فكانت كذلك تمس أغلب المجالات، فكان يتحدث في المجال السياسي، والديني، والاجتماعي، فقبل الاستقلال كانت موضوعاته تدور حول نشر العلم والوعي ومحاربة الجهل، ومقاومة المستعمر، وإبطال سياساته الرامية لطمس الهوية الوطنية.

أما بعد الاستقلال فالتركيز كان على محاربة الآفات والأمراض الاجتماعية بمخلف أنواعها؛ كشرب الخمر، والتبرج والسفور، وانتشار الموسيقى وصالات الرقص، واللواط والزنا، وموائد الغمار... وذلك لخطر هذه الآفات على الفرد وعلى المجتمع.

إضافة إلى بعض الموضوعات التقليدية؛ كالمولد النبوي والهجرة والإسراء والمعراج...، وأحاديث عن الزكاة والصوم والحج والمعاملات الأخرى⁽¹⁾.

4. استخدام الذكاء والحكمة في معالجة البدع والخرافات

تميّز الشيخ الرني بالحكمة في معالجة بعض القضايا الشائكة التي تُعرض عليه، خاصة ما تعلق منها بمحاربة ومعالجة بعض البدع والخرافات التي كانت منتشرة في زمانه، فكان يبدع في اختيار الأسلوب الخطابي المناسب لمحاربتها، ومن الأمثلة على ذلك: معالجة مسألة الأذانات الثلاثة التي كانت تُرفع في مسجده قبل انطلاق الخطبة، فقال لهم الشيخ محمد الصالح الرني، سأوصي الجماعة الداهية للحج بأن ينظروا ويسألوا في الحرم المكي، فإذا كان عندهم أذان واحد تركنا هذه الأذانات، وبعد عودة هذه البعثة قالوا له أن هناك أذان واحد ثم الخطبة مباشرة، وهكذا قضى الشيخ الرني على هذه البدعة بهذا الأسلوب الجميل.

(1) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد توبة في منزلة يوم 29 مارس 2023 على الساعة 12:30 زوالاً.

ومما رُوي عنه أيضا أنه عالج مسألة صرّة رمضان، وهي عبارة عن كيس فيه بجور سبعة وعشرين، يوضع أمام الإمام في ليلة 27 رمضان ثم يصبح يستخدم للشفاء، فعالجها الشيخ بخطاب فيه من الحكمة والذكاء واللين، حيث قال: إن هذه الخرقه التي فيها البخور قد تكون نجسة لأنه لا يعلم مصدرها، وبالتالي لا يجوز إدخال مثل هذه النجاسات للمسجد⁽¹⁾.

5. التأثير في الشعور من خلال الخطاب الدعوي:

ما يميز خطب الشيخ الرني محاولته التأثير في شعور المتلقي باستثارة كوامن الرغبة فيه، ويحاول تحميله المسؤولية اتجاه الواقع الأليم الذي يعيشه، ويُعد هذا الأسلوب من مقاصد الخطاب الدعوي الفعال، والأمثلة على ذلك كثيرة في خطبه، نذكر منها على سبيل المثال قوله: ".... إن ما عليه المسلمون اليوم من اضطراب في المعاملة، وانعدام الثقة، وضياح الأمانة، وكذب القول، ونفاق العمل، وأذى اللسان واليد، وحفظ الصدر قد أضعفهم كثيرا وقعد بهم في معالي الأمم المتخلفة الضعيفة، ما أكثر المسلمون اليوم، إنهم من أكثر أمم الأرض عددا، لكنهم أضعف الخلق في موازين القوة، لأنهم لا يحملون من الإسلام إلا اسمه، ولا يهتدون من القرآن إلا حروفه ورسمه، إن المسلمين الذين نصر الله بهم دينه والذين فتحوا الدنيا، وحكموا العالم شرقا وغربا، ودوخوا الجبابرة، وقضوا على حكم الطغاة، لم يجاوز عددهم مائة ألف مسلم، بينما يوجد الآن على ظهر هذه الأرض خمسمائة مليون أو يزيد، ومع ذلك فليس لهم عزة تذكر، ولا كيان يُهاب، ذلك أنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، واعتزوا بغيره فأذلهم...."⁽²⁾.

6. اعتماد السجع في الخطاب المسجدي

تميز الشيخ محمد الصالح الرني باستخدام جرس صوتي مسجوع، له وقع حسن في الأذان، وذلك بانسجام الحروف وائتلاف الكلمات وتناسق العبارات، مما أضفى على أسلوبه رونقا خاصا يستميل القارئ ويستهويه، ويظهر هذا جليا في خطب الشيخ الرني، إلى درجة أنه سمي بـ"الرني" لترنمه في خطبه، ومن أمثلة ذلك:

(1) نقل لي هذه المعلومة الشيخ فرحات شعباني نقلا عن الشيخ علي بن رجب حامدي، وذلك يوم 29 مارس 2023 على الساعة: 13:15 بجوار مسكنه بالجديدة.

(2) ينظر: تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان حقوق المسلمين في سبعينيات القرن الماضي

قوله: "ترى هؤلاء مع إدعائهم الإسلام وكونهم يصلون ويحجون تجدهم يتعاملون بالغش والربا، يكذبون في أقوالهم ويخدعون، وينافقون في أعمالهم ويرءاون، وعلى عباد الله يقسون ولا يرحمون..."⁽¹⁾

وقوله: ".... إن ما عليه المسلمون اليوم من اضطراب في المعاملة، وانعدام الثقة، وضياح الأمانة، وكذب القول، ونفاق العمل، وأذى اللسان واليد، وحفظ الصدر،"⁽²⁾.

7. الإيجاز في الخطاب المسجدي:

من بين أبرز معالم خطب الشيخ الرني التي تظهر من خلال الخطبتين محل الدراسة هو الإيجاز في الخطبة من غير إخلال في المعنى، إذا يحس السّامع أنه ألمّ بجميع أفكار موضوعه وفي وقت وجيز، ويبدو أن الشيخ الرني متأثر برفيق دربه العلامة عبد الحميد بن باديس الذي كان يوجز في خطبه المنبرية، بخلاف خطبه السياسية.

وقد ذكر لي الشيخ خليفة حامدي أن الشيخ كان متأثراً بالخطب الزيتونية، التي تتميز بقصر الخطبة، والكلام المسجوع، فكانت الخطبة الأولى تخصص لطرح الموضوع، والخطبة الثانية أغلبها يكون للدعاء⁽³⁾.

وكلام الشيخ خليفة مطابق للخطب الصوتية للشيخ الرني، التي كان يُركز في الأولى منها على عرض موضوع الخطبة، وفي الثانية على الدعاء.

8. يطرح في خطابه المسجدي الشبه ثم يحاول الإجابة عليها:

من معالم منهج الشيخ الرني معالجته للشبه والمغالطات المنتشرة في مجتمعه من خلال خطابه المسجدي في الدروس والخطب والمناسبات، فتجده يطرح الشبهة بأسلوب بديع، ثم يحاول الإجابة عليها، ومن أمثلة ذلك قوله: "يظن أكثر الناس اليوم أن الإسلام عبارة عن عبارة عن شهادة يردّها اللسان وصلاة صورية تقوم بها الأركان...."، ثم ينطلق بعد ذلك في دحض هذه الشبهة وعرض المفهوم الصحيح.

9. الاستشهاد في خطابه المسجدي

وقد التزم الشيخ بسرد الأدلة والشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية لإقناع

(1) ينظر: السابق.

(2) ينظر: تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان حقوق المسلمين في سبعينيات القرن الماضي

(3) مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد توبة في منزلة يوم 29 مارس 2023 على الساعة 12:30 زوالاً.

المستمعين، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

عند كلامه في خطبة "حقوق المسلمين" عن الذين يشيعون الفاحشة بين المسلمين،
استشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفُحْشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: 19]

وعند كلامه في الخطبة الثانية عن فضل الاعتصام بحبل الله ووجوب التمسك به،
ذكر وجوب تعهد الأب للأبناء بالتربية الحسنة والأخلاق الفاضلة واستشهد بقوله ﷺ: «ما
نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»⁽¹⁾.

ويظهر من خلال ذلك حسن توظيف الشيخ الرني لهذه الآيات والأحاديث النبوية
المستشهد بها في خطبه، وذلك من خلال دمجها بالألفاظ والتراكيب.

10. اللغة والأسلوب والترابط في خطابه المسجدي

وما يميز خطب الشيخ الرني ترابط الأفكار عند تناول الموضوع الواحد، بحيث تكون
أفكاره متسلسلة مترابطة، فمثلا في الخطبة الأولى التي تحدث فيها عن حقوق المسلمين،
بدأ أولا بذكر حديث النبي ﷺ الذي يُعد أصلا في هذا الباب، وهو قوله صلى الله عليه
وسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»⁽²⁾، ثم بعد ذلك عرض صور مخالفة
هديه ﷺ، وفي الأخير ذكر أثر ذلك على الفرد والمجتمع، وعلى الأمة ككل.

وأسلوب الشيخ ولغته سهلة بسيطة لا يوجد فيها تعقيد أو ألفاظ يُشكل فهمها على
العوام، حيث راعى في ذلك أنواع المخاطبين.

4. خاتمة:

كان الهدف من هذه الدراسة هو كشف اللثام على عملاق من عمالقة المنابر في
منتصف القرن الماضي، ومحاولة التعريف به والكشف على إسهاماته في الخطاب

(1) أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ-1975م، (338/4)، حديث رقم: 1952،
قال الترمذي: "هذا حديث غريب".

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة:
الخامسة، 1414هـ-1993م، (13/1)، ومسلم في صحيحه، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلبي القره
حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، دار
الطباعة العامرة - تركيا، 1334هـ، حديث: 41، (48/1).

المسجدي.

ومن أبرز النتائج النتوصل إليها:

- المعيشة الصعبة التي مرّ بها الشيخ محمد الصالح قديري حالت دون مواصلة الدراسة في جامع الزيتونة، والاكتفاء بالزاوية التابعة بنفطة.
 - ساهم الشيخ رفقة المخلصين من أهل بلدة الجديدة؛ كالشيخ العروسي لحويّتي في محاربة المستعمر بالكلمة والقلم، وكذا محاربة البدع والخرافات.
 - كان الشيخ من بين خطباء الجمعية الذين كتبوا خطبهم لأجل إصلاح المجتمع، وبناء الأمة على النهج الذي ارتضاه الله ورسوله.
 - امتاز الخطاب المسجدي للشيخ محمد الصالح الرني بفصاحة ألفاظه ووضوحه، ومسايرته لقضايا عصره وأمته.
 - تنوع الخطاب الدعوي للشيخ محمد الصالح الرني بين خطابه المنبري، ودروسه المسجدية، وكلمات المناسبات والأعياد، والكتابة في الجرائد والمجلات.
 - من أهم معالم الخطاب المسجدي للشيخ محمد الصالح الرني الواقعية ومراعاة أحوال المخاطبين، والإيجاز في الخطبة، ومحاولة التأثير في الشعور...
- ومن أبرز التوصيات:
- أوصي الهيئات والمؤسسات العلمية إلى إعادة النظر في طريقة عرض شيوخنا وعلمائنا، فالكثير منهم لم يعط حقّه الذي يليق بكفاءته ومكانته العلمية.
 - توجيه مذكرات اليسانس في تخصص الدعوة والثقافة الإسلامية إلى التعريف بخطباء ودعاة حاضرة وادي سوف وما جاورها.

المصادر والمراجع

الكتب:

- أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، سعد العمامرة وأحمد منصوري، مطبعة مزوار، الجزائر، 2006م.
- سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ-1975م.
- صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، الطبعة: الخامسة، 1414هـ-1993م.
- صحيح مسلم، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، دار الطباعة العامة - تركيا، 1334هـ.
- مذكرة ليسانس الشيخ محمد الصالح قديري وجهوده في التعليم القرآني-، الشيماء عقون، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2021-2022.
- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، مجموعة من الأساتذة، إشراف: رايح خدوسي، منشورات الحضارة، الجزائر، طبعة 2014م.

المقابلات الشخصية:

- مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة حامدي بمسكنه ببلدية الدبيلة، يوم: 30 مارس 2023 على الساعة: 10:30.
- مقابلة شخصية مع الأستاذ فرحات شعباني يوم 29 مارس 2023 على الساعة: 13:15 بجوار مسكنه بالجديدة.
- مقابلة شخصية مع الشيخ أحمد توبة في منزلة يوم 29 مارس 2023 على الساعة 12:30.

وثائق الحالة المدنية:

- شهادة ميلاد الشيخ رقم: 01804 صادرة عن بلدية الدبيلة يوم: 2022/02/02م.
- شهادة وفاة الشيخ محمد الصالح قديري الصادرة عن بلدية الدبيلة بتاريخ: 02 جوان 2021.
- البطاقة العائلية للحالة المدنية الصادرة عن بلدية الدبيلة يوم: 27 مارس 2022م.

التسجيلات الصوتية:

• تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان حقوق المسلمين في سبعينيات القرن الماضي.

• تسجيل صوتي لخطبة جمعة للشيخ محمد الصالح قديري بعنوان "وجوب الاعتصام بحبل الله والتمسك به" في سبعينيات القرن الماضي.

المرفقات:

صورة الشيخ محمد الصالح قديري (الرني)



الإمام الحبيب قرفي
ودوره في الخطاب المسجدي والتعليم القرآني
في بلدية المقرن ولاية وادي سوف

أ.د/ عبد القادر بن محمد شكيمة

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

chekima-abdelkader@univuniv-eloued.dz



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه أجمعين، أما بعد:

فإن للمساجد في الإسلام قدسية خاصة؛ فهي أماكن للعبادة ونشر العلم وتوعية الناس عن طريق الخطب والمواعظ والدروس، والشعب الجزائري معروف عنه اهتمامه بهذه البقاع الطاهرة من تسابق لبنائها وإعمارها، ولقد شهدت الجزائر منذ الاستقلال إلى اليوم ثورة كبيرة في تشييد عدد ضخم من المساجد، ومن الولايات الرائدة في ذلك ولاية وادي سوف التي فاق عدد المساجد فيها الستمئة مسجد، وبازدياد المساجد يزداد الخطباء والمدرسون ومعلمو القرآن، وبحثنا سيهتم بشخصية ساهمت في هذا الدور العظيم وهو الخطاب الديني والتعليم القرآني، ويتعلق الأمر بالإمام: الحبيب قرفي -عليه رحمة الله- الذي كان موظفا في وزارة الشؤون الدينية معلما للقرآن وإماما وخطيبا، فكان البحث بعنوان: الإمام الحبيب قرفي ودوره في الخطاب المسجدي والتعليم القرآني في بلدية المقرن ولاية وادي سوف.

أهمية البحث: هذا الموضوع يكتسي أهمية كبيرة كونه يتعلق بالخطاب الديني المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وبشخصية قامت بتبليغ هذا الخطاب في أطر بقاع الأرض وهي المساجد.

إشكالية البحث: يطرح الباحث في هذا الموضوع الإشكالية الآتية؟

من هم الإمام الحبيب قرفي؟ وكيف كانت نشأته العلمية؟ وما هي أبرز جهوده في التعليم القرآني والخطاب المسجدي؟

الدراسات السابقة: في حدود علمي لم يتطرق أحد قبل إلى دراسة هذا الموضوع.

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة:

مقدمة: وفيها تعريف بالبحث وبيان أهميته وغيرها مما هو معروف في المقدمات.

وثلاثة مباحث كل مبحث يحوي مجموعة من المطالب.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام الحبيب قرفي.

المبحث الثاني: إبراز جهوده في تعليم القرآن الكريم.

المبحث الثالث: إبراز جهوده في الخطابة والدروس.

خاتمة: وفيها إبراز لأهم نتائج البحث وتوصيات مهمة.

وفي الختام:

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتكلل هذا الملتقى بالنجاح وأن يوفق القائمين عليه والمشاركين فيه إلى التوفيق والسداد.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: ترجمة موجزة للإمام الحبيب قرفي.

جرت عادة الباحثين أنه كلما كانت الدراسة حول عمل شخصية ما أن يترجم له، وحتى نتعرف على هذه الشخصية نبرز شيئاً من حياته الشخصية والعلمية في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اسمه ونسبه:

من خلال سؤال أحد أولاده (عبد العالي، أستاذ رياضيات في الطور المتوسط) ووثائق رسمية تحصلت عليها (شهادة الميلاد، بطاقة التعريف الوطنية وجواز السفر والدفتر العائلي) فإن اسمه: الحبيب بن محمد بن مبارك بن إبراهيم قرفي. وعائلة قرفي معروفة في

ولاية الوادي يتواجد أكثرهم في البياضة، وانحدر بعضهم إلى بلدية المقرن وتوزعوا على قراها منهم من سكن وسط المقرن ومنهم من سكن بقرية الحمادين ومنهم من سكن بقرية المناعة، منهم الأساتذة وفيهم الأئمة، مما يحسب لهذه العائلة الانضباط والصرامة وأخذ الأمور بالجدية والمنهجية.

المطلب الثاني: مولده ونشأته الشخصية والعلمية.

ولد إمامنا ومعلمنا الحبيب قرفي - كما هو مثبت في نسخ الدفتر العائلي المرفقة - خلال سنة 1929م في قرية العزازلة بلدية البياضة، ونشأ تحت كفالة والديه حيث أدخله والده الكتاتيب في سن مبكرة (حوالي سنة 1934 تقريبا)، وتدرج في حفظ القرآن بالطريقة القديمة، حيث بدأ بحفظ الحروف على الطريقة التقليدية (ألف وجريواتها) باللوح، ولما أتقن الحروف بدأ في الحفظ بدءا بقصار السور على عكس ترتيب المصحف، ولما أكمل قصار السور وكان الكاتب الشيخ أتم الحفظ عن طريق كتابة اللوح بإملاء الشيخ وبالرسم العثماني، وبعد أن يكمل كتابة كل جهة من اللوح يعطيه للشيخ لتصحيح الأخطاء ثم يحفظ اللوح ويمحوه، إلى أن أتم حفظ كتاب الله وعمره حوالي اثنتي عشرة سنة، وصلى بالناس التراويح في العام الذي ختم فيه.

وكعادة السوافة لما بلغ سن الرشد أصبح يعمل مع أبيه، يسقي الحرث بالطريقة القديمة (الخطارة)، ثم معلما للقرآن في بلدية المقرن في أحد المنازل، ثم تم توظيفه في المسجد العتيق بالمقرن، وللأسف أوقفه بعض المصلين بسبب الاختلاف معه في العقيدة، أخبرني أحد الحاضرين آنذاك أن إمامنا سأل عن السبب الذي جعلهم لا يقبلونه إماما بهم فقالوا له: أنت لا تعرف إلا ربي وحده، فقال: أرجو أن تشهدوا لي بهذا يوم القيامة.

ثم قرر أن يخرج من المقرن ويذهب إلى مسجد آخر في أحد القرى المجاورة أو البعيدة، فطلب منه بعض محبيه من المصلين أن يبنوا مسجدا آخر ويكون هو إمامه فوافق، وتطوع أحد الناس بالتبرع بمكان البناء، وتكاثفت الجهود البدنية والمادية والمالية إلى أن بني مسجد الشيخ عبد الرحمن الأخضرري سنة 1977م على بعد كيلو متر تقريبا جنوب المسجد العتيق بالمقرن، وبقي فيه إماما ومعلما للقرآن إلى أن توفي رحمه الله.

مما يمتاز به إمامنا وتفوق به على أقرانه حفظه الجيد للقرآن، بحيث كان دائم القراءة من حفظه، تجده يقرأ في كل مكان في المسجد وفي الطريق وفي البيت وفي السوق

وفي دكانه وحتى في وقت شغله وعمله في نخيل المسجد.

حدثني في آخر رمضان عاشه أنه يختم القرآن كل ثلاثة أيام على ظهر قلب، وأن رمضان هذا هو رمضان الخمسين يصلي بالناس التراويح.

حج مرتين آخرهما عام 1990م.

إمامنا متزوج وقد وهب الله له عشرة من الولد ست ذكور وأربع إناث، توفي منهم خمسة في حياته.

وهذه وثائق تثبت نسبه وتاريخ مولده وأمور أخرى:

محادثة واتسابية مع أحد أبنائه، وشهادة ميلاد، ونسخة من بطاقة التعريف ونسخة من جواز السفر:



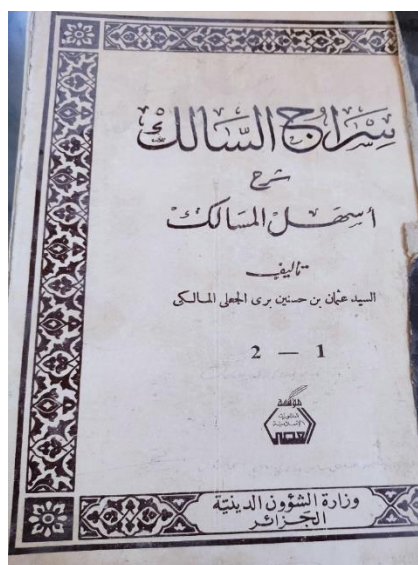
قرفي
 Name: **GUERFI**
 Nom:
 Forename: **EL HASSIB**
 Prénom:
 Nationality: Algerian
 Nationalité: Algérienne
 Date of birth: **خلال 1989**
 Date de naissance: **الديلة**
 Place of birth: **DEBILA**
 Lieu de naissance:
 توقيع عامل الجواز
 Signature of bearer:
 Signature du titulaire:
 هذا الجواز يحتوي على 28 صفحة
 The passport contains 28 pages
 Ce passeport contient 28 pages

المهنة: <u>إسلام</u> محل الإقامة: <u>المعسر - الوادي</u> الأمم: <u>IMAM.</u>	الجنس: <u>MAHRENE - EL-OUED.</u> الوصاف: <u>الأوصاف</u> الذات: <u>1,61</u> لغة الأم: <u>سود</u> لغة التحدث: <u>بنجا</u> علاقات عائلية: <u>أعلى</u> الجنس: <u>CHAUV</u>	الجنس: <u>MAHRENE</u> الذات: <u>850</u> لغة الأم: <u>بنجا</u> لغة التحدث: <u>بنجا</u> علاقات عائلية: <u>أعلى</u> الجنس: <u>CHAUV</u>	الجنس: <u>MAHRENE</u> الذات: <u>850</u> لغة الأم: <u>بنجا</u> لغة التحدث: <u>بنجا</u> علاقات عائلية: <u>أعلى</u> الجنس: <u>CHAUV</u>

وإلى جانب إتقانه حفظ القرآن الكريم فقد كان رحمه الله يهتم بالتفسير، والتفسير

المعتمد عنده تفسير الخازن الذي كان موجودا في المكتبة (فقد من المكتبة الآن)، وكان أحيانا يذكره لنا، وفي القليل النادر ينظر في تفسير ابن كثير.

وكان كذلك قد تفقه على مذهب مالك، فدرس متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك للشيخ عبد الرحمان الأخضري، ومن شدة تأثره بهذا الفقيه سعى المسجد به. وكان ينظر كذلك في كتاب سراج السالك شرح أسهل المسالك للسيد عثمان بن حسنين المالكي، لوجوده في المكتبة. وهذه صورة غلافه:



المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

شيوخه: رغم البحث وسؤال أبنائه إلا أننا لم نهتد إلى الشيخ الذي درس عليه إمامنا القرآن والفقه.

تلاميذه: تخرج على يدي إمامنا الكثير ممن ختم القرآن، بعضهم اشتغلوا بعد ذلك بالتجارة وأعمال أخرى مثل: سعد بن محمد حنكة، وعمارة بن العروسي زغيب رحمهما الله، وبعضهم صاروا أئمة ومعلمي قرآن، أذكر منهم: عبد الرزاق مقدود والحسين تواتي وعلي بوهني.

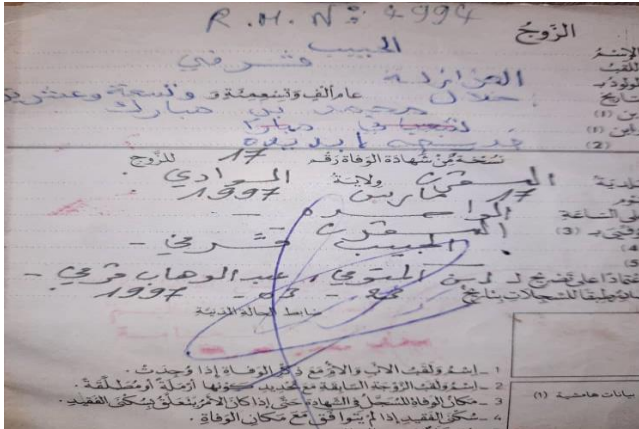
المطلب الثالث: صفاته وأخلاقه:

كان إمامنا يميل إلى القصر في القامة لكنه كان مهابا، يحترمه الصغير والكبير، ولا ينادى إلا بـ (نعم سيدي)، وكان متواضعا حسن الخلق يتعامل مع الغني كما يتعامل مع الفقير، يتفكه أحيانا مع طلابه ويقص عليهم بعض القصص تسلية لهم وبعثا للنشاط فيهم، دائم التلاوة للقرآن الكريم، وكان ناصحا أميناً محبا للخير لكل الناس، يتميز بصبر عظيم في كل شؤون حياته من تعليم القرآن وإمامة الناس والبيع والشراء وغير ذلك.

وكان شديد الحرص على تعليم الناس القرآن حتى الختم، ويتأثر لموت التلميذ ويبقى يذكره للأجيال خاصة إذا حدث شيء غريب يدل على حسن الخاتمة، ذكر لي مرة أن أحد طلبته مات وآخر آية كتبها قبل موته: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ من [سورة آل عمران].

المطلب الرابع: وفاته ومكان دفنه ورثاؤه:

تاريخ وفاته: توفي رحمه الله يوم الثامن من ذي القعدة سنة 1417 هـ الموافق السابع عشر من مارس سنة 1997 م، عن عمر ناهز الثامنة والستين.
وهذه صورة من الدفتر العائلي تثبت تاريخ وفاته.



مكان دفنه:

دفن في مقبرة المقرن التي تقع بجانب مدرسة حي بلقاسم الابتدائية، ومتوسطة بته لعبيدي.

رثاؤه:

قلت فيه:

رحل الحبيب معلم القرآن *** من كان ذا حلم وذا إحسان
قد جاءنا خبر الوفاة مزلزلاً *** جُدِرَ القلوب وأسطح الأبدان
قد صارت الدنيا ظلاماً دامساً *** وحياتنا منقضة البنيان
كان القران بقلبه مستمسكاً *** رطب اللسان به بكل مكان
في بيته وطريقه وبمسجدٍ *** وبشغله والسوق والمدكان
ارحمه يا ربي وجاهزه جنةً *** بالقرب منك وأحمد العدناني

المبحث الثاني: إبراز جهوده في تعليم القرآن الكريم.

كان لإمامنا الدور الفعال في تعليم القرآن وتحفيظه، واشتهر عند الناس بصبره على التعليم وإتقانه، حتى إن بعض مبغضيه كان يرسل أولاده إليه، وكانت طريقته رحمه الله في التحفيظ والتعليم ما تحتويه المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعليم الحروف.

كان إمامنا في الفترة التي لم توجد فيها مدارس نظامية يتدرج مع التلميذ في تعليمه الحروف كما يلي:

يبدأ مع التلميذ تعليم أسماء الحروف، فيحفظها على الترتيب المغربي (ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء، دال، ذال، راء، زاي، طاء، ظاء، كاف، لام، ميم، نون، صاد، ضاد، عين، غين، فاء، قاف، سين، شين، هاء، واو، لام ألف، ياء ء همزة⁽¹⁾)، ثم كل حرف وحركاته الثلاثة والسكون على طريقة الأفراد (أ نصب، ب نصب، ت نصب ث نصب، ... إلى آخر حرف، أرفع، ب رفع، ت رفع، ث رفع، ... إلى آخر حرف، إ خفض، ب خفض، ث خفض، ... إلى آخر حرف، أ وقف، ب وقف، ت وقف، ث وقف، ... إلى آخر حرف) ثم على طريقة الجمع: (ألف بالنصب أ بالرفعة أ بالخفضة إ بالوقفة أ، والباء بالنصب ب بالرفعة ب بالخفضة ب بالوقفة ب، والتاء بالنصب ت بالرفعة ت بالخفضة ت بالوقفة ت، والثاء بالنصب ث بالرفعة ث بالخفضة ث بالوقفة ث، ... إلى آخر حرف).

(1) ممن استعمل هذا الترتيب من علماء المغرب ابن عبد البر في التمهيد، وابن منجويه في رجال صحيح مسلم، والباقي في التجريح والتعديل.

وبعد انتشار المدارس النظامية صار لا يدرس الحروف لأنه يعرف أن الطالب سيتعلمها في المدرسة فكان يلقن التلميذ القدر المحفوظ حتى يحفظه، ولما يتعلم الحروف يضمه إلى حلقة من يملئ عليهم من الطلبة ويعلمه الرسم العثماني كما سألير إليه في باقي المطالب.

المطلب الثاني: تعليم قصار السور.

بعد حفظ الحروف يبدأ إمامنا تحفيظ التلميذ قصار السور بدءا بسورة الفاتحة بكتابتها على اللوح ويلقنها له حرفا حرفا من كل كلمة ثم تجمع حروف الكلمة، فيصبح باستطاعته جميع الحروف في الكلمة الواحدة إلى أن يحفظ الفاتحة، وهكذا مع سورة الناس والفلق والإخلاص والمسد والنصر والكافرون والكوثر وبعض السور الأخرى إلى أن يصبح التلميذ يستطيع القراءة بنفسه.

ثم يدرّب التلميذ على الكتابة بأن يكتب له المعلم محفوظه بقلم الرصاص ويعيد التلميذ على تلك الكتابة بالحبر المصنوع مما يسمى بـ "البطوم".

المطلب الثالث: تعليم باقي سور القرآن.

ثم تدريجيا بعد أن يصبح خطه حسنا ينتقل معه إلى طريقة الإملاء ويعلمه الرسم العثماني، وبعد كتابة كل لوح عن طريق الإملاء يصحح له المعلم الأخطاء التي قد يقع فيها التلميذ، وهكذا على قدر استيعاب التلميذ وقوة ذاكرته يزيد القدر المحفوظ حتى يصل في اللوح الواحد إلى ربع حزب، ومن هو أضعف ذاكرة إلى نصف ثمن (خروبة) وما بينهما يصل إلى ثمن حزب، وعندما يصل إلى آيات فيها التشابه ينبه عليه ويركز على الفرق بين المتشابهات، ويكتب له في أسفل اللوح الأبيات التي تنسب إلى الدان فاسي مثل:

إقرأ بالفاء أفلم يسيروا *** أربعة أتك يا بصير
في يوسف والحج والقتال *** وآخر الطول يا ذا الجلال

وذلك للتمييز بين (أولم يسيروا) بالواو و(أفلم يسيروا) بالفاء، فحصر له التي بالفاء في أربع سور، ويفهم منها أن ما عداها كلها بالواو.

ومثل:

ما نزل الله بلا خلاف *** في الملك والقتال والأعراف.

للتمييز بين (ما نزل) دون همزة مع تشديد الزاي و(ما أنزل) بالهمزة وتخفيف الزاي.

ومثل:

يا سائلا عن لكم ءاياته *** أربعة لا شك في إثباته
والوالدات لن تنالوا ترسم *** لتجدن هكذا وأقسموا

للتمييز بين (كذلك يبين الله لكم ءاياته) و(كذلك يبين الله لكم الايات) و(كذلك يبين الله ءاياته).

ويقصد ب(والوالدات) الربع الذي يبدأ بها في سورة البقرة، (ولن تنالوا) الربع الذي يبدأ بها في سورة آل عمران، و(لتجدن) الربع الذي يبدأ بها في سورة المائدة، و(وأقسموا) الربع الذي يبدأ بها في سورة النور.

ويهتم كذلك برسم التاء مثل كلمة (نعمة) و(نعمت) فيعطى بيتان يحصر له فيها ما يكتب بالتاء المفتوحة، وهي إحدى عشرة، وما عداها فيكتب بالتاء المغلقة، (يعبر عنه في كتب التجويد بـ "ما يكتب بتاء وما يكتب بهاء").⁽¹⁾

نعمت الخمر لن تنالوا حرمت *** اثنان بدلوا ثلاث حفدت
ومن يسلم قل انما أعظكم *** وواحدة في الطور ليس غيرهم

(نعمت الخمر) يقصد بها كلمة نعمت التي في الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ في سورة البقرة، و(لن تنالوا) الربع الذي يبدأ بها في سورة آل عمران، و(حرمت) يبدأ بها الربع الذي في سورة المائدة، و(بدلوا) إشارة إلى الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا﴾ في هذا الربع كلمتان، ويقصد ب(ثلاث حفدت) ثلاث (نعمت) تأوها مفتوحة بعد كلمة (حفدة) في سورة النحل منها إلى آخر السورة، ولم يقيد بها برأس الربع لأن قبيل (حفدة) توجد نعمة بالتاء المغلقة، و(من يسلم) الربع الذي يبدأ بها في سورة لقمان، و(قل انما أعظكم) الربع الذي يبدأ بها في سورة سبأ، وواحدة في سورة الطور، فهذه إحدى عشرة.

ويهتم كذلك بتمييز الحركات في الكلمات المتماثلة، مثل:

فاطرَ بالنصب في يوسف والزمر *** والرفع في الشورى والباقي منكسر

(1) ينظر: جامع شروح المقدمة الجزرية، خالد الأزهرى وزكريا الأنصاري، ص 26.

ومثل:

أنفسهم بالنصب لا مزيده *** في المائدة واقترب البعيدة

ويقصد بـ(اقترب البعيدة) سورة القمر، على أن اقترب القريبة سورة الأنبياء.

وأحيانا يعطى للطلاب عبارة يكون كل حرف منها بداية الكلمة الأولى من الربع التي توجد فيه الكلمة المراد رسم تائها، مثل: (ووق كفق) بداية كل ربع توجد فيه كلمة (رحمت) مفتوحة التاء.

فالواو الأولى بداية الكلمة الأولى من الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ في سورة البقرة، والواو الثانية بداية الكلمة الأولى من الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ في سورة الأعراف، والقاف بداية الكلمة الأولى من الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا﴾ في سورة هود، والكاف بداية الكلمة الأولى من الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ في سورة مريم، والفاء بداية الكلمة الأولى من الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ في سورة الروم، والقاف الآخرة بداية الكلمة الأولى من الربع الذي يبدأ بقوله تعالى: ﴿قل اولو جنتكم بأهدى﴾ في سورة الزخرف.

ملاحظة:

بعض الطلبة البارزين ممن يعرف المعلم أن يكون لهم شأن في المستقبل لقوة ذاكرتهم وذكائهم يترك لهم فراغا في أسفل اللوح يكتب لهم فيه بيتين من متن ابن عاشر في الفقه، فيحفظ القرآن ومتنا في الفقه المالكي.

المبحث الثالث: إبراز جهوده في الخطابة والدروس.

أقام إمامنا ومعلمنا أكثر من خمسة عشر عاما يخطب الجمعة وقيم الدروس في مسجد الشيخ عبد الرحمان الأخضرري بالمقرن، في المطالب الآتية يتم تفصيل ذلك:

المطلب الأول: خطب الجمعة والعيدين:

الفرع الأول: وصف الخطب:

اشتغل إمامنا خطيبا للجمعة والعيدين منذ أن فتح المسجد عام 1977م إلى أن أوقف عن الخطابة سنة 1991م، وكانت خطبه قصيرة وهادفة تعالج الآفات الاجتماعية

وفيها الوعظ والإرشاد والتذكير، كثير الاستدلال بالقرآن الكريم، وإذا استدل بآية أو حديث يشرحهما، حتى كان يكثر من كلمات: (معناها...) (معنى هذا...) (يعني...).

وما إن تحل مناسبة إلا وتكون الخطبة حولها، كموسم رمضان والحج والمولد النبوي والإسراء والمعراج غير ذلك، ويحث في خطبه على الصدقة والتعاون والتسامح.

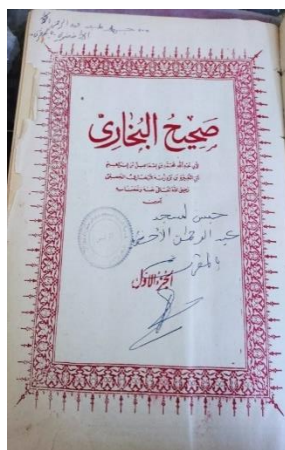
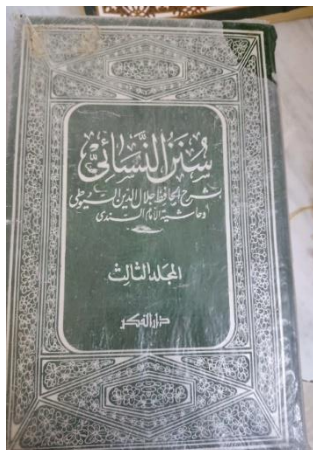
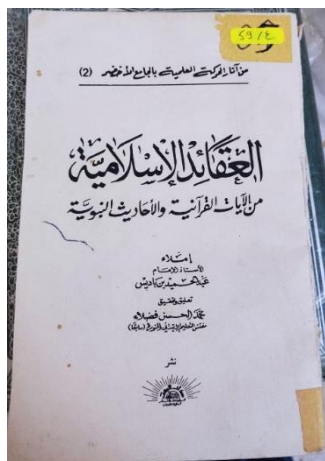
مما ينتقد عليه أنه كان كل عام يكرر الخطبة نفسها مما يتعلق بالمناسبات.

الفرع الثاني: مصادر خطبه:

كان إمامنا يعتمد أساسا في خطبه على القرآن الكريم، وكان كثيرا ما يسقط الآيات على الواقع، فإذا لاحظ مرضا في المجتمع يحتاج إلى علاج أو منكرا يحتاج إلى إنكار، أو غير ذلك فإنه يستحضر الآيات التي تعالج الموضوع الذي يريد أن تكون الخطبة حوله، ويستعين ببعض الأحاديث من بعض الكتب الموجودة في مكتبة المسجد، ويحرر الخطبة في أوراق.

ومن الكتب التي من المتوقع أنه كان يستعين بها لوجودها في مكتبة المسجد أثناء حياته: صحيح البخاري وسنن النسائي والعقائد الإسلامية لابن باديس.

وهذه صور لصفحات عناوين تلك الكتب:



الفرع الثالث: سبب توقيفه عن الخطابة.

لما بلغ إمامنا سن الستين من عمره أحيل إلى التقاعد، وأخبر المصلين بذلك وأعلمهم أنه سيبقى متطوعاً في المسجد إماماً وخطيباً، وفي أحد الخطب نبه في آخر الخطبة عن قول خطأ كان يقوله المنخرطون في "حزب الإنقاذ" في حملاتهم الانتخابية والمظاهرات وهو: لا إله إلا الله والشاذلي عدو الله، فقال إمامنا: إن لا إله إلا الله تليها محمد رسول الله، وليس الشاذلي عدو الله، فلا تقولوا هذا... فتكلم أحد المنخرطين قائلاً: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخاسرون" خطأ؛ لأنه لا يحفظ الآية والصحيح:.... الكافرون، ثم ثارت فوضى في المسجد بين منخرطي "حزب الإنقاذ" ومنخرطي "حزب جبهة التحرير الوطني"، ووصلت إلى شتم الناس بعضهم بعضاً، والاشتباك بالأيدي والعصي، وخرج كثير من الناس من المسجد، وصلى بعضهم الجمعة ظهراً وبعضهم صلى مع الإمام لما هدأت الأمور. بعدها الواقعة تلك قرر المنخرطون في "حزب الإنقاذ" -وكانوا هم الأكثر- توقيف الإمام عن خطبة الجمعة، ويبقى مستمراً في إمامة الصلوات الخمس، مستغلين وضعه الإداري؛ لأنه كان محالاً على التقاعد، وتذكر جيداً أن إمامنا رحمه الله نصح بأن يكون خطيب الجمعة قريباً من البلد ويعرف أحوال الناس وأعرافهم.

المطلب الثاني: الدروس.

الفرع الأول: وصف دروسه:

كانت أكثر دروس إمامنا رحمه الله دروساً عامة وعبر مكبرات الصوت وفي بعض المواسم كموسم رمضان، فأحياناً يكون وحده في المسجد ويلقي الدرس موجهاً إياه لجيران المسجد، فكان ينصحهم ويوجههم ويفقههم في أمور الصيام وينصح بتربية الأولاد وحثهم على الصلاة وحفظ القرآن وغير ذلك.

أذكر مرة أنني كنت حاضراً في المسجد وإمامنا يقيم درساً في تربية الأولاد فكان مما قاله: أيها الآباء والأمهات حثوا أولادكم على الصلاة وربوهم عليها لأن تارك الصلاة على خطر وكان الصحابة يقتلون الذي لا يصلي، ولكن الآن أين الذين يقتلون؟ أو كما قال رحمه الله.

الفرع الثاني: مصادر دروسه

رغم قلة دروسه إلا أنه يحتمل أن تكون بعض الكتب التي في مكتبة المسجد مصادر دروسه، منها فقه السنة لسيد سابق، وتفسير الخازن وتفسير ابن كثير وبدعة الطرائق في الإسلام للعربي التبسي وغيرها.

الفرع الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كان رحمه الله لا يتوانى في الأمر بالمعروف وإرشاد الناس، كما كان ينهى عن المنكر، ومما شاهدته بعيني أنه مرة وقع لغط بالمسجد وارتفع الصوت وكان هو خارج البيت فدخل بسرعة وقال بصوت مرتفع: "يا أيها الناس اتقوا ربكم" وكررها مرتين فسكت الجميع. وحدثني شخص مرة أنه كان يلعب لعبة تسمى (الخرقة) وقد أذن لصلاة المغرب قال فمر بنا (نعم سيدي) وأفسد اللعبة بعكازه وقال: (ها الغلب فيا نا) وهي دارجة تعني أن الهزيمة في هذه اللعبة أتحمّلها أنا، إشارة إلى أن وقت الصلاة قد حضر وحرام عليكم الاستمرار في اللعب.

خاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث المتعلق بشخص عظيم عاش في بلدية المقرن بين سنة 1929م و1997م، وكان في وقت حياته عندما يذكر حفظ القرآن فالإمام الحبيب بن مبارك قر في النجم، وإذا ذكر تعليم القرآن كان في الريادة، وإذا ذكرت النصائح والإرشادات والمواعظ والتنبيهات فقد تضمنت ذلك خطبه يومي العيدين وأيام الجمععات. وإذا كنت قد تحدثت عن هذه الشخصية العظيمة وليس لي فيها مراجع إلا ما عشته بنفسي وما سألت عنه غيري إلا أنني أتيت بشيء يسير، ولو أنني عثرت على بعض آثاره التي أتلّفها ذووه وحرّقوها -للأسف الشديد- كما أخبرني أحد أحفاده لكانت الدراسة أطول وأجود وأنفع.

وعليه فأوصي أقارب كل إمام ومعلم قرآن أن يحتفظوا بآثاره، وأوصي الباحثين أن يقيموا دراسات حول الأئمة وخطباء المساجد ومعلمي القرآن في مناطقهم، ليقنتي اللاحق بالسابق ويستفيد الخلف من السلف.

وممن ننصح بدراسة سيرهم الإمام الجديدي من الجديدة والأخوان الحويطي من سيدي عون.

وختاماً فما كان من حق وصواب في هذا البحث فمن الله وحده فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، ورحم الله أهدي إلي عيوي.
وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جهود علماء سوف في المحافظة على المرجعية الدينية

الشيخ الأمين غمام عمارة أنموذجا

د / أحمد غمام عمارة

مخبر الدراسات الفقهية والقضائية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

Ghemamamara-ahmed@univ-eloued.dz



الملخص

آمن العلامة الأمين غمام عمارة الحاسي خليفي أحد علماء حاضرة سوف بأن المسجد منبع الشرعية الدينية، والحصن المنيع الذي حافظ على الإسلام، واللغة العربية إبان الفترة الاستعمارية، فحفظ فيه القرآن الكريم، وعلمه، وتولى منصب الإمامة في المسجد الكبير بمسقط رأسه بحاسي خليفة، ولاية الوادي، وأدرك أن المرجعية الدينية -المتتمثلة في العقيدة الأشعرية، وفقه المذهب المالكي- ضرورة حتمية، لها دور فعال في حفظ وحدة الأمة وتماسكها، فعمل على ترسيخ هذه المرجعية في المجتمع السوفي، ومثلها أحسن تمثيل، بفقهه وسلوكه؛ بل وحتى في هندامه، ولباسه السوفي الأصيل، الذي يدل على اعتزازه بانتمائه الحضاري.

وبعد الاستقلال ازدادت أهمية هذا الدور المسجدي، فعمل على تكريس المرجعية الدينية من خلال تعليم القرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والعقيدة الأشعرية، وفقه الإمام مالك، جاعلا من المسجد مصدرا لمواجهة التحديات، وصمام أمان للحفاظ على وحدة الجزائر وتماسكها، في ثوابتها، العقدية، والفقهية، والسلوكية.

المقدمة

أتناول في هذه المداخلة إحدى الشخصيات العلمية المغمورة التي أسهمت بجهودها في الثوابت الدينية عقب الفترة التي أعقبت ليل الاستعمار الحالك في بلدنا الجزائر عموما، ووادي سوف خصوصا، وكان فضلها عظيما في التعريف بعلمائنا الأقدمين، وتراثهم الفقهي والعقدي، وهي شخصية العلامة الكبير الأمين غمام عمارة السوفي الذي يعتبر من

أهم أعلام سوف الذين عاشوا في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، والذين قدموا للعقيدة الأشعرية، وللمذهب المالكي خدمات جليلة؛ ولهذا رأيت أن أشارك في هذا الملتقى بهذا البحث المتواضع بعنوان: جهود علماء سوف في المحافظة على المرجعية الدينية - الشيخ الأمين غمام عمارة أنموذجا -

وسأتناول هذا الموضوع من خلال مبحثين وخاتمة؛ في المبحث الأول سأحدث بإيجاز عن شخصية الشيخ الأمين غمام عمارة ومسيرته العلمية، وفي المبحث الثاني سأبرز صورا من جهوده في خدمة المذهب المالكي، والعقيدة، وفي الخاتمة سأبين أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الجولة المتواضعة.

إشكالية المداخلة:

إذاً فمن هو الشيخ الأمين غمام عمارة؟ وما جهوده في خدمة المرجعية الدينية؟

المبحث الأول: الشيخ الأمين غمام عمارة ومسيرته العلمية

سأحاول في هذا المبحث أن أعطي نبذة مختصرة عن حياة الشيخ الأمين غمام عمارة الشخصية ومسيرته العلمية ووفاته.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته

أولاً: اسمه ومولده:

هو الأمين بن محمد جدير بن محمد بن عمارة بن بلقاسم بن علي بن محمد بن أبي بكر بن علي الطويل بن غمام، من عرش المصاعبة فرقة الشبابة¹، وأمه حفصية بنت بكار بن حامد غمام.

ثانياً: مولده: ولد شيخي الأمين غمام عمارة المشهور بـ "سي لمين جدي - رحمه الله - قرب المسجد الكبير في حي أولاد حميد² بالزلة الغربية سنة: 1338هـ الموافق سنة: 1920م، حسب ما هو موثق في سجلات قيد المواليد³، بحاضرة حاسي خليفة شمال شرقي

¹ شهادة الميلاد رقم: 1940/3927م، نسخة من الدفتر الأصلي، مصلحة الحالة المدنية، بلدية حاسي خليفة.

² نسبة إلى حميد بن جارية، وهي العميرة الخامسة من فرقة العزازلة، عرش المصاعبة. ينظر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم العوامر، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م، ص: 298.

³ شهادة الميلاد رقم: 1940/3927م، نسخة من الدفتر الأصلي، مصلحة الحالة المدنية، بلدية حاسي خليفة.

ولاية الوادي.

يعود أصل عائلته -آل غمام- إلى قرية "عميش" جنوب ولاية وادي سوف التي تضم حالياً بلديات: البياضة، والرياح، والنخلة، والعقلة.

واستقر معظم آل غمام بحاسي خليفة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أي في حدود سنة: 1850م¹.

ثانياً: نشأته وسيرته:

الشيخ الأمين غمام عمارة سوفي المولد والمنشأ، ترعرع في جو أسرة محافظة تنتهج الطريقة الصوفية القادرية، ولها ولع بتعليم القرآن وتحفيظه، فوالده محمد إمام القرية، ومعلم القرآن في وقته، اشتغل بتحفيظ ولده القرآن الكريم منذ نعومة أظافره؛ إذ انخرط في الكتاب، وهو لم يتجاوز سن الخامسة، وأتم حفظه على يد والده محمد جدير لما ناهز البلوغ في السن الثانية عشر من عمره²

المطلب الثاني: معالم في مسيرته العلمية

كان سيدي الأمين غمام عمارة رحمه الله آية في الحفظ والإتقان، فبعد أن حفظ القرآن الكريم، وتمكّن من حفظه واستظهاره، شرع في حفظ المتون المتعلقة به، فحفظ نظم "المصباح في الرسم القرآني"، وأحاط علماً بالرسم القرآني³، كما حفظ نظم "الدفاسي" في ما تشابه وما اختلف من القرآن الكريم⁴، وهذا بفضل حرصه المتوقّد على القرآن وعلومه، وكان شغوفا بمطالعة العديد من كتب العلوم الإسلامية، والأدبية، والتاريخية، فعكف على مطالعة: كتاب "السيرة النبوية" لابن هشام، و"الشفاء" للقاضي عياض، واشتغل سيدي الأمين غمام رحمه بمتن "الرسالة"، لابن أبي زيد القيرواني، و"مختصر العلامة خليل"، وكتاب "الدر الثمين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، لمبارة الفاسي، وهو شرح "متن ابن عاشر"، وكتاب "الشرح الكبير على مختصر خليل" للعلامة أحمد الدردير، و"متن الرحبية" في علم المواريث، ومنظومة

¹ شهادة الميلاد رقم: 1940/3927م.

² شهادة الميلاد رقم: 1940/3927م، نسخة من الدفتر الأصلي، مصلحة الحالة المدنية، بلدية حاسي خليفة.

³ مؤلفه غير معروف.

⁴ هذان النظامان هما المعول عليهما عند حفظه القرآن في الكتابين.

"الخريدة السنية" للشيخ أحمد الدردير المالكي في التوحيد، وكتب التفسير؛ ك"تفسير البيضاوي"، و"تفسير ابن كثير"، و"متون الحديث؛ ك"الجامع الصغير" للجلال السيوطي، وكذلك كتب التصوف السني؛ ك"إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي.

المطلب الثالث: أبرز شيوخه

نهل الشيخ الأمين العلم على يد كوكبة من مشايخ حاضرة سوف أشهرهم:¹

- 1- الشيخ العربي عوينات (1903م-1974م): من حاسي خليفة.
- 2- الشيخ محمد بن إدريس، "الادريسي" وهو من بلدية حساني عبد الكريم.
- 3- عثمان الشريف من بلدية حساني عبد الكريم أيضا، وهذا الأخير كان مرجعا هاما إذا كانت عنده أمهات الكتب القديمة.
- 4- الشيخ الأزهاري الحرزولي الزيتوني (1903م-1986م).
- 5- الشيخ أحمد مفتاح لقماري الزيتوني (1920م-1986م) من بلدية قمار بالوادي.
- 6- الشيخ عبد القادر الياجوري (1912م-1991م) من بلدية قمار بالوادي.²

كان الشيخ الأمين غمام عمارة قبلة يقصده الناس يستفتونه في مسائل عدة، وكان لا يجيب عن أكثرها إلا بعد مباحثة بعض شيوخ بالوادي، فكان ينتقل يومي السبت والخميس من كل أسبوع من حاسي خليفة إلى زاوية سيدي سالم لغرض استشارة علمائها الزيتونيين، كالشيخ الميداني الموساوي (ت:1956م)³، والشيخ الطاهر العبيدي (ت:1968م)⁴، وشقيقه أحمد العبيدي (ت:1977م)⁵، وكان الشيخ الأمين كان يجلس بين

¹ ينظر: أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، سعد العمامرة وأحمد منصوري، شركة مزوار للطباعة، الوادي، الجزائر، ص: 106.

² ينظر: الجباري عثماني وآخرون، الشيخ الأمين غمام عمارة، ص: 49-55.

³ من الزيتونيين البارزين في المنطقة، وقد تلقى العلم على عدد من العلماء الأفاضل كإبراهيم بن عامر والطاهر العبيدي وشقيقه أحمد العبيدي، وكان مقصد الناس في الفتوى من عام 1939م إلى وفاته. ينظر: عاشوري قمعون، الشيخان، ص: 26.

⁴ زيتوني من أشهر أعلام منطقة وادي سوف، تلقى العلم على يديه عدد من العلماء بالوادي وتقرت، ترك عددا من المؤلفات أغلبها لم يطبع بعد. ينظر: عاشوري قمعون، الشقيقان، ص: 9-62؛ ومحمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري، ص: 298-295/1.

⁵ زيتوني من أعلام المنطقة، ترك عددا من المؤلفات العلمية، وتخرج على يديه عدد من العلماء والمثقفين. ينظر: عاشوري قمعون، الشيخان، ص: 96.

أيدي شيوخه مستمعا مطأطئ الرأس حياءً واحتراما دون أن ينطق ببنت شفة في حضرته¹.

المطلب الثالث: وفاة العالم العامل الأمين غمام عمارة رحمه الله، و آثاره

بعد مرض ألمّ به، فارق مترجمنا العلامة الأمين غمام عمارة الحياة ليلة الجمعة في الخامس من شهر أفريل سنة: 1983م، عن سنّ تناهز ثلاثا وستين سنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

لقد توفي سيدي الشيخ الأمين -نعمسيدي- رحمه الله، وهو يتلو القرآن، كما يروي عنه تلامذته²، توفي الشيخ الأمين غمام لكن أقواله لازالت حية تفرغ الأذان، ويتردد صداها في كل حين، إنه عالم حقا يستحق الذكر والتنويه والتكريم.

أهم آثاره:

جادت قريحة مفخرة حاسي خليفة العلامة الفقيه الأمين غمام عمارة بمجموعة من الآثار يغلب عليها الشعر التعليمي المنظوم، وهي على شكل مخطوطات بعضها علّق في المسجد الكبير زمنا طويلا، وبعد تجديد المسجد سنة: 2001م-2002م، نقلت إلى زاويته الكائن مقرّها بجوار بيته بحاسي خليفة، ومن هذه الآثار ما يأتي:

1- منظومة العقيدة الصحيحة: بدأها الشيخ قائلا:

يقول راجي رحمة العالم*** عبيده الأمين بن غمام

2- قصيدة حكم قراءة البسملة في الصلاة: استهلها الشيخ قائلا:

يا سائلا تريد فهم البسملة*** وحكمها في الفرض أو في النافلة

3- منظومة دعاء الشكر آخر الطعام: جاء في مطلعها:

الحمد لله العلي الأعلى*** الحاكم الكافي الكريم المولى

نحمدك يا واسع الإنعام*** بارك لنا في الرزق والطعام

4- قصيدة نصيحة الغلام: يقول في مطلعها:

حقا يقينا أفضل الطاعات*** صلاتنا في أول الأوقات

¹ ينظر: الشيخ الأمين غمام عمارة سيرته وأثاره، الجباري عثماني وآخرون، ص 53-55؛ أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، سعد العمارة وأحمد منصوري، ص 105.

² وهو الشيخ الجيلاني غومة رحمه الله، ينظر: الشيخ الأمين غمام عمارة، الجباري عثماني وآخرون، ص: 69.

صلاتنا وهي عماد الدين*** واجبة بالحتم والتعيين

5- قصيدة بعنوان المسجد بيت الله، والداخل عبد الله: بدأها قائلا:

بسواطع الأنوار زاد بهاؤها*** بيت الإله تنورت أرجاؤها

6- منظومة موأقيت الصلاة وفضلها: يقول في مطلعها:

يا طالبا معرفة الأقدام*** مرتبا على شهور العام

7- منظومة في الدعاء بأسماء الله الحسنى: استهلها الشيخ بقوله:

أبدأ باسم الله والحمد معا*** مصليا على إمام الشفعاء

نبينا من جاء بالقرآن*** وجاء بالآيات والتبيان

المبحث الثاني: جهود العلامة الأمين غمام في خدمة المرجعية الدينية

تمهيد:

إنّ الموروث العلمي للمتأخرين من علماء المغرب العربي يدل على المرجعية الدينية، من خلال اختيار علمائه مذهب الأشاعرة في العقيدة، والمذهب الفقهي المالكي، ومنهج التصوف الجنيدي، وأصبحت اللازمة المحفوظة عند الخاص والعام الثلاثية المعروفة: عقد الأشعري: أبي الحسن (ت: 324هـ)، فقه مالك بن أنس (ت: 179هـ)، إمام دار الهجرة، طريقة الجنيد السالك (ت: 297هـ)¹.

ولعلّ أهمّ الأسباب التي دعت الجزائريين، وأهل المغرب العربي، إلى اختيار العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي اعتقادهم أن الأشاعرة هم الفرقة الناجية التي جاء ذكرها في الحديث الشريف: أن بني إسرائيل افترقت على اثنين وسبعين فرقة، وأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة²، ف"قد ظهر ما

¹ هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين، ولد ونشأ في بغداد، وأصل أبيه من نهاوند، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وعرف الجنيد بالخرزاز؛ لأنه كان يعمل الخرز، قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به. توفي في بغداد سنة: 297هـ. ينظر في ترجمته: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تح: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1422هـ-2002م، 168/8؛ الأعلام، للزركلي، 140/2-141.

² هذا الحديث لا ينزل عن مرتبة الصحيح، وإن كان وروده بألفاظ مختلفة؛ فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند،

أخبر به صلى الله عليه وسلم من افتراق أمته على هذه الفرق، وتبين صدقه صلى الله عليه وسلم وتحقق، ولم يكن أحد في مغربنا من هذه الطوائف فيما سلف¹.

ضف إلى هذا التزكية النبوية المباركة لاختيارات أهل المغرب العقديّة والفقهية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»².

واعتبر المغاربة المذهب المالكي أولى المذاهب بالاتباع لوسطيته الجامعة بين المنقول والمعقول؛ ف"ما كان من المذاهب وسطا كان أخلق بالإتباع"³.

المطلب الأول: حفاوة العلامة الأمين غمام بالمرجعية الدينية الموروثة

لم يخرج الشيخ الأمين غمام عن مرجعية أهل بلده العقديّة، والفقهية، والصّوفية في الجزائر والمغرب الإسلامي عموماً، فما هو في منظومة النصيحة في العقيدة الصحيحة أو نصيحة الشباب، التي استلهمها الشيخ قائلاً:

يقول راجي رحمة العلامة *** عبّيده الأمين بن غمام

وبين رحمه الله غرضه من نظمها بقوله:

وهذه عقيدة صحيحة *** قصدي بها الإرشاد والنصيحة

لكل ذي لب وكل عاقل *** لينهلوا من أعذب المناهل

ويثبتوا بالحزم في التوحيد *** ويسلموا من محنة التقليد

سميتها نصيحة الشباب *** لمهتدوا بها إلى الصواب

لها دليلها من القرآن *** والسنة الواضحة البيان

¹ 124/14، وابن ماجة في سننه، 1321/2، وأخرجه أبو داود في سننه، 197/4، وابن أبي عاصم في السنّة، 32/1، وابن حبان في صحيحه، 125/15، والبيهقي في سننه، 208/10، من طرق عن محمد بن عمرو به؛ وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» وفي الباب عن سعد، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك. قال الترمذي: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

¹ المعيار المغرب، للونشريسي، 30/11.

² أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، الحديث رقم: 1525/3.

³ الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: 790هـ)، تح: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط: 1، 1417هـ/1997م، 280/5.

وتتكوّن من 170 بيتا، وصرّح بذكر عدد أبياتها في آخرها بقوله:
أبياتها "فالزم دواء" قلبك *** نهج النبي وكتاب ربك
"فالزم دوا" جملتها سبعونا*** من بعد واحد من المئينا

وقد أتمّ نظمها في: 04 شوال 1398 هـ الموافق لـ: 07/09/1978م.

فهو وإن لم يصرّح باتباع عقيدة السادة الأشاعرة؛ إلا أن منهجهم، ومصطلحاتهم
حاضرة في باب الصفات من خلال قوله في العقيدة الصحيحة: فلنستمع إليه رحمه الله
وهو يقول:

أول واجب على الرشيد *** يلزمه الاقرار بالتوحيد
للمالك الرب العلي الأعلى *** صفاته واجبة تستعلى
الله موجود بلا بداية *** باق بلا حد ولا نهاية
منزه عن الشبيه والولد *** وقائم بنفسه فرد صمد
وهو تعالى واحد في ذاته *** وفي صفاته وفي أفعاله
وهو الإله الأحد المليك *** ليس له في ملكه شريك
صفاته القدرة والإرادة *** وكلّ ما في كونه أرادته
والعلم والحياة من صفاته *** دليله عجيب مصنوعاته
والسمع والبصر والكلام *** موجودة ليس لها انصرام
قديمة صفاته سنية *** دليله آياته العلية
فهذه السبع هي المعاني¹ *** محجوبة في الحسن والعيان
تتبعها الصفات المعنوية² *** ثابتة لذاته العلية
حيا مريدا قادرا وعالما *** سميعا قل بصيرا متكلم
وكل صفة لها تعلق *** سوى الحياة مالها تعلق³

¹ ينظر: كبرى اليقينيّات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط: 08، 1417هـ-1997م، ص: 119.

² المرجع نفسه، ص: 130.

³ شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، 895هـ، تعليق سعيد فودة، دار الرازي، عمان، الأردن، ط: 1، 1427هـ-2006م، ص: 76؛ كبرى اليقينيّات الكونية، البوطي، مرجع سابق، ص: 135.

فقدرة إرادة يا ذا النهى *** تعلقا بالممكنات كلها¹
تعلق العلم بكل المعلومات *** بالواجب والمستحيل الجائزات²
ولكلامه تعلق دليل *** بالواجب والجائز والمستحيل³
لسمعه تعلق كذا البصر *** بكل موجود يرى ويعتبر⁴
صفاته قديمة بالذات *** فاجزم بها ودم على الثبات
نزه كلامه عن البداية *** والصوت والحروف والنهاية
لولم يكن بهذه متصفا *** لكان حادثا تعالى فاعرفا
فهو المنزه وهو الجليل *** وضدها عليه يستحيل
فقر حدوث عدم كذا الفنا *** تعدد في ذاته كشيئنا⁵
عجز وكره جهل موت وصمم *** وبكم كذا العى وصف العدم
له الكمال المطلق نعم الجليل *** وصف الحوادث عليه يستحيل
وجائز إيجادنا والممكنات *** فعلا وتركا كالحياة والممات⁶
ومن يقل فعل الصلاح يلزم *** عن ربنا شقاؤه محتم⁷

وقد استلهم الشيخ الأمين مرجعيته العقدية، والفقهية، والصوفية -على سبيل المثال- من خلال صنيع العلامة عبد الواحد بن عاشر الأندلسي (ت:1040هـ)⁸ في منظومة

¹ شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، مرجع سابق، ص: 73؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص: 131.

² شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، مرجع سابق، ص: 76؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص: 131.

³ شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، مرجع سابق، ص: 77؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص: 131.

⁴ شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، مرجع سابق، ص: 77؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص: 135.

⁵ شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، مرجع سابق، ص: 81؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص: 135.

⁶ شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، مرجع سابق، ص: 83؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص: 135.

⁷ ينظر: كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص: 149.

⁸ هو: عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي الأصل، الفاسي المولد والقرار الفقيه الأصولي المتكلم الإمام النظار، خاتمة العلماء العاملين الأخيار، له تصانيف، منها "المرشد المعين على الضروري من =

"المرشد المعين" التي يقول فيها:

وبعد فالعون من الله المجيد *** في نظم أبيات للأُمِّي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك¹

فالفقيه ابن عاشر ضمّن منظومته الأمور الأساس من علوم الدين، وجاءت أبياته غاية في الصراحة، في بيان حال تدين المغاربة - منذ القديم - القائم على التوافق، والمزاوجة بين العقيدة، والفقه المالكي، والتصوف الجنيدي، ويدل على هذا أن ابن عاشر ختم نظمه بمبادئ علم التصوف قائلا: كتاب مبادئ التصوف، وهوادي التعرّف².

يجب لله الوجود والقدم *** كذا البقاء والغنى المطلق عم
وخلفه لخلقه بلا مثال *** ووحدة الذات ووصف والفعال
وقدرة إرادة علم حياة *** سمع كلام بصر ذي واجبات
ويستحيل ضد هذه الصفات *** بعدم الحدوث ذا للحادثات
كذا الفناء والافتقار عده *** وأن يماثل ونفي الوحدة
عجز كراهة وجهل وممات *** وصمم وبكم عمي صمات
يجوز في حقه فعل الممكنات *** بأسرها وتركها في العدمات³

وفي باب التصوف يقول الشيخ الأمين:

واحذر هوى النفس مع الشيطان *** واحذر من الغرور والعصيان
وكن كما كان رجال الصدق *** وفي عهدٍ تابعاً للحق
الله من الذنوب *** قبل طلوع الشمس والغروب
واستغفر من أوكد الفروض ذكر الله *** مسلماً مفلّحاً لله

= علوم الدين "منظومة في فقه المالكية، وأرجوزة في "عمل الربع المجيب" و"تنبيه الخلان" في علم رسم القرآن، و"فتح المنان في شرح مورد الظمان، في رسم القرآن"، و"شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح. توفي بفاس وعمره 50 عاماً؛ سنة: 1040هـ. ينظر في ترجمته: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف (ت: 1360هـ)، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424هـ-2003م، 434/1؛ الأعلام، للزركلي، 4/175.

¹ الدر الثمين والمورد المعين؛ شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، محمد بن أحمد ميارة المالكي، تع: عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، لا. ط، 1429هـ-2008م، ص: 18.

² الدر الثمين والمورد المعين مصدر سابق، ص: 543.

³ المصدر نفسه، ص: 33.

فهو لم يرض أن يردّد ما قاله ابن عاشر في المرشد المعين، بل غايه في النظم ووافقه في المعاني، وعند المقارنة بين المنظومتين يتضح الأمر، يقول ابن عاشر عليه رحمة الله: وتوبة من كل ذنب يجترم *** تجب فوراً مطلقاً وهي الندم بشرط الإقلاع ونفي الإصرار *** وليتلاف ممكناً إذا استغفار ويقول الأمين غمام رحمه الله:

وارجع وتب واندم بلا تنائي *** وغلب الخوف على الرجاء يقول ابن عاشر عليه رحمة الله:

يغض عينه عن المحارم *** يكف سمعه عن المآثم كغيبة نميمة زور كذب *** لسانه أخرى بترك ما جلب ويقول الأمين غمام رحمه الله:

واحفظ لسانك عن الآثام *** وغضّ عينك عن الحرام يقول ابن عاشر عليه رحمة الله:

يطهر القلب من الرياء *** وحسد عجب وكل داء ويقول الأمين غمام رحمه الله:

واحذر خصال الأنفس اللئيمة *** كالعجب والغيبة والنميمة والكبر والحسد والرياء *** والكذب وقلة الحياء

والتصوف الذي يتحلّى به، ويدعو إليه الشيخ الأمين غمام عمارة منبر تربيوي يهتم بتطهير النفس من الأمراض القلبية التي تبعد الإنسان عن ربه، وتقويم انحرافات النفسية، والسلوكية فيما يتعلق بعلاقة الإنسان مع الله تعالى، ومع الغير ومع الذات، على حد تصور عبد الرحمن الأخضر الجزائري البسكري (ت: 953هـ) في منظومة التصوف:

والشرع ميزان الأمور كلها *** وشاهد بفرعها وأصلها وقال بعض السادة الصوفية *** مقالة جليلة صافية إذا رأيت رجلاً يطير *** أو فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف عند حدود الشرع *** فإنه مستدرج وبدعي¹

إلى أن يقول:

والرقص والصراخ والتصفيق *** عمداً بذكر الله لا يليق²

وإنما المطلوب في الأذكار *** الذكر بالخشوع والوقار

المطلب الثاني: المرجعية الفقهية العملية في منظور الشيخ الأمين غمام

يرى علامتنا مفخرة حاسي خليفة، ووادي سوف أن الآراء الفقهية من خارج المذهب المالكي، تعتبر من المرجعية التي يتعين المصير إليها واتباعها، لأنه يريد أن يوصل إلينا رسالة مفادها أن مرجعية الجزائريين والمغاربة في فقه إمام دار الهجرة مالك بن أنس، لا تعني التعصب للمذهب المالكي، والجمود على آرائه، واعتقاد غير هذا مخالف منهج الأئمة الذين كان لسان حالهم مقولة الإمام الشافعي "رأي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"³، فقد كان الشيخ يعرف بالتواضع، وعدم التعصب للرأي أثناء المناقشات العلمية، حيث كان يتناول النقاش في العقيدة أو الفقه، وغير ذلك مع نجله محمد الرباني خريج المعهد الاسلامي وزملائه، ويقتنع برأيهم إذا كان له حجة⁴.

وقد طبق هذا المنهج المبارك العلامة الأمين غمام في مسائل فقهية متنوعة:

1- مسألة قراءة البسملة في الصلاة:

نشب خلاف بين أتباع الطريقة التيجانية الذين يقولون بأنها تقرأ كقراءة سورة الفاتحة تقليدا للإمام الشافعي، والطريقة القادرية التي يرى أتباعها أن البسملة لا تقرأ في الصلاة أصلا، وفق المرجعية الفقهية المالكية الشهيرة التي تنص على كراهة قراءتها في الفرض، يقول ابن عاشر:

¹ أنأُرْ ائْنُ بَادِيسَ، عبد الحميد بن باديس(ت: 1359هـ)، عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط:1، 1388هـ-1968م، 169/3.

² إصلاح المساجد من البدع والعوائد، محمد جمال الدين القاسمي(ت: 1332هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط:5، 1403هـ-1983م، ص: 109.

³ تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي(ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، لا.م، لا.ط، 1997م، 6970/13؛ موقف الإمامين البخاري ومسلم من اشتراط اللقيا والسماع في السند الممنوعين بين المتعاصرين، خالد بن منصور بن عبد الله الدريس، مكتبة الرشد، الرياض، لا.ط: دت، ص: 489.

⁴ ينظر: الشيخ الأمين غمام عمارة، الجباري عثماني وآخرون، ص 55.

وكرهوا بسملة تعوذاً *** في الفرض والسجود في الثوب كذا

فأطفأ الشيخ الأمين غمام نار الفتنة بهذه المنظومة¹ التي مطلعها:

يا سائلاً تريد فهم البسملة *** وحكمها في الفرض أوفي النافلة

إثباتها ونفيها قطعني *** كلاهما فعله النبي

صلّى بها نبينا جهّاراً *** كذلك قد أسرها إسراراً

وبعدها شرع في بيان آراء علماء المذهب المالكي في حكم البسملة فقال:

بعض الفحول قرر وجوبها *** وبعضهم يقول باستحبابها

كابن نافع يرى وجوبها *** وابن مسلمة يقلّ بندبها

وثبتت عند ذوي الفصاحة *** عن مالك بأنّها مباحة

وكرهت بنية المفروض *** هذا بلا شك ولا غموض

واستحب للمصلّي أن يقرأها في الصلاة كما يقرأ الفاتحة خروجاً من الخلاف، وهذا

أصل عظيم في المذهب المالكي، عبّر الشيخ الأمين عن هذا المعنى بعبارة صريحة:

واخرج من الخلاف والتعصب *** وكن رشيداً مالكي المذهب

فالعلامة الأمين غمام يرى أن القول باستحباب قراءة البسملة في الصلاة يتلاءم مع مقاصد الشرع، ويحقق مصلحة راجحة، ويبعد مفسدة، وبصفة عامة ولا يخرج صاحبه عن كونه مالكيًا؛ بل هذا هو عين مذهب الإمام مالك رحمه الله، والذي رفض أن يفرض رأيه على جمهور المسلمين لما قال له المنصور: قد عزمت أن أمر بكتبك هذه التي صنفتها،... وأمرهم بأن يعملوا بما فيها، ولا يتعدوه إلى غيره، فقال: يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وأتوا به من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم².

وتعلّم الإمام الشافعي رحمه الله هذا الهدي من شيخه مالك، حينما زار الإمام أبا

¹ ينظر: منظومة الشيخ الأمين - مخطوط - نظمها في تاريخ: 28 ربيع الأول 1402 هـ الموافق لـ 1982/01/24 م؛ الشيخ الأمين غمام عمارة، الجباري عثماني وآخرون، ص: 100.

² حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي (ت: 1176 هـ)، تح: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: 1، 1426 هـ، 2005 م، 250/1؛ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف (ت: 1360 هـ)، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424 هـ-2003 م، 47/1.

حنيفة ببغداد قال: فأدركتني صلاة الصبح وأنا عند ضريحه، فصليت الصبح، ولم أجهر بالبسملة، ولا قنت حياء من أبي حنيفة¹.

2- إخراج القيمة في زكاة الفطر:

المشهور في المذهب المالكي أن إخراج القيمة في زكاة الفطر لا يجزئ، لكن العلامة الأمين غمام عمارة -تبعاً لعلماء المالكية المتأخرين- كان يفتي بالجواز، لأن المعتبر في زكاة الفطر هو حصول الغنى للفقير والمسكين؛ امتثالاً لقول النبي - صلى الله عليه وسلم: "أغنوهم عن المسألة في هذا اليوم"²، لا سيما ونحن في زمن توفّر فيه الطعام، وشجّ الناس بالدينار والدرهم؛ فيكون إخراج القيمة أنفع للفقراء وأرعى لمقاصد الشارع، ولو كان مالك في عصرنا لأفتى بجواز إخراج القيمة في زكاة الفطر، وإعطاء الفقير النقود بدل الطعام، تخريجاً على كلام ابن أبي زيد القيرواني لما سقط حائط داره وكان يخاف على نفسه من الشيعة فاتخذ كلباً لذلك ف قيل له في ذلك فقال: "لو أدرك مالك زماننا لاتخذ أسداً ضارباً"³.

3- قراءة الورد القرآني بصورة جماعية:

وردت نصوص كثيرة في المذهب المالكي عن الإمام مالك رحمه الله مانعة للقراءة الجماعية على وجه الكراهة، من أهمها:

قول الخطاب الرعيني (ت: 954هـ): لم يختلف قول مالك أن القراءة جماعة والذكر

¹ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر محيي الدين الحنفي (ت: 775هـ)، مير محمد كتب خانه، كراتشي، 433/2.

² قال الزيلعي في نصب الراية: غريب بهذا اللفظ، وأخرجه الدارقطني في "سننه" عن أبي معشر عن نافع عن ابن عمر، قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر، وقال: "أغنوهم في هذا اليوم"، ورواه ابن عدي في "الكامل"، وأعله بأبي معشر نجيح، ولفظه: وقال: "أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم"، وأسند تضعيف أبي معشر عن البخاري، والنسائي، وابن معين، ومشاه هو، وقال: مع ضعفه يكتب حديثه، وتقدم هذا الحديث عند الحاكم في "علوم الحديث" بزيادة فيه، ولم يعله الشيخ في "الإمام" إلا بأبي معشر، قال: قال البخاري: منكر الحديث، أعني حديث الدارقطني.

نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت: 762هـ)، تح: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان و دار القبلة، جدة، السعودية، ط: 1، 1418هـ/1997م، 422/2.

³ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرياني، أبو الحسن، الصعدي العدوي (ت: 1189هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لا.ط، 1414هـ-1994م، 496/2؛ أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك، أبو بكر الكشناوي (ت: 1397هـ) دار الفكر، بيروت، ط: 2، دت، 261/2.

جماعة من البدع المكروهة¹.

وقال الخرشي (ت: 1101هـ): وكره مالك اجتماع القراء يقرؤون في سورة واحدة، وقال: لم يكن من عمل الناس، ورأها بدعة².

وقال الشيخ عليش (ت: 1299هـ): ...كقراءة جماعة معا بصوت واحد فتكره لمخالفة العمل، ولتأديها لترك بعضهم شيئا منه، لبعض عند ضيق النفس وسبق الغير، ولعدم الإصغاء للقرآن المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: 204]³.

إلا أن الشيخ الأمين غمام يرى أن قراءة القرآن بصورة جماعية أمر سائغ وجائز، خاصة عند ضعف الهمم، وتراجع الجهد الفردي، فالتكرار الجماعي خير محقق ومعين على مراجعة القرآن وتعاهده، فتراه يواظب على قراءة سورة الكهف جماعة مع تلاميذه، ومحبيه يوم الجمعة، ويستدل بالحديث الذي صحّ من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «...وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده..»⁴، متابعا في هذا مجموعة من العلماء غير المالكية كالإمام النووي (ت: 676هـ) الذي يروي صحة القراءة الجماعية عن رجال من عصر السلف.

قال الإمام النووي: وروى ابن أبي داود أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يدرس القرآن معه نفر يقرؤون جميعا وروى ابن أبي داود فعل الدراسة مجتمعين عن جماعات من أفاضل السلف والخلف⁵.

ويحسن بنا في هذه المسألة أن نختم بما قاله الإمام ابن تيمية (ت: 728هـ)، رحمه الله: "وقراءة الإدارة حسنة عند أكثر العلماء، ومن قراءة الإدارة قراءتهم مجتمعين بصوت واحد⁶.

¹ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب الرُعيني المالكي، دار الفكر، ط: 3، 1412هـ-1992م، 64/2.

² شرح مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر، بيروت، لا.ط، دت، 352/1.

³ منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد عليش، المالكي دار الفكر، بيروت، لا.ط، 1409هـ/1989م، 333/1.

⁴ رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، الحديث رقم: 2699، 2074/4.

⁵ التبيين في آداب حملة القرآن، محي الدين النووي، تح: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط: 3، 1414هـ-1994م، ص: 102.

⁶ الفتاوى الكبرى، تقي الدين ابن تيمية (ت: 728هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1408هـ-1987م، 345/5.

4- مسألة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

الاحتفال بالمولد النبوي يعني أن يجتمع الناس فرحين في ذكرى ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم، ويقرأوا ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع في مولده من الآيات، ثم يأكلوا طعاما وينصرفوا¹.

اشتهر عند المالكية أن عمل المولد هذا بدعة مذمومة وألف أحد علمائهم وهو الإمام تاج الدين الفاكهاني (ت: 734هـ) رسالة سماها "المورد في الكلام على عمل المولد"، قال فيها: لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام سرج الأزمنة وزين الأمكنة².

لكن العلامة الأمين غمام عمارة أخذ برأي المحققين من علماء الشافعية؛ كالإمام ابن حجر (ت: 852هـ)، والإمام السيوطي (ت: 911هـ) اللذين يريان أن الاجتماع في المولد جائز، ومن البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف³، وهذا منه تخرج على ما قاله الإمام الشافعي (ت: 204هـ): المحدثات من الأمور ضربان، أحدهما: ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا، فهذه البدعة الضلالة، والثاني: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة، وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر رمضان: "نعمت البدعة هذه"، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذ كانت فليس فيها رد لما مضى⁴.

وفصل الإمام عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ) في قواعد الأحكام كلام الإمام الشافعي قائلا: البدعة منقسمة إلى واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة، ... والطريق في ذلك أن نعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإذا دخلت في قواعد الإيجاب

¹ الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1424هـ-2004م، 221/1-222.

² المورد في عمل المولد، تاج الدين الفاكهاني، تح: علي بن حسن بن عبد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط: 1، 1419هـ-1998م، ص: 11؛ الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، 223/1.

³ الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، 221/1-222.

⁴ مناقب الشافعي، أبو بكر البهقي (ت: 458هـ)، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط: 1، 1390هـ-1970م، 469/1.

فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فهي محرمة، أو النذب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، وللبدع المندوبة أمثلة: منها إحداث الربط، والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول، ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوف وفي الجدل، ومنها جمع المحافل للاستدلال في المسائل إن قصد بذلك وجه الله تعالى¹.

والعلماء الذين منعوا من الاحتفال لأجل الأشياء المحرمة التي ضمت إليه، لا من حيث الاجتماع لإظهار شعار المولد، بل لو وقع مثل هذه الأمور في الاجتماع لصلاة الجمعة مثلا لكانت قبيحة شنيعة، ولا يلزم من ذلك ذم أصل الاجتماع لصلاة الجمعة، كما هو واضح، وقد رأينا بعض هذه الأمور يقع في ليالي رمضان عند اجتماع الناس لصلاة التراويح، فهل يتصور ذم الاجتماع لصلاة التراويح لأجل هذه الأمور التي قرنت بها؟ كلا بل نقول: أصل الاجتماع لصلاة التراويح سنة وقربة، وما ضم إليها من هذه الأمور قبيح وشنيع، وكذلك نقول: أصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة، وما ضم إليه من هذه الأمور مذموم وممنوع.

فالعلامة الأمين غمام كان يحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم كل سنة، ويقرأ مولد البرزنجي، والبردة، والهمزية للبوصيري، في احتفال مؤدب، وأكثر ثوابت السيرة النبوية العطرة إنما حفظت وفهمت من خلال الاحتفال بالمولد، وأكثر من يفوز في المسابقات الشعرية هم الذين يحفظون البردة والهمزية في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم.

وحبّ النبي صلى الله عليه وسلم من فروض العين، وأساس المرجعية الدينية العقدية والفقهية، والسلوكية.

الخاتمة

وفي ختام هذه الورقة البحثية أخلص إلى ما يأتي:

1- قضى سيدي العلامة الأمين غمام غمارة عمرا عامرا بتلاوة القرآن وتعليمه، وكان دؤوبا على المطالعة، ونشر العلم، مهتما بالمتون العلمية أهمية بالغة؛ من حيث المدارس، والتأليف، والنظم.

2- كان شيخنا الأمين من أهل العلم، والفهم، والإدراك التام، أخذ بحظ وافر من

¹ قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ)، تع: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.ط، 1414هـ-1991م، 204/2-205.

العلوم فقها، وحديثا، وعربية، وتاريخا، فكان رجل القرآن فقها متضلعا، في الفقه المالكي، وعالما، وموسوعة أحاطت بأشهر الكتب الرائجة في عصره.

3- الشيخ الأمين غمام عمارة جاهد من أجل العلم تعلما وتعلّما، ولم يأل جهدا في خدمة العلم والدين من خلال تمسكه بالثوابت العقدية، الفقهية، السلوكية على نهج علماء المغرب العربي الأقدمين.

4- ساهم فقيه حاضرة حاسي خليفة في حل مشكلات مجتمعه على ضوء الكتاب والسنة، وأقوال العلماء السابقين، في إطار المرجعية الفقهية للجزائر، مستنيرا بأراء شيوخ عصره في كل المستجدات والمعضلات، وبقي في هذا النشاط العلمي الجليل إلى أن انتقل إلى جوار ربه ليلة الجمعة 05 أفريل 1983م عن سن تناهز ثلاثا وستين سنة رحمه الله رحمة واسعة.

التوصيات:

1- الاهتمام بالتراث العلمي كشرح القصائد العلمية التي نظمها علماء وادي سوف أمثال العلامة الأمين غمام عمارة، ودعم طباعة مؤلفاتهم، والعمل على مواصلة البحث حول الشخصيات المحلية بمنطقة وادي سوف ممن لهم اليد الطولى في خدمة الدين والمرجعية الدينية.

2- تشجيع البحث الأكاديمي في الكتابة، والتأليف حول العلماء الذين حافظوا، وبينوا للأجيال مرجعيتهم الدينية في مدينة الوادي في زمن الاستعمار وبعد الاستقلال، كالشيخ الأمين غمام عمارة، ويكون إنتاجهم العلمي ضمن مقررات التدريس في دور التعليم.

3- تأسيس مجلات أكاديمية، وجرائد محلية، تعنى بالشخصيات، والمدارس، والأنشطة، التي حملت على عاتقها المحافظة على المرجعية الدينية في حاضرة سوف.

4- إحياء ذكرى الشخصيات العلمية، وإقامة مؤتمرات، وملتقيات للتعريف بأعلام حاضرة سوف، وإظهار جهودهم العلمية في المحافل الدولية، وتسجيل هاته الملتقيات العلمية ونشرها في وسائل الإعلام المختلفة.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أنارُ ابنُ بَديسَ، عبد الحميد بن باديس (ت: 1359هـ)، عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط: 1، 1388هـ-1968م.
- 2- أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك، أبو بكر الكشناوي (ت: 1397هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط: 2، د.ت.
- 3- إصلاح المساجد من البدع والعوائد، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: 5، 1403هـ-1983م.
- 4- أعلام الفكر الجزائري، محمد بسكر، دار كردادة، بوسعادة، الجزائر، ط: 2، 2015م.
- 5- أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب، سعد العمامرة وأحمد منصور، شركة مزوار للطباعة، الوادي، الجزائر، 2006م.
- 6- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تح: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1422هـ-2002م.
- 7- التبيان في آداب حملة القرآن، محيي الدين النووي تح: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط: 3، 1414هـ-1994م.
- 8- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، لا.م، لا.ط، 1997م.
- 9- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر محيي الدين الحنفي (ت: 775هـ)، مير محمد كتب خانه، كراتشي.
- 10- حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، أبو الحسن، الصعيدي العدوي (ت: 1189هـ)، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لا.ط، 1414هـ-1994م.
- 11- الحاوي للفتاوي، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1424هـ-2004م.
- 12- حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي (ت: 1176هـ)، تح: السيد سابق، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: 1، 1426هـ، 2005م.
- 13- الدر الثمين والمورد المعين؛ شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، محمد بن أحمد ميارة المالكي، تح: عبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، لا.ط، 1429هـ-2008م.
- 14- دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية، عاشوري قمعون، مجلة البحوث والدراسات، جوان 2006م، العدد الثالث، جامعة الوادي، الجزائر.
- 15- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف (ت: 1360هـ)، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط: 1، 1424هـ-2003م.
- 16- شرح صغرى الصغرى في علم التوحيد، أبو عبد الله السنوسي، 895هـ، تعليق سعيد فودة، دار الرازي، عمان، الأردن، ط: 1، 1427هـ-2006م.

- 17- شرح مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر، بيروت، لا.ط، د.ت.
- 18- الشقيقان، عاشوري قمعون، مطبعة مزوار، الوادي، ط:1، 2010م.
- 19- الشيخ الأمين غمام عمارة سيرته وأثاره، الجباري عثمانى وآخرون، مطبعة سخري، الوادي، ط:1، 1433هـ-2011م.
- 20- الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، إبراهيم العوامر، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977م.
- 21- الفتاوى الكبرى، تقي الدين ابن تيمية(ت:728هـ)، دار الكتب العلمية، ط:1، 1408هـ-1987م.
- 22- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام(ت:660هـ)، تع: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لا.ط، 1414هـ-1991م.
- 23- كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، ط:08، 1417هـ-1997م.
- 24- مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية(1900-1986)، علي غنابزية، مطبعة مزوار، الوادي، ط:1، 2014م.
- 25- معجم أعلام الجزائر، عادل النويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط:2، 1400هـ-1980م.
- 26- مناقب الشافعي، أبو بكر البهقي(ت: 458 هـ)، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط:1، 1390هـ-1970م.
- 27- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد عlish، المالكي دار الفكر، بيروت، لا.ط، 1409هـ/1989م.
- 28- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت:790هـ)، تح: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط:1، 1417هـ-1997م.
- 29- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الخطاب الرُعيني المالكي، دار الفكر، ط:3، 1412هـ-1992م.
- 30- المورد في عمل المولد، تاج الدين الفاكهاني، تح: علي بن حسن بن عبد الحميد، دار العاصمة، الرياض، ط:1، 1419هـ-1998م.
- 31- موقف الإمامين البخاري ومسلم من اشتراط اللقيا والسماع في السند المعنعن بين المتعاصرين، خالد بن منصور بن عبد الله الدريس، مكتبة الرشد، الرياض، لا.ط: د.ت.
- 32- نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف الزيلعي(ت:762هـ)، تح: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان ودار القبلة، جدة، السعودية، ط:1، 1418هـ-1997م.

الشيخ مبروك الشامسي

وجهوده في مجال الخطابة المسجدية

في منطقة وادي سوف

ط.د/ الزاوية خديري – بإشراف: د/ زهير بن كتفي

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

zazia-khediri@univ-eloued.dz



مقدمة

وادي سوف هذه الأرض المباركة، التي أينما حللت بها وفي كل أركانها لمحت رجالها وعلماءها وفقهاءها وشيوخها يصولون ويجولون كالغيث النافع أينما حل نفع، كل في مجاله يفتح الطريق لغيره ويمهده لمن أراد عبور المسلك. وما يميز المنطقة فعلا وجود كم هائل من المساجد العامرة بأهل الصلاح والخير، ومما نفتخر به أن سخر الله لهم ثلة من الأئمة والخطباء ومعلمي كلام الله عارفين برب العالمين، ملاسين لواقع مجتمعاتهم، مؤثرين في الجانب السلوكي والأخلاقي، حينما تسمعهم تتأثر بهم، ومن بين هؤلاء اخترت شخصية الشيخ مبروك الشامسي الخطيب المربي المعلم والموجه العصامي، الذي عندما تعرف سيرورة حياته، تدرك أنه استثنائي.

ومن هنا نستطيع القول إن أهمية هذه الورقة البحثية تكمن في:

-إلقاء الضوء على هذه النخبة المهمشة إعلاميا واجتماعيا.

-إبراز الدور الذي اضطلعت به ولا زالت في الحفاظ على لحن المجتمع وتماسكه وترابطه.

-تتبع سيرتهم ونضالهم وإخراجهم في صورة القدوة بغية الاقتداء والاهتداء بهم.

-تسليط الضوء على أعمالهم ومهامهم.

ومن هنا فإن الإشكالية الرئيسية لهذه الورقة تتمثل في التساؤل الآتي: من هو الشيخ

مبروك الشامسي؟ وما هي أبرز ملامح جهوده في الخطابة المسجدية الدعوية؟

وقد أرفقت هذه الإشكالية المركزية بأسئلة ثانوية هدفها محاولة الإحاطة بجزئيات

الموضوع منها:

-كيف كانت نشأة الشيخ مبروك وماهي أبرز محطاتها؟

-وما هو منهجه في الخطابة والتدريس؟

للإجابة عن هذه الأسئلة استخدمنا المنهج الوصفي الاستقرائي.

وبناء عليه جاءت خطة المعالجة والتقسيم كما يلي: مقدمة احتوت عناصرها السالفة الذكر، ومطلبين: الأول يتحدث عنالشيخ مبروك الشامسي (نشأته، دراسته، مهامه) والثاني تطرقنا فيه إلى: نشاط الشيخ مبروك الشامسي ومنهجه في الخطابة والتدريس. أما الخاتمة فذكرنا فيها أهم النتائج المتوصلإليها مرفوقة بمجموعة من التوصيات.

المطلب الأول: الشيخ مبروك الشامسي (نشأته، دراسته، مهامه)

1-مولده ونسبه: ولد الشيخ مبروك الشامسي في شهر جويلية لسنة 1934 م، هو مبروك ابن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشامسي، الملقب بعواج، تنتهي أسرته إلى قبيلة "الشوامس" وهي قبيلة عربية خالصة موطنها الأصلي السنيينة¹بالجزيرة العربية، ينتسبون إلى "سماش بن سيدي بوجويحييفالنفزاوي" وبعضهم يزعم أن سيدي بوجويحييف هو جدهم لأمه فقط لأنه لم يترك ابنا ذكرا، وشماس المذكور هو ابن ابنته وأبوه من بني سليم الذين سكنوا جبل الظاهر والدويرات وتفرقوا بنواحي نفزاوة، والشوامس قدموا متأخرين إلى سوف². إذاً فأصل الشوامس يعود إلى قبيلة آل شمس العربية العريقة التي حُرّف اسمها ككثير من القبائل الأخرى.

كانت أسرته ثرية غنية ولكنها بسيطة في العلم والمعرفة، ليس فيها من يقرأ ويكتب، وهي أسرة بدوية محافظة على العادات والتقاليد، وكان منزلها الأصلي قرية الذكار وهي الآن قرية من قرى حساني عبد الكريم³.وعند ولادته كان والده حينئذ عاملا بمنجم الرديف بتونس، فلما بلغه خبر ميلاد ابنه جمع رفقاءه وخاطبهم قائلا: "اشهدوا عليّ أني وهبت هذا

¹ تقع السنيينة إلى الجهة الشمالية الغربية من سلطنة عُمان، تُعرف بالزراعة ورعاية المواشي، تُجرى فيها سباقات الهجن الشهيرة.

² إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص351.

³ مبروك الشامسي بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، تقديم وتعليق عليغناجزية، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية، الوادي، الجزائر، ص22.

المولود للجامع"¹، يعني بذلك تعلم العلم والقرآن الكريم.

2-دراسته وتعلمه: وعندما كان عمره في حدود السبع سنوات هاجر به والده نحو بلاد الجريد بتونس فرارا من المستعمر وطلبا للعيش، ولما قارب العشر سنوات، كان يخرج مع والده "محمد الحبال" إلى الصحراء لجمع الحطب وبيعه، وفي تلك الفترة أصابه وجع في عينيه فانتفخت فعالجها علاجا بدائيا، ولكن في آخر الأمر أكرمه الله وابتلاه بفقد بصره²، فتوجه به إلى المسجد وطلب من معلم القراءان تحفيظه القرآن الكريم فختمه سنة 1951م على يد الطالب عبد الكريم بن علي الصالح في مسجد سيدي عرفة بالقرب من بياضة نفطة³ ودامت مدة حفظه أربع سنوات، وواصل تعليمه في زاوية سيدي إبراهيم الشريف، فدرس فيها: متن ابن عاشر والأجرومية على يد الشيخ محمد بن حمد النفطي، وفي زاوية سيدي التابعي على يد الشيخ الصادق التابعي، كما درس في نفطة على مشايخ آخرين منهم الشيخ العروسي العابدي، والعربي النفطي، ومحمد الصالح الساكر، وإسماعيل الهادف، والشيخ قوينة⁴. هذه الدراسة أكسبته معارف فقهية، فالتحق بالفرع الزيتوني بتوزر، وبما أنه درس العلوم الشرعية واللغة العربية من قبل على يدي شيوخ نفطة فقد تخصص لدراسة العلوم العصرية كالجغرافيا والتاريخ والرياضيات وعلم الكائنات الحية لذا فقد كان بارزا في الفصل معروفا بالاجتهاد وجديته، وفي جوان 1957م اجتاز امتحان الأهلية ونجح فيه بتفوق⁵.

ثم انتقل إلى العاصمة التونسية ليلتحق بجامع الزيتونة المعمور، فتحصل على شهادة التحصيل (البكالوريا) عام 1960م، ثم درس ثلاث سنوات أخرى على يد شيوخ أجلاء أشهرهم: الشيخ البشير الزيري والشيخ الفاضل بن عاشور والحبيب بلخوجة والشيخ الماجري ونال في عام 1963م شهادة العالمية (الليسانس)⁶.

3- أعماله ومهامه: لما عاد الشيخ مبروك إلى أهله في سوف، وفي بلدة الذكار في صائفة

¹ المرجع السابق، ص 24.

² علي غنابزية، لقاء مع الشيخ مبروك الشامي يوم 10 ماي 1998.

³ علي غنابزية، المسجد العتيق بتكسبت، حصة إذاعية في برنامج بيوت عامرة، قدم بإذاعة سوف في شهر ماي 1998م.

⁴ علي غنابزية، المسجد العتيق بتكسبت، حصة إذاعية في برنامج بيوت عامرة.

⁵ مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامي، ص 72.

⁶ المرجع نفسه، ص 83-84.

1963م درّس بعض الشباب، ولما أجروا الامتحان نجحوا وأصبحوا معلمين، والبعض الآخر انتقل معه إلى تقرت لما وظف إماما هناك في 06 نوفمبر 1964م في مسجد بابا ساسي، وإلى جانب الإمامة كان يدرس التلاميذ شيئا من العلوم، وعندما انتقل إلى الوادي تبعه تلاميذ وكانوا من تقرت وجامعة، ودرسوا في تكسبت وتخرج على يده حوالي 250 معلما¹. وفي 27 ماي 1967م عيّن إماما في المسجد العتيق بتكسبت، وظلّ يدرس التلاميذ مختلف المواد في مستويات عدة، وكان يدرس معه القراءان الكريم السيد محمد درويش²، إضافة إلى الدروس العامة للمصلين في التفسير والحديث وقصص القرآن والأحكام والسيرة النبوية، يستوعب الموضوع في بيته ويلقيه ارتجالا وهذا كان ديدنه طيلة مشواره الحافل.

ومن بين الأعمال الكبيرة التي قام بها الشيخ مبروك الشامسي فتحه لمدرسة خاصة، فتقاطر عليها الراغبون في التعلم من جميع دوائر وبلديات الولاية، بل ومن كل الولايات المجاورة؛ كتبسة، وخنشلة، وورقلة، حيث كان الطلاب مصنفون إلى ثلاثة أفواج، فوج في مستوى الابتدائي، وفوج في مستوى الأولى والثانية من التعليم المتوسط، وفوج للسنة الثالثة والرابعة من التعليم المتوسط، والمدة المقررة لكل فوج هي سنتان، ثم ينتقل إلى الفوج التالي بعد إجراء الامتحان والنجاح فيه³. ومن بين الطلاب الذين درسوا على يد الشيخ مبروك الشامسي: الدكتور محمود باي حيث نال حظا من العلوم العربية والإسلامية على يده⁴.

وكان في كل سنة يُعد مجموعة للمشاركة في مسابقة امتحان المعلمين الممرنين يومئذ، أو لمسابقات التوظيف العمومي، وإما للانخراط في المعهد الإسلامي آنذاك، وقد يُقبل البعض في قطاع من قطاعات العمل بمجرد استظهار الشهادة التي منحها له الشيخ مبروك دون إجراء للامتحان⁵. ومن الأعمال التي تُحسب للشيخ مبروك تأسيسه لمسجد الشوامس، ففي سنة 1977م اشترى قطعة أرض من ماله الخاص بنية تأسيس مسجد في الحي الذي

¹ علي غنابزية، المسجد العتيق بتكسبت، حصة إذاعية في برنامج بيوت عامرة.

² علي غنابزية، لقاء مع السيدين البشير درويش ومحمد شكيمة، في مسجد تكسبت، يوم 13/06/1998.

³ مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، ص 95.

⁴ نور الدين مهري، الشيخ الدكتور محمود باي وجهوده الإصلاحية والتربوية في منطقة وادي سوف، (مقال)،

مجلة روافد، المجلد 06، 2022، الجزائر، ص 502.

⁵ مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، ص 95.

يقطنه بتكسبت، فبلغه الله ما كان يأمله وتكونت جمعية دينية وتأسس هذا المسجد¹.

4-تقاعده: تقاعد الشيخ مبروك الشامسي يوم السبت 18 ماي 2007، بعد أن قضى أربعين سنة في خدمة المسجد، ونظمت جمعية المسجد الكبير بتكسبت حفلا بهيجا لتكريمه يوم الجمعة من شهر ذي الحجة 2008/12/08م واستدعوا له من أهل الفضل؛ الشيخ: عز الدين عباسي، والشيخ عبد الكريم بالقط، والدكتور محمود باي، والإمام نور الدين الذهبي، وغيرهم وقاموا بإهدائه عمرة إلى البقاع المقدسة².

المطلب الثاني: نشاط الشيخ مبروك الشامسي ومنهجه في الخطابة والتدريس

1- نضاله السياسي ونشاطه الدعوي:

أ-نضاله السياسي: يقول الشيخ مبروك متحدثا عن نفسه: "من الأعمال التي اهتمت بها كثيرا، واعتنيت بها عناية فائقة، وملأت فراغ وقتي وحالت دوني ودون البحث العلمي الموسع لتأليف الكتب، هي النضال السياسي، لأنني عشت في زمن الاستعمار وذقت مرارة ظلمه وذل تعسفه، وشاهدت تعديه على الحرمات والمقدسات، ونهبه لأموال الشعب وممتلكاته، فأثر فيّ وغرس في نفسي حب النضال والروح الوطنية، فاشتغلت بالسياسة منذ نعومة أظفاري"³.

كان للنخبة الجزائرية دور بارز في جمع شتات الطلبة الجزائريين وتوحيد صفوفهم والتقريب بين وجهات نظرهم، وذلك من خلال الهياكل والتنظيمات الطلابية التي أشرفوا على تأسيسها، حيث كانت إطارا لبلورة الفكر السياسي لدى الطلبة الجزائريين ثم إقحامهم في ساحة النضال ضد الاستعمار الفرنسي بالجزائر⁴.

كان الشيخ مبروك قبل الثورة الوطنية يحضر اجتماعات وملتقيات حزب الدستور التونسي، وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، وبعد قيام ثورة نوفمبر المجيدة عزف عن الخوض في السياسة التونسية وانتفى إلى جبهة التحرير الوطني، وانخرط في اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، وفي 19 ماي 1956م شارك في اضراب الطلبة المسلمين

¹ علي غنايية، المسجد العتيق بتكسبت.

² مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، ص 227.

³ المرجع نفسه، ص 105.

⁴ محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص 48.

الجزائريين، حين قرروا اضربا عاما عن الدراسة لرفع التحدي في وجه الآلة الاستعمارية، وللتضامن مع الشعب، ومن أهدافه تسليح الطلبة والتحاقهم بالمجاهدين في الجبال¹. وفعلًا قد حقق الاضراب الأهداف المرجوة منه، فبدأت طلائع الطلبة تلتحق بالجبال. وقد استفادت الثورة من الكفاءات والتخصصات التي حملها الطلبة معهم بعد التحاقهم بها.

وفي 22 أكتوبر 1956م شارك الشيخ مبروك في مظاهرة شعبية طلابية نظمها الطلبة الجزائريون، بتوزر مع الجالية الجزائرية هنالك للاحتجاج على اختطاف الزعماء الخمسة²، والذي حدث في ذلك اليوم يُعتبر أول عملية قرصنة جوية في التاريخ³. وعند عودته لأرض الوطن انخرط في خلايا جبهة التحرير، وكان يقوم هو ورفقائه بحملات توعوية في كل الانتخابات. كما سطر الشيخ مبروك برنامجا من خمس نقاط للشرح والتوجيه في المساجد وهي:

- 1- مكافحة الفساد في سلوك الرشوة والسرقة والخمر والمخدرات والزنا.
- 2- المحافظة على الممتلكات العمومية من التخريب وعبث الأطفال.
- 3- الاتحاد ونبذ الجهوية.
- 4- اختيار المواطن الصالح للمسؤولية.
- 5- الإخلاص في العمل⁴.

بالإضافة إلى ذلك فقد شغل الشيخ مبروك منصب مسؤولا في الاتحاد الولائي للمنظمة الوطنية للمكفوفين الجزائريين بالوادي لمدة عشرين سنة، وكان عمله متمثلا في الدفاع عن المكفوفين، والسهر على تحقيق مطالبه كمنحة المكفوف، وحقه في التعليم، ومساعدة المجتمع له.

أ- نشاطه الدعوي: كانت مهمة الشيخ مبروك الأساسية في الحياة هي الإمامة والتدريس والدعوة إلى الله ومن المهام التي اشتغل بها في مدة توظيفه كإمام هي:

- 1- تسير شؤون المسجد العامة.
- 2- إمامة الصلوات الخمس في حلة غياب الإمام المكلف.

¹ علي غنابزي، لقاء مع الشيخ مبروك في المسجد يوم الاثنين 2003/03/31.

² مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، ص 107.

³ أحمد منصور، الرئيس بن بلة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 2007، ص 139.

⁴ مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، ص 109.

- 3- تنظيم دروس الوعظ والإرشاد.
 - 4- تقديم الفتوى للمستفتين من المصلين وغيرهم.
 - 5- إلقاء خطب الجمعة والأعياد.
 - 6- مساعدة معلمي القرآن في المسجد.
 - 6- إحياء المناسبات الدينية والوطنية
 - 7- حضور الجنائز والصلاة.
 - 8- إصلاح ذات البين، بين المصلين وغيرهم.
 - 9- حضور عقود الزواج، ولاسيما في الحي المجاور للمسجد.
 - 10- الإشراف على عمل الأعوان وتسييرهم، كالقيّم والمؤذن ومعلم القرآن.
 - 11- الإشراف على عمل الجمعية الدينية للمسجد.
 - 12- الإشراف على ريع المسجد وصرفها إلى المصالح المختصة.
 - 13- إلقاء دروس ومحاضرات في ندوة تكوين الأئمة بالولاية
 - 14- إلقاء دروس ومحاضرات في مساجد مختلفة.
- إضافة إلى أعمال أخرى من ذلك أنه قدم سلسلة من الحصص الإذاعية في إذاعة توقرت في السيرة النبوية واللغة العربية.¹
- 2- منهجه في الخطابة والتدريس:
- أ- منهجه في الخطابة: كانت حياة الشيخ مبروك كلها محصورة في الخطابة، والوعظ والإرشاد، وتدريس الكبار في المسجد، وتعليم الصغار وطلبة العلم الكبار في المدرسة الخاصة، أو في المدارس القرآنية بالمساجد، وبحكم توليه مهام الإمام على مدار عشرات السنين، فقد كان يلقي الخطب المنبرية، ويعالج بها القضايا المختلفة في الحي، وحسب أحداث البلاد.

يُحضر الشيخ مبروك خطبته باختيار الموضوع المناسب أولاً وهنا يقول الشيخ مبروك متحدثاً عن نفسه " أعد له الشواهد من الكتاب والسنة، والأمثلة من الواقع إن كانت، لتكون هادية مقنعة بأدلتها ليست سياسية حماسية، ولا أتعرض فيها إلى ما يثير الجدل والخصام تجمع ولا تفرق، تؤلف ولا تنفر، أركز فيها دائماً على حكم شرعي أو ظاهرة أخلاقية أو حادثة تاريخية كبرى للذكرى وأخذ العبرة كغزوة بدر أو ثورة أول نوفمبر وغير

¹ مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، ص 115-116.

ذلك¹. لا شك أن اختيار موضوع الخطبة يعتبر الخطوة الأولى والاختيار الأول للخطيب، وينبغي أن ينشر صدر الخطيب للموضوع حتى يجد من نفسه اندفاعا نحوه وحماسة فيه، حتى يضمن القدرة على التأثير في الآخرين، فإنه لا يؤثر إلا المتأثر، ثم يراعي الخطيب أن يكون الموضوع ذا تعلق وارتباط بواقع الناس وحاجاتهم وقضاياهم.²

ألقى الشيخ مبروك من أعلى منبر المسجد الكبير بتكسبت، عددا كبيرا من الخطب الوعظية يمكن تقسيمها إلى المحاور التالية: خطب العقائد، خطب العبادات، خطب الأخلاق، خطب السياسة الشرعية، خطب المناسبات.

ب-منهجه في التدريس: كان التدريس في المساجد، وتقديم المواعظ والنصائح في المناسبات في الحي وخارجه بالنسبة للشيخ مبروك عمل دائم ومتواصل حرص عليه طيلة عقود، وفق منهج القراءان الكريم، وهدي محمد الأمين رحمه الله. حرص الشيخ مبروك على تنظيم دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، تخص الفقه والعقيدة والأخلاق والسيرة النبوية، إضافة لتقديم دروس لتلاميذ في الأخلاق وحسن السلوك، مع إحياء المناسبات الدينية والوطنية، كالمولد النبوي الشريف، والإسراء والمعراج، وليلة القدر، وذكرى أول نوفمبر وعيد الاستقلال، وعيد العلم وغيرها من المناسبات، مع زيارات لمساجد دوائر وبلديات الوادي لإلقاء الدروس والمحاضرات، مع تقديمه حصص إذاعية تخص دروسا في السيرة النبوية وقواعد اللغة العربية في إذاعة تقرت³.

3- نماذج من خطب الشيخ مبروك الشامسي:

أ-محور العقائد: خطبة في معنى السنة والبدعة.

الحمد لله بديع السماوات والأرض أرسل لنا رسولا رؤوفا رحيمنا نهانا عن البدع المحرمة، وأمرنا باتباع السنة وإقامة الفرض وقال «من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضها الله ورسوله كان عليه مثل أثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا» نحمده تبارك وتعالى جعلنا من أمة خير نبي ونشكره على نعمة الإسلام والإيمان به ونشهد أن لا إله إلا الله الواحد هو القادر على كل شيء، ونشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا محمدا رسو الله، النبي الأمين، اللهم صلي وسلم على آله وأصحابه ما أقام المسلم سنة، وأتقى بدعة وبعد: أيها المؤمنون لقد شاع بين شبابنا وكهولنا وحتى شيوخنا أفكار مستوردة هدامة في

¹ المرجع السابق، ص 167.

² أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، فن الخطابة وزاد الواعظ والخطيب، ط 1، المملكة العربية السعودية، 1996، ص 26.

³ مبروك بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، ص 218-219.

الدين، يزعم أصحابها أنهم متدينون من أنصار السنة، وضد البدعة، و الحق أنهم على عكس ففي لقتل السنة وطمس معالم الدين، يقولون أن احتفال بمولد الرسول ﷺ بدعة وقراءة الحزب بدعة، وحلق الذكر بدعة، والقراءة على الأموات بدعة، والصدقة عليهم بدعة، والتسميع في الصلاة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وغير ذلك مما حير عقول العامة وهو ما جعل الناس يعزفون عن الاحتفال بملد خير الأنام، ولا يعقدون حلق الذكر والقران، ولقد كانت مساجدنا عامرة بهذا كله، وكانت تسهر بروادها طيلة شهر ربيع الأنور، يدفعهم الشوق لسماع شمائله صلى الله عليه وسلم، وجبا في الاستماع بما وصفه الواصفون من جمال صورته، وحسن خلقه، والتماسا لبركة مجلس سرد سيرته، وقصائد مدحه والصلاة عليه، وإن معرفة شمائله ومعجزاته وإرهاصاته تستدعي كمال الإيمان به عيه الصلاة والسلام، وتزيد المحبة حبا، إذا الإنسان مطبوع على حب الجميل، ولا اجمل ولا اكمل ولا أفضل من أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم. ولا نرى اليوم عشر معشار الألف مما كان عليه السلف الصالح إذا كان في بعض المساجد شيء من ذلك فهو قليل محتشم وما كنا نحن ولا آبأؤنا ولا أجدادنا المسلمون نسمع أن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم بدعة والقراءة القرءان على الأموات وإهداء الثواب لهم والتسميع في الصلاة بدعة لأن هذا مما أقره العلماء و أجمعت عليه الأمة شرقا و غربا مند قرون، ولقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحارب البدع والمنكرات فما أنكرت على شيء من ذلك، فلو كان شيء من ذلك بدعة لحاربتها جمعية العلماء ولا يتسع المقام لسرد الأدلة على ما قال فيه القائلون أنه بدعة وإني أسوق لكم أدلة عامة توضح لكم جواز ذلك كله:

أولاً: هو أن العلماء عرفوا السنة بأنها ما صح عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أقوال وأعمال وتقارير، والبدعة خلاف السنة و هي الزيادة و النقصان في الدين بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم و هي على ضربين حسنة وسيئة، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: البدعة بدعتان؛ بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم، و روي عنه قولاً آخر و هو قوله: " ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو محمود"، واحتج بقول عمر: "نعمة البدعة هي" فأكيمي قول ما قال فيه القائلون إنه بدعة لا يكون من أعمال الخير.

ثانياً: القاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الموقوف " ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح" أخرجه أحمد. ومن منكم يقول أننا لاحتفال بالمولد وما بعده قبيح.

ثالثا: ليس كل ما لم يفعله السلف ولم يكن في الصدر الأول فهو بدعة منكرة سيئة يحرم فعلها ويجبالإنكار عليها بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب، أو على محرم فهو محرم، أو على مكروه فهو مكروه، أو على مباح فهو مباح، أو على مندوب فهو مندوب، وللوسائل حكم المقاصد.

لهذا قسم العلماء البدعة إلى خمسة أقسام:

واجبة: كالرد على أهل الزيغ وتعلم النحو.

ومندوبة: كإحداث الربط والمدارس، الأذان على المنارات وصنع إحسان لم يعهد في الصدر الأول.

ومكروه: كزخرفة المساجد وتزييقالمصاحف.

ومباحة: كاستعمال المنخل، والتوسع في المأكول والمشرب.

ومحرومة: وهي ما أحدث لمخالفة السنة ولم تشمله أدلة الشرع العامة ولم يحتوي على مصلحة شرعية

رابعا: ليست كل بدعة محرمة، ولو كان كذلك لحرم جمع أبي بكر وعمر وزيد رضي الله عنهم القرآن وكتبه في المصاحف خوفا على ضياعه بموت الصحابة القراء رضي الله عنهم، ولحرم جمع عمر رضي الله عنه الناس على إمام واحد في صلاة القيام مع قوله "نعمة البدعة هذه"، وحرم التصنيف في جميع العلوم النافعة ولوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطائرات والغواصات والأساطيل.

خامسا: قال العلماء كل ما كان له أصل في الشرع ويشتمل على مصلحة دينية ليست من البدع المحرمة، وما سبق من المسائل التي قيل عنها أنها بدعة كل لها أصل في الشرع، ومن ذلك ما أحدث اليوم من جمع الناس على إمام واحد في آخر الليل لأداء صلاة التهجد بعد صلاة التراويح، وكختم المصحف فيها وكقراءة دعاء ختم القرآن.

فكل هذا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من السلف ولا نقول إن فعلنا له بدعة؟

سادسا: كل ما لم يكن في الصدر الأول بهيئته الاجتماعية لكن أفراده موجودة يكون مطلوبا شرعا، لأن ما تركب من المشروع فهو مشروع كما لا يخفى. فكل خير تشمله الأدلة الشرعية ولم يقصد بأحداثه مخالفة الشرعية ولم يشتمل على منكر فهو من الدين.

سابعا: قول القائلين إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليل له بل هو عدم دليل فقد سعى الشارع بدعة الهدى سنة ووعد فاعلها أجرا فقال عليه صليہ الصلاة والسلام: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة سيئة فعليه

وزورها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

والدليل على إن البدعة منها ما يسعى حسن ومنها ما يسعى سيئ وقبيحوما ورد على السنة الصحابة رضوان الله عليهم من ذلك قول عمر-رضي الله عنه- لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد وخرج ورأهم يصلون كذلك فقال: نعمة البدعة وروي أن أبي بن كعب قال له إن هذا لم يكن فقال: قد علمت ولكنه حسن. ومن ذلك آذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة الناس إليه وأقره علي واستمر عمل المسلمين عليه وروي عن ابن عمر أنه قال: هو بدعة، ومن ذلك جمع المصحف في كتاب واحد توقف فيه زيد بن ثابت وقال: لأبي بكر وعمر كيف تفعلان ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ثم علم أنه مصلحة فوافق على جمعه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة الوحي.

ومما ورد في البدعة المحرمة أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «منابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل أثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيء» وإذا ظهرت البدعة في قوم فعلى العلماء أن ينكروها لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».

ب-محورالعبادات: إيتاء الزكاة

الحمد لله الذي فرض الفرائض وبين الأحكام لمصلحة عباده المؤمنينوأشهدأن لا إله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وآلهوأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون اتقوا الله وأطيعوه وأعلموا رحمكم الله أن الله شرع لكم في الاسلام من الفرائض والأحكام ما يحقق لكم سعادة الدنيا والآخرة ويشيع بينكم الأمن والسلام إذا أخذتم بتعاليمه ونفذتم أوامره ووقفتم عند حدودهفتعاطيتم الحلال واجتنبتم الحرام وحافظتم على فرائضه وأركانه و أعلموا أنه من أعظم أركان الدين الذي يحقق صلاح عامة المسلمين فريضة الزكاة وهي الركن الثالثمن أركان الإسلام بعد الشهادتين وقد قرنت مع الصلاة في أكثر من 30 آية من القرآن الكريم وقد سميت الزكاة زكاة لأنها تزكي المال وتنميه تقول زكى المال إذا كثر وزيد فيه وتسمى صدقة لصديق إيمان صاحبها فهي دليل وبرهان على صدق إيمان مخرجها قال صلى الله عليه وسلم: «الصلاة نور والصدقة برهان» وبمشروعيتها حكم ومنافع جمة للفرد والمجتمع منها:

- 1- تطهير النفس البشرية من رذيلة الشح والبخل والشره والطمع.
 - 2- تطهير المال من شوائب الكسب المشبوه بالحرام.
 - 3- مساعدة الفقراء، وتسد حاجات المعوزين واليائسين والمحرومين وهذا مما ينبي دعائم المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع فقراء وأغنياء فتسود بينهم روح الطمأنينة والرضا.
 - 4- تساهم في اقامة المصالح العامة التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها
 - 5- كما انها تجعل المال متداولاً من يد إلى أخرى مما ينشط الحركة الاقتصادية وتجعله عنصراً فعالاً في التنمية الاجتماعية.
 - 6- تقضي على أسباب الجرائم والانحراف بسبب الفقر والحاجة إلى المال وتزيل الفوارق بين أفراد الأمة
- وهي أداة جذبيه لتحقيق التكافل الاجتماعي الواجب في الإسلام فهي بمثابة الضمان الاجتماعي يلتزم به الأغنياء للفقراء وقد جعلها الله حقاً واجباً للفقراء في مال الأغنياء يؤدونها لهم طوعاً أو كرهاً ومن لم يؤدها لهم عقوب العقاب الشديد في الدنيا والآخرة.
- وقد أوجبها الله وفرضها على الأغنياء شكراً له تعالى على نعمة المال ووجوبها معلوم من الدين بالضرورة دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع فأما من الكتاب فقوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة 103 وقال عز وجل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ المزل 20 ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله». وقوله في وصيه معاذ حين بعثه الى اليمن «إنك تأتي قوم أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا هم طاعوك في ذلك فأعلمهم أنه قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تأخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم فإن هم أطاعوك إلى ذلك فإياك وكرائم أموالهم واتقي دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». فتلك عباد الله أدلة وجوبها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوبها معلوم من الدين بالضرورة لا يخفى على أحد من المؤمنين فمن جحدته فهو كافر ومن أقر بوجوبها وامتنع عن أدائها عوقب في الدنيا وعذب في الآخرة، وأما عقابه في الدنيا فهو:
- أولاً: مذموم غير محمود يبغضه الله والناس لا يحبه الله ولا عباد الله لأنه منع الحق المعلوم لسائل والمحروم فهو ممن لا يكرم اليتيم ولا يحض على طعام المسكين.

ثانيا: تؤخذ منه كرها وإن بقتال ولو كان ثمة أمير للمسلمين يحكم بشريعة الإسلام.

ثالثا: يعذر ويغرم بنصف ماله فتؤخذ منه الزكاة كرها ويؤخذ معها نصف ماله عقابا له على منعها عن مستحقها لما رواه احمد والنسائي وأبو داود من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أعطاهم متأجرا بها فله أجرها ومن منعها فإننا آخذوها وشطر إبله» إن في منعها خطرا جسيما وضرا عظيمًا وجريمة كبرى وكرثة عظيى تصيب المجتمع في معاشه وأخلاقه ودينه فهو خرابة ودمار للأمة وفساد في السلوك والأخلاق لما صح عنه صلى الله عليه وسلم «ما منع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء واخذوا بالسنين وجور السلطان»، فينعدم الأمن وتكثر السرقة والزنا والربا والقتل والحسد والغش وغير ذلك من فساد الأخلاق وسوء المعاملات والحاجة، لهذا قاتل الصحابة مانعي الزكاة في عهد أبي بكر رضي الله عنه وقال أنس رحمه الله رحم الله أبا بكر ما أفقهه حين لم يفرق بين الصلاة والزكاة.

ج-محور السياسة الشرعية: اختيار إمام المسلمين الأعظم

الحمد لله رب العالمين رب الإنس و الجن و الملائكة المقربين يرفع درجات الصالحين و يقبل توبة التائبين سبحانه القائل: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء:29)، نحمده تبارك وتعالى و نتوب إليه و نشكره على فضله وإحسانه ونثني عليه كما أثنى هو على نفسه ونشهد أن لا إله إلا الله لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:11)، ونشهد أن سيدنا محمد رسول الله مصباح الهدى والسراج المنير اللهم صلى و سلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم على الكافرين عسير.

أما بعد:

أيها المؤمنون من أسس الإسلام القويمة ومبادئه الحكيمة قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تقدموا على أمر حتى تعلموا حكما لله فيه" وإنكم ستقدمون على أمر عظيم وعمل جسيم وفي نهاية هذا الأسبوع وهو اختياركم

للرجل القادر على تحمل المسؤولية العظيمة ليسيير بالأمة إلى بر الأمان وساحل النجاة و هي عملية من الواجبات الشرعية ومن قضايا الدين التي يهتم بها كل المسلمين ولا تقول هي قضية ليست لها علاقة بالدين ولا من مصالح المسلمين فلا حرج على من لم ينتخب ولا يحصل أي ضرر للأمة لو قاطع كل الناس هذه الانتخابات هذا لا يقول به عاقل بل يجب أن نذهب إلى الانتخابات جميعا ونختار من يتولى أمر البلاد الذي نتوسم فيه القدرة على حل الأزمات والفصل في الخصومات بين الأفراد والجماعات والقصاص من الظالم

وابتكار مشاريع اقتصادية وخلق مناصب العمل للبطالين والحكم بما أنزل الله في كتابه المبين وسنة نبيه الأمين قال تعالى: ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة:49).

وأعلموا أن حكم تنصيب إمام المسلمين الأعظم من الأمور الشرعية والواجبات الدينية قال القرطبي في تفسيره الجامع للأحكام: تنصيب الخليفة من الواجبات وما أدى واجب فهو واجب، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:30)، والخليفة هو الحاكم الثاني بعد الحاكم الأول قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام:165)، وأول خليفة في الإسلام سيدنا أبو بكر الصديق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طرق الإسلام في اختيار ولي أمر المسلمين عند شغور كرسي الرئاسة يجتمع أهل الحل والعقد من ذوي الكفاءات العالية والعقول الراجحة والخبرة الواسعة والآراء الصائبة فيختارون من يرون فيه الكفاءة التامة والقدرة على اجتياز الصعوبات وتحقيق الغايات السامية ثم يبايعه عامة الناس، ومن الصفات التي تشترط في حاكم المسلمين وولي أمرهم هي: أن يكون مسلم، ذكراً، عاقلاً، بالغاً، حراً، عالماً، مجتهداً، سليم الجسم، قوباً، تقياً، عدلاً، ولا يجوز تولي إمامين في الأرض أو أكثر في الإسلام لقوله عليه الصلاة والسلام: «من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنا ما كان» ولا يجوز عزل الإمام بعد تنصيبه لارتكابه بعض المعاصي لقوله صلى الله عليه وسلم: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان» ولا يجوز الخروج عن طاعته بعد إجماع الأمة على اختياره ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة الله ورسوله يستحق العقاب في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء:59)، وقال أيضاً: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:115)، غير أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف وروى الإمام أحمد عن علي قال: بعث الرسول صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء قال: فقال لهم: أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى قال: فاجمعوا لي حطباً ثم دعا بنار فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها قال، فقال

لهم شاب منهم إنما فررتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمركم أن تدخلوها فأدخلوها قال، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا إنما الطاعة في المعروف».

وعن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، وعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»، روى ابن جرير عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيولكم ولادة بعدي فليأتكم البر ببره و الفاجر بفجوره فأسمعوا لهم و أطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعلمهم».

خاتمة

بعد هذا العرض الموجز لورقتنا البحثية نخلص لما يلي:

- 1- الشيخ مبروك الشامي عصامي النشأة والتكوين، لم يزدده فقدان بصره إلا صبرا وإصرار على الماضي قدما في تحقيق أهدافه والسعي وراء طموحه.
- 2- الناظر في المحطات الحياتية للشيخ مبروك يدرك مدى صعوبة ما مرّ به، شق طريقه في ظلّمة المسلك إلى أن رأى نور الأمل يُجسد أمانيه، سيرة عطرة كلها إيمان بالله ورضا بما قدّر وكتب.
- 3- سعى الشيخ مبروك بكل قواه وما من الله به عليه لنشر العلم من خلال نموذجية مدرسته وتفردتها في الطرح والزمان ففتح الله بها على جيل هم بدورهم كان لهم قدم راسخة في شتى المجالات.
- 4- العمل الدعوي عند الشيخ مبروك هو جهد مُتواصل يشمل كل الجوانب، لا يترك ثغرا إلا وسده، يجاهد بالكلمة يُبلغها يأزرها بالفعل إما اقتداء أو تصويبا، يبادر للعمل الخيري التطوعي، مساهما في ربط أواصر المجتمع.
- 5- التدريس عند الشيخ مبروك لا يقتصر على القراءان الكريم تعليما ومُدارسة، بل يتعداه لأصناف شتى من العلوم الإسلامية، فهو لم يدع باباً من أبوابها إلا وطرقه شرحا وإيضاحا حُكْمًا وحِكْمَةً.
- 6- الخطابة عند الشيخ مبروك الشامي لا تعني اعتلاء المنبر وسرد العبرة فحسب، بل له منهج يسير وفقه من اختيار للموضوع المناسب الخادم للواقع أو للمستجدات أو

للمناسبات، مع مراعاة للأسلوب فهو بعيد عن التعقيد والتطنيب والمبالغة قريب من التبسيط والتسهيل، مراعاة للأحكام غير مغال فيها، مدركا عظم مهمته متفان فيها.
التوصيات:

- ما نخرج به من مقترحات تعزز هذه الورقة البحثية مستقبلا ما يلي:
- ضرورة لفت النظر وتبسيطه على فئة الخطباء وتحديد أصحاب البصمة البارزة.
- تدوين سيرة الشيخ مبروك الشامسي وأمثاله حتمية لابد منها حفظا لتاريخهم وإنصافا لجهودهم.
- إحياء دور المدرسة الخاصة كالتي أشرف عليها الشيخ مبروك الشامسي وتطوير فكرتها وإخضاعها لمتطلبات واقعنا من أجل إنقاذ من لم يسعفهم الحظ في مواصلة دراستهم النظامية.
- تكريم الشيخ مبروك الشامسي نظيرا لما قدمه من خدمة لكتاب الله وأهله وترسيخا للوطنية وحفظا لهويتها.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007.
- 2- أبو عائش عبد المنعم إبراهيم، فن الخطابة وزاد الواعظ والخطيب، ط1، المملكة العربية السعودية، 1996.
- 3- أحمد منصور، الرئيس بن بلة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر، دار ابن حزم، ط1، لبنان، 2007.
- 4- علي غنابزية، لقاء مع الشيخ مبروك الشامسي يوم 10 ماي 1998.
- 5- علي غنابزية، المسجد العتيق بتكسبت، حصة إذاعية في برنامج بيوت عامرة، قدم بإذاعة سوف في شهر ماي 1998م.
- 6- علي غنابزية، المسجد العتيق بتكسبت، حصة إذاعية في برنامج بيوت عامرة.
- 7- علي غنابزية، لقاء مع السيدين البشير درويش ومحمد شكيمة، في مسجد تكسبت، يوم 1998/06/13
- 8- مبروك الشامسي بن محمد اعواج، مذكرة نفيسة للشيخ مبروك الشامسي، تقديم وتعليق علي غنابزية، مؤسسة إيموبال المطبع العصرية، الوادي، الجزائر.
- 9- محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983.
- 10- نور الدين مهري، الشيخ الدكتور محمود باي وجهوده الإصلاحية والتربوية في منطقة وادي سوف، (مقال)، مجلة روافد، المجلد 06، 2022، الجزائر.

الشيخ الهاشمي جاب الله

تجربة بين منبرين

د/ علي خضرة

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

khedourah-ali@univ-eloued.dz



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. وبعد،

فإن الكلام على الاشخاص والشهادة على الناس من الدين الذي يؤجر عليه صاحبه أو يؤثم عليه، لأن الكلمة شهادة، والشهادة إما في الحق أو في الباطل يدلى بها.

هذا، وإن عملنا هذا الذي نشترك فيه مع رفقاء كثر في البحث العلمي في موضوع الخطاب المسجدي لمن الشهادة المسجلة في حق الخطابة والخطباء في منطقة سوف العامة وما حاورها.

إن ورقتنا الموسومة: الشيخ الهاشمي جاب الله تجربة بين منبرين، هي ورقة علمية نحاول أن نتناول فيها تجلية تجربة إمام المنابر وفارسها الشيخ المرحوم الهاشمي جاب الله (رحمه الله) الذي يشهد له القاصي والداني بالصدق بكلمة الحق والدين من علا منابر مساجد جنوب الولاية.

هذه الشخصية النادرة في هذا الزمان لما اتسمت به من اعتدال فكري وتوازن سلوكي. وحرقة على الدين قولاً وفعلاً، وتضحية عزيزة لنصرة الدين مادياً ومعنوياً، وبكل ما أوتي من قوة الفكر والخلق والساعد والبيان.

فقيدنا المحتفى بذكره الخامسة رجل من الرعيل الاول - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله احدا - هو عملة نادرة في هذا الزمان، بصدق ويقين، علم من الأعلام الاقلية الذين يصدق فيهم وينطبق عليهم قول الباري جل في علاه:

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظروا بدلوا تبديلا ﴾ [سورة الاحزاب، الآية 23].

هذا الخطيب المفوه أوتي ملكة في البيان وصنعة في اللسان وتوفيقا في اختيار الشواهد والامثال جعلت خطبه تأسر العقول وتشد الأذهان، الأمر الذي جعلنا نسلط الضوء على منتخبات من سيرته وحياته قبل المنبر وبعده، وما بين المنبرين، وهذا لغرض بعث القارئ الكريم والامام الباحث عن تجربة منبرية معاصرة للخطابة تكون زادا له في الطريق ورافدا له في المعرفة وتجربة قريبة منه لمن اعتلى المنبر تطوعا فأبدع.

هذه الورقة العلمية لا تعد البتة جزاء ولا مثوبة لتضحية الشيخ ولا تمثل مكافأة له، وإنما عرفانا وردا الجميل لشهم افتدى بنفسه في عز قلة الخطباء وضحي بكل معاني التضحية ما بين منبري مسجد عقبة بن نافع بالبيضاة والمسجد العتيق بالعواشير تطوعا لله وحسبة له يأمر من خلال منبرهما بالمعروف وينهى عن المنكر في زمن انسخلت فيه الامة الاسلامية عن أصولها وضعفت في أخلاقها حتى هان على الله أمرها.

هذه الحرقة جديرة بالاحياء من جديد لاصلاح ما يمكن اصلاحه مما تبقى من اجيال ذابت زهرتها وضاع دينها وتشتت امرها بسبب غفوة الضمير وضعف النصير وقوة الوافد النكير وتعلق بالدنيا وشهواتها أعى البصير ورفع الحقيب وشجع اللعين حتى تساوى في المجتمع السوفي بالخصوص العالم التحرير بالنذل والشرير، وحينها وجب على الباحثين والعقلاء من أبناء الأمة وخيارهم من أمثال علمنا المحتفى به ان يزأروا من فوق المنابر متصديا للحمولات التخريبية المهلكة للشباب والمحدقة للأخلاق والحالقة للتدين والفضيلة ولكل ما له علاقة بالطهر والصالح والاصلاح في كل المجالات وعلى كل المستويات.

هذا الواجب الشرعي والاعتراف بفضل دعاة الامة ورموزها يحتم على أجيالنا المتوارثة ان تصل حبات عنقودها وحلقات سلسلتها وتربط حاضرها بماضيها لتبني على ذلك مستقبلها. جعلنا نقتفي أثر الصالحين فيها، ونرسل روح الشيخ الهاشمي جاب الله من جديد. لكيلا تموت سيرته بموت حياته.

يأتي بخشنا هذا في وصفنا لهذا الفارس الراحل لنرسل الى الائمة والخطباء صوتا أقل نجمه وغيبه الثرى. ولكن روحه تطوف وتهفو من علا المنابر التي كان يهزها هذا ببالغ البيان وحسن تلاوة آي الخير المنان. وانتقاء الحكم والاشعار لما كان يراه ملائما للمقال ومناسبا

للحال.

هذا الكشف جاء في شقين أولهما السيرة الذاتية مختصرة للشيخ والثاني: تجربة بين منبرين في خطبه نحاول من خلالها أن نحوصل للقارئ الكريم الصورة المعتدلة والسوية للفرد المسلم على مختلف مراحل حياته وفي جميع مجالات نشاطاته وحركاته، والتي كانت مدار خطب الشيخ الهاشمي جاب الله (عليه شآبيب الرحمة والغفران).

نرجوا من خلال هذه الورقة ان نحفز الدعاة والخطباء على مواصلة رسالة الشيخ الهاشمي الاصلاحية المصلحية لكل من عرفه ومن لم يعرفه. بل لكل من يأتي من بعدنا ويطلع على صفحات البحث.

الفضل لله أولا ثم لمن أعاننا في السهر على تنزيل خطبه وجمع المعلومات عن حياة الشيخ الهاشمي جاب الله، وحرصنا منا ان ننفض الغبار على روح شيخنا ومعلمنا الشيخ الهاشمي جاب الله رحمه الله تعالى، وطيب ثراه.

نقر في نهاية هذه المقدمة ان كل جهد بشري منقوص، وان الكتابة حول الرجال الخطباء مهما بلغت ستعثرها بعض النقائص في التعبير والوصف، وإن أي فكرة او لفظة جانبنا فيها الصواب، نستفغر الله من تقصيرنا فيها، وفي حق الرجل، وما توفيقنا الا بالله العلي العظيم. فهو وحده الهادي إلى جادة الصواب وحسن السداد.

المطلب الأول: من هو الشيخ الهاشمي جاب الله؟

ولد الشيخ الهاشمي جاب الله في 25 مارس 1949م بالرياح في أسرة محافظه، والده هو خليفه بن إعمار، وهو فلاح ترك له أبوه أملاك من النخل هو وإخوته في النخلة والخبنة والعواشير، توفي عام 1951م ودُفن بمقبرة العواشير، وأم الشيخ الهاشمي هي السيدة مريم عاشور بنت العيد توفيت عام 2007م.¹

أمًا إخوة الشيخ الهاشمي حسب الرواية فهم عشرة بحسب الذين عاشوا والذين ماتوا صغاراً وهم على الترتيب: فاطمة - الطاهر - أحمد - محمد العيد - الهاشمي الأول - الزهرة الأولى عاشت أربعة أشهر - الهاشمي الثاني - الجبارية - رشيدة - الزهرة، عاش

¹ لقاء للأستاذ فتحي سبوعي (ماستر تاريخ) مع الشيخ الهاشمي جاب الله نفسه في ربيع 2006م بعد المغرب بمسجد أبو بكر الصديق بالعواشير الرياح، وآخر للأستاذ فتحي مع أحمد جاب الله، أخ الشيخ الهاشمي يوم 25 أوت 2020م على 9:00 صباحا بواحة نخيله بحي العواشير

منهم فاطمة - الطاهر - أحمد - الهاشمي - الجبارية - رشيدة - الزهرة.

ينتمي الشيخ الهاشمي إلى أسرة عُرِفَتْ بحفظها كتاب الله فجده إيماره حافظ لكتاب الله وتمكن من تحفيظ أبنائه وبعض أحفاده القرآن الكريم منهم العربي ومحمد الصغير وعلي حافظين لكتاب الله أما بقية أبنائه فهم يحفظون أغلب أحزاب القرآن أو بعضه، أما إخوته فحفظ منهم أحمد وهو الذي حمل على عاتقه تحفيظ الشيخ الهاشمي القرآن الكريم الذي بدأه وهو في سن سبع سنوات فالتحق في بادئ الأمر بالكتاب بجامع العواشير العتيق حيث حفظ ثلاث أرباع القرآن الكريم، ثم أتم حفظ كتاب الله في الثلاثينيات من عمره لما كان خطيباً بجامع العواشير العتيق.

بدأت مسيرة الشيخ الهاشمي جاب الله التعليمية بالمدرسة الابتدائية حنكة أحمد عام 1964م وكان أول معلم له صحراوي محمد وهو معلم مُتمكن يتميز بأسلوب راق في التدريس ويتميز بالهدوء والأخلاق العالية وهو خريج جامع الزيتونة، مما كان تأثر الشيخ الهاشمي به كثيراً في اللغة والخطابة.

تحصل الشيخ الهاشمي على الشهادة الابتدائية للكبار دورة 1966م.

بدأ الشيخ الهاشمي الدراسة بالمعهد الإسلامي بالوادي السنة الأولى بمقر الزاوية القادرية ومسجد سيدي مسعود واللذين كان بهما قسمان، ومن المعلمين الذين درسوه فيه: الشيخ صالح نفاق في النحو والتجويد وطواهرية عبد القادر في الفقه¹.

كما أن الشيخ الهاشمي لم يتم الدراسة في المعهد المقدر بأربع سنوات بل شارك في شهادة الأهلية مسبقاً وتحصل عليها عام 1969م بعد التبرص الخاص بالتعليم قام به في مدرسة عقبه بن نافع ببلدية النخلة

كان أول تعيين للشيخ الهاشمي كمعلم بمدينة إيليزي في: 25/09/1969م، ثم انتقل إلى مدرسة عيش (الإمام الغزالي) في: 22/09/1971م ثم انتقل إلى مدرسة العواشير (بركة العيد) في: 24/09/1980م كمعلم مرسوم بدرجة مدرس نائب ثم انتقل إلى إكمالية: آل ياسر بالرباح كأستاذ في مادة اللغة العربية في: 13/10/1994م ثم إلى إكمالية بوغزالة محمد الطاهر بالرباح في 18/09/1995م إلى تقاعده مطلع عام 2002م.

¹ لقاء الأستاذ فتحي سبوعي مع الأستاذ عبد الحميد جاب الله بن محمد الصغير بن عم الشيخ الهاشمي وزميله في المرحلة الابتدائية والمعهد الاسلامي، في يوم: 2020/8/14م على الساعة التاسعة صباحاً أمام بيته

أما الشهادات التي تحصل عليها خلال مساره التربوي والتعليمي فهي:

- شهادة إنهاء الدروس الابتدائية للكبار دورة ماي 1966 م .
- شهادة الأهلية للتعليم الابتدائي دورة أكتوبر 1968 م .
- شهادة الأهلية للعلوم الإسلامية دورة جوان 1969 م نتيجة التحاقه بالمعهد الإسلامي.
- الشهادة العليا لأهلية التعليم الابتدائي 18 مارس 1972 م.
- شهادة الكفاءة التربوية 27 سبتمبر 1973 م .
- شهادة البكالوريا في العلوم الإسلامية 07 جوان 1976 م .
- شهادة الكفاءة الأستاذية للمرحلة المتوسطة 21 جوان 1989 م.

وقد كان يقضي وقته بعد تقاعده بين بيته ومزرعته إضافة لكونه خطيب جمعة متطوعا بمسجد عقبة بن نافع.

المطلب الثاني: تجربة منبرين

تولى الشيخ الهاشمي الخطبة بالمسجد العتيق بالعواشير يوم الجمعة 14 جويلية 1981 م بعد وفاة خطيب المسجد تومي علي بن عمر، وقد كان يركز كثيرا على المعاملات كالصدق والحياء وغير ذلك ويُنَبِّه عن المحرمات كالربا والخمر لما فيها من أضرار دينية وصحية وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تشبه هذه المواضيع، وعن خطبه أيضا يقول عبد المجيد نفاق: "الخطب الأولى يخطب بورقة تبعث لهم من الوزارة ثم صارت تبعث رؤوس أقلام والإمام يحضر الأدلة وبعدها صار يُحضر قُصاصة فيها محاور وبعد تحضيرها تحضيراً جيداً وبعدها تُلَى عن القُصاصة وأصبح يُقدم خطبه عن ظهر قلب وهو يعرف كيف يُقولها، كانت خطبه مُناسباتية، يحيي التعاليم الشرعية وكان فصيحاً جهورياً في الصوت، خطبُه مفهومة عند الجميع، يؤدي خطبه في غير تكلف، وبحرارة وتفاؤل بحيث أنه لم يلحقه أي لوم من السلطات أو توقيف أو إنذار، وكان يُحارب في خطبه بعض العادات والاعتقادات التي يراها مُنافية للشرع، فحمل لواء محاربتها وتوعية الناس بخطرها العقائدي على عقيدة المسلم حيث حاربها مُحاربة شديدة ونالت من عرضه ما نالت، وكان يمشي لخصومه في المناسبات والأفراح ويُشاركهم أفراحهم وأتراحهم لأنه يحتسبُ الأجر عند الله، ووُفق في القضاء عليها بنسبة كبيرة إضافة إلى خطبة الجمعة كان

يؤدي صلاة العيدين في مقبرة العواشير كما جمع حي العواشير وأولاد مياسة بنفس الصلاة غرب الطريق المؤدي للبلدية، وقد استمر في الخطبة بالمسجد العتيق حسب ما رواه لي شخصيا إلى عام 1996 م}

ومن الأسباب التي أدت إلى توقيفه:

السبب الأول:

صنف من الناس مُناوئين له من الذين كان يحارهم في شركهم غير مُقتنعين بخطبه ومنعه الشريكيات وإن كان رأي ضده، يُساندوه

السبب الثاني:

بعض الأطراف الأخرى حزمت أمرها على إزاحته من الخطبة لأسباب معلومة بعد تقديم طلب للشؤون الدينية

السبب الثالث:

أمر الشؤون الدينية أن يتولى الخطبة إمام المسجد المكلف من طرفها

المطلب الثالث: الخطبة بمسجد عقبة بن نافع بالبياضة

يقع مسجد عقبة بن نافع بحي الصومام بالبياضة وقد تأسس عام 1989 م وبقي دون موظف إلى حين تعيين معلم القرآن جمال لخص عام 1996 م، ويُعد الشيخ الهاشي أول خطيب منبري بالمسجد بدأ الخطابة به في 19 أكتوبر 2001 م إلى غاية 13 مارس 2020 م بعد قرار الشؤون الدينية بتعليق الصلاة بكافة المساجد بسبب جائحة كورونا فقد كان خلال هذه الفترة يؤدي الشيخ الهاشي بهم صلاة الجمعة والعيدين وقد تركت خطبه إنطباعاً حسناً لدى المُصلين وفي الفصل الثاني تناولت نماذج من خطبه المنبرية والتي هي المحور الرئيسي في هذا الكتاب وعن كيفية مجيئه للمسجد؟ إتصلت برئيس الجمعية محمد جديد فقال لي: "كان يعطي كلمات في الأعراس في ذلك الوقت حضرت لعرس وقال كلمه أعجبتني كلمته وسألت عليه قالوا لي كان خطيب وفي هذه الساعه مرتاح لايمارس الخطابه، كوني رئيس الجمعية ألحيت على جمعيتي أن يكون خطيبا مستحدثا وفيه مجموعه معي إتصلت به فلم يتردد وقبل وهو يعرفني أخو المكي ونحن من نفس الفكر قلت له موافق قال لي موافق إتصلت بالشؤون الدينيه ووافقوا لي

وردا على سؤال طرحته عليه قلت له سمعت من الشيخ الهاشمي أنكم تعطونه مايساوي ثمن شاة العيد كلما إقترب عيد الإضحى؟

فكانت إجابته:

كنا نجلب له الشاة ويذبحها مرة هنا (بمسجد عقبه بن نافع) وفي سائر الأعياد لم يعد يذبحها هنا وقال بعد مُضي فترة إذبحوا وفي العيد الصغير (عيد الفطر)، نُعطيه لباسه حذاء أبيض من العراقية من القميص القدورة (الجُبّة)، وأحياناَ معها في البداية يعطونه 400 ألف أو 350 ألف الشؤون الدينيه، والحقيقه يقول لي ويُلح علي حين تُشاهد أي حاجه في المجتمع بلغني إذا فيه حاجه يُعالجها في الخطبه، حُطبتة دائما متناسبه مع الوقت والغياب لا يتغيب إلا نادراً ومؤخرا أجرى عملية عن عينه الله غالب وقبل ذلك ذهب للحمام وفي إجابة عن سُؤالي له حول التكريمات التي أعطيت له من طرف جمعية المسجد؟

فكانت الإجابة: قبل كانت الجوائز التي نعطيها له عبارة على كُتُب هذا لما نُكرم في رمضان من يصلون بنا التراويح أحيانا يتعذر عليه المجيء فنجلب له التكريم من الغد وعن تكريمه بالعمرة فكان مره واحده وكان أهل الحي يستدعونه لما يتزوج شخص لأولاده وهو يدير العقد

الخاتمة

لم يكتف الشيخ المرحوم الداعية الشيخ الهاشمي جاب الله أن أحيا قلوبا موتى، وأيقظ همما غافلة في ربوع منطقة اعميش، وقد حاول الاستدماز جهد طاقته طمس هويتها في محاولة يائسة لمسح هذه الأمة ومحو معالم شخصيتها العربية الاسلامية، وإشاعة ثقافة التغريب المدمرة، بيد أن شموخ الشيخ الهاشمي جاب الله و أمثاله من فرسان المنابر لهذا الشعب المجاهد الأبى كعبد الحميد بن باديس ومحمد البشيرالإبراهيمي ومبارك المليي وعبد اللطيف السلطاني وأحمد سحنون وعمر العرباوي ومصباح حويدق وعمر دردور... وغيرهم من الأمجاد الفضلاء الذين باعوا أنفسهم في سبيل الله قد وقفوا سداً منيعاً وأحاطوا بأبناء الأمة حصناً حصيناً تكسرت عليه كل المحاولات الماكرة والمؤامرات الخبيثة التي سعت لاجتثاث هوية شعبنا إن الراحل عاش أزمنة الجزائر المعاصرة، بحرقه، وكانت خطبه جهادا ضد الاحتلال الفرنسي. وهو من أبرز رواحل الدعوة الإسلامية وخطبائها رفقة العديد من

الدعاة النشطين في منطقة سوف العامرة برجالها وأبنائها قديما وحديثا.
نرجو أن تكون هذه الشهادة العلمية للشيخ الراحل الهاشمي جاب الله -رحمه الله-
كنوع من رد الجميل وعرفان حق الرجل في زمن تنكرت فيه العديد من الاوساط الفكرية
لرموزها الدعوية والعلمية.

ملاحم الإسهامات المسجدية في تحقيق مستويات الأمن المجتمعي في ولاية الوادي

ط.د/ صلاح الدين خنوفة – بإشراف: د/ عباس منصر

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

khennoufa-salaheddine@univ-eloued.dz



مقدمة

إنّ الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله وصفيه من بين خلقه وخليفة، أما بعد، فموضوع المداخلة مخصص لهذا الملتقى، حيث يدخل عنوان هذه المداخلة في المحور الثالث الذي تم عنونته بمظاهر إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي من ورشة العمل المرافقة لفعاليات الملتقى.

التعريف بالموضوع:

فقد جعل الله عز وجل في أرضه بيوتا له وأسندها لذاته العلية في القرآن الكريم وهي مساجده، فلا شك أنّ المولى تبارك وتعالى لما جعل لعباده بيوتا يعبدونها فيه فإنّ هذا من أعظم نعم الله عز وجل على عباده، ولهذا فإنّ هذا التشريع الرباني له مقاصد جليلة وغايات حميدة تدعونا للبحث في ثنايا الآيات القرآنية التي تحدثت عن المسجد أو أشارت إليه، وكذا التنقيب في السنة النبوية الموثوقة فيها أحاديث كثيرة جدا أرشدت إلى حكم وأحكام ووظائف تتعلق بالمساجد، فقد كان المسجد يمثل حجر الزاوية في المجتمع المسلم وهو سبيلهم لأداء العبادة وتعلم العلوم، و التعاون على البر والتقوى فلما تحقق لهم ذلك سادوا الدنيا وعمروها بالخير و الصلاح والفلاح، وعندما تخلى المسلمون عن فهم رسالة المسجد الحقيقية في مجتمعاتهم صاروا أضعف الأمم، وقد كان للمسجد دور عظيم في بناء الفرد المسلم و المجتمع المسلم على امتداد التاريخ الإسلامي، ومن خلاله ساد الأمن العقدي والفكري والأخلاقي أيام قوة الأمة الإسلامية.

أهمية الموضوع:

1. كون المسجد هو بيت الله سبحانه وتعالى.
2. مكانة المسجد في الإسلام وشمول وظائفه لمصالح الدنيا والآخرة.
3. الأثر الكبير للمسجد في بناء الفرد المسلم والمجتمع المسلم.
4. أثر المسجد في علاج الانحرافات السلوكية والأخلاقية.
5. دور المسجد في القضاء على الانحرافات الفكرية والعقدية.

الإشكالية:

ما هي أبرز دلائل المكانة المرموقة للمسجد في الوقت المعاصر؟
ما هي أبرز ملامح الإسهامات المسجدية في المحافظة على الأمن الاجتماعي بمختلف مستوياته في ولاية الوادي؟

الدراسات السابقة:

1. أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، ناصر بن عبد الكريم العقل، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، أشرفت وكالة شؤون المطبوعات والنشر بالوزارة على إصداره عام 1419هـ.
2. المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع-دراسة موضوعية-، إعداد الباحثة: إسراء موسى محمد سليمان، إشراف الأستاذ الدكتور زهدي أبو نعمة، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية بغزة، سنة: 2017م-1439هـ.

منهجية المعالجة والتقسيم:

عالجت هذا البحث وقسمته وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: مصطلحات ومفاهيم.

المطلب الأول: تعريف المسجد

المطلب الثاني: مكانة المسج في الإسلام.

المطلب الثالث: فضل عمارة المساجد في القرآن والسنة.

المبحث الثاني: ملامح إسهامات المسجد في تحقيق مستويات الأمن الاجتماعي.

المطلب الأول: الجانب العقائدي.

المطلب الثاني: الجانب الفكري.

المطلب الثالث: الجانب الأخلاقي.

المبحث الأول: مصطلحات ومفاهيم.

المطلب الأول: تعريف المسجد

تعريف المسجد لغة: بسكون السين وكسر الجيم، جمع مساجد، الموضع الذي يسجد فيه، وهو المكان الذي أعدّ للصلاة فيه على الدوام¹. وقيل: هو أخفض محط القائم².

قال الزجاج: "كل موضع يتعبد فيه؛ فهو مسجد، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"³.

قال ابن الأعرابي: مسجد؛ بفتح الجيم محراب البيوت ومصلّى الجماعات، مسجد بكسر الجيم والمساجد جمعها، والمساجد أيضا هي الآراب التي يسجد عليها والآراب السبعة مساجد⁴.

تعريف المسجد اصطلاحا:

قال القرطبي: "هذا ماخص الله به نبيه، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصه كالبيع والكنائس".

قال الزركشي: "ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق اسم المكان منه ف قيل مسجد، ولم يقولوا مركع"⁵ وقيل: إنّه اسم للأبنية المتخذة في الإسلام للصلاة، ومثله الكنائس لليهود، والبيع للنصارى⁶.

هذه التعاريف على اختلاف ألفاظها وطريقة صياغتها فإنها تدل على معنى واحد، ومنها يمكن صياغة تعريف جامع لها يتمثل في أن المسجد هو موضع من الأرض مخصص لأداء

¹ ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعي وحامد صادق قنبي، ص 428.

² ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص 204.

³ صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، رقم الحديث: 426، (ج 1، ص 95).

⁴ لسان العرب، ابن منظور، (ج 3، ص 204).

⁵ إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي، ص 27، 28.

⁶ ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص 567.

الصلوات فيه، وغيرها من الطاعات والعبادات في أوقات مخصوصة بكيفيات مخصوصة.

المطلب الثاني: مكانة المسجد في الإسلام.

للمسجد مكانة كبيرة في الإسلام وفي قلوب المسلمين، وما يبرز المكانة المرموقة التي يتمتع بها المسجد ما يلي:

• من أحب البقاع إلى الله عزّ وجل وأعظمها منزلة وأشرفها مكانة المساجد، فمن فضلها وأهميتها أن ذكرها الله سبحانه وتعالى في ثمانية عشر موضعاً في كتابه.

* المساجد هي الأماكن التي تبنى و تبلغ فيها الدعوة إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ [النور: 36] تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ: أَنْ تُبْنَى؛ يَعْنِي: الْمَسَاجِدَ¹.

* المسجد هو المكان الذي تعبد فيه الأنبياء صلوات الله عليهم وذكروا الله فيه كما ورد ذلك في القرآن الكريم: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾ [آل عمران: 39].

* المسجد هو أشرف مكان في محاربة العباد للشياطين كما قال الإمام البقاعي نقلاً عن الحرالي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾ [آل عمران: 39] أنه موضع محاربة العابد للشيطان وهو أشرف الأماكن لذلك، وفيه إشعار لسرعة إجابته ولزوم معتكفه².

* إنَّ مما يدل على مكانة المسجد في الإسلام هو أنَّ الله تبارك وتعالى شرَّع عبادة الحج للمسلمين، فيحجّون إلى الكعبة المشرفة التي هي ضمن المسجد الحرام كما ورد ذلك في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: 96]

* تعظيم المسلمين للمسجد النبوي الشريف أثناء ذهابهم للعمرة أو الحج والبقاء في مدينة رسول الله ومسجده أياماً، فقد ورد في ذلك فضل كبير.

* المسجد مكان إعلان ونطق الشهادتين بالنسبة لغير المسلمين، فالذي يدخل للإسلام في الجزائر يعلن إسلامه من المسجد، وقد حدث ذلك في مسجد علي بن خزان بالديبيلة بإسلام رعية أجنبية على يد البروفيسور خريف زتون.

* الصراع العقائدي القائم اليوم بين القوى الفلسطينية والكيان الصهيوني حول

¹ تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (ج3، ص235).

² ينظر: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، برهان الدين البقاعي، ج4، ص365.

المسجد الأقصى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على مكانة المسجد في الإسلام ومحاولة استرداده لحضن الإسلام لمكانة المسجد الأقصى في قلوب الأمة الإسلامية.

* تحويل الكنائس بعد الاستقلال في الجزائر إلى مساجد تصدح بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله مما يدل على مكانة المساجد في قلوب الجزائريين.

* وجود أعداد هائلة للمساجد عبر ربوع الوطن، ووجود قرابة ستمائة مسجد في ولاية الوادي وهذا يدل دلالة قاطعة لا شك فيها على مكانة المسجد في الإسلام.

* امتلاء المساجد عن آخرها بالمصلين يوم الجمعة، وفي الأعياد، وفي صلاة التراويح دليل قاطع على مكانة المسجد في قلوب المسلمين الجزائريين.

* مساهمة المساجد في قيادة حملات التوعية من خطر الوباء العالمي فيروس كورونا فيه دليل قاطع على مكانة المسجد ممثلة في الإمام عند المجتمع وفي الإسلام.

* وجود مشاريع كبرى لزيادة بناء المساجد وطنيا وولائيا في كل ولاية من ولايات الجزائر.

* تحتوي الجزائر على ثالث أكبر مسجد في العالم، والأول في قارة إفريقيا، وبني في المكان الذي كان فيه القس الفرنسي لافيغري وهذا فيه رمزية إلى عظم مكانة المسجد في قلوب المسلمين وهو المسمى بالمسجد الأعظم.

* مكانة المسجد الجليلة أضافها الله عز وجل إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم وفضل كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: 18] قال الماتريدي: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ خص المساجد بالإضافة إليه، وإن كانت البقاع كلها له؛ تعظيماً لها، وكذلك قوله: الكعبة بيت الله الحرام، وإن كانت البيوت كلها له، ونحو ذلك مما أضاف ذلك إلى نفسه من جزئيات الأشياء؛ تعظيماً لذلك وإجلالا¹.

* المسجد هو المكان الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن فعل ما لم تُبْنِ له المساجد، فنهى عن البيع والشراء فيه، وعن إيذاء المصلين والملائكة بالروائح الكريهة، وحث على صيانتها وتنزيهها عن كل ما فيه انتهاك لحرمتها².

¹ تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، (ج5، ص135).

² ينظر: القول الأحمد في أحكام في حرمة المسجد، عبد الله السهلي، ص371.

المطلب الثالث: فضل عمارة المساجد في القرآن والسنة.

نظرا لأهمية المساجد وشرفها وعظم منزلتها في الإسلام، فقد تحدثت عديد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن فضل عمارة المساجد وبناءها، ففي سورة التوبة قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّحِدِينَ﴾ [التوبة: 18] قال الماوردي: "ثم قال تعالى {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} في هذه المساجد قولان: أحدهما: أنها مواضع السجود من المصلى، فعلى هذا عمارتها تحتل ثلاثة أوجه: أحدها: بالمحافظة على إقامة الصلاة. والثاني: بترك الرياء. والثالث: بالخشوع والإعراض عما ينهى. والقول الثاني: أنها بيوت الله تعالى المتخذة لإقامة الصلوات، فعلى هذا عمارتها تحتل ثلاثة أوجه: أحدها: إنما يعمرها بالإيمان من آمن بالله تعالى. والثاني: إنما يعمرها بالزيارة لها والصلاة فيها من آمن بالله تعالى. والثالث: إنما يرغب في عمارة بنائها من آمن بالله تعالى"¹.

يتضح من كلام أبي الحسن الماوردي أنّ عمارة المساجد باعتبارها موضع السجود من المصلى تكون بالمحافظة على إقامة الصلاة وترك الرياء والخشوع، وأما باعتبار المساجد أنها بيوت الله للصلاة فيها فعمارتها تكون بالإيمان بالله وزيارتها والصلاة فيها، وأيضا عمارتها بالمساهمة في بنائها، فنلاحظ أنّ هناك عمارتين؛ عمارة معنوية وأخرى حسية ملموسة.

• العمارة المعنوية: يتضح من خلال الآية الكريمة المتحدثة عن عمارة المساجد شروط العمارة المعنوية وهي:

* الإيمان بالله واليوم الآخر: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِهِمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: 17] قال الطبري: "إِنَّ الْمَسَاجِدَ إِنَّمَا تُعْمَرُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهَا لَا لِلْكُفْرِ بِهِ، فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ كَافِرًا فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَعْمُرَ مَسَاجِدَ اللَّهِ"².

* إقامة الصلاة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»"³.

¹ النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، (ج2، ص384).

² جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (ج11، ص374). طبعة هجر

³ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الصلاة، باب الحدث في المسجد، رقم: 445، (ج1، ص96).

*خشية الله وحده، وقد قال الله تعالى في آيات أخرى متحدثا عن خشيته تعالى دون ما سواه من الناس، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] وقال تعالى أيضا: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 13] قال الطبري: "فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته"¹

*إيتاء الزكاة: يدخل في إيتاء الزكاة العمارة الحسية المتمثلة في البناء عن طريق التصديق بالمال لبناء المساجد، فقد قال النبي صلى الله عليه: "من بنى مسجدا لله بنى الله له في الجنة مثله"² فهذا يبين فضل الزكاة والصدقة في بناء المساجد، ولعل المبادرة الأخيرة التي قام بها السيد مدير الشؤون الدينية والأوقاف لولاية الوادي علي بلعباس بجمع التبرعات كل جمعة لصالح مسجد من مساجد الولاية خير دليل على مساهمة الدولة الجزائرية في عمارة المساجد، وجمع التبرعات في الجمعة الواحدة قد يفوق 200 مليون سنتيم على مستوى الولاية وذلك دليل آخر على مكانة المساجد في قلوب المجتمع السوفي خصوصا والجزائريين عموما.

المبحث الثاني: ملامح إسهامات المسجد في تحقيق الأمن الاجتماعي بمختلف مستوياته.

المطلب الأول: الجانب العقائدي.

للمسجد دور مهم في تصحيح عقيدة الناس والحفاظ عليها في كل العصور والأزمان، وبث روح الإيمان والهداية في قلوب الناس، والدعوة إلى البر والتقوى والعمل الصالح، وهذا دأب الصالحين من أسلاف أمتنا الذين آمنوا أنفسهم عقائديا وأمنوا مجتمعاتهم الإسلامية، وأبرز من طبق ذلك ميدانيا هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله عز وجل برسالة التوحيد التي تقتضي عبادة الله وحده من دون الناس فأمن مجتمعه من ناحية العقيدة بعدما كان مغلهم على ملة الكفر، فنقلهم من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام، وهذا ما يسمى في عصرنا الحالي بالأمن العقدي، فقد أشار إليه القرآن الكريم

¹ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، (ج 11، ص 367).

² صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، كتاب الصلاة، باب فضل بناء المساجد، رقم: 25- (533)، (ج 1، ص 378).

إشارات مهمة ووضحه رسولنا صلى الله عليه وسلم في قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82] "وَلَمْ يَلْبِسُوا أي لم يخالطوا إيمانهم ذلك بظلم أي شرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون أنهم مؤمنون بالله تعالى وإن عبادتهم لغيره سبحانه معه من تتمات إيمانهم وأحكامه لكونها لأجل التقريب والشفاعة كما ينبىء عنه قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3] وإلى تفسير الظلم بالشرك هنا ذهب ابن عباس¹.

ثم قال الشيخ رشيد رضا في تفسيره للفظه الظلم: "فأخبرهم الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أعلم بمُرَاد مَنْ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ بِمَعْنَاهُ الدَّالِّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُريدَ بِهِ الْخَاصُّ، رَوَى أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ الْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ شَقَّ عَلَى النَّاسِ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسُهُ؟ فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ 31:13 إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكَ" وَرَوَى تَفْسِيرُ الظُّلْمِ هُنَا بِالشِّرْكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ وَحَدِيقَةَ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ"².

وقال الشيخ محمد رشيد رضا مفسرا للآية قائلا: "وَأَمَّا مَعْنَى الْآيَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ فَهُوَ: الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَخْلُطُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ عَظِيمٍ - وَهُوَ الشِّرْكَ بِهِ سُبْحَانَهُ - أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْعِقَابِ الدِّيْنِيِّ الْمُتَعَلِّقِ بِأَصْلِ الدِّيْنِ وَهُوَ الْخُلُودُ فِي دَارِ الْعَذَابِ، وَهُمْ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ"³.

وقال المراغي في تفسيره: "والمراد بالأمن الأمن من عذاب الله الذي يحل بمن لا يرضى إيمانه ولا عبادته. أي إن الذين آمنوا بالله تعالى ولم يخلطوا إيمانهم بظلم عظيم وهو الشرك به سبحانه وتعالى، أولئك لهم الأمن دون غيرهم من الخلود في دار العذاب، وهم فيما وراء ذلك بين الخوف والرجاء."⁴ ومن الأمور التي يجب حماية المجتمع عقائدياً منها:

*الحماية العقدية من السحر والشعوذة للفرد والمجتمع:

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة السحر والشعوذة، وأيضا ظاهرة توهم السحر بنسب

¹ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، (ج4، ص195).

² تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (ج7، ص485).

³ تفسير المنار، (ج7، ص483-484).

⁴ تفسير المراغي، مصطفى المراغي، ج7، ص178.

عالية جدا بين أبناء الأمة الإسلامية مع عدم نفي وقوعه، وهذا إن دلّ إثمًا يدل على تخلخل الأمن العقدي، ومن مظاهر الاضطرابات الناجمة عن فقدان القيم الروحية والسند الروحي، انتشار اللجوء إلى السحر والشعوذة طلبا للشفاء من الأمراض الاجتماعية والنفسية بل مساعدة أصحاب الأعمال على تنظيم أعمالهم وغير ذلك من أمور¹.

وفي الحقيقة أنّ الأمن العقدي هو الحفاظ على عقيدة المسلم الغراء عن كل ما يخدشها أو يزحزحها أو ينقض عراها، وذلك بالبعد عن الشرك والبدع والخرافات، وإقامة شعائر الدين كما أمر الله تعالى² لكن واقعنا في الجزائر يشهد انتشارا واسعا لحالات اعتقاد أنّ الإنسان مسحور والحقيقة ليست كذلك، وذلك ضرب للعقيدة في الصميم، فتجد كثيرا من الناس يرتكب كثيرا من الذنوب والمعاصي يشرب الدخان والخمر ويفعل ذنوب الخلوات والجلوات ثم لا تتيسر أحواله الاجتماعية كالعمل والزواج وغيرها فيعتقد أنّه مسحور، ويذهب لطرق باب الرقاة اعتقادا منه أنّه سيُزال عنه السحر، والواقع الذي نعيشه خير شاهد على ذلك، فالنفس تضعف عندما تجد من يبشرها بانفراج أمور العمل والزواج مقابل دفع الأموال لإزالة السحر عنه، وهذا من التزييف الذي أصاب الأمة الإسلامية في مقتل، والله تعالى يقول في محكم تنزيله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:65].

فالمسجد هو الركيزة الأساسية لترسيخ العقيدة وتصحيحها وتنقيتها من الشوائب واستكمال لما نقص منها؛ كون العقيدة هي الأصل والأساس الذي يقوم عليه بناء العبادة³، وإمام المسجد له الدور الكبير في معالجة آفة السحر عمليا وميدانيا وأن يتصدى للمشعوذين، فهذه من بين المساهمات المسجدية في تأمين المجتمع عقديا وإيمانيا.

"ومن مظاهر الاضطرابات الناجمة عن فقدان القيم الروحية والسند الروحي، انتشار اللجوء إلى السحر والشعوذة طلبا للشفاء من الأمراض الاجتماعية والنفسية بل مساعدة أصحاب الأعمال على تنظيم أعمالهم وغير ذلك من أمور⁴."

¹ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن حميد، (ج1، ص127).

² ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، (ج86، ص23).

³ أثر المسجد في تحقيق الأمن الفكري، محمد بن أحمد بن صالح الصالح، ص7.

⁴ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (ج1، ص127).

المطلب الثاني: الجانب الفكري.

المساجد هي مراكز التعليم الأولى لتدريس جميع الفنون وشتى العلوم، وهذا بدوره يؤدي بنا للحديث دور المسجد الفكري في حماية الأشخاص والمجتمع ومظاهر إسهاماته في ذلك، فالمسجد يسعى دائماً وأبداً تأمين عقول المسلمين من التطرف الفكري أو التميع الفكري، ومظاهر التأمين الفكري للمجتمع تكمن فيما يلي:

1. الاهتمام بالشباب علمياً:

يعد الشباب هم عمود الأمة وأساسها وأساسها والخط الفاصل بين قوة الأمة وضعفها، فقد أولى النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة بالشباب، وبما أنّ الإمام في المسجد يقوم مقام النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ فالدور الأساسي الأول عليه هو حماية أبناء أمتنا وتحصينهم من التنكر لدينهم أو أن يتطرفوا باعتقادهم أنّ ذلك هو الدين الصحيح، فالإمام يوجههم للوسطية التي تكلم عنها ربنا في كتابه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143].

يقول سعيد حوى في تفسيره: "في عملية استقراء لمظاهر الوسطية في هذه الأمة يقول صاحب الظلال إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعاً فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم. وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم... وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد. أو من الوسط بمعناه المادي الحسي أُمَّةً وَسَطًا. في التصور والاعتقاد... لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح تلبس الجسد، أو جسد تتلبس به روح. ويعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها، في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد واعتدال"¹.

ويقول العلامة التونسي محمد الطاهر بن عاشور: "وَالْأَيَّةُ ثَنَاءً عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدِ ادَّخَرَ لَهُمُ الْفَضْلَ وَجَعَلَهُمْ وَسَطًا بِمَا هَيَّأَ لَهُمْ مِنْ أَسْبَابِهِ فِي بَيَانِ الشَّرِيعَةِ بَيَانًا جَعَلَ أَذْهَانَ أَتْبَاعِهَا سَالِمَةً مِنْ أَنْ تُرَوِّجَ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَاتُ الَّتِي رَاجَتْ عَلَى الْأُمَمِ، قَالَ فَخَرُّ الدِّينِ

¹ ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج 1، ص 303-304.

يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا وَسْطًا بِمَنْعِي أَنَّهُمْ مُتَوَسِّطُونَ فِي الدِّينِ بَيْنَ الْمُفْرِطِ وَالْمُقَرِّطِ وَالْغَالِيِ
وَالْمُقَصِّرِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَغْلُوا كَمَا غَلَتْ النَّصَارَى فَجَعَلُوا الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، وَلَمْ يُقَصِّرُوا كَمَا
قَصَّرتِ الْيَهُودُ فَبَدَّلُوا الْكُتُبَ وَاسْتَخَفُّوا بِالرُّسُلِ¹.

إنَّ الوسطية هي ميزة هذه الأمة، فالشباب عندما يكون وسطيا في التدين لا يمكن لأي
طرف أن يجتذبه، فترى في واقعنا كارثة حلت بنا وهي إسقاط القدوات والعلماء في المجتمع
تحت غطاء البدعة من طرف شباب التزموا حديثا، وهذه كارثة عظيى ينبغي لأئمة
المساجد إدراكها والحديث عنها في الخطب والدروس، بينما نرى من الشباب من انسلخ عن
دينه وأصبح يرى الإسلام حملا ثقيلا عليه، وبعضهم غارق في بحار الشهوات حتى قال لي
أحدهم من قال لك أَنَّ القرآن كلام الله عز وجل، هل رأيته لما أنزل القرآن، فالشباب
بحاجة ماسة للخطاب المسجدي التوعوي الذي يواكهم بلغة عصرهم لإنقاذهم من براثن
الأفكار العلمانية والتطرف، وهم في حاجة ماسة لأئمة المساجد ينصحوهم في كل مكان،
ولا يكتفي الإمام بمسجده فقط لأنَّ غالب الشباب المنحرف لا يستطيع نفسيا أن يذهب
للمسجد للصلاة لأنه يخاف من كلام الناس ونظراتهم له.

المطلب الثالث: الجانب الأخلاقي.

لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام التي تحمل في طياتها العقيدة
الصحيحة والشريعة القويمة والأخلاق الجملة والرفيعة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"² يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره: "وَقَدْ
أَخَذَتْ قَضِيَّةُ الْأَخْلَاقِ عَامَّةً، وَأَخْلَاقُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَاصَّةً مَحَلَّ الصَّدَارَةِ مِنْ
مَبَاحِثِ الْبَاحِثِينَ، وَتَقْرِيرِ الْمُرْشِدِينَ، فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ لِلْعُمُومِ أَسَاسُ قِيَامِ الْأُمَمِ، وَعَامِلُ
الْحِفَاطِ عَلَى بَقَائِهَا، وَقَدْ أَجْمَلَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْبَعْثَةُ كُلُّهَا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي
قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ؛ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»"³.

ويقول العلامة الأمين الشنقيطي وهو يتحدث عن أسس الأخلاق في المجتمع: "اتَّفَقَ
عُلَمَاءُ الْاجْتِمَاعِ أَنَّ أُسُسَ الْأَخْلَاقِ أَرْبَعَةٌ: هِيَ: الْحِكْمَةُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدَالَةُ،

¹ التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (ج2، ص18).

² السنن الكبرى، أبو بكر البهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ومعالمها التي من كان متخلقا بها،
رقم: 20819، (ج21، ص28).

³ ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (ج8، ص248).

وَيُقَابِلُهَا رَذَائِلُ أَرْبَعَةٍ: هِيَ الْجَهْلُ، وَالشَّرُّ، وَالْجُبْنُ، وَالْجَوْرُ. وَيَتَفَرَّغُ عَنْ كُلِّ فَضِيلَةٍ فُرُوعُهَا: الْحِكْمَةُ: الذِّكَاؤُ وَسُهُولَةُ الْفَهْمِ، وَسِعَةُ الْعِلْمِ. وَعَنِ الْعِفَّةِ: الْقَنَاعَةُ، وَالْوَرَعُ، وَالْحَيَاءُ، وَالسَّخَاءُ، وَالِدَّعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالْحُرِّيَّةُ. وَعَنِ الشَّجَاعَةِ: النَّجْدَةُ، وَعِظْمُ الْهِمَّةِ. وَعَنِ السَّمَاحَةِ: الْكَرَمُ، وَالْإِيثَارُ، وَالْمُوَاسَاةُ، وَالْمُسَامَحَةُ.

أَمَّا الْعَدَالَةُ - وَهِيَ أُمُّ الْفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ - فَيَتَفَرَّغُ عَنْهَا: الصَّدَاقَةُ، وَالْأُلْفَةُ، وَصِلَةُ الرَّجْمِ، وَتَرْكُ الْحَقْدِ، وَمُكَافَأَةُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ، وَاسْتِعْمَالُ اللَّطْفِ. فَهَذِهِ أَصُولُ الْأَخْلَاقِ وَفُرُوعُهَا، فَلَمْ تَبْقَ خَصْلَةٌ مِنْهَا إِلَّا وَهِيَ مُكْتَمِلَةٌ فِيهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ¹.

إنَّ الأخلاق هي أحد أعمدة الإسلام، فمن خلال حديث العلامة الأمين الشنقيطي يتضح مدى حماية الأخلاق لأمن المجتمع، لكن الناظر في واقعنا يرى تردياً واضحاً للعيان في الأخلاق خاصة في فئة الشباب والفتيات، وإنَّ من بين الإسهامات المسجدية للحفاظ على أمن المجتمع ما يلي:

*مكافحة الفساد الأخلاقي المنتشر في المجتمع:

يواجه الشباب والفتيات موجة عاتية وكبيرة من الانحلال الأخلاقي والتفسخ القيمي لإسقاطهم في شباك الآثام والمعاصي والشهوات والملذات، وهو ما يجعلهم أداة سهلة للتحكم فيهم، فأخطر ما يواجهه هذا الجيل هو علاقة الذكر بالأنثى في ظل النظام العالمي المعادي للمبادئ والقيم والأخلاق الإسلامية، ومن هنا يأتي الدور الفعال للمسجد في محاربة هذه الظاهرة الخطيرة التي فتكت بالمجتمعات الإسلامية وجعلت منهم أسرى شهواتهم، فالشباب اليوم بل حتى الكبار أصبح لا يفكر إلا في المتعة ما بين رحم يدفع وأرض تبلع، فينبغي للأئمة طرق هذا الباب المهم، وعدم ترك الحديث عنه بحجة أن المجتمع لا يقبل هكذا مواضيع، بل الواجب تثقيف المجتمع شرعياً في هذا المجال وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فلا يمكن للإمام أن يترك الواقع الفاسد الذي يراه أمام عينيه ولا يحرك ساكناً، فإننا في عصر قد فتحت فيه أبواب الشهوات على مصراعها، كل شيء سهل متاح الوصول إليه فتجد من الشباب من يقول لك أنا شاب أتفجر فتوة وطاقة وقوة ودم الشهوة يغلي في عروقي وينبض بين جوانحي فيؤدي به هذا إلى الفساد الأخلاقي، فهنا يأتي دور الإمام بإقناع الشباب بالحلول الشرعية المتمثلة في الزواج، فقد قال النبي

¹ المصدر السابق، (ج8، ص251-252)

صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج" وأيضا استعمال أساليب الإقناع العقلية والقلبية التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي جاءه قال رخص لي في الزنى، فالعلاقات الأخلاقية التي نراها في مجتمعنا هي تهديد خطير لأمن المجتمع، تهديد لكيان الأسر برمتها، تهديد لأمن البلاد، تهديد لأمن الأشخاص، فعندما تعطى للمسجد مكانته والإمام مكانه الذي وضعه في الإسلام، وعندما يقتنع كل شاب وشابة فكريا وعقديا وأخلاقيا أنّ تلك ثقافة غريبة مقبلة الهدف من ورائها ضرب الإسلام في الصميم فسيحفظ الأمن في المجتمع.

*إعادة بعث شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمليا وواقعا:

إنّ من أهم الوسائل العملية لحفظ أمن المجتمع هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 110] قال الفخر الرازي: "وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ: الْأُئِمَّةُ الْمُتَّصُونَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى لِجَلِّ إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَإِظْهَارِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ"¹، ثم قال: "وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَي صَرِّفْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ بِسَبَبِ كَوْنِكُمْ أَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ"² وقال القرطبي في تفسيره: "أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ فِيْمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّ الْمُنْكَرَ وَاجِبٌ تَغْيِيرُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَلْحَقْهُ بِتَغْيِيرِهِ إِلَّا اللَّوْمُ الَّذِي لَا يَتَعَدَّى إِلَى الْأَذَى فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجِبُ أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ تَغْيِيرِهِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَيَقْلِبْهُ لَيْسَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. وَإِذَا أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَدَّى مَا عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ سِوَى ذَلِكَ"³ ثم قال في موضع آخر: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ مَدْحٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَا أَقَامُوا ذَلِكَ وَاتَّصَفُوا بِهِ. فَإِذَا تَرَكُوا التَّغْيِيرَ وَتَوَاطَعُوا عَلَى الْمُنْكَرِ زَالَ عَنْهُمْ اسْمُ الْمَدْحِ وَلَحِقَهُمْ اسْمُ الدَّمِّ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِهَلَاكِهِمْ"⁴ فعندما نأتي نطبق كلام الرازي والقرطبي على واقعنا فإنه حقيقة أن المكان الوحيد الذي بإمكان المسلم أن يأمر فيه بمعروف في واقعنا وينهى فيه عن منكر هو المسجد، فالإمام في كل جمعة يؤدي دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه، والأصل أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان تواجد فيه منكر، والواجب أيضا تفعيل النهي عن المنكر بمختلف مستوياته الثلاث كما أشار لذلك النبي صلى الله

¹ مفاتيح الغيب، الرازي، ج 6، ص 518.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 324.

³ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 4، ص 48.

⁴ المصدر نفسه، ج 4، ص 173.

عليه وسلم، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه الثلاث يساوي حفظ الأمن المجتمعي للفرد والمجتمع معا.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين على انتهائي من إعداد هذه المداخلة، وقد توصلت إلى بعض النتائج الآتية:

1. المكانة العظيمة للمسجد في الإسلام وعند المسلمين تدل عليه الآيات القرآنية التي تحدثت عنه والأحاديث النبوية.

2. الحرب الدائرة بين الكيان الصهيوني الغاصب والمقاومة الفلسطينية حول مسرى الرسول هي خير دليل عملي وواقعي على مكانة المسجد الأقصى في قلوب المسلمين.

3. يعتبر تحويل الكنائس إلى مساجد هو شعار البلاد الإسلامية بعد تحريرها من الاستعمار.

4. تعتبر عمارة المساجد معنويا وحسيا وماديا أهم ركيزة في المحافظة على مكانة المسجد في الإسلام.

5. تعتبر مبادرة مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية الوادي حول جمع التبرعات في كل جمعة لمسجد من مساجد الولاية قفزة نوعية في عمارة المساجد.

6. يساهم المسجد بدور مهم جدا في المحافظة على الأمن العقدي للمجتمع المسلم وذلك من خلال محاربة السحر والشعوذة في الواقع.

7. يركز دور المسجد الرئيس في تعزيز الجبهة الاجتماعية بحمايتها فكريا من الأفكار المتطرفة أو المنحرفة.

8. للمسجد الدور الأكبر في معالجة الآفات الأخلاقية بتعزيز الجانب الروحي والتزكوي والإيماني في النفوس ومراقبة الله تعالى.

التوصيات:

1. عقد ملتقيات وطنية ودولية حول إعادة المساجد لمكانها المرموق على كل المستويات.

2. إيجاد حلول حقيقية وعملية لمشكلة محدودية التأثير للخطاب الديني مقارنة

قائمة المصادر والمراجع

- أثر المسجد في تحقيق الأمن الفكري، محمد بن أحمد بن صالح الصالح، ورقة عمل مقدمة للملتقى العلمي الأول للأئمة والخطباء الذي يقيمه المعهد العالي للأئمة والخطباء في رحاب جامعة طيبة في المدينة المنورة في المدة من 17-18/شوال/1430 هـ الموافق 6-7/10/2009 م.
- الأساس في التفسير، سعيد حوى، الناشر: دار السلام- القاهرة، الطبعة: 6، عدد الأجزاء: 11، 1424 هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، 1415 هـ- 1995 م.
- إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، الناشر: المجلس الإسلامي- القاهرة، الطبعة: 4، 1416 هـ- 1996 م.
- تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: 1، 1426 هـ- 2005 م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر- تونس، عدد الأجزاء: 30، 1984 م.
- تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكتز، الناشر: الفروق الحديثة- مصر، الطبعة: 1، 1423 هـ- 2002 م.
- تفسير المراغي، مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: 1، 1365 هـ- 1946 م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الأجزاء: 12، 1990 م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين الحدادي المناوي، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة: 1، 1410 هـ- 1990 م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر- د. عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: 1، 1422 هـ- 2001 م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: 2، 1384 هـ- 1964 م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 15.

- السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية-القاهرة، الطبعة: 1، عدد الأجزاء: 24، 1432هـ-2011م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر بأمر السلطان عبد الحميد الثاني 1311هـ، ثم صورها بعنايته: د. محمد الزهير الناضر، وطبعها الطبعة الأولى عام 1422هـ لدى دار طوق النجاة-بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة، عدد الأجزاء: 9.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، 1374هـ-1955م.
- القول الأحمد في أحكام في حرمة المسجد، عبد الله السهلي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، 1424هـ-2003م.
- لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر-بيروت، الطبعة: 3، عدد الأجزاء: 15، 1414هـ.
- مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- معجم لغة الفقهاء، محم درواس قلعي وحامد صادق قنيي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر، الطبعة: 2، 1408هـ-1988م.
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: 3، 1420هـ.
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الرازي، الناشر: مؤسسة الرسالة-لبنان، الطبعة: 1، 1404هـ-1984م.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن حميد، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع-جدة، الطبعة: 4، عدد الأجزاء: 12.
- نظم الدرر في تناسب الآي والسور، إبراهيم البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، عدد الأجزاء: 22.
- النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، عدد الأجزاء: 6.

مظاهر إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي

ط.د/ وليد عروسي. المشرف: د/ محمد الصديق قادري

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

roussi-walid@univ-eloued.dz



مقدمة

يقول تعالى في محكم تنزيله: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ" 82 الأنعام، فلو لا أن كان الأمن نعمة عظيمة ما وعد الله عباده المؤمنين بها، وما ذكر تفضله على قريش بهذه النعمة إذ قال: "الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" 4 قريش، فتوفر الأمن سبب الازدهار والحضارة ومن دونه لا يكون للحياة معنى ولا هدف، وقد توافق على هذا كل البشر وتسابقوا في سبيل تحقيقه وتوطيده بشتى الوسائل، وبذلوا الوقت والمال لدراسة أنجع السبل لحفظ هذه النعمة وحمايتها من الزوال.

أهمية الموضوع: يشغل موضوع الأمن دوائر صنع القرار ويؤرقها، وقد تطور وتوسّع مفهوم الأمن إلى شتى نواحي الحياة ولم يعد مقتصرًا على الشكل التقليدي الذي يُعالج بالجيش وقوى الأمن الأخرى، فقد توسع ليشمل ميادين الاقتصاد والطاقة والبيئة والغذاء والمعلوماتية وغيرها، ومن بين هذه المجالات أيضا الأمن المجتمعي؛ الذي يتناول موضوع الهوية، ويجعل قضية الهوية عرضة للدراسات الأمنية التي لم تكن في السابق تتناول مثل هذه القضايا ذات الطابع الثقافي.

حرصا من جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي لتقديم دراسات تلامس الواقع المعاش للمواطن الجزائري، وتبسيط الضوء على ما يوفر حياةً أحسن للفرد الجزائري ضمن مجتمع يجمع بين الأصالة والمعاصرة، جاء الملتقى الوطني التاسع حول موضوع الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022م، لتقييم دور المسجد والخطاب المسجدي منذ فجر الاستقلال المجيد إلى الوقت الحاضر، في الحفاظ وترسيخ الأمن المجتمعي الذي تزخر بها بلادنا عموما ومنطقة وادي سوف خصوصا، لذلك كان لزاما على

النخبة الأكاديمية دراسة مظاهر إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي؛ ليتسنى تحديد مواطن النقص لتداركها، واثمين مواطن القوة للحفاظ على مكتسباتها.

الإشكالية: تتركز إشكالية المداخل الرئيسية في إبراز ماهية الأمن المجتمعي وتفعيل دور المسجد في الحفاظ على هذا المكسب الحيوي وتنميته بشكل علمي ومدرّس بعيد عن الظن.

الإشكاليات الفرعية:

- التعريف بالمسجد ومؤسسة المسجد بما يوفره الإطار القانوني الجزائري.
- ضبط مفهوم الأمن المجتمعي وما يرافقه من مصطلحات.
- إبراز أهم محددات الأمن المجتمعي وفق نظرة مدرسة كوبنهاغن.
- تحديد الدور المناط بالمسجد لعبه للحفاظ على الأمن المجتمعي.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: إسرائ موسى محمد سليمان، المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع- دراسة موضوعية، وهي رسالة ماجستير تحت إشراف زهدي محمد أبو نعمة، الجامعة الإسلامية بغزة، التي تناولت دور المساجد في بناء الفرد والمجتمع بترسيخ محبته في قلوب الناس من خلال بلورة أهميتها وتوظيفها من قبل المؤسسات التعليمية، والتربوية، والاجتماعية بما ينعكس على دورها الحقيقي في بناء الفرد والمجتمع، إضافة إلى إبراز وظائفها المتنوعة في جميع مجالات الحياة المختلفة.

الدراسة الثانية: مليكة هاشمي، نبيلة بن يحيى، الأمن المجتمعي: دراسة في المفهوم، النظرية والتهديدات، وقد تطرقت الدراسة لمختلف تعاريف الأمن المجتمعي والمفاهيم ذات الصلة، وكذا إلى تفسير "باري بوزان" للظاهرة الأمنية من خلال إعادة النظر في مدى تأثير العوامل غير المادية في ظل تزايد دور المتغير الاجتماعي والثقافي.

الدراسة الثالثة: سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية، التي تطرقت للتطور الذي شهده التفكير الأمني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة عبر التركيز على الأطر والبنى المعرفية للاتجاهات النظرية الكبرى في العلاقات الدولية، من خلال الإجابة عن سؤال أساسي مفاده: إلى أي مدى أسهمت نظريات العلاقات الدولية في التطور الفكري الذي شهده مفهوم الأمن في فترة ما بعد الحرب الباردة؟

الدراسة الرابعة: صخري محمد، مفهوم الأمن المجتمعي وعناصره في الدين الإسلامي، وقد جمعت هذه الدراسة بين التأصيل الإسلامي للأمن الاجتماعي المجتمعي، وأهم النظريات الحديثة في الدراسات الأمنية للخروج بتوصيات لتحقيق الأمن الاجتماعي والمجتمعي مع مراعاة خصوصية المجتمع الإسلامي.

المنهجية المتبعة: اعتمدت في هذه الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي؛ لما تقتضيه الدراسة من وصف لمظاهر إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي، وتحليل لبعض المفاهيم من أجل فهمها وترسيخ المعلومة في الأذهان، وقد قسمت هذه الدراسة إلى:

مقدمة: تتضمن أهمية الموضوع تلمها الإشكالية والتساؤلات الفرعية المصاحبة لها، ثم الدراسات السابقة التي تطرقت للموضوع في أحد جوانبه، ثم توضيح للمنهجية المتبعة.

المطلب الأول: تعريف المسجد

المطلب الثاني: مفهوم الأمن المجتمعي

المطلب الثالث: الأمن المجتمعي والمصطلحات المصاحبة له

المطلب الرابع: تهديدات الأمن المجتمعي

المطلب الخامس: دور مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي

خاتمة تتضمن أهم النتائج، ثم تلمها قائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدتها في انجاز هذه الدراسة

1- تعريف المسجد:

تم ذكر مصطلح المسجد أو المساجد 28 مرة في القرآن، كما تم الإشارة للمسجد بلفظ البيوت مرة واحدة، وهذا اللفظ يذهب في معناه إلى:

أ- المسجد لغة: اسم مكان أو مصدر للجذر س ج د، (سجد: إذا انحنى وتطامن إلى الأرض وأَسَجَدَ الرجل: طأطأ رأسه وانحنى، وكذلك البعير، قال الأسدي أنشده أبو عبيد: وقلن له أسجد لليلي فأسجدا يعني بغيرها أنه طأطأ رأسه لتركب، السَّاجِدُ: المنتصب في لغة طيء، قال الزهري: لا يحفظ لغير الليث ابن سَيْدِه قوله: سَجَدَ يَسْجُدُ سُجُودًا وضع جبهته بالأرض، وقوم سُجَدٌ وَسُجُودٌ، والمسْجَدُ، والمسْجِدُ: الذي يُسْجَدُ فيه).¹، و(المسْجَدُ)

¹- انظر ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومن معه، دار المعارف القاهرة مصر، د ط، ج

بفتح الجيم جهة الرجل حيث يصيبه أثر السجود، والآراب السبعة (مَسَاجِدُ)¹.

ب- المسجد اصطلاحاً: (وهو في التعارف اسم للأبنية المتخذة في الإسلام للصلاة ومثله الكنائس لليهود والبيع للنصارى)²، وهذا التعريف ركز على البناء والشبه بين المسجد والكنائس والبيع التي ذكرت في الآية: "... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" (40) الحج، كما عرفته الباحثة إسراء موسى محمد سليمان: (بأنه المكان الذي يُسجد فيه طوعاً على مواضع مخصوصة من بدن الإنسان، ويُتخذ للصلاة والعبادة و ذكر الله)³، ويعاب على هذا التعريف حصره لدور المسجد في الجانب التعبدي المحض مهملًا باقي الأدوار المناطة بالمسجد منذ فجر الإسلام. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ لِي نَبِيٌّ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُهُ فَخَرًّا: بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً: الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَأُخْرِجُهَا لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ لَمْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا" أخرجه أحمد، فلو كانت الوظيفة التعبدية هي الوحيدة للمسجد لكان هذا الحديث يغني عن بناء المساجد فكل الأرض مسجد وتلي وظيفة العبادة.

ج- المسجد في التشريع الجزائري: حدد المرسوم التنفيذي 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق لـ 9 نوفمبر 2013م، يتضمن القانون الأساسي للمسجد حيث ورد في المادتين 2 و3 ما يلي: المادة الثانية: المسجد بيت الله يجتمع فيه المسلمون لأداء صلاتهم وتلاوة القرآن الكريم وذكر الله ولتعلم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم. وهو مؤسسة دينية اجتماعية تؤدي خدمة عمومية هدفها ترقية قيم الدين الإسلامي. المادة الثالثة: المسجد وقف عام، لا يؤول أمره إلا للدولة المكلفة شرعاً والمسؤولة عن حرمة وتسييره واستقلاله في أداء رسالته وتجسيد وظائفه⁴. وقد تتعارض جزئية أن المسجد وقف عام،

22، ص 1940.

¹- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان، ط 1999، ص 121.

²- جمال الدين عبد الرحمان ابن الجوزي، نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 1987 م، ص 567.

³- إسراء موسى محمد سليمان، المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع- دراسة موضوعية، رسالة ماجستير تحت إشراف زهدي محمد أبو نعمة، الجامعة الإسلامية بغزة، سنة 2017م، ص 10.

⁴- المرسوم التنفيذي 13-377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق لـ 9 نوفمبر 2013م، يتضمن القانون الأساسي

لا يؤول أمره إلا للدولة مع قوله تعالى في محكم تنزيله: "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" (18) الجن، لكن بالرجوع للدستور الجزائري الذي يقر بأن الجزائر أرض الإسلام في ديباجته ويجعل المادة الثانية منه الإسلام دين الدولة، كما يمثل بيان أول نوفمبر 1954م الوثيقة المرجعية الأولى للدولة الجزائرية التي تنص على: إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية. لذلك فلا تعارض بين الآية الكريمة ونص المرسوم التنفيذي الذي يرجع أمر المساجد للدولة التي هي بالأساس فوق أرض الإسلام وفي إطار المبادئ الإسلامية.

يحتوي موقع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف قائمة تضم أهم 9 مراسيم وقرارات وزارية تضبط عمل المساجد وتحدد أطر النشاط وتقسم المهام والصلاحيات وهي:

- قرار وزاري مشترك مؤرخ في 20 محرم عام 1402 الموافق 17 أكتوبر سنة 1981 يضبط قائمة المساجد ذات الطابع الوطني.

- مرسوم تنفيذي رقم 91-82 مؤرخ في 7 رمضان عام 1411 الموافق 23 مارس سنة 1991 يتضمن إحداث مؤسسة المسجد.

- مرسوم تنفيذي رقم 92-437 مؤرخ في 5 جمادى الثانية عام 1413 الموافق 30 نوفمبر سنة 1992، يعدل ويتمم المرسوم رقم 91-81 المؤرخ في 23 مارس سنة 1991 والمتعلق ببناء المسجد وتنظيمه وتسييره وتحديد وظيفته.

- قرار وزاري مشترك مؤرخ في 24 ذي الحجة عام 1419 الموافق 10 أبريل سنة 1999، يتضمن الخريطة المسجدية.

- مرسوم تنفيذي رقم 13-377 مؤرخ في 5 محرم عام 1435 الموافق 9 نوفمبر سنة 2013، يتضمن القانون الأساسي للمسجد.

- قرار مؤرخ في 19 رجب عام 1438 الموافق 16 أبريل سنة 2017، يحدد القائمة المرجعية لتسميات المساجد.

- قرار مؤرخ في 19 رجب عام 1438 الموافق 16 أبريل سنة 2017، يحدد كيفية الأذان وصيغته.

- قرار مؤرخ في 4 شوال عام 1438 الموافق 29 يونيو سنة 2017، ينظم عملية فتح المساجد.

• قرار مؤرخ في 4 شوال عام 1438 الموافق 29 يونيو سنة 2017، يحدد شكل البطاقة الوطنية للمساجد ومحتواها.

د- المسجد في صدر الإسلام: مثلت هجرة النبي عليه الصلاة والسلام نقلة نوعية للدعوة الإسلامية من طورها السري إلى العلنية وبناء الدولة، وكانت تحديد مكان بناء المسجد النبوي أول خطوة قام بها النبي عليه الصلاة والسلام بمجرد دخول المدينة في حى بني النجار عند أبي أيوب الأنصاري، ولم يكن المسجد النبوي أول مسجد في الإسلام فقد سبقه مسجد قباء في الطريق قبل بلوغه المدينة، وبمجرد الانتهاء من بناء المسجد وحجرات النبي انتقل النبي صلى الله عليه وسلم للعيش فيها، (ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدى تلتقي وتتألف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزاعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون وبث الانطلاقات، وبرلمانا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية. وكان مع هذا كله داراً يسكن فيها عدد كبير من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم هناك دار ولا مال ولا أهل ولا نبون)¹.

بالتأمل في هذا النص للمباركفوري نجد الدور الذي لعبه المسجد في صدر الإسلام وهو:

- الدور التعبدي
- الدور التعليمي والتوجيهي
- دور المنتدى للتقريب بين العناصر القبلية المختلفة
- دور مركز الإدارة والقيادة
- دور البرلمان والمجلس الشوري
- إيواء فقراء المدينة ممن لا مأوى لهم

ورغم كل ما سبق فقد لف المسجد منذ تأسيسه جو ايماني محفوف بالوقار، مُعظّم في صدور المسلمين، لم يعبر عنه أحد كما فعل سعيد ابن المسيب في قوله: (من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيراً)²، ولم تشهد الأمة تغييراً أو جماعة أو حركة تصحيحية إلا وكان المسجد منطلقاً لها.

¹- صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث القاهرة مصر، د ط، ص 157.
²- ابي حامد محمد ابن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم بيروت لبنان، ط1 2005م، ص 180.

2- مفهوم الأمن المجتمعي:

تتباين التعريفات بين مختلف المدارس المتخصصة في الدراسات الأمنية، لكن سنعتمد على معهد كوينهاغن لأبحاث السلام الذي يجعل للأمن المجتمعي مرادف هو الأمن الهوياتي، وتحليل المصطلح إلى؛ "أمن" و"مجتمعي" نجد أن:

أ- الأمن: الذي يقصد به الشعور بالطمأنينة، أما في جانب الدولة فهو: قدرة الدولة على مجابهة الأخطار والتهديدات خاصة منها العسكرية، وكذلك فإنه يرتبط بقدرة الدولة على حماية مصالحها والمحافظة عليها سواء كان ذلك بالحرب أو تجنب الحرب¹، والأمن حاجة حيوية لاستمرارية الإنسان إذا أن الحاجة للأمن تترفع على المرتبة الثانية بعد الحاجات البيولوجية في هرم ماسلو للحاجات الإنسانية كما هو موضح في الشكل التالي:



هرم ماسلو للحاجات الإنسانية

كما أن الحاجة للأمن يُقرها القرآن الكريم في قوله تعالى: "الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ" (4) قريش وجات في سياق إبراز نعم الله تعالى على قريش. يقول الإمام الماوردي: اعلم ان ما به تصلح الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة وأمورها ملتئمة ستة أشياء في قواعدها وإن تفرغت وهي: دينٌ متبع وسلطان قاهر وعدل شامل وأمنٌ عام وخصبٌ دائم وأمل فسيح²، فالأمن حاجة إنسانية لا يختلف فيها مؤمن وكافر.

يعطي وزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت ماكنمارا تأكيداً أن الأمن ليس هو المعدات العسكرية وإن كان يتضمنها، وليس القوة العسكرية وإن كان يشملها، وليس النشاط

¹ - مليكة هاشمي، نبيلة بن يحيى، الأمن المجتمعي: دراسة في المفهوم، النظرية والتهديدات، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد 12، العدد 1، جانفي 2023م، ص164.

² - صخري محمد، مفهوم الأمن المجتمعي وعناصره في الدين الإسلامي، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، نشر بتاريخ 2019/10/12م، تم الإطلاع عليه يوم 2022/3/9م، على الرابط

<https://cutt.us/LXYdZ>

العسكري التقليدي وإن كان ينطوي عليه، إن الأمن هو التنمية، ومن دون تنمية لا يمكن أن يوجد أمن¹، وهذا التعريف يوسّع مفهوم الأمن ليشمل عدة نواحي من الحياة البشرية مضافة للنظرة التقليدية للأمن المتعارف عليها.

ب- المجتمع: وفقاً لـ "دوركهايم" Durkheim تُعرّف المجتمعات (sociétés) على أنها وحدات مكونة من مجموعة من الأفراد التي بفضل اعتقاداتها الدينية ومشاعرها الوطنية المشتركة تحس بوجود رابط بينها على شكل وعي جماعي مستقل يفوق مجموع وعيها الفردي²، وهذا أكثر التعاريف شيوعاً لأنه تعريف العالم الذي أنشأ علم الاجتماع الحديث.

بالرجوع إلى الجمع بين المصطلحين السابقين نجد مصطلح:

ج- الأمن الاجتماعي (Social Security): يعني سلامة المجتمع من الأخطار والتهديدات الداخلية والخارجية التي قد يتعرض لها في حقه من حقب تطوره ونموه. أو الحفاظ على بنية المجتمع ومؤسساته من التصدع والتناقض والجمود الذي قد يصيبها بفعل قوى هدامة لعملية النهوض الحضاري والارتقاء الاجتماعي³، وهذا التعريف غيضى من فيض وكلها تدون حول الشعور الجماعي بالاطمئنان والسلامة على مختلف الأصعدة. أما مصطلحنا الذي نقصده بالدراسة فهو:

د- الأمن المجتمعي (Societal Security): وهو مصطلح جديد نسبياً ظهر في كتابات باري بوزان وأول و ايفرو كلاهما أستاذين باحثين بمعهد كوبنهاغن لأبحاث السلام، أو ما يعرف اختصاراً بمدرسة كوبنهاغن وكان أول من أطلق هذه التسمية على جهود هؤلاء الباحثين هو بيل ماك سويني سنة 1996م، ويعرّف باري بوزان الأمن المجتمعي بأنه الاستمرارية، ضمن الشروط المقبولة للتطور، للأنماط التقليدية للغة والثقافة والهوية الدينية والقومية والعادات⁴، بحسب هذا التعريف فإنه يركز على المجتمع بدل الدولة، ويحاول حماية الهوية بدل الحدود ونظام الدولة، لذلك تعتمد مدرسة كوبنهاغن مركزية المجتمع عكس المدارس الأخرى التي ترى غير ذلك مثل مدرسة فرانكفورت التي تتبنى طرح

1 - العساسة رامي عودة الله، الأمن الاجتماعي في فكر ابن خلدون، مجلة كلية التربية جامعة الأزهر مصر، العدد 180 أكتوبر 2018م، ص 391.

2 - سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، د ط، ص 173.

3 - إحسان محمد الحسن، الأمن الاجتماعي العربي، مجلة النفط والتنمية، دار الثورة للصحافة والنشر بغداد، السنة الخامسة عشرة 1990، ص 59.

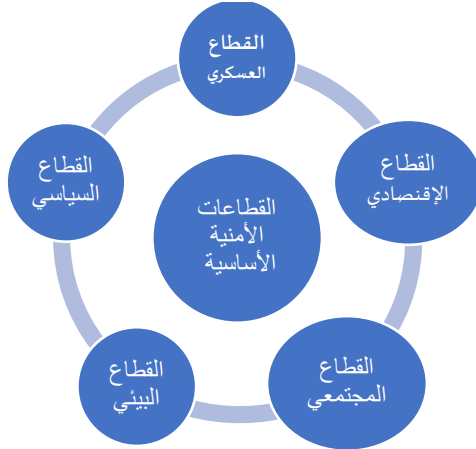
4 - صباح باله، مدرسة كوبنهاغن في تفسير الدراسات الأمنية، الموسوعة السياسية، نشر بتاريخ 2020/12/9م، تم الاطلاع عليه 2023/3/7م، على الرابط <https://cutt.us/7rsSI>.

الأمن القومي ومركزية الدولة.

يرى أول وايفر: أن المخاوف الأمنية المعاصرة هي التي تتناول الحفاظ على الهوية والدفاع عن الثقافة، من خلال اعتماد مفهوم الأمن المجتمعي، الذي يمكن بواسطته تحويل قضية الهوية والثقافة الى قضية أمنية يتم عرضها على أنها مسألة حياة أو موت، وكذا الدفاع ضد الخطر والتهديد¹، ويضيف كذلك أن النخبة السياسية بإمكانه إضفاء الصبغة الأمنية على كل قضية يرونها كذلك بمجرد الحديث عنها، لذلك ترى مدرسة كوبنهاغن عموماً أن العمل الأمني المجتمعي هو عمل خطابي² بالدرجة الأولى.

بالنظر للحقبة التي ظهرت فيها مدرسة كوبنهاغن لأبحاث السلام بالدنمارك نجدها أنشئت سنة 1985م أي في أواخر الحرب الباردة وكانت شاهد عيان على انهيار الاتحاد السوفياتي الذي تعرض لحرب ناعمة استهدفت نسيجه الاجتماعي جعلته يتفكك إلى 15 جمهورية دون خوض حرب أو استخدام القوة العسكرية، كما انضمت معظم هذه الجمهوريات لحلف الناتو الذي كان عدو الأمم، لذلك كان الانتباه الأوروبي شديد لدراسة هذا الأسلوب الجديد في الحرب الناعمة التي تستهدف الأمن المجتمعي عوض الأمن القومي عبر الحرب وضرب الجيش والمؤسسات الصلبة للدولة.

3- الأمن المجتمعي والمصطلحات المصاحبة له: لابد من ضبط بعض المفاهيم وإبراز الفروق بينها حتى يسهل الفهم، وتتضح الفكرة في الأذهان.



القطاعات الأمنية الأساسية عند باري بوزان

1- منير العمري، الأمن المجتمعي: مفهومه وعلاقته بالقطاعات الأمنية الأخرى، مجلة آفاق علمية، المجلد 12 العدد 4 سبتمبر 2020م، ص 585.

2- انظر سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية، ص 120.

أ- الفرق بين الأمن الاجتماعي والأمن المجتمعي:

الأمن الاجتماعي هو كل ما يطمئن الفرد به على نفسه وماله ويضمن الشعور بالطمأنينة وعدم الخوف والاعتراف بوجوده وكيانه ومكانته بالمجتمع¹، وهو المقصود من قول النبي عليه الصلاة والسلام: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِيرِهَا" رواه الترمذي، فالسرب هنا فسرره العلماء بالجماعة التي ينتمي إليها الفرد والتعبير الحديث مجتمعه، كما ويعد الأمن الاجتماعي والهوية الوطنية من العناصر الأساسية للأمن المجتمعي، لذا هناك علاقة وطيدة بينهما، إذ يقسم الأمن المجتمعي حسب مارك ليزينسكي إلى: أمن اجتماعي يتعلق بالتنمية وضمان الحد الأدنى من الدخل وقدرة الدولة على الاستجابة للظروف المعيشية للأفراد والجماعات وضمان حق المشاركة دون تهميش أو إقصاء. إضافة إلى البعد الثقافي الذي يرتبط بالهوية الجماعية² ومنه نصل لنتيجة مفادها أن الأمن الاجتماعي جزء من الأمن المجتمعي الذي يدور بالأساس حول قضية الهوية وحماية الثقافة المحلية.



ب- الهوية:

يعرفها الدكتور جميل صليبا على أنها: المميز عن الأغيار، أي أنها كل الصفات الجسمية والخلقية والنفسية التي تميز الفرد عن غيره. أما الأديب اللبناني أمين معلوف فيقول عن الهوية: هويتي هي ما يجعلني غير متماثل مع أي شخص آخر³، يعلق صامويل هانتنغتون عن الهوية فيقول: الناس يعرفون أنفسهم غالبا من خلال النسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات والمؤسسات الاجتماعية، ويتطابقون مع الجماعات

¹- محمد عبد الله عبد الله متولي فايد، الاستقرار المجتمعي مفهومه مقوماته سبل تحقيقه في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة الشريعة والقانون، العدد 36 سنة 2020م، ص 144.

²- مليكة هاشمي، نبيلة بن يحيى، الأمن المجتمعي: دراسة في المفهوم، النظرية والتهديدات، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد 12، العدد 1، جانفي 2023م،

ص166.

³- أمين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة نبيل محسن، ورد للطباعة دمشق سورية، ط1 سنة 1999م، ص 14.

الثقافية (قبائل - جماعات إثنية - مجتمعات دينية - أمم) ومع الحضارات على المستوى الأكبر. كما يستخدم الناس السياسة لتحديد هويتهم إلى جانب دفع مصالحهم وتنميتها فنحن لا نعرف من نكون إلا عندما نعرف من ليس نحن، وذلك يتم غالباً عندما نعرف نحن ضد من؟¹.

مما يميز الهوية أن الإنسان يميل دائماً إلى تقديم هويته المهددة أو التي يشعر بأنها في خطر، فلو سُئل إنسان في الوضع العادي عن نفسه، لقال: إنّه فلان من العائلة الفلانية، وقد يُعرّف بدينه ووطنه دون اهتمام بالترتيب، وأي هذه الهويات يكون أولاً، أمّا لو سُئل مسلم في سياقٍ حيث يرى من يهاجم الإسلام والمسلمين عن هويته لأجاب أولاً بأنه مسلم قبل كل شيء، أو إن سألنا أحد سكان شمال العراق عن هويته لوجدته يبرز عرقه الكردي عوض انتمائه للبلد الذي يعيش فيه لاعتقاده بأنّ الهوية الكردية مهددة في هذا البلد، وأنها هي الهوية الحقيقية ومضادة للهوية العراقية العربية، ونرى مثل هذا حتى في بلادنا. وجود هويات فرعية تندرج ضمن الهوية الجامعة أمر مشروع ولا بأس فيه، أما الخطر الحقيقي فيمكن في تسلط الهويات الفرعية لضرب الهوية الجامعة واستبدالها، والدخول في صراعات هامشية تستنزف الموارد والأرواح للجماعات التي تتخذ الهويات المختلفة ذريعة للعدوان والحرب، وقد شهدنا هذا إبان الانقلاب الذي قاده كمال أتاتورك على دولة الخلافة، حيث أصبح مركز الاهتمام في هذه الدولة الفتية خلعها للثوب الإسلامي، والانسلاخ التام من القيم والثوابت الدينية، واستبدال كل ذلك بقيم غربية وتغيير حتى الحرف الذي تكتب به اللغة التركية، وتغيير الأذان وكل ما من شأنه إبراز القيم الإسلامية في شتى نواحي الحياة.

ج- المعضلة الأمنية المجتمعية: تعبر مدرسة كونهانغن أحياناً بمصطلح "الأمن المجتمعي"، وأحياناً أخرى "بالمعضلة الأمنية المجتمعية"؛ وتنشأ معضلة الأمن المجتمعي عندما تؤدي جهود إحدى الجماعات لزيادة أمنها المجتمعي (تعزيز هويتها) إلى إشاعة الخوف في الجماعات الأخرى، ما يدفعها بدورها إلى زيادة أمنها المجتمعي، وهكذا تستمر في حلقة مفرغة بين الجماعات، حيث تؤدي المساعي إلى زيادة الأمن إلى إنقاصه في النهاية². وهذا تعريف جامع ومانع تطرق لصلب المعضلة وجعل الهوية هي محور الأمن

1- صامويل هانتنغتون، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب سيمون وشوتر، مركز روكفلر نيو يورك و م أ، ط 2 سنة 1999م، ص 37.

2- سيد أحمد قوجيلي، الدراسات الأمنية النقدية، المركز العلمي للدراسات السياسية عمان الأردن، ط 1 2014م، ص 83.

المجتمعي وأهم مركب فيه، وجعل الصراع بين الهويات أحد أكبر التهديدات التي تواجه الأمن المجتمعي.

4- تهديدات الأمن المجتمعي:

تتعدد هذه التهديدات ويختلف الخبراء في تقسيماتهم لها، لكن تبقى هناك معالم أساسية لتهديد الأمن المجتمعي عبر عدوان خارجي يهدم الهيكل التنظيمي للدولة مثل ما حدث العراق سنة 2003م أو في ليبيا سنة 2011م، وتعبه حالة من الانقسام الداخلي وغياب تام للأمن على مختلف المستويات، ويمكن حدوث هذا الانفلات الأمني عبر فتنة داخلية تتحول إلى حرب أهلية تنسف كل مظاهر الأمن المجتمعي مثل ما حدث في السودان وتمخض عنه انفصال جنوب السودان عن الدولة الأم سنة 2011م، وهناك أمثلة عدة شهدها العالم مروراً بالبلقان سنوات التسعينات والصومال واليمن وكلها أمثلة حية عن فتن تغذى عبر أيادي خفية تسفر عنها مجازر تدمر التماسك المجتمعي للبلدان وتفتت كياناتها.

يضع باري بوزان أحد أهم التقسيمات التي توصل إليها عبر دراسته لمهددات الأمن المجتمعي، وهي كما يلي:

أ- الهجرة:

يعتبر العديد من المختصين الأمنيين أن الهجرة هي الشبح الذي يهدد القارة العجوز، فأوروبا اليوم ديمقراطية وتحل معظم شؤونها الداخلية عبر الانتخابات أو المجالس المنتخبة، لذلك فعدد الأصوات هو من يصنع الفارق، كما أن أوروبا أخذت لقب "القارة العجوز" وهذا ينطبق عليها حرفياً، فمعظم سكان القارة الأصليين من كبار السن، وتشهد هذه القارة أيضاً أضعف نسبة ولادات طبيعية في العالم، وقد كانت تغطي على نقص الولادات الطبيعية بفتح الباب للهجرة حتى تسمر هذه الدول في العيش وتستقطب القوى العاملة التي تدفع عجلة الاقتصاد، لكن هذا الفتح لباب الهجرة جعل دول أوروبا تخشى على أمنها المجتمعي، وتحس بتهديد خطير لهوية مجتمعاتها جراء أعداد المهاجرين المتزايدة التي سترجح على أعداد السكان الأصليين، وبذلك يمتلك المهاجرين الأغلبية في المجالس المنتخبة ويصوتون لصالح تغيير الهوية الوطنية والقومية لدول أوروبا، ورسم مستقبل القارة بما يوافق مصالحهم.

وفق دراسة أجريت¹ حول مستقبل القارة الأوروبية، يستحيل لحضارة ما الاستمرار ما

¹ - دراسة كندية حول الهجرة في أوروبا والغرب رابط الدراسة <https://youtu.be/15SkVfMw5Wk>.

لم تحقق 2.11% أما الحد الأدنى فهو: 1.9% من الزيادات الطبيعية لعدد المواليد، أما ببلوغ النسبة لـ 1.3% فهذه تسمى نقطة اللا عودة حيث ستستغرق بين 80 و 100 سنة لتصحيح هذا النقص في عدد السكان، المفاجئ أن القارة الأوروبية كاملة تصل نسبة الزيادة الطبيعية للمواليد فيها إلى 1.38% (فرنسا 1.8%، إنجلترا 1.6%، اليونان 1.3%، ألمانيا 1.3%، إيطاليا 1.2%، إسبانيا 1.1%) وهذه النسبة في معظمها قادمة من المهاجرين فمثلا في فرنسا نسبة زيادة الولادات الطبيعية لدى المهاجرين تبلغ 8.1% ويبلغ عدد أطفال المهاجرين 45% من عدد الأطفال في كل فرنسا وتبعد النسبة إلى 55% في المدن الجنوبية التي يكثر فيها المهاجرون، هذا إذا علمنا أن فرنسا فيها 67 مليون نسمة منهم 19% مهاجرين، أما المفاجئة الكبرى فهي أن النسبة الأكبر من المهاجرين هم من المسلمين، وبحلول 2027م سيكون واحد من كل 5 فرنسيين مسلما، أما بحلول سنة 2046م ستكون فرنسا دولة ذات أغلبية مسلمة، وسيتجاوز عدد المسلمين فيها 51% من عدد السكان، وستلها ألمانيا سنة 2050م وتكون بذلك آخر دولة أوروبية يبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من نصف السكان، أما دول مثل بلجيكا وهولندا فإنها مع هذا الموعد بداية من سنة 2025م.

عند مشاهدة مثل هذه الإحصاءات والدراسات يتوضح جليا رفض الاتحاد الأوروبي لانضمام تركيا له رغم كل الشروط التعجيزية التي حققتها تركيا في سبيل الانضمام، كما نفهم سبب سيطرة اليمين المتطرف على مقاليد البرلمانات والحكومات التي تتشدد في منع بناء المآذن والأذان والحجاب وكل مظاهر الثقافة الإسلامية التي بلغت حد منع وجبة الشاورمة التركية لأنها تمثل أكلة إسلامية، هذا الخوف الأوروبي وصل أروقة المراكز البحثية والجامعات مبكرا وجعل مواضيع مثل الهوية تأخذ صبغة القضية الأمنية هو جوهر الأمن المجتمعي.

ب- العولمة:

شهدت نهاية الحرب الباردة تفرد أمريكا بقيادة العالم، ورافق ذلك طفرة تكنولوجية في وسائل الاتصال جعلت العالم قرية كونية حسب تعبير مارشال ماركوس، وهذا مهد لانتشار الثقافة الأمريكية وما يرافقها من منتجات ومظاهر، حيث أصبح الجينز وموسيقى الجاز والراب منتشرة على نطاق عالمي، كما أثرت هوليوود على عقول الشباب وجعلت الحلم الأمريكي حلم لكل سكان المعمورة.

في العالم الإسلامي أسيل حبر كثير تنديدا بالعولمة والتحذير من أخطارها ومساوئها، لكن هذه الأخطار لم تكن حصرا على المسلمين فقط، بل تعدى تأثيرها ليشمل الكتلة

الغربية نفسها، فنحن غالبا ما نعادي الغرب وننتقده ونحسبه كتلة واحدة متناسقة وهذا غير دقيق، فالدول الغربية نفسها تفتنت لخطر العولمة وأنها أمركة للعالم وليست تمازج ثقافات كما يتم التسويق له، وأن طغيان النموذج الأمريكي كفيل بالقضاء على باقي النماذج الثقافية تدريجيا حتى الوصول إلى نهاية التاريخ وسيادة الثقافة الواحدة والحضارة المتفردة بتعبير كل من فوكوياما وهانتنغتون، لذلك وضعت العولمة على قائمة التهديدات الرئيسية للأمن المجتمعي؛ لأنها ثقافة بديلة تزاخم الثقافات المحلية وتغير الهوية المجتمعية بشكل جذري مع مرور الوقت.

صدّرت العولمة الثقافة الأمريكية للعالم ومنتجاتها ومظاهرها الحضارية، وصدرت معها مشاكلها والكثير من العقد النفسية والاجتماعية، وعلى سبيل المثال لا الحصر: الجنوح المتزايد للعنف والجريمة، والاستهلاك الواسع للمخدرات والمؤثرات العقلية، الشذوذ الجنسي بمختلف أنواعه، الحركات النسوية والتطرف في حقوق المرأة، المبالغة في التعري واللهث المستمر خلف الموضة والفاشن، الإلحاد المبني على ظنون علمية غير مثبتة، الشراهة المفرطة للمال وحب الاقتناء والتملك، وغيرها من الانحرافات التي لم تكن منتشرة بهذا الشكل الفجح حتى في المجتمعات الأوروبية الغربية.

يلخص المفكر المهدي المنجرة في كتابه "عولمة العولمة" العولمة: تتشبع العولمة وتتغذى من العجرفة الثقافية التي تمنح أصلها من الجهل واللامبالاة تجاه أنساق قيم أخرى وتجاه حقها في الوجود. هذا يؤدي بشكل تدريجي وفعلي إلى نزعة ثقافة تسلطية عالمية "افعل مثلي إن كنت تتشبث بحقك في الوجود"¹، لذلك جُعِلت العولمة أحد أكثر المهددات للأمن المجتمعي لأنها تدمر الأنساق الثقافية الأخرى ولا تجعل لها وزن.

ج- النزاعات الإثنية:

بانهيار جدار برلين ونهاية الثنائية القطبية، تحول التنوع المجتمعي الذي كانت تزخر به بعض الدول المنضوية تحت لواء الاتحاد السوفياتي إلى وبال علمها ومدعاة للتقسيم والحرب، فكانت الدول منارة اقتصاديا وسياسيا عرضة لتمزق مجتمعي عميق أدى في النهاية إلى تمزق الدولة الوطنية ورجوع كل إثنية للانزواء على نفسها وبناء دولة خاصة بها، وقد شهدنا هذا في الاتحاد السوفياتي الذي تحول إلى 15 جمهورية، ويوغوسلافيا التي خرج منها 6 دول إحداها صربيا التي تحوي داخلها إقليمين منفصلين، وكذلك انهيار الوحدة في

¹- المهدي المنجرة، عولمة العولمة، منشورات الزمن الدار البيضاء المغرب، ط2 سنة 2011م، ص 28.

تشيكوسلوفاكيا، بعض هذه الانفصالات جاءت عن طريق سلمي بالانتخابات أما بعضها الآخر فشهد نزاع مسلح أودى بآلاف الضحايا، وبقيت بذور الشقاق حتى اليوم بسبب الدماء التي سفكت جراء تقوقع كل إثنية على نفسها والعداء للأخر.

شهدت القارة الإفريقية كذلك عدة انفصالات دامية لدول وطنية لكن أبرزها الحرب الأهلية في روندا، حيث قتل أكثر من مليون شخص في حرب أهلية بين قبيلتي الهوتو والتوتسي اللتين تمثلان أكبر القبائل في البلاد، وشهدت الكونغو كذلك حرباً أهلية قسمت البلاد، ونفس السيناريو في عدة بلدان من العالم الثالث مع تفاوت في عدد الضحايا ونتائج الانقسام الاجتماعي.

لا تتوقف الانقسامات في شرق أوروبا وإفريقيا فمنطقة الشرق الأوسط كذلك تعرضت ولا تزال لمؤامرات لتفتيت دولها حسب الأعراق والطوائف الدينية واللغوية، فمشروع الشرق الأوسط الجديد للمستشرق برنارد لويس الذي يضع الأسس العملية لتفتيت منطقة الشرق الأوسط وجعل الكيان الصهيوني واحة الديمقراطية والسلام في منطقة متناحرة لا تستقر إلا بتقبل هذا الكيان وجعله عاصمة للمنطقة، هذا المشروع معلن ومعروف وهذه الخريطة توضح مستقبل المنطقة حسب هذا المشروع:



الشرق الأوسط الجديد حسب المخطط الأمريكي

لا يتوقف الأمر عند الدول الإسلامية فعدة دول أوروبية كبرى مهددة بالانقسام والتفكك على غرار فرنسا التي يطالب فيها الكورسك بالانفصال، وإسبانيا التي يطالب كل من إقليم الباسك وكاتالونيا بالانفصال، إضافة لإيرلندا الشمالية واسكتلندا اللتين ترغبان بالانفصال عن التاج البريطاني، وكل هذه الدول ديمقراطية والرغبة في الانفصال متجذرة في هذه المجتمعات لا يمنعها غير بعض المصالح الضيقة التي يمكن أن تنهار في أي وقت، وقد شهدت بعض المناطق أعمال عنف مثل إيرلندا الشمالية وإقليم الباسك في

مرحلة ما وقد تعود للسلاح إذا انهيار التماسك الاجتماعي فيها لأي سبب كان.

5- دور مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي:

يعتبر معهد كونهناغن لأبحاث السلام أن الأمن عمل خطابي حيث يقول أول واييفر: "يمثل شيء ما مشكلة أمنية متى أعلنت النخب أنه كذلك"¹، ويردّف زميله باري بوزان بقوله: "إن إضفاء الطابع الأمني على مجال معين من السياسة العامة يكون عبر عملية خطابية لغوية"²، لذلك كان العامل الخطابي هو المفتاح الأساسي للعمل الأمني عموماً والمجتمعي خصوصاً، إذ يمكن إضفاء الصبغة الأمنية لسياسة أو فعل ما كما يمكن مواجهة تهديدات الأمن المجتمعي عبر العمل الخطابي، وبذلك تكون مؤسسة المسجد إحدى أهم المؤسسات التي يمكنها مواجهات تهديدات الأمن المجتمعي إذا ما أحسن الأئمة استثمار منبر المسجد في هذا السبيل.

قد لا يكون دور المسجد منفرداً كافياً لمجابهة بعض التهديدات، لكن يمكن بتضافر الجهود مع مؤسسات أخرى في الدولة أن تتحقق القدرة اللازمة لمواجهة هذه التهديدات والتغلب عليها، سيتم الحديث عن دور المسجد فقط دون التفصيل في باقي العمل التكاملي الذي اللازم للتغلب على تهديدات الأمن المجتمعي.

أ- دور المسجد في الحد من الهجرة:

ما يهدد الأمن المجتمعي الجزائري ليس بالضرورة متطابق مع رؤية معهد كونهناغن أو غيره من المعاهد الأوروبية، فالهجرة الإسلامية التي تمثل مشكلة عميقة في أوروبا وتهدد بنيتها الاجتماعية ليست بنفس الحدة عندنا، كما أن ظاهرة الهجرة في الجزائر لها بعدين؛ فالجزائر بلد هجرة وافدة للمهاجرين واللاجئين الأفارقة من جنوب الصحراء، وكذلك بلد هجرة نازحة لقوارب الهجرة غير الشرعية نحو جنوب أوروبا، بالإضافة إلى كونها نقطة عبور لعدد كبير من الأفارقة الراغبين في الهجرة نحو أوروبا.

قدرة المسجد الخطابية تقف عاجزة أمام ظاهرة الهجرة سواء منها الوافدة إلى الجزائر

¹- سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية، ص 120.

²- عادل زقاع، المعضلة الأمنية المجتمعية: خطاب الأمنية وصناعة السياسة العامة، دفاتر السياسة والقانون العدد 5 جوان 2011م، ص 109.

أو المغادرة، ولابد من تكاتف جهود عدة مؤسسات في الدولة لمواجهة هذه الظاهرة، خاصة وأن مؤسسة المسجد لا يسعها إصدار فتاوى لتحريم الهجرة لارتباطها الشديد بالتاريخ الإسلامي، فنبيننا محمد صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة، رغم أنه لا هجرة بعد الفتح، إلا أن المخيال الإسلامي عموماً لا يستغني عن الهجرة فقد ورد في الآية الكريمة منسورة النساء: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" 97 النساء، لكن يمكن تحريم الهجرة غير الشرعية لأنها إلقاء بالنفس إلى التهلكة، وهذا أمر لا يهدد الأمن المجتمعي لأن تأثيره ضعيف جداً ولا يكاد يترك أثراً في مستوى الثقافة أو الهوية المجتمعية الجزائرية.

يعاقب القانون الجزائري المهاجر غير الشرعي سواءً الجزائري أو المقيم الذي يغادر أرض الجزائر بطريقة غير قانونية بموجب القانون 01/09 المؤرخ في 25 فبراير 2009م في مادته 175 مكرر 1، لكنه لا يعاقب الوافد غير الشرعي إنما يرخل إلى بلده عملاً بالقانون الدولي الذي يمنع عقاب الفار من بلد من قبل البلد المستقبل بل يسمح بالعقوبة فقط من طرف البلد الأصلي للمهاجر.

الهجرة في الجزائر إبان الوقت الحالي قد تهدد الأمن الاجتماعي للمواطن، كما قد تهدد الأمن القومي للدولة الجزائرية إذا ما تفاقمت هذه الظاهرة وخرجت عن السيطرة وحدث لا قدر الله انفلات أمني وتم تسليح المهاجرين من طرف جهة أجنبية ما كما تشير إليه عدة تقارير استخباراتية، أما تهديد الهوية المجتمعية أو الأمن الاجتماعي فهذا مستبعد في الوقت الحالي وفق الظروف السائدة، لذلك فتهدد الأمن المجتمعي الجزائري عن طريق الهجرة أمر غير وارد ذلك أن الجزائر بلد إفريقي مسلم وكل المهاجرين أفارقة ومعظمهم مسلمين أو مستعدين لتقبل الإسلام، فالعدد الحالي للمهاجرين لا يهدد هوية المجتمع الجزائري الذي يمتلك نسبة 2.5% نسبة زيادة طبيعية تحول بينه وبين تغلب ثقافة الوافد على صاحب الأرض.

أما فيما يخص الأمن القومي فالهجرة الإفريقية خطر داهم على الدولة الجزائرية، خاصة مع ورود تقارير استخباراتية عديدة تحذر من الموجات المتزايدة من المهاجرين التي تهدف لإرهاق أجهزة الأمن، وخزينة الدولة وتشويه سمعة الجزائر على الساحة الدولية إذا ما تم التعامل مع هذا الملف بالشكل الخطأ.

ب- دور المسجد في مواجهة العولمة:

لم تتوانى مؤسسة المسجد في مواجهة العولمة والتغريب الثقافي منذ بروز هذه الظاهرة، ولم تقتصر على العولمة نفسها كتيار فكري واجتماعي إنما تعدتها إلى مواجهة الآثار السلبية لها والأمراض النفسية والاجتماعية التي رافقت العولمة والانفتاح الثقافي الذي شهده العالم الإسلامي منذ سقوط دولة الخلافة سنة 1924م، ومن بين أكثر السموم التي رافقت ظاهرة العولمة: الحركة النسوية، والشذوذ الجنسي والجنوح المتزايد للمؤثرات العقلية والعنف والتعري، والرغبة الملحة للاستهلاك وغيرها من الظواهر التي ما فتأ المسجد يحذر من تبعاتها وتأثيراتها السلبية على المجتمع وهويته.

التوعية المستمرة لجمهور المصلين قد تحول بين طمس هويتهم الوطنية والقومية، وتجعلهم يحافظون على حد أدنى من الارتباط بالمجتمع، ويمنع الانسلاخ التام لأفراد المجتمع من هويتهم خاصة منهم الشباب الذي يتعرض لكم هائل من الرسائل الإعلامية التي تبعده عن هويته وتخلق له هوية بديلة لا جذور لها مستمدة من الثقافة الأمريكية، هذه الثقافة التي ستجعله لا محالة زبونا للبضائع الأمريكية وباقي المنتجات الثقافية والمعنوية.

التركيز على القدوة وإبراز الشخصيات الوطنية والإسلامية من علماء ومفكرين وعظماء، حتى لا يتربى الشباب الجزائري المسلم على الإعجاب بشخصيات أجنبية ويتأثر بها وبمواقفها التي غالبا ما تكون ضد الأمة والوطن، وتغرس في نفسه الأمل بمستقبل أحسن يكون فيه رغيد العيش في متناوله.

الحديث عن أيام الله والانتصارات التي قام بها أجدادنا وأسلافنا، حتى ترسخ الهوية المجتمعية في نفوس الأفراد ويعرفوا من العدو ومن الصديق ولا يكونوا فريسة سائغة لحملات التضليل الإعلامي والدعاية المغرضة التي تتعرض لها بلدان العالم الإسلامي عموما والجزائر خصوصا، ويكون الشخص فخورا بانتمائه للوطن والأمة وينافح عنها، وليس مجرد أسير صعب عليه الترحال فاضطر للبقاء في البلاد.

تعريف جمهور المصلين بالشرور المنبثقة عن العولمة ومظاهرها، فقد ثبت أن الصحابي الجليل حذيفة ابن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فالتنبيه على وجود الشر ليس تسويقا له إنما هو مثل اللافتة التي تخبرك بوجود خطر مجهول أمامك لتحذر ولا تقع

فيه، فتعريف الناس بالأخطار والشرور كفيلا بأن يعمل عمل المضاد الحيوي ويحصن المسلم الجزائري من الذوبان في أسمال العولمة وشرورها.

ج- دور المسجد في الحد من الصراعات الإثنية:

يقول تعالى في كتابه الكريم: "...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" 40 الحج، فالتدافع والصراعات الإثنية والعرقية والدينية بين مختلف الطوائف أمر حتمي لا مفر منه، فهذه سنة كونية مرت على كل الأمم والشعوب، فحتى مجتمع الصحابة الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسلم من هذه الصراعات، فعن جابر ابن عبد الله قال: "عَزَّوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟! ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ فَأَخْبَرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَوْهَا؛ فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ: أَقْدَ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؟ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ" رواه البخاري، فهذه المناكفات والصراعات حادثة لا محالة أما طريقة التعامل معها تختلف من مجتمع لآخر.

شهدت بلادنا بين سنتي 2014 و2015م أحداث أليمة في منطق غرداية الصحراوية، حيث حدثت مناوشات بين السكان المحليين العرب والأمازيغ، راح ضحيتها بعض من خيرة شباب المنطقة من كلا الطرفين، وكانت اللقاءات وجلسات الصلح فيما بعد تتم في المساجد وبحضور وجوه عديدة من علماء وأكابر المنطقة والمسؤولين المتنفذين في الدولة، لكن الفضل في مساعي الصلح كان دائما ما يأتي من المساجد التي كانت تدعو لل تهدئة ونبذ الفتنة منذ أول يوم لهذه الأحداث الأليمة.

تعتبر المساجد أهم فضاء لجمع المتخاصمين تحت سقف واحد بغية إطفاء نار الفتنة قبل استفحاليها، وكانت خطب المنابر دائما صوت العقل الذي يهدأ النفوس ويخرج منها البغضاء، وكان الأئمة على الدوام صوت الحق الذي يلامس الضمائر ويستجدي

العواطف لإبعاد شبح التفرقة والعنف الذي يهدد الأمن المجتمعي بشكل عميق، فالاختلاف والتنافس أمر جائز ولا ضير فيه، أما جعل الاختلاف مطية لبث الأحقاد وجمع المؤيدين لتصفية حسابات ضيقة فتلك الكارثة التي جعل الله المساجد لها بالمرصاد.

يمكن للمسجد أن يلعب دورا وقائيا بنبذ التفرقة والعنف قبل حدوثه؛ وذلك بالتركيز على العوامل المشتركة بين الشعب الواحد كالمصير المشترك، والدين الواحد ولو اختلفت المذاهب، والتاريخ النضالي الحافل بالانتصارات، والذاكرة الجماعية التي عانت ويلات الاستعمار الذي لم يفرق بين إثنية وأخرى أو بين مذهب وآخر، وكذلك المستقبل المشرق الذي تنعم به الدول المستقرة التي لا تتصارع داخليا فيما بينها، كما تجدر الإشارة إلى نبذ كل أشكال العنصرية والخطاب التفضيلي أو الاستعلاء على الآخر مصداقا لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" 13 الحجرات، وقد ورد في خطبة الوداع قوله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لأدم وأدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى - ألا هل بلغت.... اللهم فاشهد"، فهذه هي روح الإسلام وتعاليمه ولا يكون لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة نصل للنتائج التالية:

1. الدور الذي تلعبه مؤسسة المسجد اليوم في ظل القانون الجزائري هو استمرارية لمسار طويل لعبه المسجد منذ صدر الإسلام.
2. كل ما يهدد المجتمع واستقراره يمكن إعطائه الصبغة الأمنية لدراسته بشكل أعمق وحشد التأييد الشعبي للتغلب عليه.
3. الأمن المجتمعي مصطلح دقيق لا بد من فهم عدة مصطلحات مصاحبة له لترسيخ المعلومة في الذهن.
4. تهديدات الأمن المجتمعي لمجتمع ما تنبع من السياسات الخاطئة المتبعة والمتركمة عبر السنوات، وليست بالضرورة حقائق ثابتة لا تتغير.
5. تحقيق الأمن المجتمعي عمل تكاملي بين أجهزة الدولة، واستخدام مؤسسة المسجد بالطريقة التقليدية يحد من تأثيره ما لم تتكاتف الجهود وفق استراتيجية واضحة ومتكاملة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومن معه، دار المعارف القاهرة.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان، ط 1999 م.
- جمال الدين عبد الرحمان ابن الجوزي، نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 3 1987 م.
- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث القاهرة مصر، د ط.
- أبو حامد محمد ابن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم بيروت، ط 1 2005 م.
- أمين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة نبيل محسن، ورد للطباعة دمشق سورية، ط 1 سنة 1999 م.

- صامويل هانتنغتون، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب سيمون وشوتز، مركز روكفلر نيويورك و م أ، ط 2 سنة 1999 م.
- سيد أحمد قوجيلي، الدراسات الأمنية النقدية، المركز العلمي للدراسات السياسية عمان الأردن، ط 1 2014 م.

- المهدي المنجرة، عولمة العولمة، منشورات الزمن الدار البيضاء المغرب، ط 2 سنة 2011 م.
- سليم قسوم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، د ط.

الرسائل الجامعية:

- إسراء موسى محمد سليمان، المساجد ودورها في بناء الفرد والمجتمع- دراسة موضوعية، رسالة ماجستير تحت إشراف زهدي محمد أبو نعمة، الجامعة الإسلامية بغزة، سنة 2017 م.

المنشورات الرسمية:

- الدستور الجزائري 2016 م.
- المرسوم التنفيذي 13 - 377 المؤرخ في 5 محرم 1435 هـ الموافق ل 9 نوفمبر 2013 م، يتضمن القانون الأساسي للمسجد، الصادر بالجريدة الرسمية عدد 58 المؤرخ في 14 محرم 1435 هـ الموافق ل 18 نوفمبر 2013 م.

المجلات:

- مليكة هاشمي، نبيلة بن يحي، الأمن المجتمعي: دراسة في المفهوم، النظرية والتهديدات، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، المجلد 12، العدد 1، جانفي 2023 م، ص 164.
- صخري محمد، مفهوم الأمن المجتمعي وعناصره في الدين الإسلامي، الموسوعة الجزائرية

للدراستات السياسية والاستراتيجية، نشر بتاريخ 2019/10/12م، تم الإطلاع عليه يوم 2022/3/9م، على الرابط <https://cutt.us/LXYdZ>.

- العساسة رامي عودة الله، الأمن الاجتماعي في فكر ابن خلدون، مجلة كلية التربية جامعة الأزهر مصر، العدد 180 أكتوبر 2018م.

- إحسان محمد الحسن، الأمن الاجتماعي العربي، مجلة النفط والتنمية، دار الثورة للصحافة والنشر بغداد، السنة الخامسة عشرة 1990م.

- صباح بالة، مدرسة كوبنهاغن في تفسير الدراسات الأمنية، الموسوعة السياسية، نشر بتاريخ 2020/12/9م، تم الإطلاع عليه 2023/3/7م، على الرابط <https://cutt.us/7rsSl>.

- منير العمري، الأمن المجتمعي: مفهومه وعلاقته بالقطاعات الأمنية الأخرى، مجلة آفاق علمية، المجلد 12 العدد 4 سبتمبر 2020م.

- محمد عبد الله عبد الله متولي فايد، الاستقرار المجتمعي مفهومه مقوماته سبل تحقيقه في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة الشريعة والقانون، العدد 36 سنة 2020م.

- عادل زقاع، المعضلة الأمنية المجتمعية: خطاب الأمنية وصناعة السياسة العامة، دفاتر السياسة والقانون العدد 5 جوان 2011م.

الفيديوهات:

-دراسة كندية حول الهجرة في أوروبا والغرب رابط الدراسة

<https://youtu.be/15SkVfMw5Wk>

أهمية الرسالة المسجدية في معالجة بعض المتغيرات العصرية بولاية الوادي

ط.د/ حمادة ميلودي – بإشراف: أ.د/ كمال قدة

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

hamama-miloudi@univ-eloued.dz



مقدمة

تمهيد:

الحمد لله المتفضل بآلائه، المتجلي بعطاياه، واهب النعم، ومزيل النقم، من أعطانا فأدهشنا، ومن ابتلانا فصبرنا، ومن خيره دائم نحن مسرلين فيه، وأصلي وأسلم على معلم الناس الخير محمد بن عبد الله وبعد، فإن خير البقاع إلى الله سبحانه وتعالى المساجد، فقد كانت منذ القديم مركز الإشعاع النوراني للأمة الإسلامية، وهذا ما يُبرز لنا أنّ لبيوت الله عز وجل مكانة عظيمة، وقدّر جليل في الإسلام.

1. التعريف بالموضوع:

يعد المسجد من بين الأولويات التي اهتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهذا فيه رمزية وإشارة إلى تعظيم الإسلام للمساجد ليؤكد على رسالية المسجد في الإسلام، فمن تخطيطاته صلى الله عليه وسلم حل كثير من القضايا كتوحيد الأوس والخزرج وغيرها، فرأى أنّ المسجد هو أول مؤسسة يمكن أن تستقطب فيه مختلف القضايا وتُحلّ فيه جميع المشكلات فالمسجد كان ولا زال منذ القديم يواكب مسيرة المجتمع ويعالج الاختلالات التي تقع فيه منذ عهد النبي إلى عصرنا، إلا أنّ رسالة تتغير بتغير الزمان والمكان، ومن بين هذه الأزمنة زماننا الذي نعيش فيه، ومن بين الأمصار بلدنا الجزائر وخاصة ولاية الوادي، فهي تشهد كثيرا من المتغيرات على مختلف الأصعدة والمستويات، فالخطاب المسجدي في الوقت الراهن أصبح تأثيره محدودا مقارنة بالأزمنة التي كان الخطاب المسجدي في ولاية الوادي في أوج قوته وتأثيره.

2. أهمية الموضوع:

1. المكانة الكبيرة للمسجد في الإسلام.
2. كون المسجد أهم أعمدة التغيير في العالم؛ ومنها في الجزائر، وفي الوادي خصوصا.
3. كون المسجد مصدر الحفاظ على المرجعية الدينية والهوية الوطنية للبلد الذي فيه مؤسسة المسجد.

4. المكانة العظيمة للمسجد في نفوس المسلمين والمسلمات من أهل واد سوف.
5. الموقع الاستراتيجي الذي تمتع به ولاية الوادي من الناحية الجغرافية.

3. الإشكالية:

أين تكمن رسالية المسجد في ظل المتغيرات في العصر الحديث بولاية الوادي؟ وما هي أبرز الجوانب التي يبرز فيها الجانب الرسالي للمسجد بولاية الوادي؟

4. الدراسات السابقة:

1. أثر المسجد في تحقيق الأمن الفكري والانتماء الوطني، محمد بن أحمد بن صالح الصالح، ورقة عمل مقدمة للملتقى العلمي الأول للأئمة والخطباء الذي يقيمه المعهد العالي للأئمة والخطباء في رحاب جامعة طيبة في المدينة النبوية، سنة: 1430هـ-2009م.
2. المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلقات العلمية، عبد الله قاسم الوشيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ.
3. الدور التربوي والتعليمي للمساجد بمدينة قمار 1919-1962، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إعداد الطالبتين: رحمة لعويد وسمية عربية، تحت إشراف: أ.د. علي غنابزية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الوادي، سنة: 1440-1441هـ/2019-2020م.

5. منهجية المعالجة والتقسيم:

تمت عملية معالجة البحث وتقسيمه وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: المسجد في ولاية الوادي.

المطلب الأول: تعريف المسجد.

المطلب الثاني: أهمية المساجد في ولاية الوادي.

المطلب الثالث: رسالة المساجد في ولاية الوادي.

المبحث الثاني: الرسائل المسجدية في معالجة متغيرات العصر بولاية الوادي.
المطلب الأول: الرسالة الإصلاحية الروحية.
المطلب الثاني: الرسالة الإصلاحية الاجتماعية.
المطلب الثالث: الرسالة الإصلاحية الأخلاقية.

المبحث الأول: المسجد في ولاية الوادي

إنَّ الحديث عن ماهية المسجد يشمل التعريف بالمسجد بشقيه اللغوي والاصطلاحي أو الشرعي، وأيضا الحديث عن الأهمية الكبرى التي يكتسبها المسجد في الإسلام وعند المسلمين عموما، ومن خلال هذه المكانة التي يحتلها المسجد في الأمة الإسلامية فإن له رسالة وظيفية يؤديها على الدوام يجدر الحديث عليها.

المطلب الأول: تعريف المسجد.

1. تعريف المسجد لغة:

• هو مصدر من الفعل الثلاثي سجد: قوله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ وَالْمَسْجِدُ اسْمٌ جَامِعٌ يَجْمَعُ الْمَسْجِدَ، وحيث لا يُسَجَّدُ بعد أن يكون اتُّخِذَ لذلك، فأما الْمَسْجِدُ مِنَ الْأَرْضِ فَمَوْضِعُ السُّجُودِ نَفْسِهِ¹.

• [سجد] سَجَدَ: خضع. ومنه سُجُودُ الصَّلَاةِ، وهو وَضْعُ الْجَنْبِ عَلَى الْأَرْضِ. والمسجد: واحد المساجد والمسجدان: مسجد مكة ومسجد المدينة. وَالْمَسْجِدُ بِالْفَتْحِ: جِهَةُ الرَّجْلِ حَيْثُ يَصِيبُهُ نَدْبُ السُّجُودِ.²

إنَّ خلاصة المعنى اللغوي للمسجد الذي هو مفرد مساجد من خلال عرضي لهذه التعريفات الثلاثة من المعاجم اللغوية يدور حول الموضع الذي يسجد فيه الإنسان، والخضوع، ووضع الْجَنْبِ عَلَى الْأَرْضِ، والبيت الذي يسجد فيه، وموضع التعبد وهذه المعاني اللغوية كلها تؤدي بنا إلى معرفة معناه الشرعي أو الاصطلاحي.

2. تعريف المسجد شرعا:

• وأما شرعا فكل من الأرض لقوله صل الله عليه وسلم: "جعلت لى الأرض مسجدا"

¹ ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ج6، ص49).

² ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح، الجوهري، (ج2، ص483-485).

وهذا من خصائص هذه الأمة¹.

• قال ابن حجر في قوله: "جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا": أي: موضع سجود، لا يُختص السجود منها بموضع دون غيره. ويمكن أن يكون مجازًا عن المكان المبني للصلاة، وهو من مجاز التشبيه؛ لأنه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك.

• قال ابن التَّيْن: "جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا وَجَعَلْتَ لَغَيْرِي مَسْجِدًا وَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ طَهْرًا"؛ لأن عيسى عليه السلام: كان يسيح في الأرض ويصلي حيث أدركته الصلاة. قال ابن حجر: كذا قال، وسبقه إلى ذلك: الداودي².

أما الجامع: فهو نعت للمسجد؛ لأنه يجمع أهله؛ ولأنه علامة للاجتماع، فيقال: المسجد الجامع، ويجوز "مسجد الجامع" بالإضافة، بمعنى: مسجد اليوم الجامع، ويقال للمسجد الذي تصلى فيه الجمعة، وإن كان صغيرا؛ لأنه يجمع الناس في وقت معلوم³.

من خلال هذه المعاني نستخلص إلى أنَّ المسجد هو المكان المخصص الذي يجتمع فيه المسلمون لأداء عباداتهم وإقامة شعائرهم الدينية والتعبدية وإصلاح شؤونهم.

المطلب الثاني: مكانة المساجد في ولاية الوادي.

تعد ولاية الوادي من أهم ولايات الجزائر على مختلف المستويات الدينية والاقتصادية والسياسية لكونها في منطقة حدودية استراتيجية حساسة تربطها مباشرة بدولة تونس عبر المعبر الحدودي الطالب العربي؛ وهذا ما جعلها في الآونة الأخيرة تشهد العديد من المتغيرات والأفات الاجتماعية الخطيرة، من هنا كان للمساجد في هذه الولاية لها أهمية كبيرة في التصدي عقائديا وفكريا وأخلاقيا لعديد الظواهر الاجتماعية، حيث تبرز مكانة المساجد في ولاية الوادي فيما يلي:

1. المساجد في الوقت المعاصر تمثل أمل الأمة للنهوض بها بعدما تسلط عليها اعداؤها؛ ومنها مساجد ولاية الوادي، ولعل المسجد الأعظم في بلادنا الجزائر يقود الأمة الإسلامية إلى نهضة عالمية تنافس بها قوى العالم الغربي.

2. تكتسي المساجد أهميتها من دورها الفعال في نشر العلم والمعرفة، وهو الساحة

¹ إعلام الساجد بأحكام، محمد بن عبد الله الزركشي، ص 28.

² تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد، الجراعي، ص 47-48.

³ المساجد مفهوم، وفضائل، وأحكام وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، ص 7.

الروحية في إخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ منها مساجد الوادي، وهو ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده بالمدينة المنورة.

3. العدد الكبير للمساجد في ولاية الوادي، حيث يقارب العدد 600 مسجداً، وهذا يدل على مكانة المساجد عند أهل واد سوف.

4. تعتبر ولاية الوادي من أكثر الولايات في الوطن التي تحتوي على كثير من المساجد.

5. توافد العديد من الأئمة والمرشدين والموظفين في قطاع الشؤون الدينية من خارج ولاية الوادي للعمل في مساجدها.

6. الحركة القرآنية الكبيرة في السنوات الأخيرة على حفظ القرآن في مساجد الوادي من مختلف ولايات الوطن بعدما كانت الجمعيات الدينية وحدها هي من تخرج حفظة القرآن، ونموذج ذلك تخريج الإمام أحمد دوش إمام مسجد الشهداء لدفعتين في حفظ القرآن من مختلف الولايات.

7. حفاظ المجتمع السوفي على مظاهر التدين مقارنة ببعض الولايات الجزائرية؛ وهذا راجع لمكانة المسجد في الحفاظ على هوية المنطقة.

8. ورود ذكر المسجد الأقصى في القرآن الكريم تصريحاً مرة واحدة، والدولة الجزائرية من ثوابتها القضية الفلسطينية، فوزارة الشؤون الدينية دوماً ما ترأس المساجد وطيناً، ومنها مساجد ولاية الوادي للحديث عن القدس والمسجد الأقصى وفلسطين.

9. المسجد هو المكان الرئيس الذي ينطلق منه تعلم الدين وتوعية المسلمين لما يحتاجونه من أمر دينهم، وولاية الوادي معروفة بأنها ولاية القرآن.

9. المساجد تعد من أفضل الأماكن للتكافل الاجتماعي في ولاية الوادي، ويبرز ذلك في قوافل المساعدات التي خرجت من مساجد الوادي لمساعدة إخوانهم في منطقة القبائل في نكبتهم بالحرائق صيف 2021، فقد كان فقراء المسلمين أيام النبي صلى الله عليه وسلم يبيتون في مسجد رسول الله وكانوا يسمّون بأهل الصفة.

10. يمثل المسجد في ولاية الوادي أحد مراكز القوة وطيناً في الحفاظ على المرجعية الدينية المالكية، وذلك بشرح متون الفقه المالكي في المساجد كشرح البروفيسور خريف زتون لمتن أسهل المسالك بمسجد علي بن خزان بدائرة الدبيلة؛ فشرحه موجود على قناته في اليوتيوب، وكذلك البروفيسور كمال قدة بخطبه بمسجد الإمام الغزالي بحي المنظر الجميل (القارة) التي يدعو فيها للمحافظة على المرجعية للبلد كالتزام التام بالقراءة

برواية ورش عن نافع في مساجد الوطن جميعا ومساجد ولاية الوادي خصوصا.
11. تمثل مساجد ولاية الوادي قطبا دينيا وطنيا بل دوليا، ويبرز ذلك في استقطاب
دعاة وعلماء كبار أمثال الداعية عمر عبد الكافي والدكتور محمد راتب النابلسي.

المطلب الثالث: رسالة المساجد في ولاية الوادي.

جعل الله عز وجل للمسجد في الإسلام مكانة عظيمة مستمدة من القرآن والسنة،
وإنّ من أهم أركان المسجد هي رسالته ومبلغ رسالة المسجد، فهذه الرسالة تقتضي أن من
يقوم برسالة المسجد أن يكون على قدر مسؤولية هذه الرسالة العظيمة، فيجدر بنا في
هذا البحث أن نعرض عن أهم الجوانب الرسالية للمسجد في ولاية الوادي، وأيضا إعادة
بعث رسالة المسجد الحقيقية في الولاية بعد الركود التي شهدته المساجد في الوقت
المعاصر مقارنة بما كان في قديما، فالوادي تعتبر بلد العلماء كالشيخ محمد عز الدين
عباسي والمؤرخين كأبي القاسم سعد الله، فإذا أردنا أن نوّدي رسالة المسجد كما ينبغي فلا
بد من صياغة الحاضر على مقاييس الماضي، وأن نستحضر الماضي لمقاييس الحاضر،
ومن القضايا المعاصرة:

1. تجديد الخطاب المسجدي بولاية الوادي:

إنّ عملية تجديد الخطاب الديني ترتكز بدرجة أولى على واقع الناس المعاش، وهذا
التجديد يراعيه إمام المسجد الذي هو على دراية بقضايا مجتمعه، أو بالاشتراك مع رواد
مسجده فيجعلهم عنصرا أساسيا وفاعلا في الحياة المسجدية، فمن الضروري مراجعة
الخطاب المسجدي، ومعرفة أسباب عدم تأثير الخطاب الديني تأثيرا واسعا، وحل
الإشكالات العالقة التي يواجهها الخطاب المسجدي، واستعمال وسائل التواصل
الاجتماعي في عملية تجديد الخطاب الدعوي (الفيديو، التويتر، الانستغرام، التيك
توك) وغيرها من وسائل التواصل الحديثة التي أصبحت في يد كل كبير وصغير، فلا بد
للإمام أن يقتحم هذه العوالم ويواكب العصر، فهناك عدد كبير من الأئمة والخطباء لا
يستعملون هذه الوسائل لأسباب مختلفة، وهناك في المقابل من الأئمة من اكتسح
الساحة الدعوية المسجدية، كالشيخ رشيد بن عطاء الله بولاية الجزائر العاصمة أو
الشيخ عبد المالك بن مبروك على مستوى ولاية تيزي وزو، والشيخ عبد القادر مهاوات من
أكثر الفاعلين والمؤثرين في الساحة الدعوية بولاية الوادي، وأشهرهم وطنيا ودوليا
البروفيسور كمال قدة؛ فهو أحد أعلام الخطاب المسجدي الأحياء، فهؤلاء الذين ذكرتهم

أثروا في المجتمع لاستخدامهم الإيجابي لمواقع التواصل عن طريق بث مقاطع فيديو دعوية مرئية ومحاضرات مسموعة؛ لأنها تجذب الجماهير¹.

2. تعيين الكفو في رئاسة جمعيات المساجد بولاية الوادي:

شهدت المساجد وطنيا وعلى مستوى ولاية الوادي تطورا كبيرا في الوقت المعاصر من الناحية الإدارية، حيث أصبحت المساجد تحت وصاية الدولة الجزائرية ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وطنيا، أما ولائيا فاستحدثت في كل ولاية مديرية تابعة لوزارة الشؤون الدينية هي الوصية على كل المساجد في أي ولاية، وباعتبار أن المسجد يعد من مؤسسات الدولة فاستحدثت له لجنة دينية أو جمعية دينية تقوم على تسييره في حال غياب الإمام أو انعدامه، وهذا شيء جميل نثمنه، إلا أنّ كثيرا من مَن يرأس الجمعيات الدينية المسجدية ليس له المستوى العلمي الكافي ليتولى رئاسة جمعية دينية مسجدية، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"²، لذلك فإنّ من تقلد هذا المنصب وهو ليس أهلا له سيكون سببا مباشرا في تعطيل رسالة المسجد من خلال اختلاق المشاكل للإمام، فلهذا يستحسن للإدارة الوصية أن تعين في هذا المنصب من له المؤهلات العلمية الشرعية والإدارية حتى يؤدي المسجد رسالته على أكمل وجه، والواقع خير شاهد على ذلك فإنّه لو أحصينا هذا الأمر لوجدنا عددا كبيرا من الأئمة يعانون من هذا المشكل، ومثال ذلك ما ذكره الإمام أحمد دوش إمام مسجد الشهداء في مداخلة له على قناة النهار أنّ الأئمة يعانون من تدخل الجمعيات المساجد في عملهم.

3. تفعيل العمل لرسالة المسجد ميدانيا:

يقاس نجاح رسالة المساجد في ولاية الوادي بأداء وظيفتها على أكمل وجه من عدمها بالتأثير على المستمعين، ولعل أبرز ما يمثل رسالة المسجد هي خطبة الجمعة، لهذا فإنّ الإمام يخطب في السنة الهجرية الواحدة ما يقرب من خمسين خطبة لكن أثرها في الواقع محدود جدا، وهذا يعود أولا للإمام في مدى طرحه الواقعي للقضايا بما يفهمه الناس، فإن وجدنا أنّ الإمام يؤدي دوره كما يجب فإنّ المشكل يقع على عاتق المستمعين، وهنا نأتي إلى ظاهرة منتشرة بكثرة في المجتمع وهو عدم الاهتمام واللامبالاة بيوم الجمعة ولا بصلاة الجمعة، بينما الله سبحانه وتعالى قال في محكم تنزيله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ

¹ ينظر: وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية، جمال السند السويدي، ص 20.

² صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (ج 1، ص 21).

لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿[الجمعة: 9] قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) وذلك هو النداء، ينادي بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة؛ ومعنى الكلام: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة (فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) يقول: فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل"¹، لكن واقع الناس اليوم أصبحوا يهملونها بل وصل الحال إلى حد النوم في خطبة الجمعة، ولعل من بين من يجسد عملية التأثير الحقيقية للمسجد في ولاية الوادي بخطابه وعلمه وأخلاقه وتواضعه ومكانته هو البروفيسور كمال قدة.

المبحث الثاني: دور الرسالة المسجدية في معالجة متغيرات العصر بولاية الوادي.

المطلب الأول: الرسالة الإصلاحية الروحية.

يلعب المسجد دورا فعالا ومهما جدا في مواكبة متغيرات العصر بولاية الوادي على مختلف الأصعدة، ومن المتغيرات التي طغت على كافة المجتمعات الإسلامية، ومنها المجتمع السوفي؛ غلبة الاهتمام بالجانب المادي البحت على كثير من أفرادها، وهذا بحكم الانفتاح الذي حصل للأمة الإسلامية على الأمم غير المسلمة، فهنا يأتي دور المسجد في معالجة هذا التغير المفاجئ الذي طرأ على أفراد الأمة الإسلامية، وهذه مصيبة ما بعدها مصيبة عندما تنقلب كل المفاهيم والموازن، فحل هذه المعضلة يكون بالخطاب المسجدي الروحي التزكوي الذي يميّط اللثام عن كثير من جوانبها التي يغفل عنها الناس، والنموذج الذي يمثل هذا الخطاب بولاية الوادي هو الدكتور المرحوم محمود باي، فمن قضايا الإصلاح²؛ التي اهتم بها الشيخ ما يلي:

1. تغليب الاهتمام بالروح على حساب المادة مع عدم إهمالها:

قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77] قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها

¹ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ج23، ص380)

² ينظر: الشيخ الدكتور محمود باي وجهوده الإصلاحية والتربوية في منطقة وادي سوف، ص510.

بطاعة الله في الدنيا وقوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غداً من عقاب الله¹، وقال القشيري: "النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعته بالنفس، وعلى معرفته بالقلب، وعلى ذكره باللسان، وعلى مشاهدته بالسر"².

وفسر أبو بكر جابر الجزائري بقوله: "و﴿ابْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من أموال {الدَّارِ الْآخِرَةِ} بأن تصدَّق منها وأنفق في سبيل الله كبناء مسجد أو مدرسة أو مقيم أو ملجأ إلى غير ذلك من أوجه البر والإحسان. ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ﴾ (1) مِنَ الدُّنْيَا﴾ فكل واشرب والبس واركب واسكن ولكن في غير إسراف ولا مخيلة، ﴿وَأَحْسِنْ﴾ عبادة الله تعالى وطاعته وأحسن إلى عباده بالقول والعمل ﴿كَمَا أَحْسَنَ﴾ أي الله تعالى إليك ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بترك الفرائض وارتكاب المحرمات أيسر التفاسير³، وهذا كله كلام عام للأمة الإسلامية فيشمل ولاية الوادي ومجتمع الوادي وخطباء مساجد الوادي ومرشداً لهم، فالشيخ محمود باي وغيره من إخوانه الدعاة والأئمة بالولاية كانوا يحثون على الاهتمام بصلاة الجمعة ويوم الجمعة.

2. تذكر الموت:

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 35] يفسر الإمام الثعالبي هذه الآية فيقول: "وقوله سبحانه: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... الآية: موعظةٌ بليغةٌ لِمَنْ وَفَّقَ قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: كَانَ الثَّوْرِيُّ (رضي الله عنه) إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ لَا يُنْتَفِعُ بِهِ أَيَّاماً". انتهى. من «التذكرة» للقرطبي. قال عبدُ الحَقِّ في «العاقبة»: وقد أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَأَعَادَ الْقَوْلَ فِيهِ تَهْوِيلاً لِأَمْرِهِ، وَتَعْظِيماً لِشَأْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِ الْمَوْتِ يُزِدُّ عَنِ الْمَعَاصِي، وَيَلِينُ الْقَلْبَ الْقَاسِي. قال الحسن: ما رأيت عاقلاً قط إلا وجدته حَزِيراً مِنَ الْمَوْتِ، حَزِيناً مِنْ أَجْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ: أَنَّ طَوْلَ الْأَمَلِ يَكْسِلُ عَنِ الْعَمَلِ، وَيُورِثُ التَّوَانِي، وَيَخْلِدُ إِلَى الْأَرْضِ، وَيُمِيلُ إِلَى الْهَوَى، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ شُوْهِدَ بِالْعَيَانِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ، وَلَا يُطَالَبُ صَاحِبُهُ بِالْبُرْهَانِ كَمَا أَنَّ قِصْرَهُ يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ، وَيَحْمِلُ عَلَى الْمُبَادَرَةِ، وَيَحْتُّ عَلَى الْمُسَابَقَةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا النَّذِيرُ، وَالْمَوْتُ الْمُغِيرُ، وَالسَّاعَةُ الْمَوْعِدُ» «3» ذكره القاضي أبو الحسن بُنْ صَخْرٍ فِي الْفَوَائِدِ.

¹ جامع البيان في تأويل آي القرآن، (ج22، ص، 636).

² لطائف الإشارات، القشيري، (ج3، ص81).

³ أيسر التفاسير من كلام العليم الخبير، أبو بكر جابر الجزائري، (ج4، ص91).

انتهى"1، فالموت يعدل ميزان الاهتمام بالروح أكثر من الماديات، وهو هادم لذات الإنسان كما وصفه النبي عليه الصلاة والسلام، وخطب أئمة ولاية الوادي حول الموت كثيرة جدا وهي متوفرة على اليوتيوب ومختلف وسائل التواصل الاجتماعي.

المطلب الثاني: الرسالة الإصلاحية الاجتماعية.

يكفل المسجد دورا رئيسيا في مواكبة مختلف المتغيرات التي تطرأ على المجتمع في منطقة واد سوف، فهو المركز الأول للتربية الاجتماعية، وهذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي، ومن تلك المتغيرات انتشار الخلافات والعداوات بين أبناء المجتمع السوفي، بل بين أبناء الأسرة الواحدة، فتأتي رسالة المسجد من خلال القرآن والسنة النبوية لترميم كل الخلافات والصراعات التي تدمر المجتمع وواقعنا المعيش خير دليل على ذلك.

1. إصلاح المتغيرات الأسرية:

إن أهم مؤسسة في بناء المجتمع وبقائه قويا متماسكا محافظا على أصالته وتدينه السليم هي الأسرة، فعندما نعقد مقارنة بين المجتمع المسلم (مجتمع ولاية الوادي) على ما فيه من سلبيات مع المجتمع الغربي نجد بونا شاسعا في تماسك المجتمع السوفي؛ لأن المجتمع الغربي تم القضاء نهائيا على مؤسسة اسمها الأسرة، ومن هنا يعلم المسلم مكانة الأسرة في الإسلام ويجب أن يحافظ عليها حتى يبقى مجتمعه وأتمته قوية لا مجتمعا خاليا من الروابط الأسرية كالمجتمع الغربي، وفي الآونة الأخيرة كثرت الصراعات داخل الأسرة الواحدة، تجد أن تعامل الفرد المسلم داخل أسرته تعامل لا يمت للدين بصلة، بينما خارج أسرته يتعامل بالمعاملة الحسنة، وهذا ما يرشد إليه الدين في معاملة الناس، فلا شك أنها أحد أخطر الأمور التي تهدم الأسرة من أساسها، فتجد أفراد الأسرة الواحدة ينادون بعضهم بالفاظ الحيوانات وهذا قد يؤدي لتدمير الأسرة بأكملها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"²، فلم ينقل أي أثر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه عامل أهله بسوء أو قال لهم كلاما سيئا، فرسالة المسجد هنا هو التوجيه السديد والرشيد من خلال الدروس والخطب لتجنب الكوارث التي قد تحصل بسبب

¹ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي، (ج4، ص86).

² سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 3895، (ج6، ص192).

كلمة، وأبرز من يهتم بالقضايا الأسرية في الخطاب المسجدي بمنطقة واد سوف في السنوات الأخيرة البروفيسور عبد القادر مهاوت، فاهتمامه بذلك بارز لمن يتابع محاضراته المسجدية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي (الفييس بوك كمثال) حيث عقد العديد من الدورات المسجدية حول القضايا الأسرية.

2. إصلاح ذات البين:

للمسجد رسالة عظيمة في باب إصلاح ذات البين في المجتمع الواحد، وإننا نرى في واقعنا اليوم كيف تمزقت العلاقات بين كثير من الأسر في ولاية الوادي، فصراع بين أسرتين يعني تدمير لشريحة مهمة من المجتمع، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من فساد ذات البين بسبب الحسد أو الشحناء أو البغضاء أشد الحذر فوصفه بأنه الحالقة فقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ¹ إذن فلا بد للإمام أن يخاطب الناس بهذه المعاني العظيمة التي تساهم في استقرار المجتمع، فالمسجد كمؤسسة يمكنه عقد مجالس الإصلاح بين المتخاصمين، وعلى الإمام بصفته القائد الأعلى للمسجد أن يجسد عملية الإصلاح في واقع حياة الناس يرونها بأعينهم رأي العين حتى يغرس فيهم معاني الأخوة والمحبة والسلام، فكم من الأسر المتخاصمة والمتعادية تحلف بالله أنها لن تسامح تلك الأسرة وتقول ما ليس فيها، فالإسلام يدعونا إلى أن نتصف بصفة شرف الخصومة، لكن عندما يحضر معهم الإمام فإنهم يتراجعون عن آرائهم لمكانة الإمام ومهابته، عرفتهم بأنه صاحب رسالة يخمد نيران الفتنة فيعظهم بكلمات القرآن أو بسنة النبي العدنان فينصتون له وينزل الله على قلوبهم الطمأنينة والسكينة بعدما كانت نار النفوس مشتعلة ومتأججة ويذكها الشيطان والنفوس الخبيثة الأمارة بالسوء، فعديد الأئمة بولاية الوادي أصلحوا كثيرا من العلاقات.

المطلب الثالث: الرسالة الإصلاحية الأخلاقية.

جاء الإسلام يحث على مكارم الأخلاق ومحاسنها، وأثنى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على نبيه بأنه على خلق عظيم، فرسالة المسجد الدعوة للأخلاق في العصر الحديث

¹ سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم: 4919، (ج 4، ص 280).

بعد التغير المفاجئ والمهول الذي حدث في انحطاط الأخلاق وانحرافها في مختلف أطياف المجتمع، فساسط الضوء على بعض التغيرات الأخلاقية المعاشة في حياتنا.

1. انتشار الكلام البذيء في المجتمع المسلم:

تشهد المجتمعات الإسلامية انتشارا رهيبا ومخيفا لشتى أنواع الكلام الفاحش من الصغار والكبار في البيوت وفي الشوارع وفي المؤسسات، بل لا يكاد يسلم مكانا إلا وتسمع كلاما بذيثا، وهذا بخلاف ما كان عليه أسلاف الأمة رحمهم الله جميعا، فقد كانوا مجتمعات عفيفة اللسان يحمل كل واحد منهم أخلاقا عالية لم ينقل عنهم أثر أنهم يسبون أو يشتمون مثل ما نسمعه في مجتمعنا وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم وهو يصف أحوال المؤمن أي الذي يؤمن بالله وبرسوله فقال: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ"¹ فالنبي صلوات الله وسلامه عليه بين بيانا واضحا أَنَّ المؤمن الحقيقي ليس باللعان أبدا لكن نسمع في واقعنا كثيرا من الناس يلعن بعضهم بعضا، ويسب بعضهم بعضا بسب والديه، فيقول له لعنة الله على دين والديك أو لعنة الله على دين أمك أو دين أبيك، أو لعنة الله عليك، وقد حرمت الشريعة الإسلامية أن يسب أحد من الناس بسب والديه كما ورد في الحديث النبوي أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالدِّيَّةُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالدِّيَّةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»² فهذا يعد من الكبائر التي إثمها عظيم عند الله سبحانه وتعالى، والعقاب عليها شديد، وأما الكلام الفاحش والبذيء فإن ما نسمعه في المجتمع ينافي الفطرة البشرية والأخلاق الإسلامية بالكلية كالكلام الذي فيه دعوة صريحة إلى فعل قوم لوط أو السب بالدعوة إلى الزنى بالأم أو الأخت وهو ما يسمى بزنا المحارم، وأهل الخطاب المسجدي بولاية الوادي يحذرون من هذا المنكر العظيم والخلق الذميم، فالبروفيسور كمال قدة يحذر أشد التحذير في خطبه من هذا الكلام البذيء، وكذلك التوجيه العملي والواقعي لكل من يسمعه يرتكب هذا المحذور شرعا.

¹ مسند الإمام أحمد، أحمد ابن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود، رقم: 3948، (ج 7، ص 60).

² صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم: 149- (90)، (ج 1، ص 92).

2. شرب الخمر وتناول المخدرات:

حرّمت الشريعة الإسلامية شرب الخمر كما وصفه القرآن أنّه رجس من عمل الشيطان ودعانا لاجتنابه والابتعاد عنه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90] لكن بالرغم من هذه الدعوة الصريحة لاجتنابه إلّا أنّ هناك من أبناء الأمة الإسلامية من يتعاطى الخمر بشكل كبير، والدليل على ذلك هو انتشار قارورات الخمر على قارعة الطريق، بل الأكثر من ذلك أنّ هناك من يعتقد بأن الخمر ليس حراما وحجته في ذلك أنّ حكم الخمر في القرآن لم يأت بصيغة التصريح بأنه حرام فيحتج لك بأن ائت بآية قرآنية تقول حرم عليكم الخمر، والرد على هذا الكلام يكون بمنطق عقله هو فنقول له هل الزنا حلال أم حرام سيقول حراما فنرد عليه ائت لنا بآية تقول حرم عليكم الزنا، وكذلك عبادة الأصنام، فقد حرّمته الشريعة الإسلامية للضرر الكبير الذي ينتج عنه في كل الميادين، فدور الإمام مهم جدا في التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة من خلال حمايته لأبناء المسلمين بتعليمهم في المسجد وتأديبهم وتحذيرهم منها.

• حرّم العلماء المخدرات قياسا على الخمر لأنّ لهما علة واحدة وهي إذهاب العقل، لكن بالرغم من هذا التحذير منها والتحريم لها إلّا أنّ واقع ولاية الوادي مؤخرا يشهد إغراقها بالمخدرات بصورة لم يسبق لها مثيل عند الكبير والطفل الصغير فأصبحت عبارة عن تجارة رابحة لكسب المال، فوظيفة المسجد الأساسية هي مجابهة هذه الظاهرة الكارثية التي فتكت بالمجتمع وخاصة فئة الشباب والبنات، وانتقلت حتى للمؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها لهذا واجب على المسجد أن يدق ناقوس الخطر وإعلان حالة الطوارئ في كل المساجد لحماية الأجيال الصاعدة من شباك وشراك هذه المخدرات والمهلوسات التي تقتلهم في صمت، وإعطائهم خطابا مسجدا روحيا يمكنهم من مجابهة هذا الشر المستطير والعظيم، وكم من إمام من أئمة ولاية الوادي أنقذ شابا من هذه المصيبة وأعادته إلى الجادة والصواب، ووزارة الشؤون الدينية ترسل إرساليات للمساجد وطينا ومنها ولاية الوادي للتحذير من هذه الآفة الخطيرة.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، في ختام هذا البحث توصلت إلى النتائج الآتية:

1. المسجد في الإسلام المراد منه المكان الذي خُصّص للمسلمين لأداء شعائر العبادات.
2. لوزارة الشؤون الدينية الجزائرية دورا كبيرا في الاهتمام بالمساجد كونها الوصية عليها.
3. تسعى مديرية الشؤون الدينية بولاية الوادي في النهوض والارتقاء بالمساجد، وإعادة هيبة الأئمة والمرشدين في قلوب الناس.
3. يعتبر المسجد المركز الأول للإشعاع الديني والعلمي والحضاري في الإسلام، وسيكون المسجد الأعظم بالجزائر مركزا للإشعاع الحضاري في الجزائر وفي العالم.
5. جعل المسجد في الإسلام لغايات شريفة جليلة متمثلة فهو عنصر مهم في الحفاظ على دعوة النبي عليه الصلاة والسلام عبر العصور والأزمان، وحفاظه على المرجعية الفقهية والعقائدية في الجزائر.
6. الموت أعظم زاجر وراوع للشهوات والملذات والمنكرات والمعاصي التي تحدث في المجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع الجزائري.
7. إن الرسالة الإصلاحية الاجتماعية للمسجد تجعله يواكب متغيرات الزمان ويعالجها كإصلاح الأسرة وإصلاح فساد ذات البين.
8. يوجه الإمام في خطابه من المسجد للتحلي بالأخلاق الكريمة والتحذير من السب والشتم واللعن والطعن الذي انتشر في ولاية الوادي كانتشار النار في الهشيم.
9. للمسجد دور رئيس في مجابهة آفة شرب الخمر والمخدرات في ولاية الوادي الحدودية.

التوصيات:

1. تكثيف مشاريع البحث في الأطوار الجامعية الثلاث حول آليات التطبيق العملي للخطاب المسجدي في ولاية الوادي
2. عقد ملتقيات دولية حول تطوير الخطاب المسجدي في الواقع المعاصر بوسائل مختلفة في ولاية الوادي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إعلام الساجد بأحكام المساجد، محمد بن عبد الله الزركشي، ت: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة: 1416هـ-1996م.
2. أيسر التفاسير من كلام العليم الخبير (ومعه حاشية نهر الخير)، أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، سنة: 1424هـ-2003م.
3. تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد، الجراي، أبو بكر الجراي، اعتنى به: صالح سالم النهام، محمد باني المطيري، صباح عبد الكريم العنزي، فيصل يوسف العلي، وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، سنة: 1425هـ-2004م.
4. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر-د. عبد الله السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، سنة: 1422هـ-2001م.
5. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي، ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ أحمد عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.
6. سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-صيدا بيروت، عدد الأجزاء: 4، سنة: 1433هـ.
7. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 6، سنة: 1996م.
8. الصحاح تاج اللغة وصحاح، أبو نصر الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الرابعة، عدد الأجزاء: 6، سنة: 1408هـ-1987م.
9. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية ثم صورها بعناية: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى لدى دار طوق النجاة ببيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي والإحالة لبعض المراجع المهمة، عدد الأجزاء: 9، سنة: 1433هـ.
10. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت وغيرها)، عدد الأجزاء: 5، سنة: 1374هـ-1955م.

11. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار و مكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8، سنة: 1431 هـ.
12. لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر، الطبعة الثالثة، سنة: 1431 هـ.
13. المساجد مفهوم، وفضائل، وأحكام وحقوق، وآداب في ضوء الكتاب والسنة، سعيد القحطاني، سلسلة صلاة المؤمن، مؤسسة الجربي للتوزيع والإعلان، الرياض.
14. مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، الشيخ الدكتور محمود باي وجهوده الإصلاحية والتربوية في منطقة وادي سوف، نور الدين مهري، المجلد 06 (عدد خاص)، تاريخ النشر: 2022./04/16
15. مسند الإمام أحمد، أحمد ابن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: 50، الطبعة الأولى، سنة: 1416 هـ- 2001 م.
16. وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية، جمال السند السويدي، الطبعة الأولى، سنة: 2013.

الخطاب المسجدي ودوره في مكافحة الجريمة

- انتشار الحبوب المهلوسة أنموذجاً-

ط.د/ فوزي زغدي - بإشراف: أ.د/ رابح دفرور

كلية العلوم الإسلامية - جامعة أدرار (الجزائر)

fao.zeghdi@univ-adrar.edu.dz



ملخص

تعالج هذه الدراسة الخطاب المسجدي ودوره في مكافحة الجريمة -انتشار الحبوب المهلوسة أنموذجاً، وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الخطاب المسجدي وأسلوبه في معالجة المشكلات المعاصرة والتي منها مشكلة انتشار الحبوب المهلوسة بين جميع أفراد المجتمع الجزائري والسوفي خصوصاً والمعروف عنهما بالتدين والعلم والثقافة والجهاد في سبيل الله.

وتوصلت هذه الدراسة أن الخطاب المسجدي له دور مهم جداً في مكافحة الجرائم، وأنه لا يمكن أن ينجح هذا الخطاب في مواجهة هذه الجريمة أو التقليل منها دون قيامه بدورين متتاليين وقائي ثم علاجي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب؛ المسجدي؛ الجريمة؛ الحبوب المهلوسة؛ المهلوسات.

مقدمة

يعتبر المسجد من أهم المؤسسات الدينية التي تزود الفرد المسلم بالمعارف الدينية والدنيوية، وتزرع فيه القيم الأخلاقية والروحية في نفسه، وهو عبارة عن منارة علمية إسلامية مقدسة تنبثق منها علوم من فنون شتى، كالتربية الروحية والأخلاقية والنفسية، ولا يمكن تصور وصول هذه العلوم والمعارف إلى المدعوين دون خطاب مسجدي؛ قائم على الكتاب والسنة والسيرة النبوية الشريفة والواقع والتجارب الإنسانية، ومواكباً لمتطلبات ومستجدات العصر، ومراعياً لأحوال المدعوين وظروفهم، وهذا الخطاب يعد وسيلة لتذكير الناس بما ينفعهم في الحياة الدينية والدنيوية، ويقوم أخطائهم، ويحثهم على الاستقامة مع ربهم ومع أنفسهم ومع غيرهم من الناس، كما أن لهذا الخطاب أدوار عديدة أهمها مكافحة الجرائم بكل أنواعها ولعل أبرزها ظاهرة انتشار الحبوب المهلوسة

التي نخرت المجتمع الجزائري والسوفي خصوصا المعروف عنهما بالتدين والعلم والثقافة والجهاد في سبيل الله.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية دور الخطاب المسجدي في حياة الفرد داخل المجتمع في ظل متغيرات العصر وتحدياته، كما أنها إضافة علمية في الدراسات الإسلامية التي قد تفيد الأئمة في طريقهم لمكافحة جريمة انتشار الحبوب المهلوسة.

أما الهدف من هذه الدراسة فإنه يكمن في إبراز دور الخطاب المسجدي وأسلوبه في معالجة المشكلات المعاصرة والتي منها مشكلة انتشار الحبوب المهلوسة بين جميع أفراد المجتمع.

بينما تمثلت إشكالية هذه الدراسة في: ما هو دور الخطاب المسجدي في مكافحة جريمة انتشار الحبوب المهلوسة؟

أما الدراسات السابقة فلم نقف على أي دراسة تناولت دور الخطاب المسجدي في مكافحة جريمة انتشار الحبوب المهلوسة، لكننا وجدنا بعض الدراسات التي تحدثت عن دور الخطاب المسجدي في مواجهة ظواهر أخرى كظاهرة الإسلاموفوبيا، والتي هي عبارة عن مقال علمي قامت به الباحثة زهية دباب من جامعة بسكرة، حاولت من خلاله تسليط الضوء على دور الخطاب الديني كأحد القوى الثقافية والاجتماعية التي يتم من خلالها صقل ثقافة الأفراد الدينية، وتناولت فيه مفهوم كل من الإسلاموفوبيا والخطاب الديني وكذا فعالية الخطاب الديني في مواجهة ظاهرة الإسلاموفوبيا، وتوصلت الدراسة إلى أنه لا بد من تجديد الخطاب الديني ليواكب التطورات والأحداث المتسارعة التي تشهدها مجتمعاتنا، كما يجب أن يركز الخطاب الديني المعاصر على أولوية احترام النفس البشرية وحرمة الدماء والأموال والأعراض وحرية المعتقد والتفكير.

بينما الدراسة الثانية تمثلت في مقال علمي بعنوان: دور الخطاب الديني المسجدي في تعزيز الأمن الفكري للباحث التونسي معي الدين عباسي من جامعة الزيتونة بتونس، وحاول الباحث الإجابة عن هذه الإشكالية: ما هو دور الخطاب المسجدي في تعزيز الأمن الفكري؟، من خلال التطرق إلى الإطار المفاهيمي للدراسة ثم تناول دور الخطاب المسجدي في تعزيز الأمن المجتمعي، متوصلاً إلى عدة نتائج نذكر منها: أن أهمية معاضدة دور المسجد من قبل الأسرة والمدرسة والمعهد والجامعة وكل مؤسسات المجتمع مثل المؤسسات الاجتماعية والتربوية والإعلام في تعزيز الأمن الفكري، كما أن الإخلال بالأمن الفكري يؤدي حتماً إلى الإخلال بالحياة كلها وبكل فروع الأمن المختلفة.

وفيما يخص المنهج المتبع في هذه الدراسة اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل المفاهيم العامة للدراسة، ثم تحليل أدوار الخطاب المسجدي في مكافحة ظاهرة انتشار الحبوب المهلوسة.

بينما حملت خطة هذه الدراسة عنصرين أساسيين، تمثل الأول في تحديد مفاهيم الدراسة والثاني حول دور الخطاب المسجدي في مكافحة جريمة انتشار الحبوب المهلوسة. وللعلم أن هذه الدراسة وضعت خصيصاً للملتقى الوطني التاسع الموسوم بـ: الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022م المنظم من طرف كلية العلوم الإسلامية بجامعة حمة لخضر بالوادي.

أولاً - تحديد مفاهيم الدراسة:

في هذا العنصر سنحاول تحليل مفاهيم هذه الدراسة، من خلال التطرق إليها في جانبها اللغوي والاصطلاحي، كما سيأتي:

1- الخطاب المسجدي: وهو مركب إضافي يتكون من كلمتين هما:

1-1- المسجد: المسجد في المعاجم اللغوية يعتبر لفظة مفردة وجمعها مساجد هي اسماً للفعل الثلاثي سَجَدَ يَسْجُدُ، فالمفعل منه بالفتح (أي فتح العين)، إلا بعض الأسماء ألزموها كَسَرَ الْعَيْنِ كالمسجد، فَجَعَلُوا الْكُسْرَ عَلَامَةً الْإِسْمِ، كما قال "الْفَرَّاءُ كُلُّ مَا كَانَ عَلَى فَعَلٍ يَفْعُلُ مِثْلَ دَخَلَ يَدْخُلُ فَاَلْمُفْعَلُ مِنْهُ بِالْفَتْحِ، اسْمًا كَانَ أَوْ مَصْدَرًا، وَلَا يَقَعُ فِيهِ الْفَرْقُ مِثْلَ دَخَلَ مَدْخَلًا وَهَذَا مَدْخَلُهُ، إِلَّا أَحْرَفًا مِنَ الْأَسْمَاءِ أَلْزَمُوها كَسَرَ الْعَيْنِ، مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ وَالْمَطْلِعَ ..."¹، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنه:

- "اسم مكان من سَجَدَ: مُصَلًى الجماعة، مكان يصليّ الناس فيه جماعة، بيت الصَّلَاةِ «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا» (رواه البخاري)²، ...

- موضع السجود من بدن الإنسان وهي الجبهة والأنف واليدين والركبتان والقدمان، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ (الجن18)³.

ويدور لفظ المسجد في مفهومه ومعناه حول مادة (سجد)، حيث جاء في معاجم اللغة العربية بمعاني كثيرة منها خَضَعَ وَتَطَامَنَ وَذَلَّ وأدام النَّظَرَ وطأطأ رأسه وانحنى، وهذه

1- محمد ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، لسان العرب، ط3، ج3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص204-205.

2- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، ج1، دار طوق النجاة، جمهورية مصر العربية، 1422هـ/2001م، ص95.

3- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، ج2، عالم الكتب، 1429هـ/2008م، ص34.

المعاني كلها تدور حول السجود، سواء المكان الذي يسجد عليه أو الأعضاء التي تسجد أو إدامة النظر في الأرض أثناء السجود وغيرها من المعاني، بينما المعنى الذي يتطابق مع دراستنا هو مكان يصلي الناس فيه جماعةً.

والمسجد اصطلاحاً عرفه الزركشي بقوله "فكل موضع من الأرض لقوله صلى الله صلى الله عليه وسلم: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ»¹ وهذا من خصائص هذه الأمة"².

كما عُرِفَ أيضاً بأنه "كل ما أعد ليؤدي فيه المسلمون الصلوات الخمس جماعة، وقد يطلق على ما هو أعم من هذا فيدخل فيه ما يتخذ الإنسان في بيته ليصلي النافلة أو ليصلي فيه الفريضة عند العجز عن صلاتها في المسجد الذي يقيم الناس فيه الجماعة"³، وقيل "فهو بقعة من الأرض تحررت عن التملك الشخصي، وعادت إلى ما كانت عليه لله تعالى، وخصصت للصلاة والعبادة"⁴.

2-1- الخطاب: وردت لفظة الخطاب في معاجم اللغة العربية بمادة خ ط ب ولها معاني كثير نذكر منها ما نحتاجه في بحثنا كما جاء بجمهرة اللغة "وخطب الرجل خطابة فهو خطيب بين الخطابة، واسم الكَلَامِ الْخُطْبَةُ... وَالْخُطَابُ مصدر خاطبته مُخَاطَبَةً وخطاباً"⁵. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي أن "الخطاب مراجعة الكلام، والخطبة مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال خُطْبُ، ومن أَرَادَهُ قال نكح، وجمع الخطيب خُطَبَاءُ"⁶.

1- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، مرجع سابق، ج1، ص95.

2- أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، إعلام السَّاجِدِ بِأَحْكَامِ الْمَسَاجِدِ، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، ط4، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مصر، 1416هـ/1996م، ص27.

3- محمد بن عبد العزيز المسند، فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين وإضافة إلى اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهي، ط1، ج2، دار الوطن للنشر بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، ص5.

4- أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، الجامع لأحكام الصَّلَاة وصفة صَلَاة النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للأئمة الأعلام شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والإمام محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ صالح بن فوزان الفوزان والإمام المحدث الألباني، ط1، الكتاب العالمي للنشر ببيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ص27.

5- أبو بكر محمد بن دريد الأزد، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، ج1، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، 1987م، ص291.

6- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج4، دار ومكتبة الهلال، ص222.

أما الخطاب اصطلاحاً وردت فيه تعاريف كثيرة ومختلفة حسب ما يراه أصحاب كل فن وتخصص، نقتصر على ذكر بعضها:

قال البيضاوي "الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل"¹، وعرفه بعض الأصوليين بأنه: "الكلام الذي قصد به إفهام الغير في الحال والاستقبال"²، كما عرفه الأمدي أنه "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام مَنْ هُوَ مُتَرَيِّ لِقَاهِمِهِ"³.

أما الخطاب المسجدي عرفته الدكتورة فهيمة بن عثمان بأنه "كل قول يوجهه القائم بالخطاب المسجدي نحو الجماهير المسجدية، سواء جاء الخطاب في شكل خطبة أو درس، هدفه توجيه هذه الجماهير في مختلف مجالات الحياة ووفق مبادئ الإسلام وقيمه، سواء تعلق بأفكار الجمهور أو سلوكهم... الخ"⁴.

وعرفه الدكتور مصطفى بلقاسمي بأنه "هو الرسالة الدينية العلمية والأخلاقية التي يريد الداعية أو الإمام توجيهها إلى جمهور المصلين عبر وسيلة ممكنة منطوقة كانت أو مكتوبة أو صماء من خلال مؤسسة المسجد"⁵.

3-1- تعريف الخطاب المسجدي إجمالاً هو: (كل كتابة أو قول واضح ومفهوم مستمد من الكتاب والسنة، يقوم به القائم بالخطاب المسجدي سواء أن كان إماماً أو من يقوم مقامه داخل المسجد، بقصد توجيهه إلى جمهور المصلين لتبليغهم تعاليم دينهم والعمل بها، عن طريق وسيلة ممكنة مهما كان نوعها).

2- تعريف الجريمة: جاءت في اللغة من الفعل "جرم يجرم جرماً واجترم وأجرم، فهو مجرم وجريم والجرم: التعدي، والجرم: الذنب، والجمع أجرام وجروم، وهو الجريمة"⁶،

1- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، ج5، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1418هـ، ص26.

2- أبو عبد الله الحسين بن علي الرجائي، رَفْعُ النَّقَابِ عَنْ تَنْقِيحِ الشَّهَابِ، تحقيق: أحمد بن محمد السراح وعبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، ط1، ج1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، 1425هـ/2004م، ص647.

3- أبو الحسن سيد الدين علي بن سالم الثعلبي الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ج1، المكتب الإسلامي ببيروت-دمشق-لبنان، ص95.

4 - فهيمة بن عثمان، الخطاب المسجدي وسبل النهوض به "دراسة ميدانية في ولاية المسيلة"، رسالة دكتوراه في الدعوة والإعلام، كلية أصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، 1436-1437هـ/2014-2015م، ص25-26.

5 - مصطفى بلقاسمي، مكانة الخطاب المسجدي في عصر الوسيلة الإعلامية الحديثة "دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والإسلامية بجامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص32.

6 - جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط3، ج12، دار صادر بيروت، لبنان، 1414هـ، ص91.

وفي الحديث: «أَعْظَمُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا رَجُلٌ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرِّمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»¹، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف:40).

وفي الاصطلاح الجريمة فعل ما نهى الله عنه، وعصيان ما أمر الله به، أو بعبارة أعم: عصيان ما أمر الله به بحكم الشرع الشريف، والكسب الخبيث جريمة². فالجريمة إذن هي إتيان فعل محرم معاقب على فعله، أو ترك فعل محرم الترك معاقب على تركه، أو هي فعل أو ترك نصت الشريعة على تحريمه والعقاب عليه³.

3- تعريف المهلوسات: جاءت في اللغة من الفعل "هلوسَ يهلوس هلوسةً فهو مهلوسٌ، هلوس الشخصُ: ذَكَرَ أشياءَ خياليةً بسببٍ مخدِّرٍ أو مرضٍ، هَلُوسَةٌ (مفرد)، مصدر هلوسَ، (نف) أخيلة يظنُّها الإنسان وقائع في حين أنها اختلاق ذهنيّ مرضيّ ينتج عن اختلال عقلي، أو نتيجة لإدمان المخدِّرات"⁴.

وقد سميت بهذا الاسم لآثار الهلوسة التي تحدثها على شخص المتعاطي، وهي في الغالب تخيلات عن أصوات وصور وهمية، وأهم هذه المهلوسات عقار L.S.D وعقار P.C.P، وتكون المهلوسات على شكل حبوب تؤخذ عن طريق الفم⁵.

واصطلاحاً المهلوسات هي مواد غير متجانسة تحدث اضطراباً في النشاط الذهني وخلل في التفكير والإدراك، فينتج عنها الهلوس والتخيلات، فيتراءى لمن يتعاطاها أصواتاً ومناظرًا خيالية، بل أنه يلمس ويشم ويتذوق أشياء لا وجود لها، فمن يتناولها بنسب بسيطة يشعر أنه يسبح في رحلة من الأوهام، ويتصور أنه يتمتع بقدرات خارقة، وقد يصاب بحالة شديدة من الاكتئاب مما يدفعه للانتحار، أما الذي يتناولها بكثرة فإنه يصاب بخلل دائم في المخ⁶.

1 - أبو عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بَطَّة العكبري، الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: رضا بن نعيان معطي، ط2، دار الراجعية للنشر والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ/1994م، ص393. الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (13/264) حديث رقم (7289) وأخرجه مسلم في صحيحه (4/1831) حديث رقم (132).

2 - مناهج جامعة المدينة العالمية، التفسير الموضوعي 1، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ص252.

3 - عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، ج1، دار الكتب العلمية، المكتبة الشاملة، الإصدار3، 64، ص75.

4 - أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، ج3، عالم الكتب، 1429هـ/2008م، ص2362.

5 - خالد حمد المهندي، المخدرات وآثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وحدة الدراسات والبحوث لمركز المعلومات الجنائية لمكافحة المخدرات لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، 2013م، ص46.

6 - مستشفى الأمل للطب النفسي وعلاج الإدمان، ما هي المهلوسات -أنواع عقاقير الهلوسة،

ثانيا- دور الخطاب المسجدي في مكافحة جريمة انتشار الحبوب المهلوسة:

1- الدور الوقائي للخطاب المسجدي من ظاهرة الحبوب المهلوسة: ويمكن ذكر البعض منه كالآتي:

1-1- توعية المسلمين والمسلمات بخطورة الظاهرة: للخطاب المسجدي دور كبير جدا في توعية المتلقين بخطورة ترويج أو تناول الحبوب المهلوسة، من خلال إظهار للمصلين المخاطر التي تؤدي إليها هذه الظاهرة سواء على الصحة في جانبها العضوي كفقدان شهية الطعام مما يؤدي إلى النحافة والضعف العام مصحوبا باصفرار الوجه وشحوب الوجه، كما تؤدي أيضا إلى إتلاف الكبد واضطراب في الجهاز الهضمي والتهاب في المخ وتحطم وتآكل في الخلايا العصبية المكونة للمخ، مما يتسبب في فقدان الذاكرة واضطراب في القلب وضعف القدرة الجنسية وغيرها من الأمراض الأخرى.

أما مخاطرها على الصحة النفسية والعقلية تكمن في ظهور مرض نفخات الهذيان الحادة والاضطرابات السلوكية إضافة إلى ما يسمى متلازمات التجريد من الشخصية وفقدان التركيز والانتباه والجنون وغير ذلك.

بينما المخاطر الاجتماعية التي يمكن أن تنتج عنها سواء على الفرد أو الأسرة أو المجتمع نذكر منها على سبيل المثال الانعزالية وعدم القدرة على ممارسة الحياة الطبيعية وعدم القدرة على الإنتاج والابتكار وفقدان القيم الأخلاقية والدينية وظهور الخلافات الأسرية وغيرها من المشاكل الاجتماعية الأخرى.

أما المخاطر الاقتصادية يمكن تلخيصها في بعض الأضرار التي تصيب الاقتصاد الوطني والتي منها انخفاض إنتاجية الفرد التي تعد جزءاً من الإنتاجية الوطنية، وأيضاً اقتنائها من الخارج بالعملة الصعبة يؤدي إلى نزيف هذه الأخيرة مما ينعكس سلباً على قيمة العملة الوطنية، كما أن دخولها عن طريق التهريب يؤدي إلى انخفاض الإيرادات العامة لميزانية الدولة والمتمثلة في الرسوم والضرائب الجمركية... الخ.

1-2- التوعية بالقيم السامية والمبادئ النبيلة: ونذكر منها:

1-2-1- الدعوة لاختيار الصحبة الصالحة: لقد حث ديننا الحنيف على صحبة الصالحين والأخيار وحذر من صحبة الأشرار مهما كانت مكانتهم في المجتمع، كما قال

النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»¹، كما قال أيضاً: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»²، فالصحبة الصالحة هي خير معين على الطاعة وهجران المعاصي والشُرور والوقوع في الخطايا و"من أسباب علاج العوائق اتخاذ الصحبة الصالحة والرفقة الطيبة، بحيث يشدون أزره، ويقوونه على تجاوز العقبات، وإن اتخذ الصحبة الطيبة من الوسائل المعينة على التحمس للدعوة، وتجاوز العقبات، لأن المرء ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه الصالحين، والرجل الصالح لا ترى منه إلا خيراً؛ ففي الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»³، وهم القوم لا يشقى جلسهم»⁴.

1-2-2- التذكير بصفات الرجولة: فعلى القائم بالاتصال في الخطاب المسجدي تذكير المصلين بصفات الرجولة الحقيقية كالشجاعة والكرم والحياء والصدق والأمانة والزهد... الخ، التي كان يتحلى بها أخيار الأمة كما وصفهم المولى تبارك وتعالى: ﴿رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة: 108)، وقال أيضاً: ﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: 37)، وكما قال أيضاً: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23).

مع إثبات أن الرجولة إرثاً يتوارثه الناس لا تعدو أن تكون بحاجة إلا إلى مجرد التهذيب والتوجيه، أما اليوم فقد أفسدت المدنية الناس، وقضت على معالم الرجولة في حياتهم، فنشكو إلى الله أننا صرنا فيه بحاجة إلى التذكير بالشييم والمكارم وأخلاق تحلى بها أهل الجاهلية قبل الإسلام⁵.

1 - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ط1، ج2، دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/2002م، ص287. وقال حديث حسن في التعليق الرغبة (50/4).

2 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م، ص189. قال الذهبي حديث أبي الحُبَابِ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

3 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، مرجع سابق، ج7، ص96.

4 - فالج بن محمد بن فالج الصغير، مَثَلٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ "دراسة حديثية دعوية"، سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه (14)، المكتبة الشاملة، الإصدار 3.64، ص136.

5 - عبد الرحمن بن محمد الهرقي، خطبة بعنوان: الرجولة، موقع الخطباء،

كما أصبحت الرجولة بمفاهيمها الخاطئة هي الطاغية عند بعض الشباب في ترويج وتناول الممنوعات بكل أنواعها والجرأة في ارتكاب الجرائم والمحرمات وعدم الخوف من عذاب الله تعالى والعقوبات القانونية للدولة، وفي ذلك محاولة منهم للهروب من الواقع وإبراز الذات التي غالبا ما يلجأ إليها الشباب الطائش.

1-2-3- التوعية بالتقوى والابتعاد عن المحرمات: ويكون ذلك بتوضيح أن المؤمن المتقي القوي الإيمان لا يزعزعه أي شيء من شهوات الدنيا وأنه أحب إلى الله تعالى لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ أَخْرَصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِينَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ...»¹

فعلى الفرد أن يتقي الله في حياته الدينية والدنيوية ولا يقرب المحرمات والخبائث مهما كان نوعها، ولو نظرنا في واقعنا اليوم لأهم الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الآفة ووقوع الشباب في المحرمات لوجدنا أن ضعف الوازع الديني هو الأبرز، فعدم تمسك الشباب على وجه الخصوص بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف من حيث إتباع أوامره واجتناب نواهيه، أضعف إيمانهم وأدى بهم ذلك إلى الانحراف عن طريق الحق وانقادوا إلى طريق الباطل والضلال، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:19).

1-2-4- التوعية بالصبر على المصائب: ويكون ذلك بإبراز الإمام ملتقى الخطاب المسجدي أن ترويج وتناول الحبوب المهلوسة واتخاذها كسبيل وحجة للهروب من الواقع والظروف السيئة التي يعيشها الفرد داخل المجتمع، لا تكون هي الحل الأنسب أو السبيل الأمثل للخروج من المحن والمصائب، بل عليهم التحلي بالصبر فكلما تعسر عليهم أمر ما، إلا وجاء التيسير من الله وهو القائل وقوله الحق: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)﴾ (الشرح:5و6).

كما أن المصائب في الدنيا جعلها الله تعالى اختبارا لإيمان المؤمن ومدى صبره عليها والإيمان الكامل بقضاء الله وقدره، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ

<https://khutabaa.com/ar/article/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A9-3>

تاريخ النشر: 2022-10-10، تاريخ التصفح: 2023-03-18.

1 - عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين المنذري، مختصر صحيح مسلم «للاإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري»، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط6، ج2، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ص486.

مُصِيبَةً قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّهَدُونَ (157) ﴿البقرة 155 و156 و157﴾، وكما قال أيضا: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت 2 و3).

وأما تحجج بائعي الحبوب المهلوسة بعدم حصولهم على عمل يقيمهم الفقر والحاجة، فعلمهم أن يعلموا أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، حيث قال تعالى في كتابه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)﴾ (الذاريات 22 و23)، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ لَأَذْرَكَ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ»¹، وليعلموا أن الأنعام هي أيضا قدر الله لها رزقها حيث قال فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا...﴾ (هود 6)، فرزقهم مضمون بإذن الله تعالى لكن عليهم باتخاذ الأسباب وطرق أبواب الخير والصبر على ما رزقهم الله ولهم البشارة التي تنتظرهم في الآخرة أفضل مما يريدونه في الدنيا.

3-1- تكثيف الحملات التوعوية بإشراف أطباء متخصصين: ويكون ذلك بإقامة دروس ومحاضرات مدعمة بفيدويوهات من الواقع تبين حالات لمرضى مدمنين على تناول الحبوب المهلوسة والآثار التي تظهر عليهم حسب حالة كل مريض والمصير الذي يؤول إليه المدمن في النهاية (السجن أو الموت)، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء 29)، كما يمكن أيضا توضيح طرق العلاج المعتمدة مع تقديم النصائح والإرشادات الطبية اللازمة للحد من هذه الآفة، وذلك باستعمال الماسح الضوئي مع توزيع المطويات على الشباب داخل المساجد والمدارس القرآنية التابعة للمساجد وإن لزم الأمر حتى خارج المساجد قصد إيصال المعلومات إلى الشباب المدمن، تحت إشراف أطباء متخصصين في معالجة الإدمان على المخدرات والحبوب المهلوسة وبتزكية من مدير مؤسسة المسجد.

2- الدور العلاجي للخطاب المسجدي من ظاهرة الحبوب المهلوسة: اقتصرنا على بعض الأدوار نذكر منها:

2-1- تهيئة النفوس قبل قبول الابتعاد عن هذه الآفة: يعتبر هذا الدور من أهم الأدوار العلاجية التي يقوم بها الخطاب المسجدي، لأن كل المراحل العلاجية التي يمكن

1 - أبو نعيم أحمد بن مهراة الأصماني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج7، السعادة بجوار محافظة، مصر، 1394هـ/1974م، ص90.

اعتمادها لعلاج المدمنين على الحبوب المهلوسة لن تحقق الأمر المطلوب دون تهيئة النفوس واستنهاض هممها ومحاولة تطويعها وترويضها ودفعها للاقتناع بأنها في حالة مرضية وأنه لا بد من خضوعها للعلاج حتى تخرج من هذه المحنة، وتعد هذه المرحلة مهمة جدا في حياة المدمن لأنها تجعله يتقبل الأوامر والنواهي بقبول حسن، وتستعد نفسه للتلقي فيمضي الأمر ويسري في أعماقها بسهولة كسريان الدم في العروق.

ومما لا شك فيه أننا بالمخالطة وفتح النقاش مع المدمن في الرقائق والمواظب المستفاد من الكتاب والسنة تساعدنا على تهيئة نفسه، وتعتبر "الرقائق بمثابة الوقود التي تعطي المسلم طاقة في مواجهة هذه المنكرات، لأن الرقائق تعطي قوة دفع للمسلم لامتثال ما يؤمر به والانتفاء عما ينهى عنه، فمثلا كان أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وما فيهما وما أعد لأهلها، ثم نزلت الأحكام بعد أن تهيأت النفوس للقبول، تقول عائشة: (أول ما نزل من القرآن سورة من المَفَصَّلِ فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمرة أبدا)، فالرقائق تقوي الإيمان الذي يعين المسلم على الثبات في مواجهة الشهوات، ومن المعلوم أن الشهوات سببت ضعف إيمان كثير من المسلمين لأن مخاطبة العقل وحده قد لا تكفي ما لم تكن ممزوجة بإثارة العاطفة، إذ أن مخاطبة العقل وحده قد لا تنتج إلا معلومات نظرية جافة لا حياة فيها، أما مخاطبة العقل والعاطفة فتؤدي إلى الإقناع والتطبيق العملي".¹

2-2- الدعوة للتوبة والتوجه إلى الله تعالى: ويكون ذلك بإثبات أن كل بني آدم من طبيعتهم الوقوع في الخطأ والذنب، كما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»²، وأنه لا عذر ببقاء المذنب على ذنبه وأن عليه بتوبة تجنبه تناول أو ترويح الحبوب المهلوسة بين المسلمين والمسلمات وما ينتج عنها من أضرار دينية ودنيوية يقع وزرها عليه وعلى غيره، وأنه لا بد من معالجة هذه الآفة بكبح شهواته دون قنوط من رحمة الله تعالى لأنه رحيم بعباده ويغفر الذنوب جميعا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: 52)، وأنه جل جلاله يفرح فرحا شديدا بتوبة عباده المذنبين، كما قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ

1 - محمد نصر الدين محمد عويضة، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ج1، أعده للشاملة الغريب الشهري، المكتبة الشاملة، الإصدار 3.64، ص4.

2 - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، مرجع سابق، ص272. وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ»¹.

وعلى القائم بالاتصال في الخطاب المسجدي أن يقنع المدمن والمروج للمؤثرات العقلية بأن التوبة والتوجه إلى الله تعالى لا يمكن أن تتحقق إلا بنية صادقة خالصة لله سبحانه مع كثرة الدعاء والاستغفار والتضرع إليه ليل نهار، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، كما أن الابتعاد عن المحرمات والالتزام بالعبادات والطاعات من صلوات وصيام وصدقات وقراءة القرآن والالتزام بمجالس العلم والذكر وبر الوالدين... الخ، تقوي إيمان الفرد وتحيي قلبه وتعيده إلى جبلته التي خلقه الله تعالى عليها أول مرة.

3-2- الدعوة لأخذ العبرة من سير الصحابة والصالحين والافتداء بهم: للخطاب المسجدي دور علاجي مهم لمدمني المؤثرات العقلية من خلال تتبع سيرة الصحابة رضوان الله عليهم والعلماء والصالحين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، لوجدنا الطريقة المثلى التي انتهجوها لإقلاعهم عن شرب الخمر، والتي كما بينتها كتب السنة الشريفة.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: "كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ يَوْمَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَا شَرَابُهُمْ إِلَّا الْفَضِيخُ الْبُسْرُ، وَالتَّمْرُ فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي، فَقَالَ: اخْرُجْ فَاَنْظُرْ، فَخَرَجْتُ فَإِذَا مُنَادِي يُنَادِي أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، قَالَ: فَجَرْتُ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ، فَأَهْرِقْهَا، فَأَهْرِقْتُهَا، فَقَالُوا: أَوْ قَالَ بَعْضُهُمْ: قُتِلَ فُلَانٌ، وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ، قَالَ: «فَلَا أَذْرِي هُوَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (المائدة: 93) وَرَوَيْنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فِي شُرْبِهِمُ الْخَمْرَ، وَنَزُولِ آيَةِ الْخَمْرِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾ (المائدة: 90) إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: 91)²، فكانوا رضي الله عنهم لا يتحججون بعدم قدرتهم على الابتعاد عنها، أو تأجيل الأمر إلى حين آخر، فلم يتركوا الفرصة للشيطان وأعوانه للتربص بهم، وطبقوا أوامر الله عز وجل دون تردد أو تهاون أو تقصير، ومن الواجب على المدمنين كمؤمنين بالله ورسوله اتباع سبيل الأخيار والافتداء بهم لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَدَاهُمْ اقْتِدَاهُ﴾ (الأنعام: 90).

1 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، مرجع سابق، ج 8، ص 68. وقال أحمد في المسند حديث صحيح (298/16).

2 - أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، السنن الصغير للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي، ط 1، ج 3، جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، باكستان، 1410 هـ/ 1989 م، ص 327.

4-2- الدعوة بالترغيب قبل التهيب: إن سنة الله في خلقه بأن خلق عباده تواقين دائماً لكل ما يحقق لهم الخير والفلاح والسعادة، لأنه تعالى جَبَل وطبع النفس البشرية على حب الخير والابتعاد عن الشر، "فأسلوب الترغيب ينفذ إليها من خلال ما ركب فيها من رجاء يستحث الإنسان على بلوغ ما يرجوه"¹، لذا فعلى الخطيب أن يبدأ خطبه ودروسه في المسجد معتمداً على أسلوب الترغيب قبل التهيب، لأن هذا الأسلوب محبباً للنفس البشرية، مقتدياً بالأسلوب القرآني الذي رتب الترغيب قبل التهيب عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء:90).

والأئمة مطالبون بتقديم الترغيب على التهيب من خلال حث مدمني أو مروجي هذه الآفة على فعل الخير والابتعاد عن الشر، ولما سينالونه من السعادة وراحة النفس واستقرارها في الدنيا، وما ينتظرهم من الأجر والثواب، وجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة بعد ابتعادهم عنها، كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:97)، وكما حث المولى سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:159)، "وهذا الانفضاض نتج عن الأساليب القائمة على التخويف واحتقار ذات المتلقي وتجريمه وتخطئته، فالنفس مجبولة على الرفض والمكابرة إذا حُقرت ولم تجد الاحترام اللائق بها"². وعلى أية حال فإن أسلوب الترغيب أفضل من أسلوب التهيب؛ لأنه يخاطب النفس، ويستميل الوجدان، ويعتمد على استثارة الرغبة الداخلية للإنسان³.

5-2- دعوتهم واقناعهم بزيارة مراكز معالجة الإدمان القريبة منهم: إن مهمة مساعدة المدمنين للابتعاد عن تعاطي الحبوب المهلوسة تقع على عاتق الأفراد المحيطين بهم ومنهم إمام المسجد القريب منهم، وذلك بالحديث المباشر معهم من القلب إلى القلب، لأن أغلبهم يكونون في حالة إنكار لموقفهم وغير راغبين في العلاج، وللإمام دور كبير في

1 - رانية بنت جميل بن سليم أبو حنانة، الخطاب الدعوي الموجه للمرأة المسلمة في القرآن الكريم وأوجه الاستفادة منه في العصر الحاضر، رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب، غير منشورة، كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1426هـ/1428هـ، ص258.

2 - معي الدين عباسي، الخطاب المسجدي وأهميته في التحذير من التكفير، مقال علمي بمجلة المنتقى للبحوث والدراسات، مج03، العدد 06، كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ديسمبر 2022، ص81.

3 - عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، ص58.

إقناعهم بالحجج بأن حالتهم مرضية تحتاج إلى علاج طبي، ويكشف لهم ما وصلوا إليه من خسائر مالية وبدنية نتيجة الحالة التي هم عليها، وأن مصيرهم واحد لا غير هو الموت أو السجن وبالتالي خسران الدنيا والآخرة، وأنه لا سبيل لخروجهم من هذه الآفة إلا بالعلاج والمتابعة الطبية، حتى يتم تصفية أجسامهم من هذه السموم بالطرق الطبية، وذلك باستعماله لأسلوب الرفق واللين معهم، لأن الأفراد ينفرون بطبائهم من الفظاظة والخشونة ويألفون الرقة واللين، كما قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (ال عمران 159).

2-6- دعوة وإقناع المجتمع بكل أطيافه وهيئاته بالتحرك لصد هذه الظاهرة: ويتمثل ذلك في دعوة القوائم بالاتصال في الخطاب المسجدي لكل المتلقين بالشعور بالمسؤولية تجاه مكافحة هذه الظاهرة وأن التصدي لها واجباً شرعياً وقانونياً وأخلاقياً واجتماعياً، وأن هذه المسؤولية مسؤولية الجميع دون استثناء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»¹، فيبدأ الرجل بمراقبة أبناءه وزجته، والتبليغ عنهم إن وجد فيهم مروجاً أو مدمناً، والحرص على نقلهم لمراكز معالجة الإدمان دون تردد أو تهاون، ودعوة الجميع بمراقبة محيط بيوتهم بعدم ترك أي شخص غريب أو مشبوه والتبليغ عنه إن ثبت أنه مروج للحبوب المهلوسة.

كما أن على القوائم بالاتصال أيضاً أن يدعوا المجتمع المدني بكل هيئاته من جمعيات الأحياء والجمعيات الثقافية والخيرية بالتحرك على المستوى المحلي والوطني، سواءً بتقديم شكاوى أو بمراسلة السلطات المعنية أو بتكثيف الاحتجاجات حتى تختفي هذه الظاهرة نهائياً.

2-7- الدعوة لدعم الجهود الأمنية أثناء أداء مهامها في مكافحة هذه الظاهرة: ويكون ذلك بإقامة خطب ودروس مسجدية يدعو فيها جميع الأفراد داخل المجتمع بعدم عرقلة جهود رجال الأمن والدرك الوطني أثناء مطاردتهم لمروجي هذه السموم، والعمل على

1 - إسماعيل بن جعفر المدني، حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني، دراسة وتحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السفياي، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض وشركة الرياض للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م، ص146.

مساعدهم بالتبليغ الرسمي عن المجرمين وتقديم لهم معلومات عن أماكن تواجدهم وغيرها من الأمور التي تعينهم على أداء مهامهم.

كما عليه أن يبين للذين يدافعون عن المجرمين سواء بإعلامهم بقدم رجال الأمن والدرك الوطني أو الدفاع عنهم بتقديم معلومات مفبركة ومغلوبة أو التهم على رجال الأمن بالحجارة والألعاب النارية والمعروفة باسم: فلامبو، بأن أعمالهم هذه محرمة شرعاً وأنهم أعوانا للشياطين كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ (النساء: 105) أي لا تكن مدافعاً عنهم، ومخاصماً من أجلهم¹، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيماً﴾ (النساء: 107) أي ولا تخاصم وتدافع عن هؤلاء الذين يختانون أنفسهم أي يخونونها بشدة وإصرار إن الله تعالى لا يحب ولا يرضى عمن كانت الخيانة وصفاً من أوصافه، وخُلُقاً من أخلاقه، وكذلك لا يحب ولا يرضى عمن كان الانهماك في الإثم والمعصية عادة من عاداته².

الخاتمة

ففي ختام هذه الدراسة التي تمحورت حول دور الخطاب المسجدي في مكافحة الجريمة -انتشار الحبوب المهلوسة أنموذجاً، يمكن القول أن الخطاب المسجدي له أهمية بالغة في المجتمع المسلم والذي يعد من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى، كما يمكن توظيفه كوسيلة ناجعة في التصدي للجرائم بكل أنواعها، ومن أخطرها في هذا العصر انتشار الحبوب المهلوسة بين الشباب المسلم، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- يعتبر الخطاب المسجدي من أهم الوسائل التي يجب توظيفها واعتمادها في حل المشاكل ومكافحة الجرائم داخل المجتمعات المسلمة.

- يجب على القائم بالاتصال في الخطاب المسجدي أن يقدم الأدوار الوقائية على الأدوار العلاجية، لأن الوقاية خير من العلاج، وحتى تتم مكافحة هذه الظاهرة بطريقة سليمة.

أما توصيات هذه الدراسة يمكن تلخيصها في:

- تجديد الخطاب المسجدي لكي يتناسب مع متطلبات العصر، ودعم المساجد

1 - محمد عبد اللطيف الخطيب، أوضح التفاسير، ط6، المطبعة المصرية ومكتبتها، رمضان 1383هـ/فبراير 1964م، ص112.

2 - محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، ج3، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة بالقاهرة، مصر، يناير 1997م، ص299.

بالوسائل التكنولوجية المتطورة التي من شأنها أن تزيد في قوة تأثير الخطاب على المدعويين.
- تكثيف وتركيز الخطابات المسجدية على المشكلات المعاصرة.

قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- أبو الحسن سيد الدين علي بن سالم الثعلبي الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ج1، المكتب الإسلامي بيروت-دمشق-لبنان.
- أبو بكر محمد بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، ج1، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، 1987م.
- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ط1، ج2، دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1422هـ/2002م.
- أبو عبد الله الحسين بن علي الرجراجي، زُفْعُ النَّقَابِ عَنْ تَنْقِيحِ الشَّهَابِ، تحقيق: أحمد بن محمد السراح وعبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، ط1، ج1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، 1425هـ/2004م.
- أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، إعلام السَّاجِدِ بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، ط4، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مصر، 1416هـ/1996م.
- أبو عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بَطَّة العكبري، الإبانة الكبرى لابن بطة، تحقيق: رضا بن نسمان معطي، ط2، دار الراية للنشر والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ/1994م.
- أبو نعيم أحمد بن مهران الأصمهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج7، السعادة بجوار محافظة، مصر، 1394هـ/1974م.
- أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، الجَامِعُ لأحكام الصَّلَاة وَصِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للأئمة الأعلام شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والإمام محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ صالح بن فوزان الفوزان والإمام المحدث الألباني، ط1، الكتاب العالمي للنشر ببيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.
- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج4، دار ومكتبة الهلال.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج4، دار الكتب العلمية بيروت، 1411هـ/1990م.
- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، السنن الصغير للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي،

- ط1، ج3، جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي، باكستان، 1410هـ/1989م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، ج2، ج3، عالم الكتب، 1429هـ/2008م.
 - إسماعيل بن جعفر المدني، حديث علي بن حجر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني، دراسة وتحقيق: عمر بن رفود بن رفيد السّفياني، ط1، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض وشركة الرياض للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م.
 - جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط3، ج12، دار صادر بيروت، لبنان، 1414هـ.
 - خالد حمد المهندي، المخدرات وأثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وحدة الدراسات والبحوث لمركز المعلومات الجنائية لمكافحة المخدرات لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، الدوحة، قطر، 2013م.
 - رانية بنت جميل بن سليم أبو حنانة، الخطاب الدعوي الموجه للمرأة المسلمة في القرآن الكريم وأوجه الاستفادة منه في العصر الحاضر، رسالة ماجستير في الدعوة والاحتساب، غير منشورة، كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1426هـ/1428م.
 - عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها.
 - عبد الرحمن بن محمد الهرفي، خطبة بعنوان: الرجولة، موقع الخطباء، <https://khutabaa.com/ar/article/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A9-3>، تاريخ النشر: 2022-10-10، تاريخ التصفح: 2023-03-18.
 - عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين المنذري، مختصر صحيح مسلم «للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري»، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط6، ج2، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.
 - عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، ج1، دار الكتب العلمية، المكتبة الشاملة، الإصدار 3.64.
 - فالج بن محمد بن فالج الصغّير، مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ "دراسة حداثيّة دعوية"، سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه (14)، المكتبة الشاملة، الإصدار 3.64.
 - فهيمة بن عثمان، الخطاب المسجدي وسبل النهوض به "دراسة ميدانية في ولاية المسيلة"، رسالة دكتوراه في الدعوة والإعلام، غير منشورة، كلية أصول الدين بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، الجزائر، 1436-1437هـ/2014-2015م.
 - محمد ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، ط3، ج3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، ج1، ج7، ج8، دار طوق النجاة، جمهورية مصر العربية، 1422هـ/2001م.
- محمد بن عبد العزيز المسند، فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين وإضافة إلى اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهي، ط1، ج2، دار الوطن للنشر بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ.
- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، ج3، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة بالقاهرة، مصر، يناير 1997م.
- محمد عبد اللطيف الخطيب، أوضح التفاسير، ط6، المطبعة المصرية ومكتبتها، رمضان 1383هـ/فبراير 1964م.
- محمد نصر الدين محمد عويضة، فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ج1، أعده للشاملة الغريب الشهري، المكتبة الشاملة، الإصدار 3.64.
- محي الدين عباسي، الخطاب المسجدي وأهميته في التحذير من التكفير، مقال علمي بمجلة المنتقى للبحوث والدراسات، مج03، العدد 06، كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر، ديسمبر 2022.
- مستشفى الأمل للطب النفسي وعلاج الإدمان، ما هي المهلوسات - أنواع عقاقير الهلوسة، <https://www.hopeeg.com/hallucinogens/>، تاريخ التصفح 2023/03/19.
- مصطفى بلقاسمي، مكانة الخطاب المسجدي في عصر الوسيلة الإعلامية الحديثة "دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والإسلامية بجامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 1431-1432هـ/ 2010-2011م.
- مناهج جامعة المدينة العالمية، التفسير الموضوعي 1، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، ج5، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1418هـ.

الخطاب المسجدي ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي

ط.د/ موعاد برجيجان - بإشراف: أ.د/ علي خضره

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

bordjihane-mouad@univ-eloued.dz



ملخص

يعد الخطاب المسجدي قضية عصرية أشغلت الباحثين والمفكرين في حقل الدعوة الإسلامية، وذلك لما له من أهمية في تحقيق الأمن والاستقرار للفرد والأسرة والمجتمع، ولا ريب أن الإسلام الذي لا يرضى الله تعالى التدين إلا به ساهم في جعل الحياة آمنة مطمئنة من خلال القضاء على المشاكل، وإيجاد الحلول للصعوبات والمعوقات التي يواجهها الإنسان في كل زمان ومكان وحال، ولا يخفى على كل ذي لب وبصيرة سنة الله في خلقه والتي شاء فيها اختلاف الناس - إلا من رحم - اجتماعيا وفكريا وثقافيا، فكان لازما أن تقوم بيوت الله- المساجد- في كل أنحاء العالم الإسلامي وغيره بوضع اللبنة الأولى لصرح الأمن المجتمعي الذي يسعى إلى تدشينه والافتخار ببنائه كل المشتغلين بقضايا الإنسانية مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم وتقاربت أو تباعدت أوطانهم، أو تعددت أذواقهم وغاياتهم، كل باقتراحاته وافتراضاته وتصورات، ولبنة الأمن المجتمعي التي جاء بها الإسلام يتم وضعها من خلال رسالة الخطاب المسجدي الذي تكفل الله بإحضار من يتلقاها في مناسبات متنوعة، وعلى هذا جاء الكلام في هذا المقال لدراسة فكرة صياغة خطاب مسجدي مقنع يؤدي دوره في تحقيق الأمن المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الخطاب المسجدي، الأمن المجتمعي، المسجد، المجتمع.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

جعل الله أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس اصطفاها بين الأمم بهذه الخيرية كونها

مؤمنة به وكلّفها بمهمة التبليغ وإعلام الأنام بأوامره وتحذيرهم من نواهيه، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، ومما يدخل ضمن مجال التبليغ والإعلام الخطاب المسجدي الذي يعد وسيلة التوجيه وبناء الرأي العام، فقد كان المسجد في عهده ﷺ وفي عهد خلفائه منطلق الشورى والفتوحات، والقضايا التي تخص الفرد والأسرة والمجتمع، ومهد ميلاد الأمن والسلام الذي عاشته القرون الثلاثة الأولى المفضلة والتي شهد لها الرسول ﷺ بالخيرية فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)⁽¹⁾، كما شهد لهم من بعدهم من المنصفين بالقدرة على غرس الثقة والمحبة في النفوس وتصفيتهما من الكدورات البهيمية، وإشعار الفرد والجماعة بالطمأنينة والاستمرار في الحياة بسلام وأمان، فكانت بحق أجيال نموذجية للأمن المجتمعي الذي يبدو مؤخرا للذين يبحثون في كيفية إنقاذ المجتمعات بأنه معضلة عويصة، وأزمة القرن، وخاصة في هذا العصر الذي ظهر فيه الانفتاح غير المضبوط والذي تقوده الفوضى الإعلامية التي يملك سلطتها وأغلب وسائلها، ويحكم برامجها مسيرون معتقداتهم وأفكارهم لا تنصح للخير ولا تهدي إلى البر والتقوى، فكان لازما على المؤسسات الإسلامية التي تهتم بالتوعية والإرشاد والتربية أن تعتني بقضية الأمن المجتمعي، وخاصة مؤسسة المسجد الذي تحتل المرتبة الأولى في قلوب المسلمين كونه بيت الله تعقد فيه خطب لمناسبات متنوعة، ودروس، ومحاضرات ومواعظ يحضرها كل شرائح المجتمع مثقفين وغيرهم، بالغين وصغار، ذكورا وإناث، ويلقيها علماء ودعاة، ووعاظ وأئمة كل يسهم بما آتاه الله تعالى من العلم هدفهم في ذلك رفع الجهل، وغرس العلم الصحيح في القلوب، ومحاربة الخرافات والانحرافات، ليبقى المجتمع آمنا داخليا، وتبقى عزة الأمن المجتمعي تسكن الفؤاد، والأمن نعمة واحدة من بين نعم الله التي لا تعد ولا تحصى لا يقدر قدرها إلا من فقدوها؛ لذا دعا إبراهيم ربه تعالى أن يجعل البلد الذي ترك فيه أهله و فلذة كبده آمنا فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

¹ - محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط 1، 1422هـ، حديث رقم: 2652، ج 3، ص 171، ومسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، في كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، حديث رقم: 2533، ج 4، ص 1963.

رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴿البقرة:126﴾، وأي بلد لا يسود فيه الأمن لا تكون فيه الحياة، بل ويكون وجهة من يعيث في الأرض فسادا، ويكون أرضا خصبة لصنع التطرف والإرهاب داخليا وخارجيا؛ لذا لا بد من دراسة قضية الخطاب المسجدي بعناية فائقة، وإسناد مهمة الخطابة فيه إلى متخصصين أكفاء يفقهون الواقع، ويفهمون في الدين كيفية استنطاق نصوص الوحيين- القرآن والسنة-، وإنزالها على مختلف مجالات الحياة وخاصة مجال الأمن المجتمعي.

إشكالية البحث وأسباب اختيار الموضوع:

ترتكز إشكالية البحث على إظهار الدور الفعال الذي يؤديه الخطاب المسجدي في تحقيق الأمن المجتمعي، وتجب عن التساؤل التالي: ما مدى تحقيق الخطاب المسجدي للأمن المجتمعي؟ ويندرج تحت هذا التساؤل العام تساؤلات فرعية هي:

ما هو دور الخطاب المسجدي في تحقيق الأمن المجتمعي؟

هل يستطيع الخطاب المسجدي أن يجد حلولا للمعضلات التي تزعزع أمن المجتمع مهما تغيرت الظروف؟

ما الذي ينبغي أن نعني به حتى نصل إلى خطاب مسجدي فعال وناجح يحقق للمجتمع أمناه؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سأسير وفق المحاور التالية:

المحور الأول: التعريف بالخطاب المسجدي والأمن المجتمعي.

المحور الثاني: علاقة الخطاب المسجدي بالأمن والمجتمع.

المحور الثالث: دور الخطاب المسجدي في تحقيق الأمن المجتمعي.

أهداف البحث: جملة الأهداف التي أسعى لتحقيقها من هذا البحث متمثلة فيما يلي:

- إدراك مدى أهمية الخطاب المسجدي في التأثير على الفرد والجماعة.

- معرفة العلاقة بين المسجد والأمن والمجتمع.

- الوقوف على ما ينبغي الاعتناء به لتكتمل صورة الخطاب المسجدي فيتحقق بذلك

الثمرة المرجوة منه.

- الوصول إلى استحضار الشعور الذي يحس به الخطيب وهو يؤدي مهمة خلافة

النبوة والرسالة من خلال وقوفه على منبر الدعوة إلى الله تأسيسا برسول الله ﷺ.

-الاعتناء بكل طبقات المجتمع أثناء إلقاء الخطاب المسجدي للوصول إلى تحقيق الأمن المجتمعي.

-تقريب صورة بعض القضايا التي ساهم الخطاب المسجدي في إبعاد شرها المتوقع عن المجتمع.

منهج البحث: بنيت هذا البحث بالاعتماد على جمع النصوص الشرعية واستقراءها واستنطاقها ثم تحليلها، وإسقاط ذلك كله على نماذج واقعية للخطابات المقدمة في المساجد، وهذا من أجل الوصول إلى كشف الحقيقة الكاملة للدور الذي يؤديه الخطاب المسجدي ومدى تحقيقه للأمن المجتمعي.

أولاً: التعريف بالخطاب المسجدي والأمن المجتمعي.

1- التعريف بالخطاب المسجدي

جرت العادة أثناء التعريف بالمصطلحات أن تعرف بمعناها اللغوي ثم الاصطلاحي لفظاً لفظاً، ثم يعرف كمركب من اللفظين بعد فهمهما ليتضح المعنى الكامل، فبناءً على هذا أبدأ بتعريف الخطاب:

أ- تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً:

الخطاب لغة: يطلق ويراد به اسم للكلام الذي يصدر من الخطيب، جاء في لسان العرب لابن منظور: والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة... وهو أن الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب⁽¹⁾.

وقد ورد بنحو هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص:23]، وبمعنى الرسالة والكلام أيضاً جاء في المعجم الوسيط⁽²⁾.

يتبين مما جاء في معاجم اللغة لمعنى الخطاب أنه وسيلة لنقل الأفكار التي يحويها الكلام من القائل إلى المستمع.

الخطاب اصطلاحاً:

تعددت وتنوعت تعريفات كلمة الخطاب اصطلاحاً قديماً وحديثاً، وسأنقل بعضها منها

¹ - محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، ج1، ص361.

² - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، 1989، ص243.

ليتضح المراد من هذا اللفظ حسب ما يتماشى مع هذا البحث.

جاء في الإحكام للآمدي: الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متبرئ لفهمه.⁽¹⁾

وبمثل هذا عرّفه التهانوي بقوله: هو الكلام الذي قصد منه إفهام من هو متبرئ لفهمه.⁽²⁾

أما محمد الخضر حسين فعرّف الخطاب بقوله: الخطابة في لسان الأدباء والبلغاء، هي: إلقاء الكلام المنتثر سجعاً أو مرسلاً؛ لاستمالة السامعين إلى رأي، أو ترغيبهم في عمل⁽³⁾ أما الشيخ محمد الطاهر بن عاشور فعرّف الخطابة بقوله: كلام يحاول به إقناع أصناف السامعين بصحة غرض يقصده المتكلم لفعله أو الانفعال به⁽⁴⁾.

من خلال ما سبق في التعريفين اللغوي والاصطلاحي للفظ الخطاب يمكن أن أعرف الخطاب بأنه: العملية الاتصالية التي يتم فيها نقل الأفكار التي يحويها الكلام من القائل- الخطيب- إلى المستمع-المخاطب- بغرض إفهامه أو تحفيزه للقيام بعمل ما.

ب- تعريف المسجد لغة واصطلاحاً:

المسجد لغة: جاء في تاج العروس: "مساجد، وحدها مسجد، قال: والمسجد اسم جامع حيث سجد عليه(والمسجد) بكسر الجيم: أي موضع السجود نفسه، وفي كتاب (الفروق) لابن بري: المسجد: البيت الذي يسجد فيه، وبالفتح: موضع الجبهة، وقال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، (ويفتح جيمه)، قال ابن الأعرابي: مسجد، بفتح الجيم، محراب البيت ومصلّى الجماعات"⁽⁵⁾.

¹ - سيد الدين علي الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، ج1، ص95.

² - محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص696.

³ - محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1433 هـ، ص177.

⁴ - محمد الطاهر ابن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، المحقق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1433 هـ، ص118.

⁵ - محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج8، ص174.

وجاء في الكتاب لسبويه: وأما المسجد فإنه اسم للبيت، ولست تريد به موضع السجود وموضع جهتك، لو أردت ذلك لقلت مسجد⁽¹⁾.

فانطلاقاً من التعريفين اللغويين للمسجد يتبين لنا أن المسجد لغة لا يخرج عن معنى المكان الذي يسجد فيه، أو الموضع الذي يتم السجود به.

أما المسجد اصطلاحاً:

عرّف المسجد في الاصطلاح بتعريفات عدة أذكر منها:

القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عرّفه بقوله: كل موضع يمكن أن يعبد الله فيه ويسجد له يسمى مسجداً⁽²⁾، واستدل بقوله ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)⁽³⁾.

وعرّفه ابن الجوزي بقوله: اسم لموضع السجود. وجمعه: مساجد، وهو في التعارف اسم للأبنية المتخذة في الإسلام للصلاة ومثله الكنائس لليهود والبيع للنصارى⁽⁴⁾.

ومن المعاصرين عرّفه الصعيدي فقال: كل موضع من الأرض يصلح الصلاة فيه⁽⁵⁾.

ومن خلال التعاريف الاصطلاحية للمسجد يمكن أن القول بأن المسجد: بيت الله المعد لعبادة الله وحده لا شريك له، وإقامة شعائر الإسلام المختلفة كالصلاة والذكر وتلاوة القرآن والدعوة وغيرها.

ومما سبق من تعاريف للخطاب والمسجد لفظاً لفظاً يمكنني تعريف الخطاب المسجدي كمركب وهو: العملية الاتصالية التي تجرى في بيوت الله والتي يتم فيها نقل ما يحويه الكلام من أفكار من طرف الخطيب إلى المخاطب بغرض إفهامه أو إقناعه ترغياً أو

¹ - عمرو بن عثمان، الملقب سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م، ج4، ص90.

² - محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، ج2، ص78.

³ - مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، حديث رقم 521، ج1، ص370.

⁴ - عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - بيروت- لبنان، ط1، 1404هـ - 1984م، ص567.

⁵ - عبد اللطيف الصعيدي، المسجد رمز الصمود والتحدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 1423هـ، 2002م، ص24.

ترهيباً على أن يمارس تصرفاً معين، أو يقلع عنه.

بعدما عرفنا الخطاب المسجدي، ننتقل إلى تعريف الأمن في اللغة والاصطلاح أيضاً لتكتمل صورة الجانب المفاهيمي لهذا البحث، ثم أحاول بعد ذلك صياغة معنى اصطلاحي للأمن المجتمعي يتماشى مع ما سنبحثه في طيات هذا البحث.

ج- تعريف الأمن لغة واصطلاحاً:

الأمن في اللغة: ورد في القاموس المحيط: الأمن والأمن، كصاحب: ضد الخوف، أمن، كفرح، أماناً وأماناً... والأمانة والأمنة: ضد الخيانة، ... وأمنه تأميناً وأئتمنه واستأمنه، وقد أمن، ككرم، فهو أمين وأمان، مأمون به ثقة.⁽¹⁾

الأمن اصطلاحاً: تعريفات الأمن عند العلماء متعددة وفقاً للنظرة والتصور، ولكنها متقاربة أذكر منها:

الرجلاني في التعريفات قال: الأمن: عدم توقع مكروه في الزمان الآتي.⁽²⁾

وعرفه عبد الكريم يونس الخطيب بقوله: الأمن هو ضمان الحياة، وسكن النفوس، والقلوب، وإنه لا حياة لإنسان، ولا نظام لمجتمع إلا في ظل الأمن والسلام.⁽³⁾

فمن التعريفين اللغوي والاصطلاحي يمكن أن نعرف الأمن بأنه: ضمان الشعور بالطمأنينة وعدم الخوف، وإشاعة المحبة والثقة بين الأفراد لغرض الاستقرار في كل مجالات الحياة.

وإذا أضفنا إلى هذا التعريف مصطلح المجتمع يمكن أن نستخلص تعريفاً إجرائياً لمركب الكلمتين الأمن والمجتمع وهو:

الأمن المجتمعي: ضمان سلامة المجتمع الإسلامي ضد الفساد الداخلي والخارجي الذي قد يؤدي به إلى الهلاك، ويتم ذلك من خلال الرجوع إلى مصادره وتحقيق مقاصده، والعناية بمختلف المجالات الرئيسية التي تحقق للفرد والجماعة الاستقرار في الحياة.

¹ - محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، ص1176.

² - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الرجلاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م، ص37.

³ - عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة، ج7، ص192.

ثانيا: علاقة الخطاب المسجدي بالأمن والمجتمع.

إن العلاقة بين الخطاب المسجدي والأمن المجتمعي، تكمن في نسج العملية الاتصالية الموفقة بين الخطيب في المسجد وبين الحاضرين للاستماع، فكل ما يتكلم به الخطيب من تعاليم الإسلام عقيدة، وشريعة، وأخلاقا، بأسلوب الترغيب والترهيب كل في موضعه كفيل بالتأثير في الرأي العام، وتغيير النظرة والتصور المسبق للأحداث في أذهان الأفراد، ولا يتحقق هذا إلا بإعادة النظر في الخطابات التي تلقى في المساجد في مختلف المناسبات، وكذلك الاعتناء الخاص بمن يلقيها وتكوينه على مراعاة تنوع الحاضرين، واختلاف طبقاتهم، ومراعاة مشاكل الواقع، وترك سياسة سد الفراغ المعيقة للوصول إلى صياغة خطاب مسجدي مقنع يؤدي دوره في تحقيق الأمن المجتمعي، وبهذا يبلغ صوت الرسالة المدى البعيد، وتظهر بالكمال والتمام الصورة الحقيقية لدين الإسلام، وتصحح المفاهيم الخاطئة، وتكشف الشبهات التي يلقيها أولئك الذين يكيدون للإسلام وأهله، ويعلو الحق الذي ينبعث شعاع نوره من منابر المساجد فيرجع للقلوب الثقة بانتصار الإسلام في النهاية، وعودته لعزة القرون الثلاثة الأولى المفضلة، للسيادة والقيادة لمجتمع الإنسانية قلبا وقالبا. ويؤيد ما ذكرت قول أبو القاسم العليوي عندما تكلم عن معنى الخطاب الديني ومن يتكفل بإلقائه حيث قال: رسالة تصدر من باثٍ يعي طبيعة مرجعيتها العقديّة والقيميّة وحاجة المتقبل إلى تمثّل مضامينها... مبرأة من كل ضروب الشوائب والبدع والأباطيل.⁽¹⁾

أما الأمن المجتمعي الذي نتحدث عنه هنا فينبغي ضبطه بالهوية الإسلامية المنبعثة من مصادرها والمحقة لمقاصدها، دون إهمال التعايش السلمي بين المجتمعات الأخرى، والاستفادة من مهاراتها وكفاءاتها مع أخذ الحيطة والحذر من الغزو الثقافي والفكري الذي يهدم أصالة المسلمين عملا بقوله تعالى: ﴿أَمَّا النَّاسُ إِنَّآ خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات:13]، وعملا بقوله تعالى أيضا: ﴿وَحَذُّوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:102]. وقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195]، فالتطرف، والغلو، والإرهاب، والتمييز العنصري، والقتل بغير حق، والانتحار، والإجهاض، واستحلال المحرمات كشرب الخمر، وتعاطي المخدرات، والزنا، والرشوة، والربا، وأكل أموال اليتامى وغيرها، فكل هذا

¹ - أبو القاسم العليوي، منهجية الخطبة الجمعيّة، مجلة الهداية العدد 176، السّنة 33، شوال 1429هـ، 2008م، ص10.

وما كان على شاكلته وإن عقد خطابه كائن مهما كان، أو مؤسسة ما زعمت أنها إسلامية فإنه مرفوض ومردود على قائله، ولا يمتّ إلى خطاب الإسلام الصحيح بصلة، ولا إلى رسول الإسلام، ولا إلى رسالة الإسلام السمحة الرحمة للعالمين، ومما يؤكد ما ذكرت قول النبي - عليه الصلاة والسلام - : (إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)⁽¹⁾، وهذا ما أكده محمد الدسوقي حين قال: سواء كان منتج الخطاب منظمة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أم أفراد متفرقين، جمعهم الاستناد إلى الدين وأصوله كمرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم لإدارة الحيات السياسية والاجتماعية الاقتصادية والمؤسسية والثقافية التي يحيونها⁽²⁾، يعنى إذا ترك هؤلاء المذكورين هذا المنهج المتفق عليه بين المسلمين والذي هو الرجوع إلى أصول الدين وعدم مخالفتها، فإن كلامهم لا فائدة منه.

وكما أسلفت آنفا يجب الاهتمام بالخطاب المسجدي حتى يؤتي ثماره، سواء كان الخطاب درسا، أو محاضرة، أو خطبة لعيد أو جمعة، أو وعظا، أو إرشادا، والمتأمل في الخطاب المسجدي يجد بأنه يبنى على أركان أربعة، ولكل ركن شروط كما يلي:

1- الخطيب: وهو الذي يقوم بإلقاء الخطاب، وشروطه كثيرة، قال محمد الطاهر بن عاشور: أما شروطه فكثيرة منها ما يرجع إلى ذهنه، ومنها ما يرجع إلى ذاته⁽³⁾، ولعل الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيه إجمالا هي:

- الإخلاص لله في كلامه، وحب النصيحة لخلق الله.
- التحضير الجيد قبل الإلقاء.
- البراعة في الكلام وصياغة الأفكار بتسلسل وترابط.
- يكون حسن الأسلوب وسالم الألفاظ (الأدب في الكلام) بحيث يتجنب الشتم والطعن والقبح...

- يعتني بهندامه، ويستحب له لبس البيض فقد قال رسول الله ﷺ: ((البسوا من ثيابكم

¹ - محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، حديث رقم: 3029، ج2، ص1008.

² - محمد الدسوقي، تجديد الخطاب الاسلامي، مجلة منار الاسلام الامارتية، صفر 1423هـ، ماي 2001م، ص57.

³ - محمد الطاهر بن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1433هـ، ص130.

البياض⁽¹⁾.

- حسن السيرة في المجتمع.
- يهتم بما يجري في الواقع.
- يجتنب خوارم المروءة كالطمع، والطيش، والغياب عن عمله بلا عذر شرعي، والاستهزاء، والسخرية...

2- الخطبة: وهي الكلام الذي يلقيه الخطيب على مسمع جمهور الحاضرين في المسجد، يهدف من خلاله تبليغهم رسالة ما حول قضية ما، مستعينا بوسيلة من وسائل الإعلام والاتصال المسموعة، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: وليس لمقدارها حد محدود، ولكنها تكون بحسب الغرض الذي دعا الخطيب للكلام، ثم تكون بحسب ذلك الغرض بين موجزة ومطنبة ومتوسطة بحسب ما يأتي في المقامات⁽²⁾ وما يمكن أن أقترحه كشرط للخطبة هو:

- سهولة الألفاظ والابتعاد عن الألفاظ الغامضة لتتوافق مع الفروق الفردية للجمهور الحاضر.

- تعالج قضية معينة، لا تتداخل فيها القضايا الكثيرة فتكون ثقيلة الحمل على الناس فلا يفهمون.

- تراعى الأحداث والمناسبات حتى تتماشى مع الواقع، وتكون أبلغ في التأثير.

- التنازل عن اللغة العربية في بعض الأمور التي لا يتم فهمها إلا بلغة القوم المخاطب.

- مصادرها القرآن الكريم والسنة النبوية، ومراجعتها إسلامية، مع مراعاة المجالات المختلفة للحياة.

- تهدف إلى نشر التعاليم السمحة للدين الإسلامي.

- تؤثر في آراء الناس وقناعاتهم.

- منوعة بين الترغيب والترهيب، بين الأدلة العقلية والنقلية والواقعية.

- يستحب بدايتها بحمد الله والصلاة على رسوله، وختمتها بالدعاء، أو كفارة مجلس إذا كان درس.

¹ - أحمد بن حنبل، المسند، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، حديث رقم 2219، ج 4، ص 94.

² - محمد الطاهر بن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 1، 1433 هـ، ص 142.

3- زمن الخطاب: وهو الوقت الذي ينبغي مراعاته أثناء إلقاء الخطاب، ولعل أبرز ما يشترط فيه :

- ألا يكون طويلا جدا فيمل السامعين منه وينامون، ولا يكون قصيرا جدا فيخل في معالجة القضية المراد طرحها على الحاضرين.

- التحكم في الوقت حسب الظروف، والأماكن، والأحوال (الفصول، الضيق والسعة، المدينة والريف، الصحة والمرض، أوقات العمل والراحة، في الإفطار والصيام).

- حسن تقسيمه بين المقدمة، والعرض، والخاتمة.

المُخصَّص بالخطاب: وهو المتلقي للخطاب، المقصود بالتأثير والتغيير، ومما نقترحه له كشروط:

- حسن الإنصات والانتباه.

- الصبر وعدم الاستعجال أثناء الخطاب.

- التبكير لسماع كل الخطاب.

- الهيئة الحسنة؛ كالطهارة، ولبس النظيف من الثياب، والتعطر، والتسوك.

- الاستعانة بالكتابة لضبط المعلومات خاصة في الدروس التفسيرية، والفقهية، والسير والتراجم.

- التفسح في المجلس، والاقتراب من الخطيب.

- إبلاغ ما سمعه للغائبين ليعم النفع قال رسول الله ﷺ: (ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغه من هو أوعى له منه)⁽¹⁾.

فالاعتناء بما سبق ذكره من أركان وشروط للخطاب المسجدي في عصرنا يسهم جدا وبنجاح في تحقيق الخطاب المسجدي للأمن المجتمعي، كما حققه قديما، فقد استطاع المسجد في زمان رسول الله ﷺ أن ينهي نعارات الجاهلية من ثأر وغارات، وسفك للدماء، وأكل للربا، وانتهاك للأعراض، وتسلبت القوي على الضعيف، وغيرها من أعمال الجاهلية التي كانت عائقا لبناء مجتمع آمن، وُقِّد الإسلام في بنائه. وسأعرض فيما يأتي نماذج تطبيقية لما يمكن أن يتحقق به الأمن المجتمعي في زماننا من خلال الخطاب المسجدي.

¹ - أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، حديث رقم 20407، ج 34، ص 47.

ثالثاً: دور الخطاب المسجدي في تحقيق الأمن المجتمعي

يظهر دور الخطاب المسجدي في تحقيق الأمن المجتمعي من خلال بيان المسائل المرتبطة بإصلاح المجتمع، والحد من كل ما يعرقل سيره الحسن مستقبلاً، ومن هذه المسائل ما يلي:

1- بيان مفسدات الشرك ومنافع التوحيد:

تعتبر بعثة النبي محمد ﷺ نقطة تحول في تاريخ البشرية، فبالإسلام الذي جاء به أنقذ الله البشرية من ظلمات الشرك والكفر، وأدخلهم في نور التوحيد والإيمان والأمن في الدارين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، وقد فسر الرسول ﷺ لأصحابه الظلم في هذه الآية بالشرك فعن عبد الله قال: «لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم).⁽¹⁾

يقول إمام المفسرين محمد ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله، {وهم مهتدون} يقول: وهم المصيبون سبيل الرشاد، والسالكون طريق النجاة.⁽²⁾، وتوحيد الله وإفراده بالعبادة سبب للتمكين في الأرض والعيش فيها بأمان وأمن من الخوف والقلق قال تعالى ﴿وَلْيُبَدِّلْهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: 55]، فكان أول ما قام به النبي ﷺ لما دخل المدينة مهاجراً من مكة إلى المدينة بناء مسجد كرمز لتوحيد الله وترك الشرك تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18]، فلم يكن المسجد فقط مكاناً للصلاة والتلاوة والتسبيح، بل كان مدرسة يتدارسون فيه مختلف المعارف التي تبني الفرد المسلم بناء صحيحاً وسليماً، منطلقه توحيد الله وإخلاص العمل

¹ - محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب استبانة المرتدين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، حديث رقم 6937، ج 9، ص 18، ومسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، حديث رقم 124، ج 1، ص 114.

² - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1422 هـ - 2001 م، ج 9، ص 378.

له، والعيش في مجتمعه بأمن وأمان، فكان بذلك المسجد من أهم ركائز بناء المجتمع الآمن الخالي من الاضطراب والقلق الذي يسببه بعض الممارسات الخاطئة للأفراد في المجتمع كالشرك وغيره مما سأحدث عنه بشيء من التفصيل في العنصر الموالي.

2- التحذير من الموبقات السبع:

يعتبر المسجد مكان يذكر فيه رواده بنعم الله الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وبقعة تعلمهم كيفية شكره عليها من خلال عمل الصالحات ليديمها عليهم، وتحذيرهم من إخراجهم منها بالكفر واقتراف السيئات التي يذهب معها أمن البلاد والعباد قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:16]، وقد جاء في حديث رسول الله ﷺ ذكر سبع كبائر تكون سببا في هلاك المجتمع وزعزعة أمنه، وتقضي على الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»⁽¹⁾، فأول هذه المهلكات التي تهلك فاعلها في الدنيا والآخرة الشرك بالله، فماذا نعني به؟

2-1: الشرك بالله: وهو من أكبر الكبائر، وأقبح الذنوب التي تصرف الناس عن خالقهم إلى التعلق بمخلوقاته وعبادة معه غيره من نهر، أو حجر، أو شجر، أو بشر، أو قمر، أو شمس، أو نجم، أو نبي، أو ولي، أو جني، أو ملك، أو شيخ، أو شيطان، أو ضريح، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:116]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:72]، قال ابن حجر رحمه الله: الشرك أبغض إلى الله من جميع المعاصي.⁽²⁾، فالخطاب المسجدي يحقق نجاحا في محاربة الشرك، وما يخلفه من شر على أمن للمجتمع واستقراره.

¹ - محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، حديث رقم 2766، ج 4، ص 60، ومسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم 89، ج 1، ص 92.

² - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379، ج 12، ص 210.

2-2 السحر: وهو ثاني هذه السبع الموبقات، وقرين الشرك، وسماه ربنا في القرآن كفرا، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:102]، فكم روع السحرة من مجتمعات، وأفسدوا من عقول، وأسقموا من أفراد، وفرّقوا من أسر، وقطعوا من أرحام، قال الإمام مالك- رحمه الله-: "الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق"⁽¹⁾، فالمسجد بخطاباته يبصر العقول مفاسد السحر، وأضراره على الفرد والمجتمع فتبتعد عنه وعن من يمارسه فيأمن المجتمع شرهم.

3-2: قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق: ثالث هذه السبع الموبقات، ومعناها قتل النفس بدون سبب شرعي، وقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: 68].

فقتل النفس بغير حق جريمة تسبب زوال الأمن في المجتمع، والإسلام حرم سفك الدماء بغير حق، وصان دم المسلم، والمعاهد، والمستأمن، والذمي، حماية لمجتمع المسلمين وعلاقاته من الاضطراب والفوضى، لذلك حكم الإسلام على من قتل نفسا بغير حق بحكم من قتل الناس جميعا، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، كما أوجب القصاص ليحافظ على استمرارية الحياة فقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، والذي لم يسفك دما حراما فهو آمن بقول رسول الله ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دما حراما)⁽²⁾، فالخطاب المسجدي دوره بارز في بيان خطورة الانتحار، أو قتل نفس محرمة بغير حق، غايته في ذلك تحقيق مقصد حفظ النفس البشرية، ومنع الفساد عن المجتمع، وإرساء قواعد أمن الأنفس فيه.

4-2: أكل الربا: رابع هذه الموبقات والتي توعده الله بمحق ما يكسبه المرابين من تعاملهم بالربا فقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: 276]، وتوعدهم بحرب تدمرهم فلا يحيون آمنين إذا ما أصرّوا على تعاملهم بالربا فقال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

¹ - المرجع السابق، ج10، ص224.

² - محمد بن اسماعيل، الصحيح الجامع، كتاب الديات، حديث رقم: 6862، ج9، ص2.

اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿البقرة: 279﴾، ولقبح التعامل بالربا لعن الرسول ﷺ آكله ومؤكله، فعن عبد الله قال: (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومؤكله)⁽¹⁾، وأضرار الربا لا تخفى على عاقل لما تجره من مفساد عظيمة تؤدي إلى اضطراب المجتمع وعدم استقرار عموم الناس فيه، ففي الربا استغلال القوي للضعيف، وكراهية الفقراء للأغنياء، وشيوع لجرائم كثيرة كالسرقة، والرشوة، والقتل، وقطيعة الرحم، وغيرها مما يفسد المجتمع، ويعكر صفو العيش فيه؛ فالخطاب المسجدي يؤدي دورا مهماً يتمثل في بيان ضرر هذه الكبيرة على الأمن المجتمعي.

2-5: أكل مال اليتيم: خامس هذه الموبقات التي تجلب القلق لحياة روح بريئة، فمن ضيّع حقها نزل عليه سخط الله، سواء كان فردا، أو مجتمعا، إذ كيف يرحم الله مجتمعا تأكل فيه أموال اليتامى إسرافا وبدارا؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10]، ومن لا يرحم لا يُرحم، ومن مُنع الرحمة عاش البأس واليأس والظنك، ومن اعتنى باليتيم ولم يفرط في حقه، وكفله وقام بشؤونه، وسعى في مصالحه فأطعمه، وكساه، وقام بتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه ابتغاء مرضاة الله- تعالى، فقد قال فيه رسول الله ﷺ: (من ضم يتيما له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة)⁽²⁾

وللمسجد دور في نشر ثقافة رعاية اليتيم، وتعزيز مكانته في نفوس أبناء المجتمع، لاسيما أنّ اليتيم أشد الناس حاجة إلى الأمن والاستقرار حتى يشتد عوده، ويبلغ رشده، ويقدر على تسيير أموره قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: 6].

2-6: التولي يوم الزحف: للمسجد دور فعّال في تربية النفوس على الشجاعة، والإقدام في ما يجب الإقدام عليه، فكثيرا ما نجد خطب المساجد تتكلم عن سادس هذه الموبقات، والتي يقصد بها هروب المسلم من الكفار وسط المعركة، وهو مناف لما أمر الله

¹ - مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، كتاب المساقاة، باب أكل الربا مؤكله، حديث رقم: 1597، ج3، ص1597.

² - سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الاوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، حديث رقم: 5345، ج5، ص290. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة. رقم الحديث، 2882، ج6، ص893، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.

به المؤمنين أثناء الحرب حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحًّا فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ (15) وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدِ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:15-16]، وبالمقابل نجد في القرآن الكريم، وفي الرسائل السماوية السابقة أنَّ الله وعد بالجنة المؤمنين الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيله فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة:111]، وعليه فالمسجد يعرف أبناء المجتمع بأمن الله لهم في السلم، والحرب، ويدعو إلى ترك الصفات الذميمة كالجب، والبخل، والأنانية، وغيرها من الصفات الذميمة، فقد كان رسولنا ﷺ، يستعيز منها ويقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل)⁽¹⁾.

2-7: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات: آخر الموبقات التي ذكرها الرسول ﷺ في هذا الحديث، شرها مستطير، وضررها جسيم، فهي تدمر العرض الذي يعد مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية التي تصون المجتمع وتحفظ أمنه ونظامه ونسله، فهذه الموبقة اتهام بالزنا، وتدنيس للطاهرات التي حفظن أنفسهن من الفواحش، واتهامهن في أعراضهن يهدم صرح الأسرة، ويمزق شمل المجتمع، ويوسخ عرض الأمة، ويفرق الكلمة، ويزرع الأحقاد والضغائن والعداوات بين أبنائها، لذلك كان المتجرئ على أعراض الناس مرتكبا لجرم عظيم يستحق عليه العقوبة في الدنيا، والآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:23].

3- الدعوة إلى الوسطية والاعتدال:

أمة الإسلام جعلها الله أمة وسطا، لا تميل إلى المقصرين المفرطين فتحلك، ولا تنحوا منحنى الغلاة المتعصبين للباطل فتغلب، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]، قال ابن جرير الطبري- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا

¹ - محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، حديث رقم 2822، ج4، ص22.

أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها، وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم⁽¹⁾.

وأنا أضيف وأقول أن أنجح المجتمعات في تحقيق الأمن المجتمعي أوسطها، أي أعدلها، فالعدالة التي يدعوا إليها الإسلام، إذا تم غرسها في قلوب أبناء المجتمع حكما ومحكومين فسيكون المجتمع محميا من الهلاك، فالتشدد لرأي الواحد، واعتماد لغة القوة والمحاباة في فصل القضايا والمنازعات يذهب هيبة النظام العام، وتضيع بسبب ذلك جهود وأراء أخرى قد تكون هي دواء الداء الذي أصاب المجتمع، وهذه رسالة يزداد عمق تأثيرها في النفوس كلما ركزت عليها الخطب والدروس والمواعظ التي تقام في المساجد، والعكس صحيح. قال رسول الله ﷺ: ("هلك المتنطعون" قالها ثلاثا)⁽²⁾، والمتنطعون هم "المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"⁽³⁾.

4- نشر خلق التكافل والتضامن:

فالتكافل والتضامن صفة لازمة لكل من آمن بالله وبرسوله ﷺ، ولكل من يسعى لأمان المجتمع؛ فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)⁽⁴⁾. فالمسجد بيت الله الذي يشهد الهمم لتكافل وتضامن وتعاون في السراء والضراء، فعند حدوث الأمراض المستعصية، ونزول الكوارث والمجاعات تدعو خطب المساجد ودروسه ومواعظه إلى التخلي عن الشح والبخل والإقبال على البذل والعطاء لمساعدة الفقير، والمدين، والمعسر، والمحروم، حتى يعيش الكل في أمن وطمأنينة، وقد كان هذا التكافل والتضامن خلق الأمة الإسلامية منذ بعثة النبي ﷺ، فهام الأنصار خير نموذج للتكافل مع المهجرين الذين خرجوا من مكة ودخلوا المدينة لا طعام لهم، ولا كسوة، ولا مأوى، فلم يتركهم الأنصار في شيء، يحكي أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: لما قدم

¹ - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422 هـ - 2001 م، ج2، ص627.

² - مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم 2670، ج4، ص2055.

³ - نفس المرجع، شرح محمد فؤاد عبد الباقي، ج4، ص2055.

⁴ - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم 2586، ج4، ص1999.

المهاجرون، من مكة، المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم، كل عام، ويكفونهم العمل والمثونة⁽¹⁾، وخير من وصف هذا الموقف المشرف للأنصار القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 09].

5- نشر ثقافة احترام قوانين المرور:

اهتم المسجد في دروسه وخطبه ومواعظه بطرح قضية حفظ الأرواح والممتلكات من خلال التوعية بخطورة قتل الأنفس وتخريب المنشآت وإتلاف الممتلكات التي يشهدها عصرنا الذي يعيش كل يوم كابوس حوادث المرور المؤرقة لكثير من المجتمعات بل وكل دول العالم التي تعاني آلام الخسائر البشرية والمادية، وحفظ هذه القوانين يدخل ضمن مصدر من مصادر التشريع التبعية وهي المصلحة المرسله التي تحقق جلب المنافع ودفع المفاسد، بل بعضها يقوم على آيات شرعية مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: 92]، وبناء على هذا نقول أن احترام هذه القوانين واجب شرعا لأنها تحفظ الأنفس، وتدخل ضمن دائرة طاعة ولي الأمور في غير معصية عملا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]، وعملا بقوله ﷺ: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)⁽²⁾، ففي حماية قوانين المرور حماية للأداب العامة للطريق، وحماية لأمن المجتمع، ووفاء بحق الطريق وامتنالا لأمره ﷺ: (فأعطوا الطريق حقه" قالوا: يا رسول الله فما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)⁽³⁾، ومن أذى الطريق الحوادث وما تخلفه من خسائر.

¹ - مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار مناتهم من الشجر والتمر حين استغنوا عنها بالفتوح، حديث رقم 1771، ج3، ص 1391.

² - محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، حديث رقم 7144، ج9، ص93، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأُمراء في غير المعصية، حديث رقم 1839، ج3، ص 1469.

³ - أحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم 11309، ج17، ص 411.

6- بيان خطر تعاطي المخدرات وشرب الخمر:

المسجد بقعة طاهرة يتعلم فيها عمّاره تطهير نفوسهم من الخبائث، وحفظ عقولهم من كل ما يفسدها من الأمور المعنوية كالأفكار الهدامة، والأموال الحسية كالخمر والمخدرات، فهو مصدر الأمن والأمان، يحقق مقصد حفظ العقل، فكلما دخل متعاط للمخدرات أوشارب للخمر إلى المساجد وسمع النصائح والإرشادات من خطبه، كلما ترك النزعات الشيطانية، والطرق المنحرفة، وهذا ينعكس بالإيجاب على المجتمع برمته، فتتعدم فيه دواعي الفساد وتنتشر الفضيلة، وتنحصر الرذيلة، وينعم الناس بالأمن والاطمئنان، وتقوى الصلة بالله سبحانه وتعالى ويتحقق بعد ذلك قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

الخاتمة

مما سبق التطرق إليه يتضح جيدا أن الخطاب المسجدي له دور فعال في تحقيق الأمن المجتمعي، وإجابتي عن ذلك جاءت حسب ما توصلت إليه من النتائج التالية:

- المسجد مكان حماية الأخلاق الفاضلة والدعوة إليها، والتنفير من الأخلاق الرذيلة والتحذير منها.

- المسجد محور حياة المجتمع الإسلامي وسر قوته، فهو مدرسة بناء الأجيال، وصنع الأبطال.

- المسجد منطلق العلم، والجهد، وملتقى الوفود والسفراء في عهده ﷺ، ولهذا لازمه النصر والتأييد من الله تعالى.

- صوت الخطاب المسجدي وبلوغه المدى البعيد، وتأثيره بعمق في النفوس مرهون بالاعتناء بأركانه.

- الخطاب المسجدي يربي في نفوس أبناء المجتمع حب الطهارة من الذنوب صغيرها وكبيرها.

- الخطاب المسجدي يعلم حب الخير للجميع والتخلص من الأنانية.

- الأمن نعمة يجب الحفاظ عليها بكل الوسائل ومن أهم هذه الوسائل الخطاب المسجدي.

- إن الإخلال بالأمن المجتمعي يؤدي حتما إلى الإخلال بكل مجالات الحياة.
- تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في المجتمع يتم من خلال توظيف الخطاب المسجدي الهادف، وخاصة المقاصد الضرورية المتمثلة في: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال.
- وفي ضوء ما كشفه البحث يمكن أن نوصي بالتوصيات التالية:
- حتى يعود المسجد إلى دوره القيادي كما كان في عهده ﷺ وعهد خلفائه نوصي بإعادة تفعيل كل الوظائف التي كانت تمارس فيه في عهده ﷺ.
- فتح أبواب المساجد في كل وقت، وتكثير حلق العلم فيه ليقبل الناس عليها ويتركون المقاهي والنوادي الترفهية.
- الاهتمام بتكوين متخصصين في الخطاب وربطهم بميادين متعددة حتى يفقهون الواقع ويعملون على حل مشاكله.
- ينبغي أن تسجل وتكتب الخطابات المسجدية المتعلقة بموضوع الأمن المجتمعي، ثم نشرها خارج المسجد ليعم بها النفع والأمن في كل المجتمع.
- على خطّاب المسجد التنسيق مع المؤسسات الأخرى التي تعمل على نشر ثقافة الأمن المجتمعي.
- وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث من أعده، ومن أشرف عليه، ومن قرأه، ومن صوّب فيه شيئا يحتاج ذلك فالكمال لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379.
- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الاوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
- سيد الدين علي الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.
- عبد الرحمن بن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط1، 1404 هـ - 1984 م.
- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة.
- عبد اللطيف الصعيدي، المسجد رمز الصمود والتحدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 1423 هـ، 2002 م.
- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983 م.
- عمرو بن عثمان، الملقب سيويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988 م.
- محمد الدسوقي، تجديد الخطاب الاسلامي، مجلة منار الاسلام الامارتية، صفر 1423 هـ، ماي 2001 م.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، 1989.
- محمد الخضر حسين، الخطابة عند العرب، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1433 هـ.
- محمد الطاهر ابن عاشور، أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1433 هـ.
- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964 م.
- محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق

- النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422 هـ - 2001م.
- محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط1، 1996م.
- محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
- مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي
- محمد الفيروز آباد، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1.
- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.

الخطاب المسجدي والإعلام الجديد... نحو تفاعل إيجابي

ط.د/ جمال الدين بونقاب – بإشراف: د/ محمد الصديق قادري

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

Boungabdjamel82@gmail.com



ملخص

المسجد مؤسسة دينية تسعى إلى إرشاد المسلمين لطريق الهداية، بما رتب الشرع لهذه المؤسسة من مواصفات وأحكام وآداب، غير أن رسالة المسجد قد تتباين من مكان لآخر ومن زمان لزمانٍ غيره، وذلك بحسب درجة التفاعل مع الواقع قراءةً وفهماً وتأثراً أو تأثيراً.

وتحاول هذه الورقة بيان رسالة المسجد، من خلال التعريف بالخطاب المسجدي والإشارة إلى بعض خصائصه، والحديث عن واقعه وموقعه من المتغيرات المعاصرة التي يصنعها الإعلام الجديد، وتأثير ذلك على واقع المتلقي المسلم، لصيرورة الإعلام البديل رافد خطاب موازياً للخطاب المسجدي.

الكلمات المفتاحية: رسالة المسجد؛ الخطاب المسجدي؛ الإعلام الجديد؛ التفاعل؛ الواقع؛ المتغيرات المعاصرة.

مقدمة

يعتبر المسجد أبرز المؤسسات الدينية التي تدل على حضارية الإسلام من حيث اهتمامه بفريضة التعليم والتربية والتوجيه والإرشاد. ولم يقصر الإسلام رسالة المسجد على أداء الصلوات الخمس فحسب، بل إنه جعل للمسجد دوراً إيجابياً إضافياً وأهدافاً سامية أخرى تخدم المجتمع الإسلامي: فعلاوة على أداء الصلوات المفروضة هو موطن تلاوة وتدبر ومعهد علم وتهذيب، ومجلس صلح وقضاء، وملتقى تعاون وتكامل ومعقد رأي ومشورة. ولا شك أن رسالة المسجد لا بد أن تتأكد وفقاً لمتغيرات العصر التي تطرأ على الأمة، فيكون المسجد هو المؤسسة الكفيلة بالإجابة عما تأتي به تلك المتغيرات من نوازل وشبهات. غير أن الواقع أثبت كذلك أن أداء المؤسسة المسجدية حيال تلك النوازل والمتغيرات هو

رهين في ذات الوقت لجملة من المواصفات والمعايير التي وردت في الفقه الإسلامي الإشارة إلى جملة منها، ولذا فإن تقييم الخطاب المسجدي قد يكون مترددا بين تقصيره في التجاوب مع تلك المتغيرات وبين عدم تجاوبه معها مطلقاً.

والمتغيرات المعاصرة وإن كانت مختلفة الرسائل والمضامين والأفكار فإنها عالمية المظاهر والأبعاد والآثار والنتائج، ولهذا السبب فهي توصف بالكونية وللسبب نفسه تسمى بعض "تمظهراتها" بالعوامة، ولعل أبرز مكونات المتغيرات المعاصرة ما يعرف بـ "الإعلام الجديد" الذي أحكم سطوته على العالم، وباتت خطاباته المتنوعة والموجهة موازية للخطاب الديني بما فيه الخطاب المسجدي، وقد تسببت هذه الموازة في تغاير واضح على مستوى الخطاب الدعوي الإسلامي: بين متأثر مستسلم لرسالة إعلام الوسائط انهارا ببعض سماته، وبين متوجس منه انطلاقاً من آثاره ونتائجه الآتي ذكرها لاحقاً.

• مشكلة البحث والتساؤلات الفرعية:

ومنه، فإن الإشكالية الرئيسية التي تسعى هذه الورقة للإجابة عليها هي:

- ما هو واقع الخطاب المسجدي في مرحلة الإعلام الجديد؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة مهمة أيضاً، منها:

- هل للخطاب المسجدي سمات مثلى يمكن استثمارها في مجابهة تحديات الإعلام

الجديد؟

- وهل الخطاب المسجدي قادر على احتواء الإعلام الجديد رغم مخاطره البالغة؟

- وإذا كان المسلم في حاجة إلى قدر كبير من الأمن الذي به يضمن حياته ويحقق ذاته،

وهو أمن نفسي واجتماعي واقتصادي وثقافي في ظل وطأة الاستضعاف والحاجة الملحة التي

يعيشها المسلمون اليوم، فهل المسجد كفيل -في هذا الوضع- بتعزيز الأمن المجتمعي أو ما

يمكن تسميته بـ "الأمن الوجودي"؟

• أسباب اختيار الموضوع:

الرغبة في المشاركة في الملتقى الوطني التاسع حول الخطاب المسجدي في منطقة وادي

سوف وما جاورها، وكذا الإسهام بالقدر الذي يمكن أن يقدم توصيفاً تقريبياً لرسالة

المسجد في ضوء المتغيرات المعاصرة، وهو ما تم صياغته في عنوان الورقة بـ "الخطاب

المسجدي والإعلام الجديد.. نحو تفاعل إيجابي".

• أهمية الموضوع وأهدافه:

وتكمن أهمية التطرق لهذا الموضوع فيما جاء ذكره ملخصاً في ديباجة الملتقى؛ وهو إثراء ونقد بعض مظاهر القصور في الخطاب المسجدي، واقتراح تفعيل وتطوير الخطاب المسجدي بما يضمن تحقيق الأمن والانسجام المجتمعي.

• الدراسات السابقة:

ولا شك أن مثل هذه الموضوعات مما تمس إليه الحاجة، فهو يتردد بين الفريضة والضرورة؛ أما الفريضة فهي ما تشير إليه النصوص والآثار من التأكيد على أهمية دور المسجد وأثر رسالته، وأما الضرورة فهي ما يستلزمه النظر إلى الواقع المؤثر. ولهذا، فقد وجد من الدراسات ما يشير إلى الموضوع من أطراف متفاوتة قريباً وبعداً؛ ويأتي في طليعة تلك الدراسات المقالات المنشورة في مجلة "رسالة المسجد" - خصوصاً في السنوات الأولى من 2003 إلى 2008؛ فإن لهذه المجلة إسهاماً كبيراً من حيث جدية الطرح وسعة التناول في بيان دور المسجد وتوضيح رسالته والتعريف بخطابه، غير أن الإفادة من المجلة بقي فيما يبدو ضئيلاً بسبب ضيق نطاق التوزيع الذي ما يزال يقتصر غالباً على الأئمة ومكتبات المساجد، وبسبب عدم رقمنة المجلة بشكل يسهل الاستفادة منها والتعريف بها. وأما الدراسات التي تتقاطع مع موضوع الورقة والتي أمكن الاطلاع عليها فمهما:

- دراسة دلدول (2022) بعنوان الأدوار الأمنية والاجتماعية للخطاب المسجدي - الأمن الإنساني أنموذجاً.

- دراسة مرزوق (2018) بعنوان الخطاب المسجدي وشروط كفاءته كما يدركها المتلقي.

- دراسة بوبشيش (2015) بعنوان تحديات الإعلام الجديد وسبل حماية الشباب المسلم من أخطارها.

- دراسة المسلي (2010) بعنوان الوظيفة التربوية للمسجد في ظل المتغيرات المجتمعية المعاصرة.

• خطة البحث:

للإجابة على الإشكالية المشار إليها تم استخدام المنهج الوصفي والتحليلي باعتبارهما الأنسب لدراسة مثل هذه الموضوعات؛ فكان الوصفي للتعريف بالخطاب

المسجدي والإعلام الجديد، فيما استخدم التحليلي للحديث عن خصائص كل من الخطاب المسجدي وواقعه ومظاهر الإعلام الجديد ورسائله وآثارها.

ولقد جاءت هذه الورقة في مقدمة تم الإشارة فيها إلى أهمية المسجد في الإسلام ومكانته في قلوب المسلمين، وما ينبغي أن يكون عليه القائم بالرسالة المسجدية، ثم انتقل الباحث إلى المبحث الأول الذي حاول فيه الاقتراب من رسالة المسجد وذلك من خلال إظهار الفرق بين المسجد الوظيفي والمسجد الرسالي، وفي المبحث الثاني الذي جاء في مطلبين تعرض الباحث للخطاب المسجدي من خلال التعريف به وبجملة من سماته، كما تناول في المطلب الثاني توصيفاً لواقع الخطاب المسجدي المعاصر، أما المطلب الثالث فكان حول خطاب الإعلام الجديد من خلال ثلاثة مطالب؛ فما التعريف به ثم الحديث عن خصائصه ثم محاولة الكشف عن رسائله وآثارها على المتلقي المسلم، كما تناول الباحث في مبحث رابع سبل الاندماج في الإعلام الجديد وحاول الإشارة إلى ما يمكن أن يظهر الخطاب المسجدي من خلاله بمستوى رفيع. أما الخاتمة ففيها ما توصل إليه الباحث من نتائج مع ذكر بعض المقترحات التي يمكن أن تسهم في تحسين الأداء المسجدي في إطار ما اصطلاح عليه في الورقة بـ "الخطاب المسجدي".

المبحث الأول: المسجد الوظيفي والمسجد الرسالي

تسبب تكالب الظروف والحوادث على الأمة الإسلامية بعد الموجة الاستعمارية في انحسار رسالة المسجد وتحويل أنظار الناس وأفئدتهم عنه شيئاً فشيئاً، ولم يعد يقوم بأدواره ورسائله التربوية والإعلامية كما كان في السابق، فلقد اجتهد أعداء الإسلام من كل اتجاه (استعماريين، ومستشرقين ومفكرين وأدباء ومثقفين) أن يعزلوا المسجد عن حياة المسلمين، ونجحوا في ذلك إلى الحد الذي هيا ضعاف القلوب إلى تشرب ما أثير من شبهات لاحقاً (الرشيد، 1982، ص 78). حتى امتد هذا الانحسار والتقلص إلى عصرنا وظهرت نوازل وشبهات وجدت تغذية قوية من قبل الإعلام الجديد، فتنادت أصوات بتحجيم الخطاب المسجدي والاستعاضة عنه بالخطاب الإعلامي المتسم بالمرونة واليسر والفورية وغيرها من الخصائص المغرية.

إن التباين الذي يبدو عند التعريف بالمسجد بين كونه وظيفياً تارة ورسالياً تارة أخرى، إنما مبعثه التمايز بين المفهومين الذين يؤكدهما الواقع الدعوي، فإن تقديم المسجد على كونه وظيفياً ليس سوى بحث في المواصفات التي ينبغي أن تكون عليها بيوت الله؛ أي كونها

دورا للصلاة وتلاوة القرآن. وهذا القدر من البحث لا تتحقق به رسالة المسجد التي دلت عليها معاني النصوص الشرعية والمواقف التاريخية، فإن هذا القدر لا يستجلى إلا بالوقوف على رسالية المسجد التي تكمن في كونه جامعة شعبية للتثقيف والتثذيب، وبرلمانا دائما للتشاور والتفاهم، ومؤتمرا عاما للتعارف والتحاب، ومعهدا للتربية العلمية (القرضاوي، 1995، ص 238-240).

والملاحظ اليوم هو طغيان الجانب المادي الشكلي "المعماري" على الجانب الرسالي "الإعماري"، والاهتمام بالمساجد على حساب الساجد، مع أن المسجد في الشرع الحنيف الميسر يمكن أن يكون كل مكان نظيف يخصص للصلاة ويقصر عليها من غير اشتراط بناء ولا هيئة معمارية؛ فقد روي عن الرسول ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»؛ فهذا نص في عدم اشتراط البناء المتكامل مع استدعاء الضرورة إلى ذلك في الأزمان الأولى كما قال عمر رضي الله عنه للبناء: "أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَحْمَرَ أَوْ تَصْفَرَّ فَتَفْتَنَ النَّاسَ". وفي هذه البساطة المقصودة لفت الانتباه إلى كراهة التكلف والنهي عنه وتحويل النظر إلى الوقوف عند مقاصد الأمور. على أن هذا لا يسقط قداسة المسجد وحرمة التي أكسبه إياها الإسلام، وما يتبع ذلك من اهتمام بنظافته ورعاية لمرتديه.

ويتضح مما سبق إذاً أن وظيفة المسجد قد تتحقق بمجرد قيام البناء المخصصة للعبادة والشروع فيها، بخلاف رسالة المسجد فإنها منوطة بحسن الفهم للدين الدال على الوقوف على المقصد من تشييد المساجد، ومن ذلك الفهم تحقيق مفهوم العبادة والتمكين للدين الحق والهداية للخلق.

المبحث الثاني: خصائص الخطاب المسجدي وواقعه

المطلب الأول- خصائص الخطاب المسجدي:

الفرع الأول/ مفهوم الخطاب المسجدي

يلاحظ الباحث عن تعريف مناسب ودقيق للخطاب المسجدي تداخلا -فيما يجده من تعريفات- بين المسجدي والدعوي والديني، ولعل السبب راجع إلى الغاية المرادة من الخطاب والمتمثلة في تحقيق العبودية لله تعالى أو إعلاء كلمته عز وجل. ولذلك، يطلب السؤال التالي: هل الخطاب المسجدي والخطاب الدعوي (والديني) بمثابة واحدة؟ والجواب إنما يكون بالنظر إلى العلاقة بين المسجدي والدعوي أو بين المسجدي والديني

وخصائص كل منها. وفيما يلي عرض لبعض التعريفات ثم اختيار التعريف الأقرب:

- عرفه عبد السلام أبو زيد على أنه العملية الرمزية التي يتم بمقتضاها إنتاج الرسائل المتنوعة بصورة تحقق التفاعل بين مصدر الخطاب والمتلقين بهدف التوصل إلى استجابات تنسجم مع دعائم الفكر الإسلام، وتستجيب لقضايا العصر واحتياجات الإنسان. (نبق وبوسعادة، 2022، ص 129) وقد قدم له صاحبه بقوله: هو أحد نماذج الخطاب الديني بصفة عامة، ويمكن تعريفه على أساس مفهوم الخطاب الإسلامي. كما أن صاحب التعريف أغفل أهم عنصر في الخطاب وهو المسجد، فضلا عن التعسف في توظيف بعض الاصطلاحات كقوله "العملية الرمزية".

- عرّفه العمري بأنه كل ما يقدمه المسجد من أعمال علمية، تتم صياغتها لغوياً من خطبة الجمعة إلى درس الجمعة، إلى الدروس المختلفة المتعلقة بالمناسبات وغيرها إلى ما يهدف إلى إحداث نوع من التأثير في رواد المسجد، ويحدث نوعاً من التغيير في محيط المسجد، باعتبار المسجد هو المؤسسة التي تنتج هذا الخطاب. (نبق وبوسعادة، 2022، ص 130) في هذا التعريف بعض التكرار والحشو مع ملاحظة أنه قصر الخطاب المسجدي في الأعمال العلمية فحسب وهذا غير مسلّم له لاشتمال الخطاب المسجدي على بعض الأنشطة التي ليست ذات طابع علمي بحت، كما أن صاحب التعريف جعل الخطاب مقصوراً على ما كانت صياغته لغوية فقط، وهذا قد يؤكد التوجس أو عدم الرغبة أو التأخر -في أحسن الأحوال- عن عملية إدماج لغات الإعلام الجديد المختلفة في الخطاب المسجدي.

- وعرّف بأنه خطاب ديني تربوي وإعلامي يؤدي إلى الناس بأدب وحكمة، ويشترط فيه ملاءمة بين الخطيب والمخاطب، ويتضمن الوعظ والإرشاد والتوجيه والإعلام، ويعالج مواضيع شرعية وسلوكية واجتماعية، وذلك من أجل النهوض بالمجتمع وفق ما جاء في القرآن والسنة. (تكوك، 2013، ص 14) فيه تفريق بين الديني والتربوي وهذا قد يكون جائزاً لو تعلق الأمر بأنشطة لا صلة لها برسالة المسجد.

- التوجيه العلمي والديني والأخلاقي الذي تتبناه المؤسسة الدينية في مجال الدعوة إلى الله وتقوية الإيمان به، والتربية للفرد والإصلاح للمجتمع". (بلعالم، 2020، ص 16) والملاحظ أن كل أنشطة المسجد هي في الأصل إما دينية بالأساس أو أن لها صلة بالدين بعامته وإن كانت أخلاقية أو علمية، ثم إن ثمة عدة مؤسسات دينية ومنها المسجد والمراكز

الثقافية الإسلامية والمعاهد الدينية ومعاهد تكوين الأئمة والخطباء وغيرها.

- كل نشاط اتصالي فيه كلام أو تبليغ أو كتابة محدود بمكان معين وهو المسجد (مرزوق، 2018، ص 43)، ومثل صاحب التعريف بجملة من الأنشطة كالدروس، الخطب، تحفيظ القرآن والحديث النبوي، الفتاوى الشرعية، الإعلانات الهادفة، المجلات والمطبوعات المعلقة، الندوات العلمية، الخ، ثم قال: والغرض العام من كل ذلك ترشيد الناس وهدايتهم إلى أفضل سبل الحياة السعيدة.

وقد يكون التعريف الأول هو الأقرب لحقيقة الخطاب المسجدي مع شيء من الملاحظة والتعديل، فيقال: "الخطاب المسجدي هو كل ما تقوم به المؤسسة المسجدية من أعمال بهدف التأثير في رواد المسجد، والتغيير في محيطه".

الفرع الثاني/ سمات الخطاب المسجدي

للخطاب المسجدي جملة خصائص تميزه عن غيره من الخطابات، ولعل المتحكم في ذلك التميز هو الجهة الباعثة على هذا الخطاب، وفيما يلي جملة من تلك الخصائص:

- القداسة: ذكر بعض الباحثين أن من تلك الخصائص ما سمّاه "القداسة"، وجعلها مستمدة من قدسية المسجد ذاته (مرزوق، 2018، ص 54)، ولعل هذا الإطلاق غير مسلّم به إذا اتفق على كون الخطاب المسجدي خطاباً اجتهادياً وصناعة بشرية يعتريها النقص ويطرّقها النظر وإن كان مستمدّها الشرع ومكانها المسجد.

- العلمية: الخطاب المسجدي خطاب علمي قائم على النقل الصريح والعقل الصحيح، ولذا فهو أبعد الخطابات عن الخرافات المردولة والسرديات البائدة والنقول الموضوعة والأقوال المرجوحة.

- الموضوعية: تتحقق بالبعد عن مقابلها وهي "الذاتية" أو "الشخصنة" للوقائع والأخبار والأحداث، فإن الذاتية صارفة للمتلقي عن تقبل الخطاب إذ يعتقدها لازمة له لا لصاحب الخطاب.

- الأولوية: مراعاة أولويات المتلقين والنظر في احتياجاتهم، فيما يسمى بـ "فقه الأولويات" الواجب تعلم قدر معتبر منه والأخذ به لدى القائم بالخطاب المسجدي.

- الواقعية: لهذه السمة اتصال بـ "الألوية"، فما هو أولوي فهو بالضرورة واقعي،

وليس كل واقعي أولويًا، أي إن الموضوع الذي يثيره القائم بالخطاب المسجدي ليس من محض الخيال أو من عالم المثل، إنما هو موضوع معيش في واقع الناس.

-الحكمة: وهي وضع كل شيء في موضعه الصحيح، ومن مظاهر الحكمة الجمع بين الترغيب والترهيب، وبين اللين والشدّة، والتوسط بين التفاؤل المفرط والتشاؤم المثبط، وهكذا.

المطلب الثاني- واقع الخطاب المسجدي:

ما يزال مستوى هذا النوع من الخطاب دون المرجو منه، بحيث بات من المتعذر أن يطلب منه تقديم تصور كامل وصحيح ودقيق عن دين الإسلام (خاين، 2009، ص 31)، ولا يصح أن يُعْتَدَر عن هذه النظرة بما تقدمه المساجد بشكل دوري -قد يكون مكثفًا في بعض المواسم- من خطب ودروس ومحاضرات، وما تشتمل عليه من معلومات كثيرة وتفصيلات لا حصر لها أحيانًا، فإن هذا التعليل قد يعود بالمرء إلى الدور الأول المتمثل في الخلط بين الوظيفي والرسالي في الخطاب المسجدي. لأن الخطاب المسجدي المطلوب هو ما تحقق فيه أكبر قدر ممكن من الخصائص التي أشير إليها سابقًا كالواقعية والأولوية والموضوعية وغيرها.

ويمكن إجمال واقع الخطاب المسجدي في مظهرين هما واقع الخطاب وواقع المتلقي:

الفرع الأول/ من جهة القائم بالخطاب:

- عدم وجود منهجية معينة في الدرس المسجدي، بحيث يسهل على المتلقي المتابعة والاستفادة بشكل منهجي وميسور، وهذه النقائص تنسحب على الخطاب المسجدي بصورة عامة سواءً في الخطب أو الدروس أو الحلقات وغيرها.

- التقصير في العناية بمقاصد الإسلام وأسرار التشريع وما يتبعها أو يتعلق بها من ظروف نشأة المذاهب، والتفريط فيها مما لا يغتفر لصاحبه إذا أَمِنَ في بيان الأحكام الشرعية مع افتقار لما مرّ ذكره، وكثير من المسائل الشرعية إنما تصنع فيها الشبهات من هذه الجهة، ومن ذلك مسائل التعدد والطلاق والعدة والميراث والردة والرق وغيرها.

- الإغراق في العموميات العقيمة التي لا تنتج عملاً ظاهراً ولا تبين عن طريقة واضحة ولا تفصح عن منهج يمكن الأخذ به على وجه التفصيل؛ ويمثل لذلك بقولهم: "الإسلام هو

الحل "أو" عليكم بالكتاب والسنة" وغيرها، فإن هاتين العبارتين صحيحتان في نفس الأمر، ولكنهما -في الخطاب المسجدي الذي ينبغي أن يكون رسالياً وهادياً ورحيماً- عبارتان عامتان تفتقران إلى منهج دقيق تفسران من خلاله.

- الاقتصار على العلوم الشرعية مع إهمال واضح للعلوم اللغوية والإنسانية كالتاريخ وعلم السنن وعلم النفس وعلم الاجتماع والفكر السياسي والاقتصادي، فضلاً عن الطب والفلك، فضلاً عن حركة الأدب والثقافة والإعلام وغيرها من العلوم والمجالات ذوات الأثر الظاهر على القارئ بالخطاب المسجدي لو أكبَّ عليها ونظر فيها، فإنها مفاتيح لما يرد على الناس من مشكلات في الأبواب المذكورة، والجهل بها مضرّ.

- الانكفاء على الأحكام الوعظية في مقابل ما يُطرح من شبهات عقلية يفرزها الإعلام الجديد عبر منصاته المختلفة، فينبغي للخطاب المسجدي أن يكون في مقابل ذلك رافداً للإجابات المقنعة فإن الموعظة لا يمكن أن تُسكت قلقاً عقلياً، بل إن على الخطاب المسجدي أن يبادئ الواقع أحياناً، فيكون خطاباً استباقياً لا خطاباً لاحقاً، ولعل هذا من قبيل ما يسمى اليوم "صنع المحتوى".

- السقوط في وهدة التشكيك من قبل المتلقين، وذلك من خلال الاعتماد على الإسرائيليات والموضوعات وما لا يصح نسبته أو ما يصعب تحقيقه من الأخبار.

- الانخراط في التجاذبات السياسية التي ملئت بها المجالس حتى انتقلت إلى المساجد واعتلت المنابر وسمع منها المتلقون كلاماً غريباً حول الديمقراطية والدولة المدنية وشكل الدولة وغيرها، وقد سهّل ذلك تصنيف القارئ بالخطاب فحُرِّم الحياد والنزاهة. وإقحام السياسة في الخطاب المسجدي من أقرب السبل لإفشاله والتخذيل عنه وزعزعة الثقة به لدى المتلقي.

- مصادمة جمهور المتلقين بمعالجة ما لا يتصل بواقع، ولا يدل على حسن توقع، ولا يشير إلى أولويات الناس، فإن النظر في الأولويات مما يحبب المتلقي في الخطاب ويدعوه لاتباعه.

- كما أن الخطاب المسجدي الرسالي الطموح لا يمكن أن يحقق له وجوداً أو يجد له مكاناً في مسجد يتسارع القائمون عليه إلى إغلاق الأبواب فور الفراغ من أداء الصلوات.

- وعلاوة على ما ذكر، فإن مما يعاب به الخطاب المسجدي من حيث الشكل -وقد يبدو معدودا لدى البعض ضمن الترف الخطابى- عدم العناية باللغة العربية نحواً ولغةً وأسلوباً، ولا شك أن الأخذ بها على وجهها يعين صاحب الخطاب على التركيز في الفكرة والاقتصاد في الكلام؛ فإن البلاغة هي الإيجاز، والإطناب من عوائق التلقي.

الفرع الثاني/ من جهة المتلقي:

- الانجرار وراء ضغوط الحياة ومتطلبات المعيشة من ماديّات الحياة اليومية، واعتقاد بلوغ الغاية بمجرد تحقيق تلك الماديّات والحصول عليها، وهذا بلا شك ينعكس بسوء على الحاجيات الروحية والسلوكية التي يطلب من المسجد ضمانها وتحقيقها.

- الاستسلام للشبهات التي تثيرها المنصات الإعلامية في الجوانب المختلفة من الدين، وتحديدًا في الجانب التشريعي (مَرّ التمثيل ببعض ما يثار حوله) والجانب العقائدي (توحيد، وحى، نبوات، بعث، جزاء، الخ) مما لا طاقة للمتلقى العادي برّده. وقد سبق الإشارة إلى أن الخطاب المسجدي ينبغي في هذا الصدد أن يكون خطاب استباق؛ فيكون من برامجه الرسالية بناءات منهجية وعقدية وفكرية وثقافية وسواها.

- الانقياد لبعض "الإعلاميين" ذوي الاشتغال أو البحث الشرعي والفكري، واعتبارهم قدوات قائمة وشخصيات مؤثرة، وقد أسهم هؤلاء الإعلاميون في الحط من مكانة الخطاب المسجدي الدعوي القائم على النصوص الشرعية لا على الأفكار الإعلامية.

- التباين الفكري والمعرفي والعلمي بين المتلقين إزاء خطاب واحد وموحد لا تراعى فيه أحوالهم وظروفهم وأولوياتهم وقدراتهم، وعدم تفحّص مدى تأهلهم للاستيعاب والتأثر والعمل.

- الركون إلى الصورة النمطية التي يرسخها الإعلام الفاسد؛ والتي مُفادها أن أداء الصلاة وعمارة المساجد موكول في الغالب إلى الشيوخ والمسنّين والعجزة والبطالين، مع أن مثل هذا التصور السطحي يزال بأدنى إشارة من النصوص الصحيحة الداعية إلى صلاة الجماعة من دون أي تفريق بين فئات الناس، ومنها حديث السبعة الذي فيه "ورجل قلبه معلق بالمساجد".

المبحث الثالث: خطاب الإعلام الجديد

المطلب الأول: تعريف الإعلام الجديد

لا يجد الباحثون بدءاً من الاعتراف بصعوبة تقديم تعريف محدد للإعلام الجديد، فعلى الرغم من ثرائه التقني وأهميته السياسية والاقتصادية والثقافية، ما زال تنظيره تائهاً بين علوم الإنسانيات ونظريات المعلومات والاتصالات. (شيخاني، 2010، ص 242)

ولعل مردّد ذلك التردد إلى اختلاف زوايا أنظارتهم ومجالات اهتماماتهم، ولكن قد وجد بالاستقراء أن التعريفات يمكن أن تنحصر في ناحيتين وهما ناحية الوسائل وناحية الرسائل (بوبشيش، 2015، ص 18-19). وبما أن الناحية التي تُعنى هذه الورقة بربط الصلة بينها وبين الخطاب المسجدي هي ناحية الرسائل بشكل رئيس، وذلك لاعتبار كونها الجانب غير المعلن من رسالة الإعلام الجديد بحسب ما سيشار إليه لاحقاً، ولاعتبار كون الوسائل مجرد امتداد للتطور الطبيعي الذي تشهده مختلف العلوم مع التسليم بالآثار الكبيرة والخطيرة لذلك التطور، والوسائل أمر لا ينفكّ تجاوزه في التعريف بالإعلام الجديد.

وقد اجتهد الباحثون في تقريب مفهوم الإعلام الجديد بتقديم أشكال موازية له، فجعلوه في مقابل: الإعلام المعاصر، والبديل، والرقمي، والتفاعلي، والشبكي، وإعلام الوسائط المتعددة، وغيرها. أما التعريفات التي قدموها فمنها ما يلي:

– الإعلام الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي. (صادق، ؟، ص 06) وهو تعريف كلية شريديان التكنولوجية.

– الإعلام الذي يقوم على تدفق المعلومات من خلال اندماج الحاسبات الآلية والشبكات والوسائط المتعددة.

– الإعلام الذي يقوم على استخدام التكنولوجيا الرقمية، وتطبيقات النشر والبريد الإلكتروني، متيحاً المشاركة للجميع كمنتجين ومتلقين للمادة الإعلامية ووسطاء لتداولها والتفاعل معها بحرية ومرونة. (إبراهيم، 2014، ص 22)

وجميعها كما هو ملاحظ تعريفات مقتضبة ومركزة وشديدة التقارب، ولعل من غير اليسير اختيار أحدها لقريظة تصنع الفرق بينها.

المطلب الثاني: خصائص الإعلام الجديد

إن التعامل مع الإعلام التقليدي يقف سريعاً وبدون أدنى كلفة على الفرق الواضح بينه وبين الإعلام الجديد الذي يركز بالأساس على التكنولوجيات الحديثة القائمة على جملة من الخصائص المتفردة، وفيما يلي عرض موجز لأبرز تلك الخصائص:

- الرقمية: هي من أبرز سمات الإعلام الجديد، إذ خرجت به عن طور التماثلية التي شهدت سلبيات ونقائص كثيرة تتعلق بالصوت والصورة إلى الرقمية التي ساعد على تبني جميع وسائل الإعلام لها انخفاض تكلفة الحواسيب. (شيخاني، 2010، ص 244)

- التحرر: لم يعد بمقدور الحكومات أن تلاحق المنصات الإعلامية فضلاً عن أن تقيد من حريتها في ممارسة أنشطتها أو منحها تصاريح، فقد أصبح الصناعة الإعلامية ملكاً للجميع دون أدنى حاجة إلى مراجعة مكاتب المسؤولين. (إبراهيم، 2014، ص 24)

- التفاعلية: هي كما تشير إليه لغوياً صيغة تشاركية، تُتبادل فيها الأدوار ويتغير فيها التأثير. ويمكن أن يعبر عن التفاعلية أيضاً بـ "التداولية" إذ لم تعد المادة الإعلامية كما في الإعلام التقليدي منحصرة في نخبة الإعلاميين المتخصصين أو صنّاع القرار السياسي فحسب، بل إنها أصبحت من المتاح ورود المادة الإعلامية من جهة المتلقي أو المتابع أو ما صار يطلق عليه بـ "المتواصل" الذي له تحكم جيد في وسائل الإعلام الجديدة.

- السرعة والفورية: السرعة في معالجة المعلومة والفورية في وصولها إلى المتلقي بصرف النظر عن مكان تواجده، أي إنها إلغاء الحواجز المكانية والزمنية.

- الكثافة: المقصود بها كثافة المعلومات والبيانات إلى حد الإزعاج في بعض الحالات، وهذا الأمر متعلق بلا شك باتساع النطاق البحث ووفرة المدونات البحثية (مصادر، مراجع، دراسات، استطلاعات، الخ).

- الانفتاح: أسهم الإعلام الجديد بقدر زائد عن نظيره التقليدي في انفتاح مستخدميه على العالم المختلفة في إطار العولمة الثقافية.

- التعددية: أي تعدد الوسائط التي تجمع بين المطبوع والمسموع والمرئي في آن واحد وبشكل سلس وأقل تكلفة، وهذا بخلاف الإعلام الكلاسيكي الذي لم يمكنه الجمع بين أكثر من وظيفتين.

- الاحترافية: أصبح في إمكان كل متعامل وفق قدرٍ معرفي ما التحكم في شكل الصوت والصورة والتأثير فيهما بالتعديل والتحسين.

- التحيز: أثبت التجربة في التعامل مع منصات إعلامية مختلفة (كمواقع التواصل الاجتماعي: فيسبوك، تويتر، يوتيوب، الخ) مع تتبع للأحداث الفاصلة التي تحرك الأمم أن لمنصات الإعلام الجديد -على غرار الإعلام الكلاسيكي- إيديولوجيات متبوعة وأفكاراً حاکمة موجّهة، لا تعفي الإعلام الجديد رغم إيجابياته الضخمة من مشكلة التحيز.

المطلب الثالث: رسالة الإعلام الجديد

لقد شكل بروز إعلام الوسائط آثاراً واسعة النطاق وبالغة التأثير، ومن تلك الظواهر التي تم معابنتها وبعضه مما تم رصده في الحالة الإسلامية:

- الانفتاح على ثقافات مختلفة كانت مخبوءة في ظل الإعلام الكلاسيكي رغم انتشاره نسبياً.

- تعزيز مفهوم العولمة بمنظور صانعها (الولايات المتحدة الأمريكية)، والاتجاه شيئاً فشيئاً نحو فرض "الأمركة" ثقافياً والليبرالية اقتصادياً، الخ.

- تفتيت الثقافات والمرجعيات الفكرية المحلية بسبب الانهيار بمزايا ثقافة الآخر.

- تزعزع الأمن المجتمعي في مختلف الأصعدة: أمنياً وفكرياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، ومن المفارقة أن هذا المظهر هو نتيجة حتمية وسبب في الوقت ذاته للمظهر السابق "تفتيت الثقافات والمرجعيات المحلية".

- ظهور مضامين ثقافية جديدة بشكل مختلف عما كان يروج به في الإعلام التقليدي.

- نشوء ظاهرة مجتمع افتراضي "أفقي" في مقابل المجتمع "الهرمي" الأصلي المتبّع في نظام المجتمعات التقليدية، وقد أسهم هذا المنظور في تحطيم البناء الأسري القائم على النظام المذكور، وقد تمثل ذلك في الاستسلام للعزلة والعزلة الشعورية، والاختلاف المفتعل حول الحقوق والواجبات، وتضخم الأنانية وتحقق مبدأ الفردانية، الخ.

- التقليل من شأن الدين والتدين، وتسطيح مبدأ علوية الدين وحاكميته على الحياة، وإلغاء العقيدة الدينية وإحلال عقائد أخرى محلّها في صورة هويّات بديلة كالهوية

الثقافية والهوية الاقتصادية والهوية العلمية التي من صورها الميل إلى بعض النظريات والفلسفات العلمية أو تبنيها كالدروينية والفرويدية وغيرهما.

- التشكيك في أصالة التشريع الإسلامي وتوسيع دائرة الاجتهاد فيما لا اجتهاد فيه بمجرد نقل الأقوال المرجوحة والدعوة إلى تبنيها وقد تسنى جميع ذلك بتصدير وجود إعلامية من النكرات ونسبتها إلى الدعوة الإسلامية والبحث العلمي.

- ترسيخ فكرة العلمانية الشاملة (فصل الدين عن الحياة) من خلال تشويه صورة التاريخ الإسلامي باستدعاء بعض الخلافات التاريخية التي عليها الزمن وادعاء إقحام الدين فيها، وإعادة تمثيلها بوضعها في غير سياقها.

- استحداث لغات تواصل افتراضية متعددة (كتابة، صورة، صوت، رموز، أيقونات، الخ).

- تمكين "المتواصل" من المشاركة في وضع الأجندات والإسهام في صنع القرارات. ومهما كانت إيجابيات الإعلام الجديد، فإن له رسالة -أو رسائل- معينة تم الإشارة الضمنية إلى بعضها آنفاً، فإن النوايا والرسائل والبرامج والخطط إنما تعرف بمخرجاتها والنتائج المترتبة عنها. وأياً كانت طبيعة تلك الرسائل، فإن من المؤكد أن الإعلام الجديد قد غزا المسجد أيضاً باعتباره مؤسسة دينية واجتماعية وإعلامية كذلك، وأثر في الخطاب المسجدي؛ وهذا بالنظر إلى رغبة المسجد في الاستفادة من مزايا الإعلام الجديد وتوظيفها من جهة، وبالنظر إلى واقع الخطاب المسجدي بما يحمله من نقص وضعف من جهة أخرى.

المبحث الرابع: سبل الاندماج مع الإعلام الجديد

للإعلام الجديد إيجابيات أسهمت في تغييرات كونية جذرية اختصرت الزمان والمكان، وغيرت وجه السياسة والاقتصاد، واستحدثت بنى اجتماعية جديدة، وتشكلت بسببها ظواهر ثقافية غريبة، لكن لها في الوقت ذاته مخاطر لا يمكن تجاهلها أو الإغضاء عن آثارها سواء على المستوى العالمي أو على الصعيد الإسلامي، والحكمة تقتضي المسلم -وتحديداً القائم بالخطاب المسجدي- الموازنة بين الإيجابيات المهمة والسلبيات المنفرة، والأخذ بما يفيد في خدمة الدعوة الإسلامية، ولا يتم ذلك إلا باستثمار الخصائص المثلى للخطاب المسجدي ودمجها مع إيجابيات إعلام الوسائط، حتى يتحقق المتلقي المسلم وجود خطاب مسجدي إسلامي رفيع. وفيما يلي عرض لبعض النقاط التي يمكن أن يتحقق

من خلالها الخطاب المسجدي المنشود في ظل الإعلام الجديد تعاطيا وتأثراً وتأثيراً:

- تحقيق اكتفاء معرفي ثري بواسطة الرجوع إلى المصادر الشرعية الموثوقة والاجتهادات العلمية المتينة والمواقف التاريخية المشرفة التي تعفيه من التطلع إلى خطاب الآخر ومن ثمّ الانهيار بواقعه، اللهم إلا على مستوى الوسائل والتجارب الخطابية (وسائل الإقناع، النظريات الحجاجية، الفنون الخطابية، الخ).

- قراءة الواقع قراءة متأنية وعميقة ومؤثرة بالأدوات المعرفية السليمة كعلوم القرآن، وأصول الفقه، ومقاصد الشريعة وأسرار التشريع، والتاريخ، والنظريات الاقتصادية، والفلسفات الاجتماعية، "والأحكام الطبية، والقضايا النفسية" (ولد خسال، 2011، ص 86)، وغيرها بغرض تحقيق القدرة على المجابهة الفكرية والإجابة عما يفرضه الإعلام الجديد من شبهات وشكوك، وإظهار الخطاب المسجدي بموقف مطمئن.

- إعداد برامج جادة في إطار البناء المنهجي والبناء العقدي والبناء الفكري والبناء الثقافي، أو اعتماد المتوفر منها والمتاح على الشبكة العنكبوتية، وفيه الكثير من إعداد بعض الإعلاميين الدعاة.

- محاولة التعرف على رسالة الإعلام الجديد ودراسة مضامينه، من خلال تفكيك خطابه المبعوث في المناسبات أو المواقف المختلفة، وترتيب الحجج المناسبة لإعادة تصحيح الوضع وتوجيه المتلقي.

- استخدام وسائل الخطاب الإعلامية العصرية نفسها التي يوظفها الإعلام الجديد؛ ومنا مواقع الويب، ومواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك، تويتر، يوتيوب، ساوندكلود، الخ)، وبقية القوالب الإعلامية الأخرى التي نشطت مؤخراً كالبودكاست وغيرها.

- امتلاك أداة الخطاب الفعال التي هي اللغة العربية، وأساليب استخدامها في مجالات الاتصال والتواصل. (فضيل، 2003، ص 30) والمقصود بها في هذا الصدد ما بات يسمى في الإعلام "اللغة العالية" أي: اللغة الفصيحة بالقدر الذي يحفظ رونق اللغة ويمكن المتلقي من فهم واستيعاب الخطاب الإعلامي.

- الانتباه إلى الشرائح الاجتماعية التي افتكّها الإعلام الرقمي بما أوتي من خصائص مغرية وجذابة، والسعي الجاد إلى استعادة تلك الفئات الاجتماعية؛ وقد تسنى ذلك

للإعلام المعاصر بسبب تراجع الأداء المسجدي ممثلاً في جملة من نقائصه؛ كالجفاف في بعض نواحي خطابه والبطء في الإجابة عن الأسئلة الحرجة التي تضايق المتلقي المسلم باستمرار، والمسجد من حيث الأصل خليق بالإجابة لأنه "مؤسسة اجتماعية موجّهة لإرضاء حاجة اجتماعية تماماً مثل بقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى؛ فهو مثل القضاء والإدارة والأمن والتربية، الخ". (غلام الله، 2003، ص 06)

خاتمة

وفيهما النتائج المتوصل إليها والاقتراحات

يمكن في نهاية هذه الورقة الإشارة إلى أهم ما تم التوصل إليه، وذلك كالتالي:

- يشهد الخطاب المسجدي واقعا مؤسفاً يرجع إلى جملة أسباب؛ منها ما يتعلق بالقائم بالخطاب (كفاءة وأداءً ونظراً للواقع)، ومنها ما يتعلق بالمتلقي.
- للخطاب المسجدي خصائص وسمات مثلى وهي مكتسبة من أهمية المسجد في الإسلام ومكانته في قلوب المسلمين.

- الإعلام الجديد مصطلح عائم ولذا اختلف الباحثون في التعريف به، وسبب اختلافهم في ذلك اختلافهم في زوايا أنظارتهم إما من زاوية الوسائل أو من زاوية الرسائل (المضامين). مع اتفاقهم في كونه إعلاماً رقمياً.

- الإعلام الجديد أبرز المتغيرات المعاصرة، وله إيجابيات ماهرة وسلبات منقّرة، والواجب على المتلقي الموازنة بين الأمرين للاستفادة من هذا الوافد الجديد والنازلة المفروضة.

- هناك جملة من السبل التي يمكن انتهاجها للاندماج في عالم الإعلام الجديد وتوظيفه في الخطاب المسجدي بغرض تطويره والرقى به وترقب آثاره؛ ويكون ذلك التوظيف إما من حيث اللغة التواصلية أو من حيث المضامين والرسائل.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المراجع

كتب:

- إبراهيم، إسماعيل. (2014). الإعلام المعاصر: وسائله، مهاراته، تأثيراته، أخلاقياته. ط1. وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر.
- صادق، عباس مصطفى. (د.ت). الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة. (متاح على الشبكة بصيغة PDF).
- القرضاوي، يوسف. (1995). العبادة في الإسلام، ... رسائل جامعية:
- تكوك، تواتي. (2012). "علاقة الخطاب المسجدي بالتنمية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، الجزائر.
- الرشيد، عبد العزيز راشد علي. (1982). "رسالة المسجد التربوية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- مرزوق، الشريف. (2017). "الخطاب المسجدي وشروط كفاءته كما يدركها المتلقي"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، الجزائر.
- بحوث ودراسات:
- بلعالم، عبد الرحمن و معيوف، جلال الدين. (2020). "تجديد الخطاب المسجدي على ضوء قواعد المنهج النبوي في تعزيز الوسطية": مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 05، العدد 01، ص 326.
- بوبشيش، صالح. (2014). "تحديات الإعلام الجديدة وسبل حماية الشباب المسلم من مخاطرها": مجلة الإحياء، العددان 17-18. صص 18. 19.
- خاين، محمد. (2009). "آليات ترقية الخطاب المسجدي": مجلة رسالة المسجد، السنة 7، العدد 5. ص 31.
- شيخاني، سميرة. (2010). "الإعلام الجديد في عصر المعلومات": مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العددان 1 و2. ص 242.
- غلام الله، أبو عبد الله. (2003). "مكانة المسجد في المجتمع": مجلة رسالة المسجد، السنة 1، العدد 2. ص 06.
- فضيل، عبد القادر (2003). "منهجية بناء الخطاب المسجدي": مجلة رسالة المسجد، السنة

1، العدد 2. ص 30.

- ولد خسال، سليمان. (2011). "مواقف الإمام وردوده على استفسارات الناس": مجلة رسالة المسجد، السنة 9، العدد 5. ص 86.
- نيق، عماد و بوسعادة، رشيد. (2022). "الإمام والخطاب المسجدي بين الممارسة الوظيفية المادية والأداء الروحي المقدس": مجلة أفكار وآفاق، المجلد 10، العدد 04. صص 129. 130.

مفهوم الأمن المجتمعي: خصائصه ومقوماته

ط د / مصطفى شباح - بإشراف: د / فهيمة بن عثمان

مخبر إسمهات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

chebbah-moustafa@univ-eloued.dz



مقدمة

التعريف بالموضوع وبيان أهميته:

تعدّ نعمة الأمن من أعظم النعم التي امتن الله تعالى بها على خلقه، فقضية الأمن عموماً والأمن المجتمعي خصوصاً أحد المفاهيم الأساسية التي تؤثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أي مجتمع.

وقد اهتم الإسلام بقضية الأمن أيما اهتمام فجعلها فريضة شرعية وضرورة حياتية من خلال جملة من الخصائص والمقومات التي جاءت لحفظ الأمن والاستقرار، لكي ينعم الفرد بالأمن المجتمعي الذي ينشده.

ومن هنا جاء الملتقى الوطني التاسع بعنوان: (الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022م)، الذي تنظمه كلية العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي-، ليسهم في الإثراء والنقد والإصلاح - بإذن الله-.

وقد ارتأيت أن أشارك في فعالياته ببحث مختصر، وذلك ضمن المحور (2) بعنوان: الأمن المجتمعي: خصائصه ومقوماته.

تكمن أهمية هذه الدراسة من أهمية الأمن المجتمعي الذي يسعى لتحقيق الأمن والاستقرار المادي والمعنوي لجميع أفراد، وتأتي أهميتها أيضاً في إطار إبراز الخصائص والمقومات التي تعتبر دعامة أساسية في نشر وتحقيق الأمن المجتمعي.

الإشكالية:

الأمن المجتمعي يعدّ أحد العوامل الأساسية في الحفاظ على الاستقرار والاطمئنان داخل المجتمع، وبالتالي يتحدّد من خلاله طبيعة الحياة التي يعيشها الأفراد.

ومع تزايد التحدّيات والتّهدّيات الأمنية التي يواجهها المجتمع في عصرنا الحالي، فإنّ

الأمن المجتمعيّ بخصائصه ومقوماته يشكّل إشكاليّة بحثيّة تستدعي الكثير من الاهتمام والدراسة، وهو ما يدفعنا إلى طرح الإشكاليّة الآتية: ماذا نعني بالأمن المجتمعيّ؟ وما هي أبرز خصائصه ومقوماته؟

الدراسات السابقة:

إنّ موضوع الأمن المجتمعيّ لا يزال يحظى باهتمام الباحثين، وفي هذا المجال أجريت العديد من الدراسات، ولم أجد -بحسب اطلاعي- أيّ دراسة تناولت الموضوع بشكل مباشر، بحيث تناولته بمثل هذا العنوان إلّا ما جاء في جوانب معيّنة منه، ومن أهم تلك الدراسات ما يلي:

الدراسة الأولى: علاق جميلة، الأمن المجتمعيّ: مقارنة في المفهوم والعناصر، مجلة البحوث السياسيّة والإداريّة، الجلفة، المجلد 7، العدد 12، 2018م، ص 348.333. تناولت فيه الباحثة توصيف مجتمع المخاطر، ثم تعرّضت لمفهوم الأمن المجتمعيّ، كما تناولت عناصر الأمن المجتمعيّ في ظلّ الانكشاف الأمنيّ متعدّد الأبعاد والنّطاقات كمشكلة الهوية، والهجرة، وغيرها.

الدراسة الثّانيّة: رشيد عمارة ياس الزيدي، هيمن رؤوف سلام، الأمن المجتمعيّ وفقاً لطروحات مدرسة كوبنهاغن، مجلة الدراسات السياسيّة والأمنيّة، كردستان. العراق، المجلد 5، العدد 2، 2022م، ص 34.11.

تناول فيه الباحثان التعريف بمدرسة كوبنهاغن والأمن المجتمعيّ، ثم تعرّضا لترابط الأمن المجتمعيّ في مدرسة كوبنهاغن، وأخيراً تناولوا الأمن المجتمعيّ ونظريّة الأمننة.

منهجية المعالجة والتّقسيم:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفيّ؛ المنهج الذي يقوم على رصد ومتابعة الظّاهرة أو الموضوع محلّ الدراسة، والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد على فهم الواقع وتطويره. تتكون هذه الدراسة من: مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع كالآتي:

مقدمة: تضمّنت: التعريف بالموضوع وأهميّته، والإشكاليّة، والدراسات السابقة، وأخيراً منهجية المعالجة والتّقسيم

المطلب الأول: تعريف الأمن المجتمعيّ

المطلب الثّاني: خصائص الأمن المجتمعيّ

المطلب الثالث: مقومات الأمن المجتمعيّ

خاتمة: تضمّنت أهم نتائج البحث، وبعض التّوصيّات

المطلب الأول: تعريف الأمن المجتمعيّ

وقبل الشّروع في الحديث عن موضوع الدّراسة يحسُنُ لنا تعريف الأمن المجتمعيّ، بحيث سيكون تعريف الأمن ابتداءً ثمّ المجتمعيّ لغةً واصطلاحاً، ثمّ تناول معناه كمركب إضافي في اصطلاح العلماء.

الفرع الأول: تعريف الأمن

أولاً: الأمن لغةً: الهمة والميم والنّون أصلان متقاربان. والأمن: ضدّ الخوف. والأمانة: ضدّ الخيانة. والإيمان: ضدّ الكفر¹.

ثانياً: الأمن اصطلاحاً: لم يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللّغوي عند القدماء، فعرفه المناوي بقوله: (عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف)².

أمّا المعاصرون فلهم تعريفات متباينة، ووجهات نظر مختلفة، فبعضهم يُعرّف الأمن بأنّه الإجراءات التي تتخذها الدّولة، وبعضهم يعرفه بأنّه الوضع القائم في الدّولة، ويرى فريق آخر أنّه مجموعة من الأحاسيس والمشاعر لدى الأفراد³.

يمكننا القول أنّ الأمن هو (حصيلة مجموعة من الإجراءات والتدابير التربويّة، والوقائيّة، والعقابيّة، التي تتخذها السلطة لصيانتها واستتبابه داخلياً وخارجياً انطلاقاً من المبادئ التي تدّين بها الأمة ولا تتعارض أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المعتبرة)⁴.

الفرع الثاني: تعريف المجتمعيّ

أولاً: المجتمعيّ لغةً: الجيم والميم العين أصل واحد، يدلّ على تضام الشّيء. يقال

¹ - أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1979م،

ج 1، ص 133. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1993م، ج 13، ص 21.

² - عبد الرّؤوف المناوي، التوقيف على مهمّات التعريف، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1990م، ص 63.

³ - انظر: صباح محمود محمد، الأمن الإسلامي دراسات في التّحدّيات الجيوبوليتيكية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط 1، 1994م، ص 9.8. محمد عبد الكريم نافع، فلسفة الأمن والأمن القومي، هيئة الوقاية الإداريّة، مصر، ط 2، 1984م، ص 23.24.

⁴ - علي بن فايز الجحني، الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، أكاديمية نايف العربيّة للبحوث الأمنيّة، الرياض، ط 1، 2000م، ص 68.69.

جمعت الشّيء جمعاً¹.

(جمع) المتفرق - جمعاً: ضمّ بعضه إلى بعض. المجتمع والجماعة والمجتمعون والجيش².
ثانياً: المجتمعيّ اصطلاحاً: عرّفه محمد طاهر الجوابي بقوله: (عددٌ هائلٌ من الأفراد، جمعت بينهم روابط، وأهداف مشتركة، واستقرار في أرض، والتزموا بعرف أو قانون)³.
أمّا مجمع اللغة العربيّة فيرى أنّ المجتمع (مجموعة أفراد تربطهم علاقات منظّمة وخدمات متبادلة وتسودهم روح عامة وتقاليد مشتركة يخضعون لها جميعاً)⁴.

الفرع الثالث: تعريف الأمن المجتمعيّ

على الرغم من اتفاق العلماء والباحثين على أهميّة الأمن المجتمعيّ، إلّا أنّهم اختلفوا حول تعريفه فكلٌّ حسب الرّؤية التي يُنظرُ إليه منها، وتبعاً لالتجاهات والقيود التي يقيّد بها، وفيما يلي مجموعة من التعريفات كالآتي:

أولاً: التعريفات العربيّة

يرى فهد بن محمد الشّحّاء أنّ الأمن المجتمعيّ هو (إحساس الدّولة بالطمأنينة والاستقرار لانعدام الظّواهر الاجتماعيّة التي تتعارض مع قيم المجتمع الأصيلة ومبادئه العليا)⁵. ويعتبّر الأمن المجتمعيّ كأحد أهم مجالات الأمن الوطنيّ.
وعرّف أيضاً بأنّه (تحقيق الاستقرار والطمأنينة الماديّة والمعنويّة لجميع أفراد المجتمع، وذلك من خلال مجموعة من الخطط والبرامج التي تشارك بها كلّ المؤسسات العاملة داخل الدّولة سواءً كانت مؤسسات حكوميّة أو مؤسسات للمجتمع المدني)⁶.
وقد سبقنا الأئمة والعلماء العرب في اصطلاح الأمن المجتمعيّ بـ (الأمن المطلق)

¹ - ابن فارس، مرجع سابق، ج1، ص479.

² - انظر: إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، ط4، 2004م، ص134.
135.

³ - محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 2000م، ص14.

⁴ - مجمع اللغة العربيّة، المعجم الفلسفيّ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د.ط، 1983م، ص171.

⁵ - فهد بن محمد الشّحّاء، الأمن الوطنيّ: تصور شامل، مركز الدّراسات والبحوث، الرياض، ط1، 2004م، ص62.

⁶ - نورهان محمد علي صقر وآخرون، الأمن المجتمعيّ وعلاقته بواقع التمكين الاجتماعي والاقتصادي للمرأة السّعوديّة في ضوء التّناميّة المستدامة، مجلة الفنون والعلوم التّطبيقيّة، جامعة دميّاط، مصر، المجلد 8، العدد 1، جانفي 2021م، ص186.

و(الأمن العام)¹.

ثانياً: التعريفات الغربية

يعرّفه أولي ويفر (Ole waever) على أنّه (قدرة المجتمع على الاستمرار في طبيعته الأساسية تحت ظروف متغيّرة وتهديدات ممكنة أو فعلية)².

أمّا باري بوزان (Barry Buzan) فيذهب في تعريفه للأمن المجتمعيّ على أنّه: (الاستدامة في ظروف مقبولة للتطور، للأنماط التقليدية في اللغة والثقافة والهوية الدنيّة والقوميّة والعادات)³.

ويتّضح من خلال تعريف الباحثين أولي ويفر وباري بوزان اللذان يُعتبران من رواد مدرسة كوبنهاغن أنّ الأمن المجتمعيّ أضحى مرادفاً للأمن الهويّاتي، والتأكيد على ضرورة تعزيز الأمن المجتمعيّ من خلال ضمان استمرار هويّة الجماعات وبقائها. وهناك أيضاً عدّة تعريفات للأمن المجتمعيّ، فمنهم من ينظر إليه من ناحية دينيّة، وآخرون من ناحية اجتماعيّة، والبعض الآخر من ناحية الأمن القومي⁴.

المطلب الثاني: خصائص الأمن المجتمعيّ

بيد أنّ هناك عدداً من خصائص الأمن المجتمعيّ، لعلّ أبرزها ما يلي:

أولاً: فريضة شرعيّة وضرورة حياتيّة

إنّ نشر الأمن والطمأنينة في المجتمع في ديننا فريضة أمرنا بها ﷺ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يَسْرُوا وَلَا تَعْسِرُوا، وَبَشَرُوا، وَلَا تُنْفِرُوا)⁵، كما هانا

¹ - انظر: أبي الحسن الماورديّ، أدب الدّين والدّنيا، دار المنهاج، بيروت، ط1، 2013م، ص231.

² - Pinar Bilgin, Individual and societal dimensions of Security, International studies review, oxford, Vol 5, 2013, P211.

³ - Alam Saleh, Broadening the concept of Security: Identity and Societal Security, Geopolitics Quarterly, Vol 6, No 4, 2010, P233.

⁴ - انظر: محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م، ص12. نبيل المدني، الأمن الاجتماعي بنظرة فلسطينية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيّات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العراق، العدد 5، 2011م، ص120-119. سلام فيصل الجمل، الأمن المجتمعيّ والأقليات في العراق: الواقع والتّحديات، <https://www.democraticac.de/?p=81771>, 2023/03/10، 20:19.

⁵ - أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، دط، 1955م، ج3، كتاب الجهاد واليسر، باب في الأمر بالتيسير وترك التّنفير، ص1359، رقم الحديث 1734.

ﷺ عن نشر الخوف والدَّعْر وإن كان على سبيل المزاح، عن عبد الرحمان بن أبي ليلي أن النَّبِيَّ ﷺ قال: (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا)¹.

فالحاجة إلى الأمن ضرورةً أساسيةً لاستمرار الحياة وعمران الأرض على الوجه الأكمل، يقول الماوردي: (اعلم أن ما تصلح به الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمةً، وأمورها ملتزمةً ستة أشياء، هي قواعدها وإن تفرعت؛ وهي: دينٌ متَّبَع، وسلطانٌ قاهر، وعدلٌ شامل، وأمنٌ عام، وخصبٌ دار، وأملٌ فسيح)².

ثانياً: مسؤولية جماعية

الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع مطلوبة من كلِّ فردٍ حسب موقعه في المجتمع ودوره ووظيفته، فالمسؤولية لها دورٌ كبيرٌ في إرساء دعائم الأمن المجتمعي واستقراره، فحينما يصبح كلُّ فردٍ عيناً ساهرة على أمن واستقرار مجتمعه، تتشكّل لنا قيمة المسؤولية الجماعية، التي تعدّ عملية تكاملية تشاركية بين جميع أفراد المجتمع.

ويتفق كثيرٌ من الباحثين على الأهمية البالغة لموضوع المسؤولية الجماعية، والاهتمام بها لا سيّما في حياة الفرد والمجتمع، التي في ظلها يتحقّق الأمن والأمان المجتمعي³.

ثالثاً: كلٌّ لا يتجزأ

إنّ من أهمّ خصائص الأمن المجتمعي كونه كلٌّ لا يتجزأ، يشمل الأمن العسكري والسياسي والاقتصادي والفكري وغيرها.

والنظرة الصحيحة التي يجب أن نكون عليها، أنّ الشعور بالأمن المجتمعي في اللغة والثّقافة والهوية الدينيّة والقوميّة رغم الحاجة الملحة لها لا يغنيانا عن بقية أنواع الأمن التي يحتاجها المجتمع من أجل أن ينعم بحياةٍ آمنةٍ مستقرّة، وما يؤكد ذلك قوله ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذافيرها)⁴، وفي هذا الحديث النبوي الشريف إشارة إلى أهمية تكامل الأمن مع الصحة

¹ - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م، ج38، أحاديث رجال من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، ص163، رقم الحديث 23064.

² - انظر: أبي الحسن الماوردي، مرجع سابق، ص236، 217.

³ - انظر: إسماعيل بن خليفة، يزيد شويل، علاقة المسؤولية الجماعية بمنظومة القيم لدى طلبة الجامعة، مجلة الدّراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 11، جوان 2015م، ص158، -بتصرف-.

⁴ - محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ت: إبراهيم عطوة عوض، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، ج4، أبواب الزهد، ص574، رقم الحديث 2346.

(الأمن الصحي) والغذاء (الأمن الغذائي) من أجل تحقيق الطمأنينة والاستقرار، وأي تفريط في واحد من العناصر الثلاثة يهدم ذلك الشعور.

رابعاً: الشمول

لما كان حفظ الأمن المجتمعي فريضةً شرعيةً وضرورةً حياتيةً، فإنه لا يتحقق إلا إذا كان شاملاً لا يستغني عنها إنسان ولا حيوان ولا نبات ولا جماد.

ونقصد بالشمول: أن الأمن المجتمعي سعى لتحقيق الاستقرار والطمأنينة المادية والمعنوية لجميع أفراد المجتمع، وفي كل جانبٍ من الجوانب الأمنية، وكذا قيم المجتمع الأصيلة ومبادئه.

المطلب الثالث: مقومات الأمن المجتمعي

يقوم الأمن المجتمعي على جملةٍ من المقومات التي تعتبر الأسس التي ينشأ منها الأمن في مختلف الجوانب والتواحي في حياة الإنسان منها:

أولاً: المقوم الديني

يعتبر المقوم الديني من أهم مقومات الأمن المجتمعي، فبدون الإيمان بالله تعالى الذي يسكب الطمأنينة في القلب، فهدأ النفوس، ومن هذا الهدوء تنبثق الراحة النفسية والاستقرار، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد:28]، ومن ثم فالأمن الديني والعقدي، يلهم الخوف والفرح والقلق استقرار الإنسان وطمأنينته.. ذلك لأن الإيمان الديني هو الذي يحقق للإنسان الانتماء إلى هذا الوجود، وينجو من الاغتراب الذي يفترس أمن الانسان في المجتمعات المادية والوضعية والعلمانية اللادينية¹.

ثانياً: سيادة القانون

يعدّ القانون في العصر الحديث مجموعة القواعد الملزمة التي تنظم شؤون المجتمع، وهو يرمي إلى حماية نشاط الفرد بالقدر الذي يتلاءم مع مصلحة الجماعة وتحقيق الحاجات المشتركة لجميع الأفراد المكوّنين لها².

تعتبر سيادة القانون مصدراً للأمن والاطمئنان في نفوس الناس، وتَشْعُرُ المجتمعات التي تتمتع بالقانون بالأمن من الاعتداء على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

¹ - انظر: محمد عمارة، مقومات الأمن الاجتماعي، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط1، 2009م، ص48.

² - عمر ممدوح مصطفى، القانون الروماني، مطابع البصير، الإسكندرية، ط2، 1954م، ج1، ص6.

وعندما تسود القيم يسود القانون أيضاً لأنه سيخرج من كونه نصوصاً وكلمات ليصبح مؤشراً يؤشّر حياة الناس، وبانتشار القيم يتحقّق مقوم مهمّ من مقومات الأمن المجتمعيّ ألا وهو سيادة القانون¹.

ثالثاً: التكافل الاجتماعي

إنّ ظاهرة التكافل الاجتماعي من الظواهر الأساسيّة التي تحقّق التماسك الاجتماعي، ولما لها من أهميّة كبيرة فقد أكدها نبينا الكريم ﷺ، ونعني بها مساعدة المحتاجين والمعوزين في المجتمع والاطمئنان عليهم والعطف والمودة لهم ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم وتقديم العون والخدمة والمال².

يعدّ التعاطف والتأزّر والمودة بين أفراد المجتمع من مقومات الأمن المجتمعيّ، لذا فالواجب على الأفراد المشاركة في الحفاظ على المصالح والمنافع، ودفع المضارّ والمفاسد التي تصيب المجتمع، ويتحقّق هذا كلّ بشعور كلّ فرد من أفرادهِ أنّ عليه واجبات تجاه مجتمعه كما أنّ له حقوقاً عليهم.

رابعاً: العدل

العدل أحد مقومات الأمن المجتمعيّ، والسبب الرئيسي وراء تحقّقه كونه ركناً مهماً وأساسياً في بناء المجتمعات واستقرارها وتطوّرها.

ويكون العدل بتطبيق أحكام الشريعة الإسلاميّة التي أسهمت في إعطاء الحقوق لأصحابها وتنظيم العلاقات بين الناس، والعدل بينهم في المعاملة، وعدم المفاضلة والتمييز بينهم تبعاً للهوى والمصلحة، وللعدل صورة أخرى إيجابيّة تتعلق أكثر ما تتعلق بالدولة وقيامها بحقوق أفراد الشعب في كفالة حرياتهم وحياتهم المعيشيّة³.

خامساً: الأمن الاقتصادي

يعدّ الأمن الاقتصادي أحد ركائز الأمن المجتمعيّ، ومعيّار تقدّم البلدان وازدهارها

¹ - محسن باقر القزويني، مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام وآليات تحقيقه، مجلة أهل البيت، جامعة أهل البيت، العراق، العدد 7، 2009م، ص10.

² - واثق جعفر كريم، تنمية رأس المال البشري وانعكاساته على الأمن الاجتماعي -دراسة تحليلية-، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 10، 2020م، ص253.

³ - انظر: رامي عودة الله العساف، الأمن الاجتماعي في فكر ابن خلدون "رؤية لحفظ تماسك المجتمعات العربيّة في الوقت الحاضر"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، المجلد 37، العدد 180، أكتوبر 2008م، ج1، ص395.

واستقرارها.

يقوم النشاط الإنساني في جميع مجالات الحياة على الاقتصاد، وبه تدور عجلة تاريخ الأمم، ولهذا ركزت الأديان في كثيرٍ من تعاليمها على تنظيم التعامل مع المال الذي هو عصب الاقتصاد¹.

فال فقر من الأمور التي تؤدي إلى الإخلال بالأمن المجتمعيّ، فضمان المقومات المعيشيّة من: لباس، وغذاء، ومسكن، هو ركنٌ مهم من أركان الأمن الاقتصادي، الذي يوفر بدوره الأمن الداخلي، ممّا ينعكس إيجاباً على الأمن المجتمعيّ.

سادساً: الأخوة

إنّ الأخوة هي اللبّة الأساسية في تحقيق الأمن المجتمعيّ، لذا حرص ﷺ عليها أيّما حرصٍ، روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ)².

لذلك جعل الإسلام رابطة دينه الحقّ مقدّسة تصغر أمامها الروابط كلّها، ودعا النّاس ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح³. قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات:10].

سابعاً: التسامح ونبذ العنف

العنف أخطر ما يواجه المجتمعات وأمنها ويهدد استقرارها، وانتشار العنف دليل على غياب قيمة التسامح بين أفراد المجتمع.

فلقد حثّ الإسلام على التسامح باعتباره دعامةً أساسيّةً من دعائم الأمن المجتمعيّ، وعبر عنه في مواضع عديدة من القرآن الكريم فأحياناً بلفظ العفو، ومرة بالجلم، وتارةً بالصفح الجميل، قال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف:199]، وقال أيضاً: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) [الحجر:85].

وقد وردت في كتاب الأمن المجتمعيّ مقومات أخرى للأمن المجتمعيّ؛ كالحريّة،

¹ - انظر: محمد شامة، أسس الأمن في المجتمع، الأمن المجتمعي في الإسلام، القاهرة، 2008م، ص202.

² - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1993م، ج6، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه: إنّهُ أخوه، إذا خاف عليه القتل أو نحوه، ص255، رقم الحديث 6551.

³ - محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السّلام، القاهرة، ط1، 2005م، ص101.

والمساواة، والتعليم، والبيئة، والثقافة واحترام العقل¹.

خاتمة

ختاماً يمكن أن نخلص من خلال هذه الدراسة إلى الاستنتاجات الآتية:

1. المقصود بالأمن المجتمعي هو تحقيق الاستقرار والطمأنينة المادية والمعنوية لجميع أفراد المجتمع من خلال خلق توازن فعلي بين (اللغة، والثقافة، والهوية الدينية والقومية، والعادات)، وبين الظروف المعيشية.
 2. من أبرز خصائص الأمن المجتمعي كونه فريضة شرعية وضرورة حيائية لاستمرار الحياة وعمران الأرض على الوجه الأكمل.
 3. أن تحقيق الأمن المجتمعي قائم على جملة من المقومات أبرزها؛ المقوم الديني، سيادة القانون، والأخوة بين أفراد المجتمع.
- ومن التوصيات التي يمكن تقديمها نورد ما يلي:

1. يتوجب على المؤسسات الحكومية والخاصة العمل على ترسيخ ثقافة الأمن المجتمعي.
2. التحلي بأخلاق الإسلام التي تؤدي بدورها إلى تحقيق الأمن المجتمعي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

القرآن الكريم

1. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م.
2. أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.
3. أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1979م.
4. أبي الحسن الماوردي، أدب الدين والدنيا، دار المنهاج، بيروت، ط1، 2013م.
5. أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، د.ط، 1955م.

¹ - انظر: وزارة الأوقاف المصرية، الأمن المجتمعي، وزارة الأوقاف، القاهرة، د.ط، 2021م، 208.198.

6. عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمّات التعريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.
 7. علي بن فايز الجحني، الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة، أكاديمية نايف العربية للبحوث الأمنية، الرياض، ط1، 2000م.
 8. عمر ممدوح مصطفى، القانون الروماني، مطابع البصير، الإسكندرية، ط2، 1954م.
 9. فهد بن محمد الشقحاء، الأمن الوطني: تصور شامل، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، ط1، 2004م.
 10. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1993م.
 11. محمد شامة، أسس الأمن في المجتمع، الأمن المجتمعي في الإسلام، القاهرة، 2008م.
 12. محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.
 13. محمد عمارة، مقومات الأمن الاجتماعي، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ط1، 2009م.
 14. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ت: إبراهيم عطوة عوض، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
 15. محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط3، 2000م.
 16. محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط1، 2005م.
 17. محمد عبد الكريم نافع، فلسفة الأمن والأمن القومي، هيئة الوقاية الإدارية، مصر، ط2، 1984م.
 18. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، دط، 1983م.
 19. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1993م.
 20. وزارة الأوقاف المصرية، الأمن المجتمعي، وزارة الأوقاف، القاهرة، دط، 2021م.
- ثانياً: الأبحاث والدراسات
21. إسماعيل بن خليفة، يزيد شويعل، علاقة المسؤولية الجماعية بمنظومة القيم لدى طلبة الجامعة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 11، جوان 2015م.
 22. رامي عودة الله العساسفة، الأمن الاجتماعي في فكر ابن خلدون "رؤية لحفظ تماسك

المجتمعات العربيّة في الوقت الحاضر"، مجلة كلية التربيّة، جامعة الأزهر، المجلد 37، العدد 180، أكتوبر 2008م.

23. صباح محمود محمد، الأمن الإسلامي دراسات في التّحدّيات الجيوبوليتيكية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1994م.

24. محسن باقر القزويني، مقوّمات الأمن الاجتماعي في الإسلام وآليات تحقيقه، مجلة أهل البيت، جامعة أهل البيت، العراق، العدد 7، 2009م.

25. نبيل المدني، الأمن الاجتماعي بنظرة فلسطينية، مجلة لارك للفلسفة واللّسانيّات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العراق، العدد 5، 2011م.

26. نورهان محمد علي صقر وآخرون، الأمن المجتمعيّ وعلاقته بواقع التمكين الاجتماعي والاقتصادي للمرأة السّعوديّة في ضوء التّنميّة المستدامة، مجلة الفنون والعلوم التّطبيقيّة، جامعة دميّاط، مصر، المجلد 8، العدد 1، جانفي 2021م.

27. واثق جعفر كريم، تنميّة رأس المال البشري وانعكاساته على الأمن الاجتماعي -دراسة تحليلية-، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 10، 2020م.

ثالثاً: المواقع الالكترونية

28. سلام فيصل الجمل، الأمن المجتمعيّ والأقليات في العراق: الواقع والتّحدّيات، <https://www.democraticac.de/?p=81771>، 2023/03/10، 20:19.

رابعاً: المراجع باللغة الأجنبيّة

29. Alam Saleh، Broadening the concept of Security: Identity and Societal Security, Geopolitics Quarterly, Vol 6, No 4, 2010, P233.

30. Pinar Bilgin, Individual and societal dimensions of Security, International studies review, oxford, Vol 5, 2013, P211.

التوصيات

في يوم الخميس 14 شوال 1444 هـ الموافق لـ 04 ماي 2023 م في قاعة الأساتذة،
اجتمعت اللجنة المكلفة بصياغة التوصيات المكونة من:

الدكتور: قادري محمد الصديق - رئيسا (جامعة الوادي)؛

الدكتور: العيد بلالي - مقررا (جامعة الوادي)؛

الدكتورة: فهيمة بن عثمان- عضوا (جامعة الوادي)؛

الأستاذ الدكتور: حياة عبيد - عضوا (جامعة الوادي)؛

الأستاذ الدكتور: أحمد سنيي- عضوا (جامعة الجزائر1)؛

الأستاذ: جمال غول - عضوا (مفتش التوجيه الديني والتعليم القرآني)

وبعد تداول مختلف الآراء والمقترحات تم الاتفاق على التوصيات التالية:

1- الدعوة إلى تثمين شهادة الدكتوراه في قطاع الشؤون الدينية والأوقاف
توظيفاً وترقيةً، وتحسيناً للوضعية المهنية للأئمة والمرشدين، لوضع حد لهجرة
الكفاءات نحو الجامعة وغيرها .

2- السعي لاستقطاب الكفاءات الجامعية إلى قطاع الشؤون الدينية والأوقاف
من خلال إبرام اتفاقية تعاون بين الوصايتين دعماً لتأطير المساجد .

3- التوجيه إلى توفير إطار قانوني لدعم تكوين الأئمة والمرشدين، على غرار ما
استفادت منه قطاعات أخرى، وتمكين الطلبة الجامعيين من إجراء تربصات نهاية
التكوين بمؤسسات قطاع الشؤون الدينية .

4- استحداث وسام تكريمي في التظاهرات العلمية، يكرم فيها كل من كان له لمسة
دعوية في المجتمع الجزائري.

5- الدعوة إلى تحيين برامج التكوين لتتماشى مع التحديات المعاصرة.

6- دعوة خطباء المساجد والمرشدين إلى مواكبة وسائل العصر الحديث

استغلال فضاء وسائط التواصل الاجتماعي لبث خطبهم، ودروسهم، ونشاطاتهم المسجدية.

7- دعوة الأئمة إلى جمع وتوثيق وأرشفة خطبهم، حفاظاً عليها من الضياع وحتى تنتفع بها الأجيال.

8- توسيع النشاط المسجدي وانفتاحه على محيطه والتعاون مع فعاليات المجتمع المدني خدمة للمجتمع المسلم.

9- دعوة وسائل الإعلام المحلية والوطنية لتغطية النشاط المسجدي خاصة الخطب والدروس المسجدية.

10- ترقية الملتقى الوطني التاسع الخطاب المسجدي في وادي سوف وماجاورها إلى ملتقى دولي حول الخطاب الدعوي عموماً.

11- العمل على طبع أعمال الملتقى الوطني التاسع وإصدارها في كتاب دولي محكم، أو عدد خاص من أعداد مجلات كلية العلوم الإسلامية.

إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي

ط د / حمزة سليمان - بإشراف: د / أحمد عامر باي

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الوادي (الجزائر)

Slimane-hamza@univ-eloued.dz



مقدمة

التعريف بالموضوع وأهميته:

شهد العالم وجود حضارات ومجتمعات كثيرة قبل الإسلام، وجاء الإسلام فعمل على الإصلاح في كل الجوانب، وكانت رسالته واضحة في التأسيس لمجتمع إنساني، تزول فيه كل الفوارق، ويسود فيه العدل والمساواة بين كل أفراد المجتمع، ومن أهم الأهداف التي سعى الإسلام إليها هي تحقيق الأمن في المجتمع، وهي من فضل الله تعالى على عباده، وقد وصف نبي الإسلام الفرد الذي تحقق لديه الأمن بأنه قد حيزت له الدنيا بحذاقيها، وهذا يدل على الأهمية الكبيرة التي يولها الإسلام لتحقيق الأمن.

وقد ارتأيت أن أشارك في فعاليات الملتقى الوطني حول: (الخطاب المسجدي في وادي سوف وما جاورها من 1962 إلى 2022م) الذي تنظمه كلية العلوم الإسلامية بجامعة الشهيد حمدة لخضر - الوادي-؛ ببحث مختصر، وذلك ضمن المحور (3) بعنوان: إسهام مؤسسة المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي.

وتتجلى أهمية الدراسة، في كون المسجد كتنظيم اجتماعي، له دور كبير في الرقي بالإنسان، وفي نشر قيم الأمن والتسامح في المجتمع، في ظل الاضطرابات والمشاكل التي تعيشها الأمة، من خلال ما يقدمه الأئمة من دروس وخطب تساعد على تكوين الفرد وتحصينه وحمياته من التطرف الفكري والعقدي.

الإشكالية: يعتبر المسجد هو المنبر الذي من خلاله، تُنشر القيم السامية للإسلام، ويسعى كمؤسسة لترسيخ السلم والطمأنينة بين أفراد المجتمع.

انطلاقا من هذا فإن إشكالية بحثنا هي: ما هو دور المسجد في تحقيق الأمن

المجتمعي؟

الدراسات السابقة:

نظرا لأهمية الموضوع فإن الدراسات فيه كثيرة تناولت جوانبه المختلفة ونذكر منها:
الدراسة الأولى: يونس علي ويحي حسين ومحمد بركنطو آدم، دور المسجد في تحقيق الأمن الاجتماعي.

تناول الباحثون في الدراسة مفهوم المسجد وفضله ومكانته، ودوره في تحقيق الأمن المجتمعي من خلال الاهتمام بالوقت وملء الفراغ، والقضاء على الفواحش وآثارها، والوقاية من الجريمة، ومن خلال صنع الجار الصالح، وإيجاد البيئة النظيفة.
وفي خاتمة الدراسة خلص الباحثون إلى أن الدور الأساسي للمسجد هو خدمة المجتمع وذلك من خلال الحفاظ على أمنه وقيمه وأخلاقه.

الدراسة الثانية: مجموعة من الباحثين، دور خطبة الجمعة في مواجهة الانحرافات الفكرية في المجتمع السعودي من وجهة نظر طلبة الكلية الجامعية بحقل جامعة تبوك، مجلة دراسات في التعليم العالي.

تطرق الباحثون لأهمية مواجهة الانحرافات الفكرية في هذا العصر، ودور المسجد في ذلك من خلال خطبة الجمعة؛ التي خلص بحثهم أن لها تأثيرا كبيرا في تقويم السلوك وترسيخ الأخلاق والقيم، وبالتالي تخريج فرد صالح يتحقق به استقرار المجتمع وأمنه.

منهجية المعالجة والتقسيم:

لا بد لكل دراسة من منهج يتبعه الباحث، وفي هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي.

وفي سعينا للإجابة عن الإشكالية المطروحة، قسمت المقال إلى الخطة الآتية:
مقدمة: فيها التعريف بالموضوع وأهميته، والإشكالية، والدراسات السابقة، ومنهجية المعالجة والتقسيم.

- 1- التعريف بالمسجد و الأمن المجتمعي.
- 2- دور المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي.
- خاتمة: تضمنت نتائج البحث.

1. تعريف المسجد والأمن المجتمعي:

1.1. المسجد: يعتبر المسجد من أطهر الأماكن وأحبها إلى الله عز وجل، فيه تُنشر الفضيلة، ويبنى الإيمان ويثبت، ويجتمع فيه المسلمون ليذكروا ربهم، ويتعاونوا على سبل

الخير، وهو الجامعة التي يتخرج منها الإنسان؛ خليفة الله في الأرض، حاملا رسالة الدين الذي جاء رحمة للعالمين.

1.1.1. التعريف اللغوي للمسجد: هو اسم مشتق من فعل ثلاثي مجرد هو "سجد يسجد"، ولهذا اتخذ اسم المكان من هذا الفعل وأطلق على محل العبادة والصلاة⁽¹⁾، نقول: "سجد، سجودا: خضع وتذلل ووضع جبهته على الأرض فهو ساجد...يقال فلان ساجد المنخر: ذليل خاضع، المسجد: مصلى الجماعة، والمسجد الحرام: الكعبة، والمسجد الأقصى: بيت المقدس"⁽²⁾.

2.1.1. التعريف الاصطلاحي للمسجد: تشابهت تعريفات العلماء للمسجد، واتفقوا على كون المسجد مكان يجتمع فيه الناس لأداء الصلاة.

المسجد هو: "المكان الذي يجتمع فيه المسلمون بغض النظر عن اختلاف ألوانهم وأجناسهم فهم جميعا يقفون صفا واحدا أمام الله سبحانه وتعالى"³، وفي هذا التعريف لفظة إلى الدور الإنساني الذي يلعبه المسجد في جمع الناس على اختلاف صفاتهم.

وعده مراد زعيمي -باعتبار الدور الذي يلعبه في المجتمع- "مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع المسلم بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية من خلال التنشئة المنضبطة بقيم الإسلام ومبادئه"⁽⁴⁾.

فالمسجد موطن تنزل الرحمات الإلهية، ومكان تجمع المسلمين يعبدون فيه ربهم، ويسألونه حاجاتهم، ويزيد وعيمهم وتتوسع معرفتهم فيه بدينهم.

3.1.1. مكانة المسجد في المجتمع: للمسجد مكانة عظيمة ومقدسة يستمد منها الإسلام نفسه، باعتباره بيت الله الذي أمر الله بأن يرفع، وتسمو قيمته، يقول عز وجل: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾⁽⁵⁾، وقد أمر الله بعمارتها، وأثنى على المحافظ على حضور الصلوات فيه.

وفي المسجد مثل اجتماعية من جوهر الإسلام، يتدرب عليها المسلم، والتي في مقدمتها النظام والقنطرة، ومعالجة الأنانية، وإزالة الفوارق الطبقية، وبناء مجتمع متلاحم، من

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968، المجلد 1، ص 98.

⁽²⁾ مذكور (إبراهيم) وآخرون، المعجم الوجيز الصادر من مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، 1989م، ص 303.

⁽³⁾ معي الدين عباسي، دور الخطاب الديني المسجدي في تعزيز الأمن الفكري، مجلة العلوم الإسلامية، مجلد 4 عدد 2 ديسمبر 2022، ص 55.

⁽⁴⁾ مراد زعيمي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة، 2002، ص 122.

⁽⁵⁾ سورة النور، الآية 36.

خلال تنظيم الصفوف ورصها، حتى يشكلوا البناء المرصوص الذي أحب الله عز وجل به عباده كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾⁽¹⁾، وغيرها من المعاني الاجتماعية الكريمة⁽²⁾.

وتتجلى مكانة المسجد في بناء الكعبة الشريفة، التي أمر الله نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل ببنائها حتى لا ينفك المسلم عن المسجد⁽³⁾، وهذا يدل على أن المسجد ضروري للمجتمع المسلم لأدواره العديدة في شتى مجالات الحياة، كما أن النبي محمد ﷺ جعل أول عمل يقوم به بالمدينة المنورة هو بناء المسجد النبوي.

1.2. الأمن المجتمعي:

1.2.1. **التعريف اللغوي للأمن:** للأمن في اللغة معان عديدة، فمنها قول ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق"⁽⁴⁾، ويتضح من التعريف اللغوي أن الأمن هو سكون القلب، أي خلوه من كل مظاهر الخوف، وهو الشعور بالراحة والطمأنينة.

2.2.1. **التعريف الاصطلاحي للأمن:** تعددت تعاريف الأمن، ومن بين التعريفات الغربية قول وولفز في تعريفه بأنه: "من الناحية الموضوعية يقيس غياب التهديدات ضد القيم المركزية، ويقصد بالمعنى الذاتي غياب الخوف من أن تكون تلك القيم محل هجوم"⁽⁵⁾، ونلاحظ أن هذا المعنى يقترب من المعنى اللغوي في كون الأمن يعني غياب الخوف.

3.2.1. **التعريف اللغوي للمجتمع:** جاء في معجم مقاييس اللغة أن كلمة جمع "الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمعا"⁽⁶⁾، وعكسها فرق، ويقصد بالمجتمع جماعة من الناس.

4.2.1. **التعريف الاصطلاحي للمجتمع:** جاء في معجم اللغة العربية أن المجتمع هو: "مجموعة أفراد تربطهم علاقات منظمة وخدمات متبادلة وتسودهم روح عامة وتقاليد

(1) سورة الصف، الآية 4.

(2) انظر: فيصل ذيب، المسجد والثقافة البيئية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 1، جوان 2020، ص 413.

(3) المرجع نفسه.

(4) أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ج 1، ص 133.

(5) عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري، الجزائر، أوروبا والحلف الأطلسي، الجزائر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2005، ص 14.

(6) ابن فارس، مرجع سابق، ص 479.

مشتركة يخضعون لها جميعاً"⁽¹⁾.

ويدعو مالك ابن نبي إلى تدقيق مصطلحات الاجتماع، فهو يرى أن الفهم السائد بأن المجتمع إنما هو عبارة عن بعض الأفراد، يعيشون كما يشاؤون مهما كانت الصلات بينهم ليس هذا هو المجتمع، والمعنى الحقيقي للمجتمع في نظره هو الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق له الراحة، والمجتمع هو الذي تجمعه فكرة تؤلف بين أفرادها، وبفقدانها تذهب الصلات التي تربطه، ويتفكك وتضيع مصالحه⁽²⁾.

ويتبين من رؤية ابن نبي أن المجتمع كائن حي له مسؤولية تجاه الفرد، وليس فقط مجموعة من الأفراد.

3.1. تعريف الأمن المجتمعي:

يعتبر الأمن المجتمعي ضرورة ملحة لتحقيق بناء الأمم وتطورها، وركيزة أساسية لخلق دولة مستقرة بمفهومنا المعاصر، ومنه فإن الأمن الاجتماعي هو: "احساس الدولة بالطمأنينة والاستقرار لانعدام الظواهر الاجتماعية التي تتعارض مع قيم المجتمع الأصلية ومبادئه العليا"⁽³⁾.

والمفهوم الشامل للأمن المجتمعي يجمع كل نواحي الحياة، ويشمل الاكتفاء بكل النواحي المعيشية للإنسان، وهو في القرآن الكريم: "تعبير عن طمأنينة النفوس وزوال الخوف في المجتمع الإنساني المرتبط برباط الأخوة الإيمانية دون النظر إلى جنس أو لون أو لغة"⁽⁴⁾.

وبمعرفتنا لمفهوم الأمن المجتمعي، سنتطرق إلى اسهام المسجد كمؤسسة دينية في تحقيقه، في ضل الدعوات المغرضة التي شوهدت صورته، وجعلته سببا في نشأة الجماعات الإرهابية المتطرفة.

2. دور المسجد في تحقيق الأمن المجتمعي

تعددت اسهامات المسجد في مختلف المجالات، وله في تحقيق الأمن الاجتماعي دور مهم، وقد اخترت بعض النماذج من اسهاماته في ذلك.

(1) مجمع اللغة العربية، المجمع الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطالع الأميرية، القاهرة، د ط، 1983م، ص 171.

(2) انظر: مالك ابن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1979م، ص 157.

(3) الشقحاء، فهد بن محمد، الأمن الوطني تصور شامل، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2004، ص 62.

(4) الكيلاني، رشاد، الأمن الاجتماعي مفهومه تأصيله الشرعي، المؤتمر الدولي الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي، جامعة آل البيت الدولي الأمن الاجتماعي في مجلة الحقوق، جامعة الكويت، العدد 2، يونيو 2018م، ص 442-443.

1.2. الدور الفكري:

1.1.2. غرس العقيدة الصحيحة: تعتبر العقيدة باعتبارها التصورات والأفكار التي يتبناها الفرد ويؤمن بها، هي المحرك لكل أفعاله وما يصدر عنه، وبالتالي فإن صلاحها وتوافقها مع الحق والفطرة السليمة كفيل بتعزيز الأمن والتسامح بين أفراد المجتمع، وفسادها سيؤدي حتما لاضطرابات على صاحبها ومن حوله.

والعقيدة الإسلامية هي الوسيلة الأولى التي استخدمها القرآن الكريم في تربية النفوس، وتهذيبها ومنعها من الانحراف وارتكاب الجرائم لما للعقيدة الإسلامية من أثر في السلوك الإنساني⁽¹⁾.

ورسوخ التوحيد الخالص في قلب المؤمن له مكافئة إلهية ووعد بالأمن، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾⁽²⁾، وقد ذكر أهل التفسير أن الذين يستحقون الأمن هم المؤمنون الذين لم يلبسوا إيمانهم بفساد عقيدة كشرک أو كفر أو ما شابه⁽³⁾.

وكان النبي ﷺ ينهى أتباعه وصحابته وأمتة قاطبة عما يخل بالأمن الاجتماعي ويربط ذلك بعقيدة المؤمن، فالمؤمن الحق ذو العقيدة الإيمانية الراسخة حسن الجوار لا يظلم ولا يؤذي من حوله، ويصل رحمه وأقاربه ويؤدي حقهم، ولا يفتك ولا يغدر ولا يبطش بخصمه أو عدوه حال غفلته، وهذا دليل يؤكد أن العقيدة الإسلامية تربط بين سلامة العقيدة وسلامة الفرد والمجتمع في أية أذية، وهذا هو الأمن الحق والسلام الواقعي⁽⁴⁾.

والفرد الذي يكون منتظم التردد على المسجد، يسمع في خطب الأئمة ودروسهم "ما يطهر القلوب، ويصفي النفوس، وينقي الأفكار والأذهان، ويزكي الأرواح ويهذبها، ويغذيها ويشحنها بروح اليقظة الإيمانية، والاستقامة السلوكية؛ فكلما ازداد تردد المسلم على المسجد، كلما ازداد تعلُّقاً به، والتصاقاً بخالقه، فحاسب النفس وابتعد عن النوازع العدوانية، والدوافع الإجرامية"⁽⁵⁾.

ولأئمة المساجد دور كبير في بيان وترسيخ العقيدة، وبيان معنى الوحدة في نفوس

(1) انظر: معي الدين عباسي، دور الخطاب الديني المسجدي في تعزيز الأمن الفكري، مرجع سابق، ص 59.

(2) سورة الأنعام، الآية 82.

(3) انظر: خالد بن ناصر الغامدي، العقيدة السليمة ودورها في حفظ الأمن، ص 20.

(4) المرجع نفسه، ص 21، بتصرف.

(5) داود بورقيبة، مسؤولية مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) في حماية الناشئة من الفكر، مؤتمر ظاهرة التكفير الأسباب الآثار العلاج، المحور 8، البحث 14، ص 53875386.

المصلين، وتعميق أواصل المحبة بينهم، وتذكيرهم بأن الإسلام اعتمد الأخوة دعامة لوحدة المجتمع، وركيزة للترابط بين أفراده، وبيان عقيدة الإسلام الوسطية، التي تقوم على الاعتدال والتوازن⁽¹⁾.

ويتجلى اسهام المسجد في تحقيق الأمن الفكري من خلال الحفاظ على العقيدة الصحيحة التي تقوم على النصوص الإسلامية بالفهم الصحيح، والحرص على حمايتها من التأويلات العنيفة التي تسفر عن خلل في التصور ومنه إلى السلوك.

2.1.2. التحذير من التكفير: لا يخفى الأثر الكبير لظاهرة التكفير في زعزعة استقرار وأمن الدول، فالتكفير بكونه "الحكم على المعين بالردة والخروج من ملة الإسلام"⁽²⁾، يعني استباحة الدم، وهذا ما نلاحظه جليا في الجماعات الإرهابية المتطرفة اليوم، وبغض النظر عن الخلفيات السياسية ورائها، فإن هذه الجماعات تتخذ من الدين غطاءً لها، بحيث أنها تقصي كل من يخالفها، وتدعي الوصاية على دين الله.

ومن هنا كان للمسجد دور كبير في تبصير العامة بخطر التكفير، فالخطاب المسجدي الذي يجب أن لا يخرج عن المرجعية الدينية للبلد يكتسي أهمية كبيرة، وذلك من خلال بيان النصوص التي نهت وشددت في الأمر، ومنها ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)⁽³⁾، ولا بد في شرح وبيان معنى هذه النصوص من الرجوع إلى أعلام الأمة المشهود لهم بالعلم والصدق، ففي معنى هذا الحديث يقول ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) "أن المقول له إن كان كافرا كفرا شرعيا، فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرة ذلك القول وإثمه"⁽⁴⁾، وترى كيف أن معنى باء بها أحدهما لا يستلزم كفر أحدهما كما قد يتبادر للذهن.

وللمسجد مسؤولية كبيرة في بيان خطر التكفير، وتوعية الشباب خاصة "بالضوابط الأمنية المحكمة التي قررها التشريع الإسلامي لحفظ المجتمع من الجريمة، ووقايتها من الانحراف، ومحاربة الأعمال الإرهابية، والتصرفات الشاذة التي تسعى على الخروج على النظام العام، والإخلال بالأمن"⁽⁵⁾.

(1) المرجع السابق، ص 5391.

(2) ابراهيم بن صالح، التكفير عند جماعات العنف المعاصرة، مركز نماء للبحوث، بيروت، ط1، 2014، ص14.

(3) البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم 6103، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 1426هـ/2005، ج5، ص78.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المنار، القاهرة، ط1، 1419هـ/1999م، ج10، ص545.

(5) داود بورقيبة، مسؤولية مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) ...، مرجع سابق، ص5392.

وفي الجزائر اعتمدت الحكومة على مؤسسة المسجد لنشر الوسطية والفكر السليم، ورد شبهات الجماعات التكفيرية التي كانت لها تداعيات خطيرة على الأمن القومي للبلد، ولا تزال مؤسسة المسجد إلى يومنا هذا أحد المنابر المهمة لنشر الدين الإسلامي الصحيح الخالي من الشبهات والتضليل والعنف والهمجية؛ ومن هنا "يتبين أن مؤسسة المسجد دور كبير في محاربة الفكر المنحرف، وقد يفوق دوره في هذا المجال بقية المؤسسات الاجتماعية الفاعلة، لكونه المؤسسة التي يقصدها فئة واسعة من المجتمع الجزائري لأداء الصلوات الخمس، فكان بذلك مناسبة مهمة لمحاربة الأفكار الدخيلة على المجتمع المسلم بفطرته"⁽¹⁾.

إن التطرف بكل أنواعه مني عنه في الدين الإسلامي، وتقف على عاتق الأئمة مسؤولية توعية المصلين ومرتادي المسجد بخطرته على الأمن المجتمعي.

2.2. الدور الاجتماعي:

1.2.2. ترسيخ القيم: جاء الإسلام بقيم سامية كانت كفيلة بإحداث التغيير الجذري في المجتمع العربي، الذي تحول من مجتمع جاهلي لا يأمن فيه الضعيف على نفسه من ظلم القوي وقهره، إلى مجتمع آمن تسود فيه الأخلاق العالية، وقيم العدل والمساواة، وينام فيه خليفة المسلمين تحت الشجرة ليس يخشى على نفسه من شيء.

ويعتبر المسجد أول مدرسة يتعلم فيه المسلم مكارم الأخلاق، وقيم التعاون والتسامح وتقبل الاختلاف كما يعتبر ملتقى المسلمين ومنتدى حواراتهم وتشاورهم وفك نزاعاتهم بالتي هي أحسن، من خلاله يلتقى المسلمون من مختلف الأقطار والأجناس فيتعارفون ويجتمعون في صفوف الصلاة لا يفضل عريهم على عجمهم ولا يقدم أبيضهم على أسودهم، إذ تجمعهم عقيدة واحدة تربط بينهم بحبل وثيق تزول فيه كل الفوارق⁽²⁾.

كما أن العقيدة الإسلامية تربي المسلم على القيم والمبادئ النبيلة، وعلى الأمن والأمان، والهدوء وراحة البال، والحث على الوسطية والاعتدال، وحثه على المراقبة الداخلية، والنقد الذاتي، وتقويم الأنفس وتحقيق الأمن الداخلي، ونشر الأمن في المجتمع⁽³⁾.

⁽¹⁾ رضا كشان، ظاهرة الانحراف الفكري وأثرها على أمن الشعوب واستقرارها مع الإشارة على التجربة الجزائرية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 9، العدد 19، 2019م، ص 40.

⁽²⁾ انظر: عفاف حسن الحسني، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع، مجلة مركز بحوث ودراسات، العدد 26، 1429هـ/2008م، ص 167.

⁽³⁾ انظر: معي الدين عباسي، دور الخطاب الديني المسجدي في تعزيز الأمن الفكري، مجلة العلوم الإسلامية، مجلد 4، العدد 2، 2022، ص 60.

ومن أهم القيم التي رسخها الإسلام هي قيمة التسامح الديني، فالإسلام اعترف بكل الديانات السابقة له، وفرض الإيمان بالكتب السابقة للقرآن، والذي يقرأ السيرة يلمس التعايش الذي كان بين الرسول ومن حوله من اليهود وغيرهم في المدينة، وكفل لهم حقوقهم الاجتماعية المشروعة⁽¹⁾.

وتعتبر خطبة الجمعة منارة الإسلام، التي لا يخفى دورها في حياة الفرد والمجتمع، إذ أنها "الدعامة الأولى، والركيزة الكبرى لتحقيق الأمن الاجتماعي، وتعميق الوحدة ونبذ الفرقة، وتغذية الأمة بالتوجيه الروحي والفكري"⁽²⁾

هذه القيم والمبادئ التي تمتلئ بها منابر المسجد جعلت الشعوب الإسلامية من أكثر البلاد تماسكا من الناحية الاجتماعية.

2.2.2. تقوية الروابط الاجتماعية: تعتبر الروابط الاجتماعية من الأسس التي يُبنى عليها المجتمع، حيث تساهم في خلق محيط يسود فيه التعاون، وتقوى فيه العلاقات بين أفراد.

والمسجد يقوم بدور مهم في تعارف المصلين، وتأخيم أخوة إسلامية، فالمصلون في المسجد ربما لا يلتقون غالبا إلا لأداء صلاة الجماعة، وأهل الحي الواحد تشغلهم الأعمال ولا يجمع بينهم إلا المسجد لأداء الفريضة، وتزيد حلقات الدروس التي يتعلمون فيها أمور دينهم هذه الروابط الاجتماعية⁽³⁾.

ومن خلال الأنشطة المختلفة التي يقوم بها المسجد، تتطور أواصل المحبة بين المسلمين، ففي حلقات تعليم القرآن للأطفال تنشأ روابط بريئة قائمة على الحب والتآلف، وفي مكتبة المسجد يتبادل المسلمون المعلومات والكتب المفيدة، وفي خطبة الجمعة والعيدين، يلتقي الجيران والأقارب، الذين فرقهم الدنيا وهمومها، ومن خلال قفة رمضان وجمع التبرعات للفقراء، يقترب الغني من الفقير، وفي جلسات الصلح التي يعقدها الأئمة، تذوب الخلافات والصراعات، وتجتمع القلوب المتنازعة، وفي المولد يجتمعون كل عام ليرتشفوا من عبير السيرة العطرة، ليهتدوا بهدي خير البرية.

والمسجد يجمع الناس من مختلف الأماكن والأعمار، فيختلط بعضهم ببعض

(1) المرجع السابق، ص 61.

(2) داود بورقيبة، مسؤولية مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) في حماية الناشئة من الفكر، مرجع سابق، ص 5387.

(3) انظر: عفاف حسن الحسيني، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع، مرجع سابق، ص 168-169.

ليسمعوا كلام الله فيه، فيحدث بينهم التعارف الذي يعد قاعدة من قواعد الآداب الإسلامية، ووقد نص القرآن الكريم على أن الغرض من تنوع الناس واختلافهم هو من أجل التعارف، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽¹⁾، فمعيار التفاضل الحقيقي ليس زائل الدنيا، لكنه التقوى التي ينال الفرد بها باقي الآخرة.

3.2. الأمن الاقتصادي:

للمسجد دور مهم في الحفاظ على الأمن الاقتصادي للمجتمع المسلم من خلال عدة أمور نذكر منها:

1.3.2. إبراز قيمة العمل في الإسلام: اعتنى الإسلام بالعمل ورغب فيه، ونهى عن البطالة والركون إلى الكسل والخمول، لما في ذلك من تأثير على المجتمع، وتأثير على عجلة اقتصاده.

والعمل دأب الأنبياء والمرسلين، فهذا نوح ﷺ يتلقى من ربه الأمر بصناعة الفلك، يقول تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾⁽²⁾، وهذا داود ﷺ يعمل في الحدادة، يقول تعالى: ﴿أَنِّي أَعْمَلُ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرُ فِي السَّرْدِ﴾⁽³⁾، وكان محمد ﷺ كما هو معروف يعمل في رعي الغنم قبل البعثة، ويعمل في تجارة خديجة بعد البعثة، وهذا يدل على مكانة العمل في الإسلام.

وللمسجد دور فعال في التشجيع على العمل والكسب في مختلف مجالات الحياة من خلال خطب الجمعة والدروس، لما في ذلك من نفع لاقتصاد البلد، وتحسين للأوضاع المادية للمجتمع، وبالتالي تقليص الفقر وملء الفراغ الذي لا يخفى تأثيره في خلق مختلف الآفات الاجتماعية؛ فالعمل يحقق الاكتفاء الذي يؤدي إلى اختفاء بعض المظاهر السلبية كالسرقة والتسول.

2.3.2. الزكاة: الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام و"هي عبادة مالية يتقرب بها المسلم إلى الله - عز وجل - شرعت لسد الحاجة للفقراء والمحرومين لكي يمكنهم العيش، وبما يوفر لهم الأمن الاقتصادي"⁽⁴⁾.

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) سورة هود، الآية 37.

(3) سورة سبأ، الآية 11.

(4) محمد عبد الحليم عمر، الزكاة ودورها في تحقيق الأمن المجتمعي، مؤتمر مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام، ص 2.

يرى محمد عبد الحليم عمر أن هناك علاقة وطيدة بين الاقتصاد والأمن، فالاقتصاد هو مركز البناء الاجتماعي، وبانتظامه يكون الاستقرار والأمن، إذ أن غياب الاقتصاد السليم الذي يحصل فيه كل فرد على ما يشبع حاجياته تنتشر فيه الجرائم ويعم الخوف والفرع وهما ضد الأمن⁽¹⁾.

ويلعب المسجد دوراً رئيسياً في حث الناس للالتزام بواجب الزكاة وتحفيزهم على الصدقات المستحقة، لما في الزكاة والصدقات من دور في علاج مشكلة الفقر والبطالة⁽²⁾. كما أن في المسجد توزع الزكاة والتبرعات، باعتبار أنه ممثلاً في إمامه أعلم وأدرى بالفقراء والمحتاجين.

فتحقيق الأمن الاقتصادي إذاً ضروري؛ للحفاظ على أمن وطمأنينة المجتمع، والقضاء على دوافع زعزعة استقراره.

خاتمة

وفي خاتمة البحث توصلنا إلى أن المسجد له دور كبير في تحقيق الأمن المجتمعي من خلال:

1. غرس العقيدة السليمة التي تحفظ المسلم من الانحراف الفكري.
2. التحذير من التكفير ونبد كل مظاهر التعصب والتطرف وكل أساليب العنف.
3. ترسيخ القيم السامية والأخلاق العالية وغرس مفاهيم التسامح والتآلف الاجتماعي.
4. تقوية الروابط الاجتماعية من خلال مختلف الأنشطة والدروس التي ينظمها المسجد.
5. الترغيب في العمل وبيان فضله ودوره في تحقيق الاكتفاء الذاتي.
6. المساهمة في جمع وتوزيع الزكاة على مستحقيها من الفقراء والمساكين.

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم بن صالح، التكفير عند جماعات العنف المعاصرة، مركز نماء للبحوث، بيروت، ط1، 2014.
2. أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ج.1.
3. إسماعيل سعيد رضوان، دور المسجد في مكافحة الفقر والبطالة، وقفية غازي للفكر القرآني.
4. البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم 6103، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 1426هـ/2005، ج.5.

⁽¹⁾ محمد عبد الحليم عمر، الزكاة ودورها في تحقيق الأمن المجتمعي، مرجع سابق، ص.8.

⁽²⁾ انظر: إسماعيل سعيد رضوان، دور المسجد في مكافحة الفقر والبطالة، وقفية غازي للفكر القرآني، ص.7.

5. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المنار، القاهرة، ط1، 1419هـ/1999م، ج.10
6. الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الجزء 8.
7. خالد بن ناصر الغامدي، العقيدة السليمة ودورها في حفظ الأمن.
8. داود بورقيبة، مسؤولية مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة والمسجد) في حماية الناشئة من الفكر، مؤتمر ظاهرة التكفير الأسباب الآثار العلاج، المحور 8، البحث 14.
9. رضا كشان، ظاهرة الانحراف الفكري وأثرها على أمن الشعوب واستقرارها مع الإشارة على التجربة الجزائرية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 9، العدد 19، 2019م.
10. الشقحاء، فهد بن محمد، الأمن الوطني تصور شامل، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2004.
11. صباح محمود محمد، الأمن الإسلامي دراسات في التحديات الجيوبوليتيكية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م.
12. عفاف حسن الحسيني، المسجد ودوره في تحقيق أمن الفرد والمجتمع، مجلة مركز بحوث ودراسات، العدد 26، 1429هـ/2008م.
13. فيصل ذيب، المسجد والثقافة البيئية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 6، العدد 1، جوان 2020.
14. الكيلاني، رشاد، الأمن الاجتماعي مفهومه تأصيله الشرعي، المؤتمر الدولي الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي، جامعة آل البيت الدولي الأمن الاجتماعي في مجلة الحقوق، جامعة الكويت، العدد 2، يونيو 2018م.
15. مالك ابن نبي، تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1979م.
16. مجمع اللغة العربية، المجمع الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطالع الأميرية، القاهرة، د ط، 1983م.
17. محمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.
18. محمد عبد الحليم عمر، الزكاة ودورها في تحقيق الأمن المجتمعي، مؤتمر مقومات الأمن المجتمعي في الإسلام.
19. معي الدين عباسي، دور الخطاب الديني المسجدي في تعزيز الأمن الفكري، مجلة العلوم الاسلامية، مجلد 4 عدد 2 ديسمبر 2022.
20. مذكور (إبراهيم) وآخرون، المعجم الوجيز الصادر من مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1989م.
21. مراد زعيبي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، مديرية النشر جامعة باجي مختار، عنابة، 2002.
22. ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1968، المجلد 1.
23. عبد النور بن عنتر، البعد المتوسطي للأمن الجزائري، الجزائر، أوروبا والحلف الأطلسي، الجزائر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2005.

